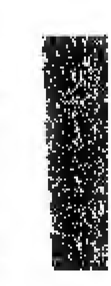
د. عبد الوهاب الكيالي

تاريخ فلسطين الحديث



المؤسسة العربية للدراسات والنشر

تاريخ فلسطين الحديث

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر

المركز الرئيسي:

بيروت، ساقية الجنزير، بناية
برج الكارلتون، ص.ب: ٥٤٦٠-١١
العنوان البرقي: موكيالي، هـ ٨٠٧٩٠٠/٨
تلكس: LE/DIRKAY ٤٠٠٦٧

التوزيع في الأردن:

دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان
ص.ب: ٩١٥٧، هاتف: ٦٠٥٤٣٢، فاكس
٦٨٥٥٠١ - تلكس ٢١٤٩٧

الطبعة العاشرة

١٩٩٠

الدكتور عبد الوهاب الكيالي

تاريخ فلسطين الحديث

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

اهداء

الى ذكرى شهداء فلسطين الأبرار الذين خطّوا
بدمائهم الطاهرة أروع صفحات التضحية
والبطولة دفاعا عن عروبة فلسطين
والى جيل الفداء العربي الصاعد أمل
فلسطين والجماهير العربية في التحرير
وأمل الأمة العربية في بناء غد انساني
جديد كريم أهدي هذا الكتاب .

تاريخ فلسطين الحديث
مقدمة الطبعة التاسعة

هذه هي الطبعة التاسعة من الدراسة الجادة والشاملة لتاريخ فلسطين الحديث. لقد لقي هذا الكتاب ولا يزال منذ صدوره وحتى الآن ترحيباً حاراً من الأوساط الأكاديمية والوطنية العربية. فالمنهج العلمي الذي اتبعه أخي الشهيد والرؤيا الواعية والملتزمة والاستناد إلى المصادر الأولية والوثائق السرية الرسمية البريطانية والصهيونية هي من أهم سمات هذا الكتاب، ولعل صدور الكتاب أيضاً باللغة الانجليزية وإعادة طبعه مرات، وتبنّي إحدى دور النشر الفرنسية ترجمته وإصداره وكذلك إحدى دور النشر الإيرانية لشاهد على مدى أهمية الكتاب مادة وموضوعاً.

لقد قمنا بإعادة تنضيد الكتاب وأضفنا إليه فهارس الأعلام والأماكن آملين أن نقوم في الطبعات المقبلة بإضافة ملحق بالصور يظهر التاريخ النابض للشعب الفلسطيني.

ختاماً نرجو أن يحفز الكتّاب الباحثين من أبناء الأمة العربية على متابعة كتابة المرحلة اللاحقة من تاريخ فلسطين الحديث وإنها لأمانة غالية في أعناقنا جميعاً.

ماهر الكيالي

مدير عام

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

مقدمـة

في فلسطين عرف العرب قمة التحدي، وعلى ارض فلسطين سوف يتقرر المستقبل العربي.

في فلسطين يواجه العرب قضيتهم المصيرية الكبرى، ومع ذلك فلا مفر من الاقرار بأننا ـ شعباً وأمة ـ لا نزال بعيدين عن تحسس خطورة هذه القضية وجوانبها المختلفة والعيش معها إلى المدى المطلوب.

وان نعيش هذه القضية يعني الى حد معين الاطلاع على تاريخها ومتابعة مراحلها ومواكبة خط تطورها لنلتقط من خلال ذلك كله الملامح الرئيسية لصورتها الشاملة.

فاستلهام الماضي، اذا ما تم على صورته الصحيحة، يشكل حافزاً من حوافز النضال وعاملاً من عوامل الثبات والتقدم. فمعرفة التاريخ شرط أساسي من شروط معرفة النفس، ومعرفة النفس ضرورة لا بد منها لمجابهة التحديات والتغلب عليها. كذلك فإن معرفة الشعوب الثائرة لماضيها والواعية على حاضرها تساعدها على تخطي ذاتها وإحراز النصر في معاركها التاريخية.

وانه لمن الضرورة بمكان ان نبني اندفاعنا النضالي المعاصر على اساس الوعي الصحيح والحقائق الثابتة إذا ما اردنا لمسيرتنا الحالية أن تكون انطلاقة تاريخية لا مجرد هبّة عابرة، خصوصاً وان تاريخ فلسطين هو تاريخ حافز لا تاريخ عبء.

فالوقائع التاريخية تثبت بما لا يقبل الشك وعي الشعب العربي الفلسطيني المبكر على اخطار الصهيونية والاستعمار وتؤكد بشكل قاطع ان هذا الشعب قد ناضل نضالاً

متواصلاً مريراً لمقاومة هذه الاخطار . وقد اتخذت المقاومة العربية الفلسطينية للصهيونية والاستعمار البريطاني اشكالاً عديدة وتبنت مختلف الاساليب والوسائل الكفاحية من الاحتجاج الى المقاطعة فالاضراب فالعصيان المدني فالثورة المسلحة .

ويشرفنا ان ننوه بان اعداد كتاب «تاريخ فلسطين الحديث» قد استغرق ما يزيد على الخمس سنوات . ولقد استندنا في هذا البحث الى الوثائق البريطانية السرية الرسمية والى الوثائق الصهيونية السرية كما أننا عدنا الى المصادر العربية الأولية المتوافرة* فلم نأل جهداً في التحقق من الاحداث والتدقيق في الوقائع التاريخية فاضطررنا في سبيل ذلك الى الترحال والسعي وراء الوثائق المعنية في الولايات المتحدة وبريطانيا ومصر والمشرق العربي .

وبديهي انه ليس من الممكن تسجيل كافة وقائع وأحداث تاريخ فلسطين الحديث في بحث موجز نسبياً كالبحث الذي نحن بصدده . ومع ذلك فقد حاولنا قدر استطاعتنا التركيز على مجرى الاحداث الرئيسية وتفاعل القوى الاساسية في تاريخنا الحديث . وقد وجدنا من المناسب ان نبدأ بحثنا بتاريخ الهجرة الصهيونية الأول في عام ١٨٨١ ونقف عند بداية الحرب العالمية الثانية على اثر نهاية الثورة الفلسطينية الكبرى ١٩٣٦- ١٩٣٩ ، على ان يشمل الجزء الثاني من البحث الفترة الواقعة ما بين ١٩٤٠ و ١٩٧٠ ** .

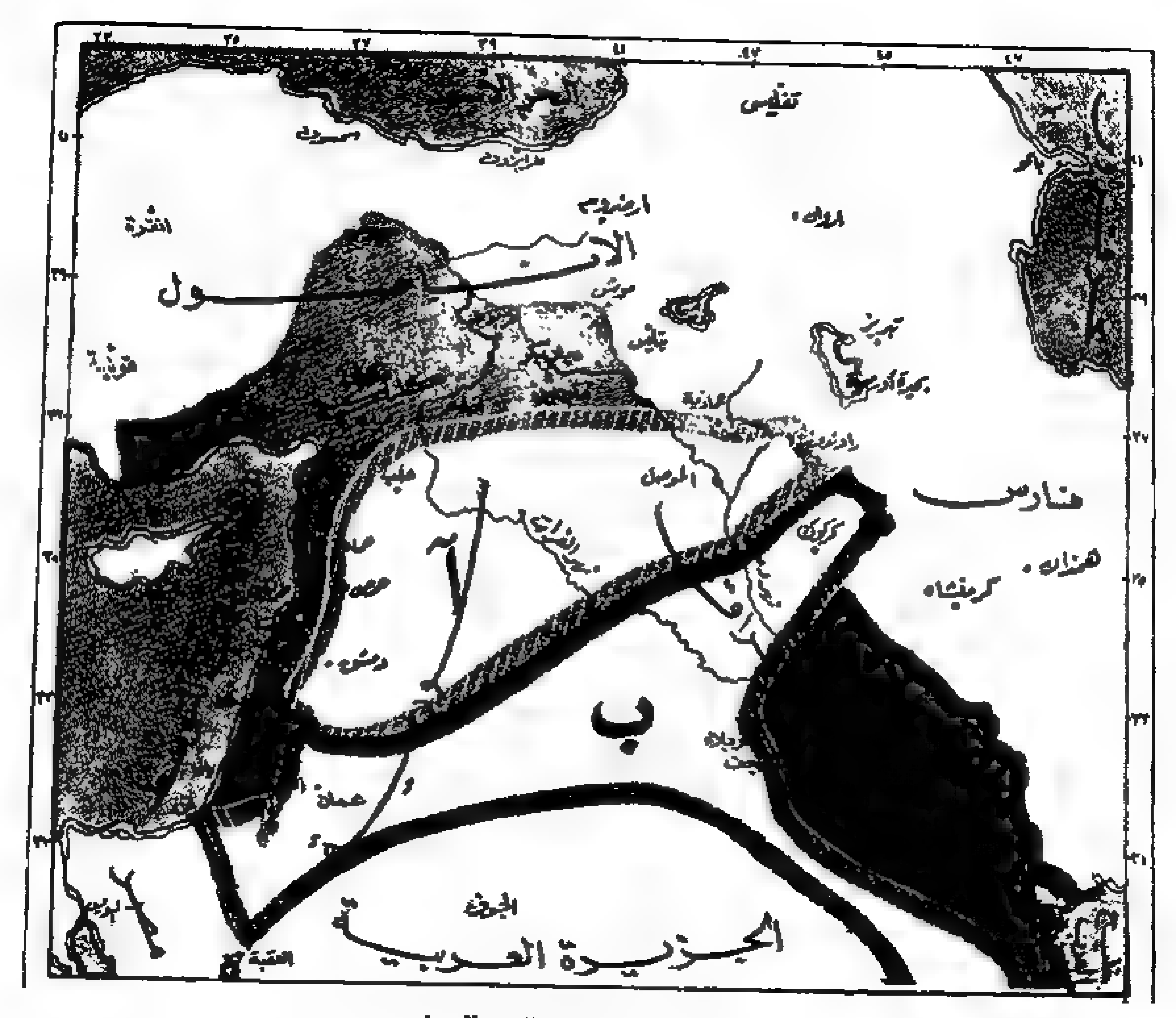
ان جل ما نأمله في أول محاولة عربية جادة لتسجيل تاريخ فلسطين الحديث استناداً إلى المصادر التاريخية الأولية ان نكون قد وفقنا إلى ابراز نضال شعب فلسطين عبر اكثر من نصف قرن من الزمن وان نكون قد رصدنا حقيقة اهداف السياسة البريطانية الاستعمارية والمخططات الصهيونية في فلسطين لا كمؤامرة ضد شعب فلسطين وحسب بل ضد وحدة الأمة العربية وتقدمها ايضاً .

عبد الوهاب الكيالي
بيروت في ايلول ١٩٧٠

---

* راجع المقدمة ص ٢.

** استشهد المؤلف في ٨١/١٢/٧ قبل ان يتمكن من تحقيق أمنيته .



تقسيم سورية والعراق

حسب اتفاقية (سايكس بيكو) سنة ١٩١٦

الفصل الأول

لمحة جغرافية وتاريخية

تعتبر فلسطين* قلب الوطن العربي وواسطة عقده وقبلة انظاره ومهد الديانات التوحيدية الكبرى في التاريخ وملتقى الحضارات . وهي بلاد خيرة جميلة ومن اهم بقاع الارض قاطبة من النواحي الاستراتيجية والسياحية والدينية .

تقع فلسطين في الغرب من قارة آسيا بين خطي عرض ٣٠ , ٢٩ و ٣٣,١٥ وبين خطي طول ١٥ر ٣٤ و ٤ر ٣٥ شرقي غرينتش وتتوسط مفارق الطرق بين آسيا وافريقيا واوروبا وتتصل ما بين البحر الابيض المتوسط (الموصول بالمحيط الاطلنطي) والبحر الاحمر وجزء من المحيط الهندي . يحدها من الغرب البحر الابيض المتوسط ومن الشرق سوريا والاردن ومن الشمال لبنان وسوريا ومن الجنوب شبه جزيرة سيناء (الجمهورية العربية المتحدة) وخليج العقبة .

تبلغ مساحة فلسطين حوالى ٢٧٠٠٩ كيلومترات مربعة (١٠٤٢٩ ميلاً مربعاً) وهي مستطيلة الشكل يبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب نحو ٤٣٠ كم ، واما عرضها فيتراوح في الشمال بين ٥١ كلم و٧٠، وفي الوسط يتراوح العرض بين ٧٢ كلم و٩٥ بينما يتسع في الجنوب حتى يصل الى نحو ١١٧ كم.

تنقسم فلسطين من الوجهة الطبيعية الى الاقسام التالية :

١ ـ المنطقة الساحلية التي تشمل السهل الساحلي الفلسطيني الممتد من رأس الناقورة الى

---

* ذكرها جغرافيو العرب ومؤرخوهم : فلسطين بالكسر ثم الفتح وسكون السين وطاء مهملة وآخره نون .

رفح . ويكاد الساحل الفلسطيني يكون مستقيماً ليس فيه موانىء طبيعية صالحة لرسو السفن وخصوصاً ابان العواصف والانواء. أما أهم المدن والموانىء الواقعة في المنطقة الساحلية فهي غزة وحيفا ويافا وعكا. ويعتبر الساحل الفلسطيني الجسر الذي يصل آسيا بأفريقيا وأشهر الممرات الحربية في التاريخ كما أن أشجاره تنتج أشهر أنواع البرتقال في العالم.

٢ ـ المنطقة الجبلية التي تمتد في وسط البلاد كعمود فقري وتشغل ثلثي أرض فلسطين وتضم جبال الجليل وجبال نابلس وجبال القدس. وفي هذه المنطقة تقع معظم الاماكن المقدسة لدى المسلمين والمسيحيين واليهود: القدس والخليل وبيت لحم والناصرة ونابلس وصفد.

٣ ـ منطقة الغور التي تقع شرقي فلسطين ويخترقها نهر الاردن مع بحيراته. وهذه المنطقة قسم من الانخفاض العظيم الذي يبدأ من جبال طوروس في آسيا الصغرى ويستمر جنوباً ماراً بسوريا والبحر الميت وخليج العقبة لينتهي في بحيرة فكتوريا بأواسط افريقيا. والغور نسيج وحده في العالم من حيث انخفاضه عن سطح البحر، يتدرج ليصل ٣٩٢ متراً عند شاطىء البحر وهو أشد انخفاض ارضي في العالم كله. وتعتبر اريحا وبيسان أشهر مدن الغور.

٤ ـ منطقة بئر السبع والصحراء الفلسطينية. وهي تحتل نصف مساحة فلسطين وتشكل القسم الجنوبي من فلسطين وتشبه مثلثاً يقع رأسه عند خليج العقبة شاملاً الأراضي الواقعة بين قضائي غزة والخليل وبين شبه جزيرة سيناء وشرقي الأردن وجنوبي البحر الميت. وتعتبر بئر السبع مدينة المنطقة الوحيدة* ويسكنها البدو الرحل وشبه الرحل. وكانت بئر السبع ممراً تجارياً هاماً في العالم المتمدن القديم كما كانت مهد انطلاقة النبي ابراهيم ومسقط رأس ابنه البكر اسماعيل جد العرب العدنانية**.

---

* اقام العدو الصهيوني بعض المزارع والتجمعات الصغيرة كما شيّد مراكز للابحاث والتجارب العلمية الحربية (الذرية) في سلدة بوقر في النقب.

** اسماعيل هو الذي ربط بين بلاده فلسطين وبين النبي العربي والمسلمين بصلة خالدة اذ قام مع ابيه ببناء الكعبة المشرفة.

العرب وفلسطين عبر التاريخ

يشهد تاريخ فلسطين ان وضعها الجغرافي وصلتها الحميمة بالاراضي المجاورة حددا على مر الزمن تطورها ومصيرها . لقد كان مصير فلسطين دوماً مرتبطاً بأوضاع الجزيرة العربية ومصر وسوريا والعراق . ففي أواخر الالف الرابع واوائل الالف الثالث قبل الميلاد تعرضت فلسطين لموجة عربية سامية كبيرة هي الموجة المعروفة باسم الامورية الكنعانية، فنزل الاموريون داخل بلاد الشام وجنوبها الشرقي ،واستوطن الكنعانيون* ساحلها وجنوبها الغربي أي فلسطين .

ويرجح ان الكنعانيين كانوا في بادىء الأمر يقطنون سواحل الخليج العربي الغربية قبل نزوحهم الى الساحل السوري (شواطىء سوريا وفلسطين ولبنان). ونسبة لهؤلاء سميت فلسطين ارض كنعان، وكان اقدم اسم سميت به البلاد. وبقيت للكنعانيين السيادة ما يقرب من الف وخمسمائة سنة أي من ٢٥٠٠ ق. م إلى نحو ١٠٠٠ ق. م حين تمكن اليهود من اعلان مملكتهم. وفي هذه الفترة توطنت عدة قبائل عربية اخرى اشتهرت بالتجارة.

وحدث اثناء فترة سيطرة الكنعانيين نحو عام ١٨٠٥ق. م . ان هاجر النبي ابراهيم (الذي يرجح انه «اموري» من العرب الذين اسسوا الدولة البابلية في العراق) الى بلاد الشام واستقر بعد فترة في شكيم (نابلس) في فلسطين. ثم ما لبث أن انتقل إلى بئر السبع**. وفي نحو عام ١٧٩٤ق. م . رزق ابراهيم ولده اسماعيل جد العرب العدنانية وهو الذي وصل بين فلسطين وبين النبي العربي (الذي ينتسب للعدنانيين) والمسلمين إذ قام مع ابيه ببناء الكعبة المشرفة . وبعد مولد اسماعيل بنحو اربع عشرة سنة رزق ابراهيم من زوجته الاولى سارة ولده الثاني اسحق والد يعقوب الذي لقب باسرائيل والذي اطلق اسمه على جميع ذرية يعقوب . ونزح يعقوب واولاده الذين بلغ عددهم بضع عشرات إلى مصر نحو عام ١٦٥٦ق. م . بسبب القحط الذي نزل بفلسطين . وهناك استعبدهم فراعنة مصر

---

* الكنعانيون والفينيقيون شعب واحد نسباً ولغة وديناً وحضارة، انقسم الى قسمين سكن الأول فلسطين والثاني الساحل الشامي من مصب نهر العاصي الى جنوبي الكرمل. انظر امين الريحاني «قلب لبنان» (بيروت) ١٩٥٨ ص ٤٣٣ . انظر ايضاً مصطفى مراد الدباغ «بلادنا فلسطين» (بيروت) ١٩٦٥ القسم الاول- الجزء الاول ص ٣٨٧-٣٩٠ .

** ذكر اسم ابراهيم في ٢٧ سورة من سور القرآن الكريم .

فاضطروا إلى النزوح عن مصر بقيادة النبي موسى بعد اقامة دامت حوالي اربعمائة سنة . أما قصة نهجهم الحربي في فتح فلسطين على يد يوشع فمدونة في اسفار العهد القديم : «صعد الشعب إلى المدينة ـ اريحا ـ واهلكوا كل من في المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف» .

مملكة يهودية في فلسطين

وعلى الرغم من الفظائع التي ارتكبها والانتصارات التي احرزها يوشع فان سيطرته على فلسطين لم تكن كاملة إذ بقي الكثير من المدن الكنعانية خارج سيطرة اليهود كما ان استيطان الفلسطينيين وهم أول من نزل أرض كنعان من سكان اوروبا (كريت) في غزة وجوارها وامتداد استعمارهم حتى الكرمل اخذ يهدد وجود القبائل اليهودية المتناثرة مما دفع هؤلاء إلى جمع كلمتهم في وحدة مؤقتة ونصبوا شاول بن قيس ملكاً عليهم نحو عام ١٠٢٠ق . م . وقتل شاول بعد ستة عشر عاماً من توليه الملك على يد الفلسطينيين في احدى معاركه معهم . وتولى الملك من بعده داود بن يسي فادخل المركبات الحربية في الجيش وحارب الفلسطينيين وانتصر عليهم وعلى غيرهم من الاقوام التي كانت تقطن فلسطين وشرق الأردن ويطش بهم . وفي مطلع حكم داود كانت الخليل عاصمة ملكه لكنه انتقل الى القدس اثر فتحه لها وجعل «جبل صهيون» مقراً لحكمه وبنى عليه قلعة وقصراً من خشب الارز اللبناني .

وفي عهد داود بلغت المملكة اليهودية اقصى اتساعها ، فامتدت من جبل الكرمل وتل القاضي الى جبل الشيخ شمالاً والى حدود مصر ونهر الموجب جنوباً والى الصحراء شرقاً . ولكن الساحل الفلسطيني الممتد من شمالي يافا الى جنوب غزة كان تابعاً لمصر وبالتالي فان عموم فلسطين لم تقع تحت حكم اليهود حتى في ذروة فتوحاتهم . وخلف داود ابنه سليمان ، الملقب بالحكيم ، الذي تميز عهده بالازدهار التجاري والعمراني وشيد المعبد المعروف بهيكل سليمان وذلك بمساعدة الفينيقيين إلا انه لم يتمكن من المحافظة على جميع اجزاء المملكة التي ورثها عن ابيه . ففي اواخر عهده أدى التذمر من الضرائب المرهقة الى انقسام اليهود فكان ذلك ايذاناً بأفول عزهم الذي لم يدم أكثر من سبعين سنة .

انقسمت مملكة سليمان الى قسمين مملكة اسرائيل في الشمال ومملكة يهوذا في الجنوب . وقد نشبت بينهما حروب ونزاعات كثيرة ولا سيا في ما يتعلق بالشؤون الدينية . وعاشت المملكة الاسرائيلية نحو قرنين (٩٢٣ـ٧٢٢ق . م) وكان القسم الاكبر من اهالي

المملكة وملوكها يعبدون الاوثان . وكانت نهاية اسرائيل على يد الاشوريين الذين سبوا نخبة اهلها الى بلادهم في العراق .

اما المملكة اليهودية فقد اشتملت على القسم الجنوبي من فلسطين وكانت افقر من اختها في الشمال ودامت نحو ١٣٦ سنة بعد خراب المملكة الشمالية . وكانت المملكتان خاضعتين في معظم فترات حياتها لنفوذ الدول القوية المجاورة في العراق ومصر ، وكانت نهايتها على يد بختنصر الكلداني الذي فتح القدس واحرق الهيكل وبيت الملك عام ٥٨٦ق . م . وسبى زهاء ٥٠ الف أسير نقلهم الى بابل .

ويذهب المؤرخون الى ان اليهود كانوا أدنى حضارة ورقياً من الكنعانيين وانهم اقتبسوا من هؤلاء الكثير من حضارتهم وثقافتهم وآدابهم وطقوسهم وان ما شيد في عهد اليهود من قصور وهياكل انما تم بمساعدة الفينيقيين .

مكث اليهود في بابل (العراق) نحو سبعين سنة وهي فترة تعرف بالسبي البابلي ، تغير خلالها لسانهم وتنوعت آدابهم ، فلما استولى كورش ملك الفرس على بابل عام ٥٣٩ ق.م. ومن ثم على بلاد الشام أمر بإرجاع اليهود الذين ساعدوه حين فتح بابل ولكن قسماً من هؤلاء آثروا البقاء في بابل حيث كانوا يتعاطون التجارة. وقد تمكن الذين عادوا الى القدس من أن يعيدوا في عام ٥١٦ ق.م. بناء هيكلهم الذي تهدم عام ٥٨٦ ق.م كما تمكنوا من وضع مجموعة قوانين دينية عرفت بالديانة اليهودية وجعلوا رئيس كهنتهم زعيماً لهم.

امتد عهد الفرس في فلسطين من ٥٣٨ الى ٣٣٢ق . م . وكانت نهايته على يد الاسكندر المقدوني الذي نشر قواده الذين تولوا الحكم بعد موته الثقافة اليونانية بين اليهود وفرضوا عليهم ادابهم وحضارتهم ، فانقسم اليهود الى قسمين : قسم اقتدى باليونان وحضارتهم الراقية وآخر تعصب لعقائده الدينية وتشبث باساليب الحياة اليهودية التقليدية . وكان من نتائج هذا التشديد على اليهود قيام ثورة بقيادة العائلة المكابية عام ١٦٧ق . م . ويعزو ارنولد توينبي نجاح الثورة المكابية إلى تأخر اجتياح الجحافل الرومانية للمنطقة على أثر ضعف الدولة السلوقية لا إلى قوة المكابيين الذاتية .

وسرعان ما تحوّل المكابيون من ثورة على الاضطهاد ومقاومة لفرض الحضارة الهلينية (اليونانية) على اليهود إلى قوة اضطهدت الشعوب التي كانت تعيش في فلسطين وشرقي الاردن ابشع اضطهاد وفرضت الدين اليهودي عليها قسراً في الفترة الواقعة ما بين ١٠٢ -

٧٦ ق. م. ويشير توينبي الى أنه من سخرية القدر أن شعب الجليل الذي تهود بالقوة انجب يسوع المسيح الذي عارضه زعماء اليهود في ذلك العصر مما اضاع على اليهودية مستقبلها(١).

ومن الخطأ الاعتقاد ان سيطرة المكابيين على المنطقة المشار اليها كان مطلقاً فقد كانوا موضع تحدي العرب الانباط* الذين بسطوا سيطرتهم على جنوبي فلسطين عندما امتدت مملكتهم في اوج مجدها من سهل البقاع شمالا حتى مدائن صالح (شمالي الحجاز) جنوبا. وقد نشبت بين المكابيين والانباط معارك عديدة كان النصر في معظمها للانباط.

جاءت نهاية الانباط على يد الرومانيين الذين بسطوا سيطرتهم على البلاد وعينوا «هيرودس بن انتيباتر» الأدومي (وامه عربية من الانباط) ملكاً على اليهود عام ٣٧ق. م، وكان على صلة حميمة بالامبراطور اغسطس. وعلى الرغم من تهوده واعادة بنائه للهيكل فقد كرهه اليهود لانه لم يكن من جنسهم ولانه نشر الحضارة الرومانية واليونانية التي كانوا يكرهونها فحقد عليهم.

وفي آخر سنة من حكم هيرودس (٤ق. م) ولد المسيح في بلدة بيت لحم ونشأ في الناصرة وعاش المسيح طول حياته في فلسطين، وفيها نشر تعاليمه. وكان اكثر تلاميذه وحوارييه من الجليل. والمعروف ان الدعوة النصرانية لقيت مقاومة شديدة من اليهود كما لقيت المسيحية الاضطهاد الشديد من الرومان حتى مطلع القرن الرابع الميلادي حين تنصر الامبراطور قسطنطين وشيد عدة كنائس في فلسطين أشهرها كنيسة القيامة في القدس وكنيسة المهد في بيت لحم.

نهاية صلة اليهود بفلسطين

وعلى الرغم من المعاملة المميزة التي منحها الرومان لليهود كاعفائهم من عبادة الامبراطور وخدمة الجيش وبقاء احكامهم الدينية في يد محاكمهم الخاصة(٢)، فقد استمر الاحتكاك بين الطرفين مما أدى في النتيجة الى ثورة اليهود عام ٦٦م، التي سحقت عام ٧٠م. على يد طيطوس الروماني بمساعدة الفرق العربية والسورية والارامية الموضوعة تحت قيادته. ولكن اليهود ثاروا مرة أخرى بقيادة سمعان المدعو ايضاً بركوكب والذي ادعى انه

* كان الانباط يتفاهمون بلغة عربية الا انهم كانوا يكتبون بالارامية وتعتبر حضارتهم عربية في اساسها.

المسيح المنتظر. وتم القضاء على هذه الثورة على يد هدريان الذي نكل باليهود أشد تنكيل ومنعهم من دخول القدس والسكن فيها بل الدنو منها. والجدير بالذكر ان ثلاثة ارباع اليهود كانوا يسكنون خارج فلسطين قبل سقوط القدس بمدة طويلة «ولم يكن لجماهير اليهود المبعثرين في الامبراطورية الاغريقية ثم في الامبراطورية الرومانية إلا اهتمام ثانوي جداً بالمملكة اليهودية في فلسطين»(٣) وبثورة بركوكب انتهت صلة اليهود بفلسطين حتى القرن التاسع عشر وازداد تشتتهم في مختلف اقطار العالم في اوروبا وآسيا وافريقيا.

وهكذا نجد ان اليهود لم يدخلوا الى فلسطين إلا في حقبة متأخرة من الزمن ولم يحكموا البلاد إلا مدة قصيرة نسبياً، ناهيك بأنهم لم يحكموا سوى اجزاء من فلسطين حتى في ذروة عزهم. ولقد تميزوا بالتعصب الشديد واستعداء الشعوب الأخرى التي كانت تقطن المنطقة. كذلك يلاحظ انهم توزعوا في البحر الابيض المتوسط في وقت مبكر سعياً وراء التجارة والرزق ولم يعد يربطهم بفلسطين سوى الحنين الى جبل صهيون أي القدس. ومن هنا لخص هـ. ج ولز في كتابه «موجز التاريخ» تاريخ اليهود (العبرانيين) بما يلي:

«كانت حياة العبرانيين (في فلسطين) تشبه حالة رجل يصر على الاقامة وسط طريق مزدحم فتدوسه الحافلات والشاحنات باستمرار... ومن البدء حتى النهاية لم تكن مملكتهم سوى حادث طارىء في تاريخ مصر وسوريا واشور وفينيقيا ذلك التاريخ الذي هو اكبر واعظم من تاريخهم»

اليهودية ليست عرقا

من الخطأ النظر الى اليهود على انهم عرق أو جنس حتى قبل سقوط القدس. لقد رأينا كيف هوّدوا سكان الجليل بالقوة كما انهم طردوا من روما عام ١٣٩ق. م لتهويدهم بعض السكان. وتابع اليهود عملية التهويد في العصور اللاحقة «وقد ساهمت عملية تهويد العبيد القسرية، واعتناق الخزر وشعوب اخرى هذا الدين(٤) خلال التشتت الطويل» في جعل اليهود خليطاً عرقياً متنافراً ولم يكن ما اكتسبوه من خصائص مميزة كمجموعة انسانية إلا بفعل الظروف الاجتماعية والوظيفة الاقتصادية لليهود عبر القرون. لقد ضاعت الوحدة العنصرية لليهود رغم الطابع التقوقعي والقبلي للديانة اليهودية، كما فقدوا اللغة المشتركة (العبرية) فأخذوا يتكلمون لغات ولهجات مختلفة حسب الموقع الجغرافي الذي يقطنونه. وتدل الدراسات الموضوعية العلمية المحضة(٥) على صحة ما ذهبنا اليه من ان

اليهود الحاليين ليسوا عنصراً متجانساً وبالتالي فان الحنين الصهيوني الى فلسطين وحق اليهود في «العودة» الى صهيون (القدس) انما هو خرافة ووهم فضلاً عن ان عرب فلسطين هم السكان الشرعيون للبلاد منذ أقدم الازمان، قبل ظهور اليهود فيها وبعد رحيلهم عنها.

ذلك ان صلة العرب بفلسطين لم تنقطع(٦) منذ ان كانت تعرف بأرض كنعان أي قبل اربعة آلاف سنة ونيف. وقد تقوت هذه العلاقة بقيام دول الانباط وتدمر والغساسنة وجميعهم من العرب الذين فرضوا قدراً من السيطرة السياسية العربية على فلسطين في فترات متقطعة قبل الفتح الاسلامي.

فلسطين في ظل الحكم العربي الاسلامي

كان ظهور الدعوة الاسلامية وتحقيق وحدة القبائل العربية في الجزيرة العربية على يد الرسول العربي العظيم محمد بن عبد الله القرشي ايذاناً بانهيار جيوش الرومان وحصونهم في جميع المناطق المجاورة للجزيرة العربية. وفي عام ٦٣٦م، رفع علم العرب المسلمين على بيت المقدس (القدس) وخرج اهلها يستقبلون الفتح الاسلامي مرحبين بخليفة المسلمين عمر بن الخطاب وبالروح السامية والقيم العالية التي حملها الفاتحون العرب بهدي من رسالتهم الاسلامية والتوحيدية. ذلك ان العرب المسلمين، على نقيض غيرهم من الفاتحين، حرصوا على حقن الدماء وحماية الصغير والكبير وحفظ كرامة الاقوام وحقوقها. وكانت روح التسامح الاسلامي سبب طلب البطريرك صفرونيوس ممثل المسيحية في فلسطين من الخليفة عمر ان يستمر منع اليهود من سكن القدس. واستجابة لطلب صفرونيوس اعطى الخليفة عمر العهد التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما اعطى عبد الله عمر امير المؤمنين أهل ايلياء (القدس) من الامان. اعطاهم اماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانها، سقيمها وبريئها وسائر ملتها انه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من شيء من اموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار احد منهم، ولا يسكن ايلياء معهم احد من اليهود.

وعلى أهل ايلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي اهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله، حتى يبلغوا مأمنهم، ومن

اقام منهم (فهو) آمن ، وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية ، ومن أحب من اهل ايلياء ان يسير بنفسه وماله مع الروم ، ويخلي بيعهم وصلبهم ، فانهم آمنون على انفسهم وعلى صلبهم حتى يبلغوا مأمنهم .

ومن كان فيها (ايلياء) من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد ، وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ، ومن رجع الى أهله فانه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصدوا حصادهم .

وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا اعطوا الذي عليهم من الجزية .

كتب وحضر سنة خمسة عشر (هجرية) وشهد على ذلك خالد بن الوليد ، عبد الرحمن بن عوف ، عمرو بن العاص ، معاوية بن ابي سفيان(٧) .

وبعد اعطاء هذا العهد القى الخليفة عمر خطبته المشهورة في جموع المسلمين الفاتحين في القدس واذن على أثرها بلال مؤذن الرسول أول اذانه بعد وفاة الرسول الكريم وسمع الصحابة صوته فتذكروا صاحب الرسالة الاسلامية وقائدها فبكوا .

وتعتبر القدس من أقدس بقاع الأرض عند المسلمين، فإليها أسري بالرسول العربي من المسجد الحرام (مكة) الى المسجد الأقصى (القدس) الذي بورك حوله ثم عرج منه الى السماوات العلى . وفي ليلة الاسراء فرضت على النبي محمد الصلوات الخمس اليومية أول اركان الاسلام . وشيد الخليفة عمر مسجداً بالقرب من الصخرة المقدسة التي صعد منها النبي ليلة الاسراء ما لبث ان تطور ايام الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٩٠)م الى آية من آيات الفن المعماري واصبح محجة للمسلمين . وواري ثرى فلسطين الوفاً من صحابة الرسول وتابعيهم اشهرهم أبو عبيدة قائد الجيوش الاسلامية التي فتحت فلسطين . وعلاوة على ذكرها في القرآن الكريم فهناك الكثير من احاديث الرسول الكريم التي تدور حولها . كذلك فان الاماكن المسيحية والاسلامية المقدسة في فلسطين عند المسلمين اكثر من ان تعد وتحصى ، ناهيك بمئات المساجد والمزارات والزوايا المنتشرة في طول البلاد وعرضها والتي تعتبر ذات منزلة خاصة عند مختلف الطوائف الاسلامية .

وفي ظل الاسلام شهدت فلسطين الانتعاش والازدهار فكثرت فيها المعاهد العلمية والدينية وانجبت العديد من العلماء والمفكرين ورجال الفقه والقضاة والقادة العظام نذكر

منهم القائد العربي العظيم موسى بن نصير فاتح الأندلس وسيد الانشاء عبد الحميد الكاتب وزير الخليفة الأموي مروان بن محمد والعالم الكيميائي العربي خالد بن يزيد الأموي والملك شرف الدين الأيوبي المجاهد ضد جيوش الصليبيين، والمقدسي صاحب «فضائل بيت المقدس»، والامام الشافعي صاحب المذهب المعروف.

أما بالنسبة للمسيحيين العرب ففلسطين هي كعبتهم وقبلتهم ففيها ولد المسيح وفيها عاش طول حياته ومنها انطلقت الديانة المسيحية. ولا شك بأن روابط المسيحيين الشرقيين بالقدس وبكنائس فلسطين له اعمق الأثر في تعلقهم بالارض المقدسة وفي تعاطفهم مع الأمة العربية وحقها التاريخي في تقرير مصيرها وسيادتها على الوطن العربي بأسره.

وتميزت معاملة العرب والمسلمين لليهود بالتسامح،فقد نظر الاسلام نظرة احترام للدين اليهودي واعتبر أنبياء اليهودية من رسل الله إذ ورد ذكرهم عشرات المرات في القرآن الذي أمر بمعاملة اليهود بالعدل والحسنى. وكان من جراء هذه النظرة المتسامحة أن ازدهرت أحوال اليهود في ظل الحكم العربي الاسلامي فبرز منهم العلماء والكتاب والمترجمون والموسيقيون والماليون، كما كانت الديار الاسلامية ملجأ اليهود الأمين يقصدونه كلما اشتدت وطأة اضطهاد أوروبا لهم ولا سيما في أواخر القرن الخامس عشر والسادس عشر عندما لجأ يهود اسبانيا وغيرها هرباً من محاكم التفتيش الى المغرب العربي حيث قوبلوا بالتسامح ولاقوا المعاملة الانسانية الكريمة.

اليهود في المجتمع الغربي

تعود جذور اللاسامية (كراهية اليهود) في الغرب الى «غربة» اليهود وتميزهم عن الشعوب الاوروبية من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية*. ففي عهد الامبراطورية الرومانية كانت الطبقات الرومانية الحاكمة التي حافظت في المدينة والريف على تقليد فلاحي عميق الجذور تنظر الى التجارة، حرفة اليهود الاساسية، نظرة ازدراء. ولم يأت انتصار المسيحية بتبدلات اساسية في هذا الصدد إذ رافق انتشار المسيحية امتداد الاقتصاد

---

* يقول الكاتب المعروف والمنظم الصهيوني الشهير للاستعمار الزراعي الصهيوني في فلسطين ارثر روبين في كتابه The Jewish Fate and Future (لندن) ١٩٤٠ ان تعاطي اليهود للتجارة والربا وتجمعهم في المدن، حملهم على تكوين مجموعات متميزة والحياة حياة اجتماعية منفصلة لا يتزاوجون الا فيما بينهم، كما يقول ابراهام ليون في كتابه «المسألة اليهودية» «حينما يتوقف اليهود عن تشكيل طبقة خاصة، تختفي بشكل او بآخر خصائصهم العرقية والدينية واللغوية ويندمجون. ص ٢٣٢».

الاقطاعي ، وكان بعض القديسين المسيحيين يحتقرون اليهود ويزدرون احترافهم التجارة ويعتقدون بأن مصيرهم الاكيد هو الهلاك الأبدي .

بيد أن المسيحية لم تطالب بافناء اليهود فظلت احوالهم كتجار وصلة وصل بين الشرق والغرب في ازدهار حتى القرن الثاني عشر . ففي هذا القرن واثر الحملات الصليبية نمت المدن الاوربية ونشأت طبقة تجارية محلية اخذت تزاحم اليهود وتضطهدهم . وحيث كان اليهود يمارسون اعمال الربا الصغيرة أي اقراض واستغلال الجماهير الفقيرة من فلاحين وحرفيين كانوا يتعرضون لانتفاضات دموية .

وما أن فقد اليهود مكانتهم المالية في اوروبا الغربية كصيارفة النبلاء والحكام نتيجة التطور الاقتصادي ونشوء المصارف المسيحية ونتيجة نشوء الاقتصاد التبادلي (الرأسمالي) في الريف حتى ولت مرحلة ازدهارهم فانتقلوا الى المدن حيث أقاموا في احياء خاصة بهم ما لبثت ان حددت فيها اقامتهم وعرفت هذه الاحياء بالغيتو Ghetto وصاروا يعاملون بقسوة في بعض المدن الأوروبية ويجبرون على دفع الرسوم للمرور في المدن والعبور فوق الجسور . بيد أن بعض الملوك والحكام استمروا في حماية اليهود لمبررات اقتصادية اذ كانوا مصدر واردات هامة للملوك ولا سيما بالنسبة لتمويل الحروب التي شنها الملوك الاسبان ضد المسلمين العرب في الأندلس وضد النبلاء الاسبان فيما بعد . فالملوك يسمحون لليهود باستغلال الشعب عن طريق الربا الفاحش (بين ١٠٨ بالمائة و١٨٠) ثم يعمدون بدورهم الى فرض الضرائب العالية عليهم ويلجأون الى مصادرة أموالهم بعد أن يكون اليهود قد اكتسبوا عداء الشعب نتيجة استغلالهم المباشر له . وكانت مصلحة هؤلاء الملوك والحكام تتعارض مع تحول اليهود الى المسيحية إذ أن تخليهم عن يهوديتهم يعني عملياً تخليهم عن مهنتهم في التجارة والربا وبالتالي عن مصدر دخل هام للملوك والحكام .

وقد أدت سلسلة من الاحداث والتطورات التي جرت في بعض الأقطار الى الحد من الربا اليهودي والى حرمان اليهود من حقهم في وراثة الاراضي وحرمانهم من الوصول الى وظائف الدولة .

وادى نشوء الرأسمالية الصناعية في اوروبا الغربية الى انهيار وظيفة اليهود الاقتصادية والاجتماعية مما اضطرهم لمغادرة بعض البلاد او الى طردهم من مدن اوروبا الغربية فنزحوا إلى اوروبا الشرقية حيث استمروا في لعب دور التاجر والمرابي والخمار ووكيل الاقطاعي في استغلال الفلاح مباشرة الى أن برز في القرن التاسع عشر فجر الرأسمالية الصناعية في

روسيا وبولندا فاهتز وضع اليهود اهتزازاً تاماً. وفي الوقت الذي اخذت فيه المشكلة اليهودية في الغرب تتجه نحو الحل ظهرت تلك المشكلة بعنف في شرق اوروبا مما اعاد اشتعالها في سائر اوروبا إثر تدفق سيل الهجرة اليهودية الى الغرب. واسهمت ازمة الرأسمالية ونمو الروح القومية الشوفينية (المتعصبة) نتيجة تفشي البطالة في تغذية اللاسامية وتوجيه النقمة نحو اليهود (الغرباء).

وفي ظل اشتداد وطأة اضطهاد اليهود اثر المجازر الروسية عام ١٨٨٢ وفي ضوء رغبة المتمولين اليهود الغربيين في توجيه هجرة يهود اوروبا الشرقية الى خارج اوروبا نشأت الحركة الصهيونية وحددت هدفها في ايجاد دولة يهودية خارج اوروبا.

بيد أنه على الرغم من أهمية العوامل السابقة الذكر فانها لا تكفي لتفسير الظاهرة الصهيونية اذ ما كانت الصهيونية لتصبح حركة جدية وخطيرة لولا رغبة الدول الصناعية في السيطرة على مقدرات الشعوب المختلفة باعتبار اقطار هذه الشعوب مصادر للخامات الصناعية واسواقاً لاستهلاك المنتوجات الصناعية ومراكز جغرافية استراتيجية ضرورية لتأمين مواصلات الدول الصناعية من تجارية وعسكرية.

أطماع الغرب بفلسطين

ان اطماع الدول الغربية بفلسطين قديمة العهد نظراً لما يمثله موقع فلسطين الجغرافي من اهمية اقتصادية وعسكرية ودينية. وتشهد الغزوات الصليبية على مدى قوة هذه الاطماع ومداها، كما تشهد هذه الغزوات على وحدة المصير العربي أمام التحديات التاريخية الكبرى وخطورة الاحتلال الاجنبي لفلسطين على الوجود الحضاري للعرب.

ولقد استعاد الغرب اهتمامه بالمنطقة العربية في اعقاب احتلال بريطانيا للهند في القرن السابع عشر كما ايقظت حملة نابوليون بونابرت على مصر وفلسطين في اواخر القرن الثامن عشر اطماع بريطانيا ورغبتها في السيطرة على المنطقة بشكل اكثر مباشرة نظراً لما انطوت عليه حملة نابوليون من تهديد خطير لمصالح بريطانيا في الهند.

والواقع ان اهتمام بريطانيا بفلسطين والمنطقة العربية لم يقتصر على تأمين الطريق التجاري للهند وبالتالي المواصلات البحرية العسكرية لحماية هذا الطريق. كانت بريطانيا تريد ان تحتفظ بالمنطقة لحساب نفوذها وذلك عن طريق سيطرة لأسطولها غير منازع عليها

وعن طريق الحفاظ على الامبراطورية العثمانية كحاجز في وجه اطماع الدول الاوروبية الأخرى. وكان ذلك يعني ان بريطانيا تعارض قيام اية قوة حقيقية محلية في المنطقة ايضاً. ومن هنا نظرت الى بروز محمد علي الكبير في مصر بقلق بالغ ما لبث ان تحول الى تدخل عسكري عندما هزمت جيوش محمد علي (بقيادة ابنه ابراهيم باشا) الجيوش العثمانية ووحدت مصر وسوريا الطبيعية مهددة بذلك استانبول عاصمة الدولة العثمانية ومصالح الدول الغربية في المنطقة.

أثار تقدم جيوش محمد علي في المشرق العربي ما عرف «بالمسألة الشرقية» واستتبع ذلك اقدام بريطانيا على الالتزام بسياسة ثابتة هدفها الحفاظ على المصالح التجارية البريطانية في المنطقة تحت ستار حماية الأقليات الدينية(٨). وذلك عن طريق الحيلولة دون قيام دولة موحدة في مصر وسوريا تهدد نفوذ ومصالح الدول الاجنبية.

سياسة بريطانيا الاستعمارية

ولما كانت فرنسا وروسيا قد فرضتا حمايتها على الكاثوليك والارثوذكس فقد اعلنت بريطانيا حمايتها للدروز والبروتستانت واليهود في سوريا وجبل لبنان وفلسطين كما كانت الدول الغربية قد فرضت على الامبراطورية العثمانية ما عرف «بالامتيازات الاجنبية» بحيث بات المقيمون الأجانب دولة داخل دولة لا تسري عليهم القوانين العثمانية ولا تجبى منهم الضرائب.

وكان من جراء تلك السياسة ان اقامت بريطانيا اول قنصلية غربية في القدس عام ١٨٣٩ وجهت معظم جهودها ونشاطها لحماية الجالية اليهودية في فلسطين.

«ان مسألة حماية اليهود كانت الشغل الشاغل للقنصلية البريطانية في القدس»(٩).

والواقع ان القضية تخطت مسألة حماية اليهود في فلسطين، فالجالية اليهودية كانت صغيرة جداً لا تتجاوز تسعة الاف وسبعمائة نسمة موزعين بين القدس والجليل وصفد وطبريا حسب تقرير نائب القنصل البريطاني نفسه (١٠). ولقد كان هدف بريطانيا استقدام جاليات يهودية لاسباب ودوافع استعمارية بيّنها بوضوح الفايكونت بالمرستون رئيس وزراء بريطانيا في رسالة بعث بها الى سفيره في استانبول شرح فيها المنافع السياسية والمادية التي تعود على السلطان العثماني من جراء تشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين.

«ان عودة الشعب اليهودي الى فلسطين بدعوة من السلطان وتحت حمايته تشكل سداً في وجه مخططات شريرة يعدها محمد علي او من يخلفه»(١١) .

مؤامرة ضد الوحدة العربية

من هنا نرى كيف ارتبطت منذ البدء فكرة تشجيع استيطان اليهود لفلسطين بفكرة اقامة حاجز بشري استعماري غريب يحول دون قيام دولة عربية مستقلة موحدة تضم المشرق العربي وافريقيا العربية وذلك حفاظاً على استمرار السيطرة الاجنبية على مقدرات الوطن العربي .

ولم تكن افكار بالمرستون في هذا الصدد خاصة به اذ تبناها بعده أبرز رجال السياسة الاستعمارية البريطانية من أمثال شافتزبري وديزرائيلي وجوزيف تشمبرلين وتشرشل وبلفور وغيرهم*. ولا شك بأن شق قناة السويس واحتلال بريطانيا لمصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان له اعمق الأثر في تفكير الساسة الانكليز الاستراتيجي بالنسبة لاهمية فلسطين وضرورة السيطرة عليها وادى بالتالي الى تزايد الحماس لفكرة اقامة مستعمرة يهودية تحت الحماية البريطانية في فلسطين .

ولقد سبق مبادرة بالمرستون في تشجيع فكرة الاستيطان اليهودي في فلسطين ظهور الحركة الصهيونية بعدة عقود من الزمن بل سبقت ظهور كتابات رواد الفكر الصهيوني انفسهم . ومن المحتمل ان يكون بالمرستون قد تأثر بمحاولة نابوليون استغلال عطف اليهود وتأييدهم اثناء حصاره لمدينة عكا الفلسطينية عام ١٧٩٩ وذلك عن طريق دعوة اليهود للسير تحت رايته «لاعادة تأسيس القدس القديمة» واصفاً اياهم بأنهم أمة فريدة وصاحبة حق مشروع في وراثة فلسطين . ويرجح ان يكون نابوليون قد قصد من وراء ندائه استمالة وزير مالية وتموين عكا الذي كان من اليهود الشرقيين ، للقضاء على عنصر هام من عناصر صمود عكا البطولي في وجهه .

---

* ساهم العديد من السياسيين والعسكريين والعملاء البريطانيين في تغذية هذه الفكرة نذكر منهم الكولونيل تشارلز هنري تشرشل والكولونيل كوندر والكولونيل جورج غولر والجنرال تشارلز وارين ولورنس اوليفانت . كذلك ساهم بعض الأدباء الانكليز في اشعارهم (مثل بايرون ـ Hebrew Melodies) وقصصهم (ديزرائيلي «تانكرد او الحملة الصليبية الجديدة» وجورج اليوت «دانيال ديروندا») في تقوية النزعة المؤيدة للقومية اليهودية .

نشوء الحركة الصهيونية

بيد أن الفكرة الصهيونية السياسية لم تأخذ في شق طريقها الا بعد أن فشلت الافكار الليبرالية التي نادت بها الثورة الفرنسية في فرض مبادىء الإخاء والمساواة على المجتمعات الاوروبية. فعلى الرغم من النجاح الهائل الذي احرزته عائلة روتشيلد في عالم المال وعلى الرغم من زعامة ديزرائيلي (يهودي تنصر ولكنه ظل يفتخر بيهوديته) في عالم السياسة البريطانية وقيادة لاسال للحركة الاشتراكية الالمانية، عجزت الحركة الاندماجية اليهودية Haskalah أي حركة التنور عن تحقيق غاياتها في القضاء على تميز اليهود عن غيرهم في المجتمعات التي يعيشون فيها وبالتالي القضاء على محاولات اضطهادهم على يد اللاساميين. وهكذا جاءت الفكرة الصهيونية كتعبير عن فقدان الامل بقيام مجتمعات اوروبية تحررية عادلة قادرة على استيعاب اليهود اقتصادياً واجتماعيا وسياسياً وكاستجابة لرغبة الدول الاستعمارية الكبرى في استخدام الجاليات اليهودية لأغراض استعمار الشعوب المتخلفة. وقد لاقى ذلك تشجيعاً من قبل كبار الرأسماليين اليهود الذين كانوا يرغبون بتحويل سيل الهجرة اليهودية من اوروبا الشرقية الى خارج اوروبا لتجنب نتائج منافسة اليهود الوافدين للبورجوازية الصغيرة في اوروبا الغربية وعواقب البطالة في اثارة النعرات اللاسامية عند الطبقات الشعبية.

وفي مطلع ستينات القرن التاسع عشر أخذ بعض المفكرين اليهود في الدعوة الى العمل من أجل «العودة» الى فلسطين واستعمارها، وكان أولهم الحاخام هيرش كاليشر (١٧٩٥-١٨٧٤) وذلك في كتابه «البحث عن صهيون» الصادر عام ١٨٦١. وكانت نتيجة جهود كاليشر ان تأسست اول جمعية صهيونية في المانيا. وفي العام التالي قام موسس هس (١٨١٢-١٨٧٥) بنشر كتابه «روما والقدس» الذي نادى فيه باقامة دولة يهودية في فلسطين آملاً ان تلقى فكرته الدعم من فرنسا نظراً الى أنها كانت تعمل حينذاك على شق قناة السويس. أما معاصرهما دافيد غوردن (١٨٢٦-١٨٨٦) فقد نادى بما أسماه «دين العمل» مشدداً على أهمية استعمار اليهود لفلسطين والعمل اليدوي لتحويل اليهود إلى أمة كغيرها من الأمم.

ويعتبر كتاب ليون بينسكر (١٨٢١-١٨٩١) «التحرير الذاتي» (Auto -Emancipation) الصادر عام ١٨٨٢ والذي حلل الوضع اليهودي العام وخلص الى المناداة بوطن قومي يهودي في فلسطين او اميركا اقوى الكتابات الصهيونية الاولى واعمقها اثراً.

ولكن الصهيونية بقيت مع ذلك فكرة معزولة عن جماهير اليهود حتى عام ١٨٨١ عندما اضطرت اعداد ضخمة منهم الى النزوح عن روسيا على أثر المجازر التي وقعت ضدهم اثر اغتيال القيصر الروسي الكسندر الثاني. وكان من نتائج المجازر انهيار الحركة الاندماجية اليهودية Haskalah وقيام جمعيات صهيونية محلية مكانها باسم «حب صهيون» «Hibbath Zion» (Hovevi) ولا سيما في مراكز التجمع السكاني اليهودي. وقد طرحت هذه الجمعيات مسألة استيطان اليهود لفلسطين كاحتمال عملي كما درست احياء اللغة العبرية لتصبح لغة غالبية اليهود عوضاً عن اليديشية*.

واقتصرت محاولات ايجاد مجتمعات ومستعمرات زراعية يهودية في فلسطين قبل عام ١٨٨٢ على مؤسسات ذات طابع خيري برعاية الماليين اليهود مثل «المؤسسة العبرية اللندنية لاستعمار الارض المقدسة»(١٢) التي تأسست عام ١٨٦١، و «التحالف الاسرائيلي العالمي» الذي كان تأسيسه في السنة ذاتها في فرنسا بقصد حماية اليهود وتحسين احوالهم في العالم بشكل عام وفي الاراضي الاسلامية بشكل خاص. وفي عام ١٨٧٠ اقام «التحالف الاسرائيلي العالمي» مدرسة «ميكفه يسرائل» الزراعية قرب يافا بهدف تدريب اليهود على الاعمال الزراعية وتوطينهم في فلسطين على نطاق واسع.

أدت المجازر الروسية من جهة وقيام جمعيات «حب صهيون» من جهة اخرى الى قيام بضع مئات من الشباب الصهيوني بحركة «البيلو» التي عملت على تهجير اليهود إلى فلسطين بقصد الاستيطان. وقد بعثت هذه الحركة بمندوبين عنها الى استانبول لشراء الاراضي الفلسطينية ولكن دون جدوى كما حاول كل من العميلين البريطانيين ادوارد كازاليت ولورنس اوليفانت التوسط لدى السلطات العثمانية على تسهيل توطين اليهود في فلسطين ولكنهما لم يحرزا نجاحاً يذكر. ومع ذلك فقد تمكنت حركة «البيلو» عام ١٨٨٢ من ايصال ٢٠ مستعمراً يهودياً شكلوا طليعة الهجرة الصهيونية الاولى. وحول هؤلاء عدة قرى عربية صغيرة نائية الى مستعمرات صهيونية مثل عيون قارة التي سموها Richon Ie - Zion أي «الأول في صهيون» وملبس Petah Tikvah أي «باب الأمل» وزمارين Zichron Jacob. والجدير بالذكر أن هذه المستعمرات الاولى شكلت المراكز الرئيسية للاستعمار

---

* كانت اليديشية لغة يهود اواسط اوروبا وهي اقرب الى الالمانية وان احتوت العديد من العبارات العبرية.

الزراعي الصهيوني في المراحل اللاحقة.

وسرعان ما واجه «رواد» الاستعمار الصهيوني في فلسطين مشاكل شائكة لم تكن في حسبانهم. فقد كانوا يجهلون تماماً أساليب الزراعة بالاضافة الى عدم تعودهم على المناخ والجو وصعوبة المعيشة في مناطق انتشرت فيها أمراض الملاريا وقلت فيها مياه الشرب وغير ذلك من العوامل التي جعلتهم في حالة من اليأس الشديد.

ولولا تدخل المالي اليهودي الكبير البارون ادموند دي روتشيلد (١٨٤٥-١٩٣٤) لإنقاذهم لكان مصير «الرواد» والمستعمرات الاولى الفشل التام والانهيار الكامل(١٣). وبفضل اموال روتشيلد تمكن اليهود من شراء عاقر Ekron وقطرة katrah ولكن جمعيات «حب صهيون» لم تكتف بمعونة روتشيلد فعقدت مؤتمراً برئاسة بينسكر في عام ١٨٨٤ لمناسبة الذكرى المئوية لميلاد الثري اليهودي البريطاني موسس مونتفيوري الذي زار فلسطين مراراً وشجع فكرة الاستعمار اليهودي فيها. وقد أسس المؤتمر «جمعية مونتفيوري» لنشر الزراعة بين اليهود ودعم المستعمرات اليهودية في فلسطين. وبعد ثلاث سنوات عقدت جمعيات حب صهيون اجتماعاً عاماً اخر تلاه بعد عامين اجتماع ثالث دون ان تتمكن هذه الحركة من احراز اي تقدم نوعي في تنظيم ودعم النشاط الاستعماري الصهيوني رغم اتساع الحركة وشمولها العديد من مدن اوروبا واميركا.

الصهيونية الروحية

بينما كان زعماء جمعيات حب صهيون، اعضاء «لجنة اوديسا» يعملون ويكدون في سبيل دعم المستعمرات الصهيونية في فلسطين، اخذ احد اعضاء هذه اللجنة واسمه آشر غينزبرغ (١٨٥٦-١٨٢٧) يعيد النظر في فكرة اقامة المستعمرات وخطة «حب صهيون» من أساسها. وقد عبر غينزبرغ عن افكاره بحماسة وبلاغة فائقتين في مقال نشره عام ١٨٨٩ بعنوان «ليس هذا هو الطريق» ذيله بامضاء «Ahad Ha-Am» ومعناه «واحد من الناس» ومنذ ذلك الحين عرف بذلك الاسم. انطلق «احد هاعام» من نقد مفهوم «حب صهيون» لأسلوب ولادة القومية اليهودية من جديد منكراً امكانية قدرة فلسطين على استيعاب هجرة يهودية جماعية واسعة النطاق ومشككاً بقدرة هؤلاء على أن يتحولوا الى مزارعين حقيقيين كما نفى ان يكون لهجرة اليهود باعداد قليلة إلى فلسطين أي تأثير حاسم في وضع اليهود السياسي في العالم. لم تكن المشكلة الأساسية بالنسبة لـ«أحدهاعام» تحسين اوضاع اليهود او حمايتهم بقدر ما كانت الحفاظ على القيم الروحية لليهودية وتطويرها. أما

طريق وقف الانحلال الروحي اليهودي فكان في نظره إقامة مركز روحي لليهودية، لا لليهود، في فلسطين يعيد لليهود حيويتهم ووحدتهم ويؤدي في النتيجة الى تحقيق الحلم القومي اليهودي.

شكل أنصار احد هاعام جمعية «بني موسى» Bnei Mosheh وتتلمذ على يده عدد من المثقفين اليهود البارزين مثل الدكتور ماغنيس الذي ترأس فيها بعد الجامعة العبرية بالقدس. الا ان الصهيونية الروحية (أو الثقافية) ظلت على هامش الحركة الصهيونية دون ان يكون لها أي تأثير جوهري في السياسة الصهيونية الاساسية.

ظهور هرتزل: الصهيونية في مرحلة التنظيم الشامل.

بقيت الحركة الصهيونية مبعثرة تفتقر الى التنظيم الشامل والخطة الواضحة والجهاز القادر على تنفيذ الخطة في حال وجودها الى أن تمكن تيودور هرتزل من عقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل السويسرية في ٢٧ آب ١٨٩٧.

ولد هرتزل لأبوين يهوديين موسرين في مدينة بودابست عام ١٨٦٠، ونشأ في فيينا حيث درس القانون في جامعاتها. وبعد سنة من تخرجه احترف الكتابة الأدبية وعمل مراسلا لاحدى الصحف النمساوية الهامة. كان هرتزل ضعيف الصلة بالدين اليهودي والكتابات الصهيونية على حد سواء. ويبدو أن موجة العداء للسامية في اوروبا الغربية على أثر تدفق المهاجرين اليهود من اوروبا الشرقية في العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر، كانت العامل الرئيسي وراء تبنيه الجارف للفكرة الصهيونية. وقد عرض هرتزل افكاره حول المسألة اليهودية وشرح حلوله لها في كتاب وضعه عام ١٨٩٥ بعنوان: «الدولة اليهودية».

والواقع ان آراء هرتزل في جذور المسألة اليهودية وحلوله المقترحة لها، تتجاوز ما جاء في كتابي موسس هس وليون بينسكر السالف ذكرهما. لقد قرر هرتزل ان المسألة اليهودية ليست مسألة اجتماعية او دينية بل هي «مسألة قومية» لا يمكن حلها إلا عن طريق تحويلها الى قضية سياسية عالمية تتم تسويتها على يد الدول الكبرى مجتمعة. وأضاف هرتزل ان ذلك يعني بالتحديد ان يمنح اليهود السيادة فوق رقعة من الأرض (لم يكن هناك اصرار على فلسطين كاحتمال وحيد) كافية لتلبية متطلبات اقامة دولة قومية على أن يترك الباقي لليهود انفسهم. ولكي يحقق اليهود هدفهم اقترح هرتزل انشاء «جمعية يهودية» تقوم بتنظيم اليهود

وتعبئتهم وشركة يهودية على غرار الشركات الاستعمارية الكبرى في المستعمرات الاوروبية في آسيا وافريقيا تقوم بتوطين المستعمرين واستغلال موارد البلاد والسيطرة عليها .

أثار نشر كتاب هرتزل في عام ١٨٩٦ مناقشات حادة ولاقى من المعارضة اكثر مما لاقى من التأييد . لقد وجد الاندماجيون اليهود في اوروبا واميركا في صهيونية هرتزل مصدراً للتشكيك في ولائهم للمجتمعات والدول التي يعيشون فيها ، كما رأى مجموعة من رجال الدين اليهودي في افكاره خروجاً على تعاليم اليهودية ورسالتها في العالم في حين عارض التقدميون والاشتراكيون فكرة الدولة اليهودية على أساس انها رجعة الى الوراء ، الى فكرة الدولة الثيوقراطية (الدينية) المبنية على أساس عنصري لا يستند الى دليل علمي ، علاوة على أنها هروب من محاربة الاضطهاد والظلم في المجتمعات التي يعيش فيها اليهود .

المؤتمر الصهيوني الأول

وعلى الرغم من العديد من العقبات فقد تمكن هرتزل من عقد المؤتمر الصهيوني الاول بحضور ٢٠٤ مندوبين يمثلون جمعيات صهيونية متناثرة في ارجاء مختلفة . وتمخض هذا المؤتمر عن تحديد اهداف الحركة الصهيونية ، فيما عرف ببرنامج بازل ، وانشاء الاداة التنظيمية لتنفيذ هذا البرنامج : المنظمة الصهيونية العالمية .

حدد المؤتمر الصهيوني الأول هدف الصهيونية بما يلي :

«ان غاية الصهيونية هي خلق وطن للشعب اليهودي في فلسطين* يضمنه القانون العام» . أما وسائل تحقيق هذا الهدف فكانت :

١ ـ العمل على استعمار فلسطين بواسطة العمال الزراعيين والصناعيين اليهود وفق أسس مناسبة .

٢ ـ تنظيم اليهودية العالمية وربطها بواسطة منظمات محلية ودولية تتلاءم مع القوانين المتبعة في كل بلد .

٣ ـ تقوية وتغذية الشعور والوعي القومي اليهودي .

---

* اصر العديد من اعضاء المؤتمر الصهيوني الاول على اختيار فلسطين مكاناً لاقامة الدولة الصهيونية على أساس انها المكان الوحيد القادر على اجتذاب الجماهير اليهودية . ولكن الاجماع على هذه المسألة لم يكن متوافراً مما سبب خلافات وانشقاقات داخل الحركة الصهيونية .

٤ ـ اتخاذ الخطوات التمهيدية للحصول على الموافقة الحكومية الضرورية لتحقيق غاية الصهيونية.

يتضح من برنامج بازل ان الصهيونية حركة عنصرية ذات طبيعة استعمارية تهدف الى اقتلاع جذور يهود العالم من مجتمعاتهم التي يقيمون فيها عبر هجرات متواصلة لخلق دولة قومية يهودية في فلسطين. ومعنى ذلك ان الصهيونية قررت عامدة تحويل المضطهدين في المجتمعات الغربية الى مهاجرين فمستوطنين فمحتلين أراضي السكان المحليين فمهجرين إياهم. اما الاستراتيجية الأساسية لهذا المخطط فتعتمد على رعاية الدول الاستعمارية التي كانت حينذاك تفرض «القانون الدولي العام» وتستطيع بالتالي أن تنتزع من الحكومة العثمانية «الموافقة الحكومية الضرورية لتحقيق غاية الصهيونية». وتدلنا جميع جهود هرتزل التي سبقت المؤتمر الاول والجهود والاتصالات الواسعة التي تلته على أن الصهيونية كانت تعتبر نفسها حركة قومية استعمارية حليفة للدول الامبريالية وانها بدون هذا الحلف لا يمكن ان تحقق غايتها. ومن هنا كثر استعمال «استعمار» و«مستوطنين» في الأدب السياسي الصهيوني حينذاك. ومن هنا ايضاً كان اعجاب هرتزل الشديد بالشخصيات الاستعمارية الغربية وترامية على ابوابهم.

الصهيونية والاستعمار

ومع ذلك فقد تميزت الحركة الصهيونية عن غيرها من الحركات الاستعمارية الاوروبية بأنها لم تكن مجرد أداة امتداد للدولة الامبريالية الأم بل كانت حركة استعمار في حد ذاتها موالية للامبريالية العالمية ودولها المختلفة دون تحديد دائم ومستمر. كذلك فان الاستعمار عند الصهيونية كان أداة لخلق القومية والدولة القومية وليس لقومية قائمة ومتحققة بالفعل. وفي الوقت الذي كان فيه المستوطنون الاوروبيون يتعايشون مع السكان الأصليين كان هدف الصهيونية إجلاء عرب فلسطين لاقامة دولة يهودية قومية صرف. وقد تجلى الطابع الاستعماري للمؤسسات الصهيونية في اسمائها ومهماتها كما سنرى فيما بعد، كما ان اعتبار التاريخ اليهودي القديم بمثابة سند ملكية اليهود لفلسطين طبع الحركة الصهيونية بالضرورة بالطابع التوسعي القسري(١٤).

وفي اعقاب مؤتمر بازل كتب هرتزل في مذكراته ما يلي:

«لو اردت أن اختصر مؤتمر بازل في كلمة واحدة ـ وهذا ما لن أفعله صراحة ـ لقلت:

في بازل أسست الدولة الصهيونية . ولو اعلنت اليوم ذلك لقابلني العالم بالسخرية والتهكم ولكن بعد خمس سنوات على وجه الاحتمال ، وبعد خمسين سنة على وجه التأكيد سيرى هذه الدولة جميع الناس»[١٥].

الناحية التنظيمية

بعد ان نجح هرتزل في تحديد هدف الصهيونية وخلق الاطار التنظيمي لها انطلق يعمل من أجل تحضير أدوات الاستعمار وربطها بالجهاز الاداري الصهيوني الذي كان يقوم بأعمال التخطيط والاشراف على عملية الاستعمار في فلسطين بالاضافة الى تولي مهام الجهود الدبلوماسية ورعاية العلاقات بالدول الكبرى . وهكذا أقر المؤتمر الصهيوني الثاني (١٨٩٨) تشكيل «لجنة الاستعمار» وانشاء «المصرف الاستعماري اليهودي» Jewish Colonial Trust ليكون الأداة المالية للحركة الصهيونية «وللشركة اليهودية» المنشودة . وقد جعل هرتزل مقر المصرف والمؤسسات الصهيونية الاخرى في انكلترا لأنه رأى ان ظروفها العامة ومخططاتها الاستعمارية ومواقف ساستها سوف تحتم تبنيها الكامل للحركة الصهيونية[١٦].

عارض هرتزل بشدة أية محاولة للتسلل التدريجي الى فلسطين اذ ان خطته كانت تقضي بالحصول على ميثاق من السلطان العثماني عبد الحميد يمنح اليهود بموجبه الحق في اقامة مستوطن يهودي في فلسطين يتمتع بحكم ذاتي . وفي سبيل الحصول على هذه الميثاق حاول هرتزل الحصول على رعاية القيصر الالماني مقابل دعم مصالح وسياسة المانيا في الشرق الادنى ، كما حاول عن طريق رشوة المسؤولين العثمانيين وتقديم الوعود بشأن قروض يهودية عاجلة وتنظيم المالية العثمانية المتدهورة ، شراء موافقة السلطان على مشاريعه الصهيونية في فلسطين . ولكن جهوده جميعها باءت بالفشل[١٧].

أدى فشل سياسة هرتزل الرامية إلى الحصول على ميثاق دولي يمنح اليهود حق استعمار فلسطين عن طريق المفاوضات الدبلوماسية إلى قيام تكتلات داخل المؤتمرات الصهيونية تنادي بتغيير بعض نواحي الاستراتيجية الصهيونية . وظهر في المؤتمر الخامس (١٩٠١) تكتل غالبيته من الصهيونيين الروس (الجناح الصهيوني الديمقراطي) من أنصار أحد هاعام ينادي بتخصيص مجهودات أكبر لإحياء الثقافة القومية اليهودية ، كما طالب آخرون ببذل الجهود العملية لاستعمار فلسطين . وفي سبيل تنفيذ هذا الهدف أقدم المؤتمر على انشاء «الصندوق القومي اليهودي» **Keren Kayemeth** لشراء الاراضي وتسجيلها

كملكية أبدية للشعب اليهودي . وقام الصهيونيون في أعقاب صدور وعد بلفور بانشاء الصندوق التأسيسي Keren Hayesod لتمويل عمليات الهجرة والاستيطان عن طريق جمع التبرعات من الجاليات اليهودية، تلك التبرعات التي كانت أقرب الى الضرائب منها إلى أي شيء آخر.

تأييد بريطانيا للصهيونية

وعلى الرغم من فشل الجهود التي بذلها هرتزل لدى القيصر الالماني والسلطان العثماني فقد تابع جهوده الدبلوماسية لدى الدول الاستعمارية، فوجّه انظاره نحو انكلترا حيث كانت الحركة الصهيونية تلقى تشجيعاً من قبل كبار السياسيين الاستعماريين . أما اسباب هذا التعاطف مع الحركة الصهيونية فعديدة أهمها كما رأينا الاعتبارات الاستعمارية الاستراتيجية (حماية السويس وطريق الهند البري والحيلولة دون قيام دولة عربية قوية موحدة) والتخوف من تغلغل المانيا في المنطقة بموجب سياسة Drach Nach Osten التوسعية والتخوف من أطماع فرنسا في المنطقة . أضف إلى ذلك اعتبارات أخرى مشتركة مع الدول الغربية الاخرى، وهي وإن كانت متناقضة فقد غذت إلى حد ما الميل نحو تبني الحركة الصهيونية . فهناك العوامل الدينية والعاطفية الناتجة من تأثر الغرب المسيحي بالعهد القديم في التوراة والشعور بالذنب ازاء اضطهاد اليهود على أيدي اللاساميين ناهيك بالرغبة في تحويل الهجرة اليهودية من اوروبا الشرقية إلى خارج اوروبا*.

وليس أدل على ما نقول من اضطرار الحكومة البريطانية عام ١٩٠٢ إلى تشكيل لجنة ملكية للتحقيق في الهجرة الى انكلترا اثر ازدياد هجرة اليهود من روسيا وبولونيا إلى الأحياء الشرقية من لندن والتخوف من ان يؤدي ازدياد المعارضة لهذه الهجرة إلى موجة لا سامية قوية . وكانت شهادة هرتزل أمام هذه اللجنة دليلاً على وحدة مواقع وفرضيات اللاسامية والصهيونية اذ أعلن هرتزل أمام هذه اللجنة ان اليهود يحملون اللاسامية معهم أينما ذهبوا وان الحل الوحيد لهذه المشكلة هو الصهيونية التي تهدف إلى اقامة وطن قومي خاص باليهود خارج اوروبا(١٨). واقترح هرتزل على بعض الساسة الانكليز اقامة مستعمرة يهودية خاضعة للتاج البريطاني في شبه جزيرة سيناء أو في قبرص كقاعدة انطلاق لاحتلال فلسطين متى سنحت الفرصة .

---

* اجتمعت هذه العوامل في مواقف بلفور لتحوله الى أكبر نصير للحركة الصهيونية .

وفي تشرين الأول تمكن هرتزل من مقابلة جوزف تشمبرلين أحد عتاة الاستعماريين البريطانيين والمعروف بمؤازرته للحركة الصهيونية دون تحفظ، وفي هذه المقابلة أبدى تشمبرلين موافقته على مشروع هرتزل لاستعمار قبرص وسيناء في ظل العلم البريطاني شريطة أن يحظى مشروع استعمار سيناء بموافقة اللورد كرومر المعتمد البريطاني في مصر. ولما كان من رأي كرومر ان مشروع استعمار سيناء غير عملي عرض تشمبرلين على هرتزل فكرة استعمار أوغندا ووجد الاقتراح عند الاخير صدى، اذ كان على هرتزل ان يواجه المؤتمر الصهيوني بمكاسب مادية تقرب يوم استعمار فلسطين. والواقع ان عرض المشروع على المؤتمر الصهيوني السادس (١٩٠٣) قوبل بأعنف الانتقادات إلى درجة ان احدى عضوات المؤتمر اتهمت هرتزل بالخيانة لتخليه عن فلسطين*.

ولكن هرتزل مات عام ١٩٠٤ قبل أن تثمر جهوده. وبموته مات مشروع استعمار شرق افريقيا اذ اتخذ المؤتمر الصهيوني السابع المنعقد في تموز ١٩٠٥ قراراً بالتخلي عن الجهود الاستعمارية خارج الأراضي الفلسطينية بعد ان كاد مشروع أوغندا يحدث انشقاقاً خطيراً في الحركة الصهيونية**.

وعلى أثر وفاة هرتزل اتجهت المنظمة الصهيونية نحو تبني وجهة نظر «الصهيونيين العمليين» بشأن ضرورة المضي في استقدام المهاجرين الى فلسطين والاستيلاء على الاراضي وانشاء المزارع واقامة المصانع وذلك بشكل تدريجي منظم مما عنى التخلي عن «الصهيونية السياسية» المبنية على ضرورة الحصول على ميثاق دولي قبل المباشرة في إقامة الوطن القومي اليهودي.

وكان من جراء الاتجاهات الجديدة تنظيم «الهجرة الثانية» ١٩٠٥-١٩٠٧ والتي كان من أبرز قادتها دافيد بن غوريون واسحق بن زفي اللذان فرضا مع شبان تلك الهجرة من الصهيونيين المتعصبين على المزارع اليهودية في فلسطين مبدأ مقاطعة اليد العاملة العربية وطردوا حراس المزارع اليهودية في فلسطين من الشركس والبدو ليقيموا منظمة «هاشومر» لتصبح فيها بعد الذراع المسلح (الهاغانا) للمنظمة الصهيونية. وساهم مبدأ مقاطعة اليد

---

* ـ انظر كتاب فيليب ارونشتين «خطابات الساسة البريطانيين حول اليهودية والصهيونية». (برلين) ١٩٣٦.

** الواقع ان المشروع احدث انشقاقاً قاده اسرائيل زانغويل الذي قبل مشروع أوغندا فأسس «المنظمة الاقليمية الصهيونية» التي نادت بضرورة قبول فكرة انشاء مستوطن يهودي مستقل في اي مكان من العالم.

العاملة العربية والجو المعادي للغزو الصهيوني في فلسطين في تقوقع الصهاينة الغزاة ضمن مزارع جماعية عرفت بالكيبوتز(١٩)، كما قامت المنظمة الصهيونية بافتتاح فروع للشركة الانكليزية الفلسطينية التي اصبحت فيما بعد بنك أنكلو- فلسطين، في مدن فلسطين الرئيسية وفي بيروت واستانبول بالاضافة الى إقامة المؤسسات التعليمية التي اعتمدت العبرية كلغة حية أساسية لاول مرة. أما التطوير المنظم لعملية الاستيلاء على الاراضي وتوطين اليهود في مستعمرات زراعية فكان من مسؤولية مكتب فلسطين التابع للمنظمة الصهيونية العالمية (١٩٠٨) برئاسة ارثر روبين. وقد قام مكتب فلسطين بمساعدة الصندوق القومي اليهودي ببناء ضاحية يهودية لمدينة يافا العربية سميت تل ابيب*، كما قام بتأسيس «شركة تطوير أراضي فلسطين» لاستملاك الاراضي العربية وادارة مراكز لتدريب المهاجرين اليهود على الأعمال الزراعية والصناعية. وعلى الرغم من ارتفاع عدد اليهود المقيمين في فلسطين من ٥٠,٠٠٠ عام ١٨٩٧ الى ٨٥,٠٠٠ عام ١٩١٤** بينهم ١٢ الف مهاجر يقطنون في المستعمرات الزراعية فان تقدم الغزو الصهيوني كان يواجه معارضة ومقاومة عربية متعاظمة بفضل الوعي الشعبي للخطر الصهيوني الذي كاد أن يؤدي الى انتفاضة شعبية من اجل الاستقلال والقضاء على الصهيونية.

---

* اكبر مدن فلسطين المحتلة حاليا.

** بلغ عدد سكان فلسطين عام ١٩١٤ حوالى ٦٨٩ الف نسمة حسب تقديرات السلطات العثمانية حينذاك.

دراسة في التاريخ، تلخيص د. س. سومرفيل مطبعة جامعة اكسفورد
.٤٨٥

ٔ التسامح الروماني الدائم ازاء الديانة اليهودية كان بمثابة استثناء
م ازاء الديانات المغايرة لديانتهم ص ٥٧٦.

ن المسألة اليهودية (بيروت) ١٩٦٩ ص ٢٢-٢٣

ں ١٧٩ انظر ايضا كتاب اسحق بن زفي The Exiled and the
نرجمه الى الانكليزية اسحق عبادي، فيلادلفيا ١٩٥٧.

يهودي هاري شابيرو المزاعم القائلة بأن اليهود يشكلون عنصراً من
جية تفنيداً كاملا في بحث له بعنوان «الشعب اليهودي»: تاريخ
ر عام ١٩٦٠ عن منظمة الاونيسكو التابعة للامم المتحدة.

ائل العربية التي استقرت في فلسطين ومشارفها قبل الاسلام في كتاب
بن) ص ٧٠٧-٧١٥

ارف، المفصل في تاريخ القدس: مطبعة المعارف، القدس - ١٩٦١
يزال هذا العهد لسكان القدس محفوظا لدى سدنة كنيسة القيامة فيها.

اني «الاصلاح العثماني وسياسة الوجهاء» في كتاب:
Beginnings of Modernization in the Middle East: The Ninete
يتشارد تشيمبرز (شيكاغو) ١٩٦٨ ص ٤١-٦٨.

ون «القنصلية البريطانية في القدس وعلاقاتها بيهود فلسطين»
١» (لندن) ١٩٣٩ الجزء الاول ص ٣٤ من المقدمة.

ص٥.

بونسونبي، ١١/٨/١٩٤٠ الخارجية البريطانية - خ. ب - ٧٨-٣٩٠-

وكولوف «تاريخ الصهيونية ١٦٠٠-١٩١٨» لندن ١٩١٩، الجزء الثاني

(١٣) انظر كوهين A Short History of Zionism ـ لندن ـ ١٩٥١ يقـول المؤلف ان لورنس اوليفانت الذي سبق ذكره لعب دورا في حمل روتشيلد على دعم المستعمرات الصهيونية الاولى .

(١٤) راجع كتاب عبدالوهاب الكيالي «المطامع الصهيونية التوسعية» ـ بيروت ـ ١٩٦٦ .

(١٥) مذكرات تيودور هرتزل الكاملة ـ نيويورك ـ ١٩٦٠ ، الجزء الثاني ص ٢٤ .

(١٦) عبر هرتزل عن سبب ميله الى اعتبار انكلترا موئل الامل بالنسبة للحركة الصهيونية في رسالة بعث بها الى المؤتمر الصهيوني في لندن في آب ١٨٩٨ . راجع اسرائيل كوهين الحركة الصهيونية ـ لندن ـ ١٩٤٥ ص ٧٥ .

(١٧) وافق السلطان عبدالحميد في عام ١٩٠٢ بعد مفاوضات طويلة مع هرتزل الذي عرض عليه مبلغ ١,٦٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني على منح اليهود حق الاستيطان الاستعماري في العراق وسوريا والاناضول واستثنى فلسطين مما دفع هرتزل الى رفض العرض . انظر مذكرات هرتزل الكاملة الجزء الرابع ص ١٣٠٢ .

(١٨) الواقع ان المشروع احدث انشقاقا قاده اسرائيل زانغويل الذي قبل مشروع أوغندا فأسس «المنظمة الاقليمية الصهيونية» التي نادت بضرورة قبول فكرة انشاء مستوطن يهودي مستقل في اي مكان من العالم .

(١٩) لدراسة جذور فكرة الكيبوتز وتحليل دورها الهام في ارساء دعائم الاحتلال الصهيوني لفلسطين راجع كتاب عبدالوهاب الكيالي «الكيبوتز او المزارع الجماعية في اسرائيل» ـ بيروت ـ ١٩٦٦ .

الفصل الثاني

المقاومة العربية الفلسطينية للصهيونية قبل الحرب العالمية الأولى

فلسطين في أواخر القرن التاسع عشر

عندما بدأ يهود الهجرة الاولى (١٨٨٢) يفدون على فلسطين كانت هذه تشكل جزءاً من الامبراطورية العثمانية وكان يطلق عليها حينذاك اسم سوريا الجنوبية تعبيراً عن موقعها الجغرافي ووضعها الاداري .

من الناحية الادارية كانت فلسطين تشتمل على سنجق (متصرفية) القدس المستقل وعلى سنجقي عكا ونابلس التابعين لولاية الشام الى ان ألحقا بولاية بيروت بعد إعادة تنظيم ولاية الشام عام ١٨٨٣ .

كان سنجق القدس الذي شمل معظم اجزاء فلسطين واكثر من ثلاثة أرباع سكانها ، تابعاً لوزير الداخلية العثمانية مباشرة ـ ولذا سمي بالمستقل ـ نظراً لأهمية بيت المقدس الدينية والتاريخية والدبلوماسية والسياحية . وكان هذا السنجق يشمل ٣٢٨ قرية وقدر عدد سكانه بأكثر من ٣٤٠ الف نسمة ، أما سنجق عكا فقد كان يضم ٢٢٢ قرية وقدر عدد سكانه بحوالي ٧٧ الف نسمة ، ، بينما ضم سنجق نابلس ٢١٢ قرية ، وقدر عدد سكانه بحوالي ٤٩ الف نسمة(١) وقد بلغ عدد المؤسسات التعليمية في فلسطين حينذاك ٩٥٦ مؤسسة اقتصر معظمها على المراحل الابتدائية .

والجدير بالذكر ان الدستور العثماني الصادر عام ١٨٧٦ نص على ضرورة وجود مجالس ادارية منتخبة ومعينة على مستوى الولاية والسنجق والقضاء بينما تمتعت المستويات الادارية الدنيا (الناحية والقرية) بنظام من الادارة الذاتية المحلية . أما بالنسبة للنظام

القضائي فكانت هناك محاكم شرعية مسؤولة عن تطبيق الشريعة الاسلامية وتابعة لشيخ الاسلام في استانبول، واخرى (نظامية) تابعة لوزارة العدل. وقد تمتعت الطوائف المسيحية واليهودية بفلسطين بحق الحكم الذاتي فيا يتعلق بقضايا الزواج والطلاق والارث، وبحرية ممارسة الشعائر الدينية بموجب نظام الملة (Millet System).

وكان معظم عرب فلسطين ينتسبون الى المذهب السني وتعيش غالبيتهم في القرى. ومارسوا الاعمال الزراعية منذ أقدم العصور، بينما مارس سكان المدن اعمال التجارة والصناعات اليدوية والصناعات الزراعية البسيطة في حين التحق فريق منهم بالوظائف الحكومية، أما السكان اليهود فقد اقتصرت اقامتهم على المدن المقدسة الأربع: القدس وطبريا وصفد والخليل وكان معظمهم من الاتقياء الذين كانوا يعيشون على نظام الصدقات اليهودية Challukah بينما عمل نفر منهم مهنيين وفنيين مهرة وبرعوا في الصياغة والحدادة والخياطة واصلاح الساعات وتجليد الكتب(٢) واحتكروا الأعمال الصيرفية والمصرفية.

في ظل النظام العثماني ساد فلسطين النظام الاقطاعي فاحتكرت حفنة من عائلات فلسطين ملكية مساحات واسعة جداً من الاراضي واستغلت طبقة الفلاحين المتخلفين. ومن الناحية السياسية كانت هذه العائلات متحالفة مع الطبقة العثمانية الحاكمة عبر علاقة من المنافع المتبادلة والمصالح المشتركة وبالتالي فقد سيطرت تلك العائلات ـطبقة الوجهاءـ على المناصب الحكومية والدينية الهامة. وشددت «التنظيمات» العثمانية الصادرة عام ١٨٥٦ لإصلاح الادارة، من قبضة العائلات الاقطاعية على مصادر رزق الفلاح الفلسطيني اذ اضطر العديد من صغار الملاك من الفلاحين الى تسجيل أراضيهم وقراهم باسم الاقطاعيين والتجار هرباً من الضرائب والجندية وغير ذلك من الموجبات التي ربطت بملكية الفلاح لارضه، كما ان زيادة الضرائب أدت الى استيلاء الدولة على أراضي الفلاحين وقراهم وعرضها في المزاد (١٨٦٩) لاستيفاء ديون الضرائب المترتبة عليهم. وهكذا حصل اغنياء بيروت وتجارها من أمثال عائلات بسترس وسرسق وتويني ومتى فرح وسليم الخوري على أخصب أراضي فلسطين في مرج ابن عامر.

وعلى الرغم من ظروف التخلف والاستغلال التي كانت تحد من انتاجية الفلاح الفلسطيني الذي ارتبط بأرضه ارتباطاً عضوياً منذ غابر الازمان فان نشاطه وكفاءته كانت موضع اعجاب زوار فلسطين من رحالة ومؤرخين وسياح ورسامين كما ان الدلائل الثابتة تؤكد ان فلسطين كانت قبل بدء الغزو الصهيوني تدر الخيرات والمكاسب.

يقظة العرب

شهد القرن التاسع عشر احتكاكاً حضارياً هاماً بين الغرب والمنطقة العربية ولا سيما في مصر والمشرق العربي أدى الى تفاعلات بعيدة الأثر. فمع فتوحات نابوليون ادخلت وسائل الطباعة الحديثة وتسربت بعض الافكار الغربية الجديدة، ومع بروز محمد علي الكبير في مصر جاءت محاولات تحديث مصر في مختلف الحقول الاقتصادية والثقافية مما أدى الى إيفاد البعثات الدراسية الى الغرب والانفتاح على افكاره وحضارته ولا سيما أفكار الثورة الفرنسية والفكرة القومية الليبرالية كما لعبت المدارس والكليات التبشيرية في مصر وفلسطين ولبنان دوراً ملحوظاً في تحريك اليقظة الثقافية والفكرية والسياسية في مصر وسوريا الطبيعية.

كانت بداية ظهور الوعي السياسي والتيقظ للرابط القومي العربي والمطالبة بالتحرر والاستقلال سابقة لبداية بروز الحركة الصهيونية في طورها التنظيمي. وقد تتبع جورج انطونيوس في كتابه القيم «يقظة العرب»(٣) ارهاصات الحركة العربية الحديثة منذ عام ١٨٦٨ في الجمعية السورية العلمية السرية حيث أطلق رواد النهضة الادبية والعلمية العربية الحديثة صرختهم الشهيرة (تنبهوا واستفيقوا أيها العرب) والتي بفضلها أمكن عام ١٨٧٥ تأسيس اول حركة قومية سرية بدأت بخمسة اشخاص من خريجي الكلية البروتستانتية السورية.

حاول بعض المشككين الطعن في ما ذهب اليه انطونيوس حول يقظة الحس القومي عند العرب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بالنظر الى افتقاره الى الوثائق والمستندات في المراحل الاولى من اليقظة القومية. بيد ان وثائق وزارة الخارجية البريطانية تؤكد بل تتجاوز ما جاء في كتاب انطونيوس حول الموضوع. ففي كانون الاول من عام ١٨٧٥ وبعد قرون من الركود السياسي لاحظ القنصل البريطاني في دمشق «وجود نزعة مكبوتة بين بعض الطبقات ولا سيما بين المسلمين في سورية نحو التوحد مع مصر وهي نزعة اخذت تشتد تدريجياً في الآونة الاخيرة»(٤).

وفي حزيران ١٨٨٠ كتب القنصل البريطاني في بيروت تقريراً حول ظهور «منشورات ثورية في بيروت»(٥)، أتبعه بتقارير سجلت النقاط الرئيسية لأول برنامج سياسي عربي (١٨٨٠):

١ ـ استقلال سورية ووحدتها مع لبنان .

٢ ـ الاعتراف باللغة العربية كلغة رسمية في البلاد .

٣ ـ إلغاء الرقابة وغيرها من الاجراءات المقيدة لحرية التعبير ونشر المعرفة .

ولا شك بأنه كان للحركة الفكرية والأدبية أثرها البالغ في تطور الوعي السياسي العربي حينذاك كما كان لافكار عبد الرحمن الكواكبي المناوئة للاستبداد ومطالبته بإرجاع الخلافة إلى عرب قريش وتشديده على دور العرب في الإسلام ودعوته للاستقلال الإداري صداها البعيد .

وتشير الدلائل الثابتة المتوافرة إلى أن فلسطين لم تكن معزولة عن التيارات والاتجاهات السياسية الجديدة في المنطقة . ففي أعقاب وقفة عرابي في وجه الغزو البريطاني لمصر بعث القنصل البريطاني في القدس بتقارير (١٨٨٢) حول تجاوب عرب فلسطين مع ثورة عرابي إلى حد أدى إلى هياج واضطرابات في كل من يافا والقدس . «انه من الثابت والأكيد ان المسلمين المحليين يعطفون بعمق على عرابي بوصفه مسلماً يحارب ضد المشركين وأيضاً وبشكل خاص بوصفه بطل الجنس العربي المسلم الذي يتوقف على نجاحه مستقبل جنسهم لا مجرد صد الغزو عن مصر وحسب»(٦) .

وبعد سنتين من تاريخ هذا التقرير (أي سنة ١٨٨٤) بعث القنصل البريطاني في القدس بتقرير آخر حول ردة الفعل الفلسطينية لثورة المهدي في السودان يفيد أنه على الرغم من عدم ايمان مسلمي فلسطين بالجانب الديني من حركة المهدي «فان هناك تعاطفاً مكبوتاً مع المهدي كعربي يناضل من أجل جنسه (العربي) ضد السيطرة العثمانية وسوء الحكم العثماني»(٧) .

لم يرافق نشوء الشعور القومي عند العرب في القرن التاسع عشر أي شكل من أشكال العداء لليهود قبل بداية الغزو الصهيوني والهجرة الصهيونية الأولى عام ١٨٨٢ . ولقد لاحظ اول قنصل بريطاني في القدس ، في تقاريره الاولى عن حالة اليهود في فلسطين ، مدى التسامح الديني السائد بالنسبة لليهود ولا سيما بين المسلمين الذين سمحوا لليهود بالاقامة في الأحياء الاسلامية والذين كانوا يجيرون اليهود عند الحاجة(٨) .

ولم يتبدل الموقف من اليهود إلا بعد أن أخذت طبيعة الوجود اليهودي في فلسطين تتحول عن الطابع الديني والمعايشة إلى الطابع الاستعماري الاستيطاني الزراعي بوحي

الأفكار الصهيونية والسيطرة الأمر الذي عكس نفسه تلقائياً في تغير موقف اليهود من السكان العرب في البلاد.

كان واضحاً منذ البدء أن هناك أكثر من ردة فعل واحدة ازاء الهجرة الصهيونية الاولى وازاء محاولات الصهيونيين استملاك الاراضي واقامة مستوطنات زراعية بوحي من فكرة الغزو الصهيوني لفلسطين. ذلك ان اقبال الجاليات الزراعية اليهودية على شراء الاراضي بدعم من المليونير اليهودي ادمون دي روتشيلد شكل مصدر ربح وفير لبعض كبار الملاكين العرب في فلسطين. الا انه من الخطأ الاعتقاد بأن الملاكين العرب كانوا جميعاً راغبين بجني الارباح عن طريق بيع الاراضي للمهاجرين اليهود. فقد رأينا كيف حصل بعض تجار بيروت وموسريها على الاراضي الفلسطينية الخصبة. ومتى علمنا ان الكثير من الاراضي وقعت بيد المرابين العرب بسبب عدم قدرة الفلاح الفلسطيني على سداد ديونه وفوائدها الباهظة المتراكمة، اتضح لنا ضعف الرابط بين الارض وأصحابها وبالتالي سهولة التخلي عنها لمن يؤمن الربح الوفير.

أما في الريف فقد كان جهل المستوطنين اليهود للغة العربية وللعادات الاجتماعية والزراعية (كالمشاع وحق المرور في أراضي الغير الخ) مصدر استفزاز للفلاحين العرب. وسرعان ما تحوّل هذا الاحتكاك إلى صدام عنيف عندما بدأ المستوطنون الجدد بإجلاء الفلاحين عن الاراضي التي اشتروها من الملاك والاقطاعيين ومن الحكومة التي كانت تصادر أراضي الفلاحين مقابل ضرائب لا قدرة للفلاحين على سدادها.

الفلاحون يصطدمون بالغزاة الصهيونيين

بدأت الاصطدامات المسلحة بين الفلاحين العرب والغزاة الصهيونيين عام ١٨٨٦ عندما هاجم الفلاحون المطرودون من الخضيرة وبتاح تيكفا (ملبس) قراهم المغتصبة التي أجلوا عنها رغم إرادتهم. ودفعت الاصطدامات الحكومة العثمانية في عام ١٨٨٧ إلى فرض قيود على هجرة المستوطنين الصهيونيين الذين كانوا يدخلون البلاد كسياح، بحيث لم يعد يسمح لهؤلاء «السياح» بالاقامة أكثر من ثلاثة أشهر في البلاد وذلك بموجب جواز سفر أحمر عوضاً عن جوازهم الأصلي عند دخول البلاد. وقد تكرر الهجوم على قرى يهودية أخرى وللدوافع نفسها عام ١٨٩٢(٩).

وبالاضافة إلى اجلاء الفلاحين العرب وتهديد مصدر قوتهم فقد أثارت الهجرة

اليهودية الجديدة مخاوف قطاع المهنيين والتجار -وجلهم من المسيحيين العرب- نظراً لما انطوت عليه من خطر المنافسة. وقد اثر التجار العرب في نجيب الحاج رئيس تحرير أبو الهول القاهرية الذي اتهم الغزاة الجدد بمصادرة موارد عيش العرب وذلك اثر رحلة قام بها إلى فلسطين عام ١٨٩٥ كما أثرت مخاوف المسيحيين العرب في مجلة «المقتطف» التي ابدت قلقها من النتائج الاقتصادية للهجرة اليهودية.

والواقع ان العداء للصهيونيين لم يقتصر على الفلاحين والمهنيين والتجار بل شمل قطاعات لم تتضرر مباشرة من الهجرة الصهيونية في مراحلها الاولى. فعندما حل رشاد باشا محل رؤوف باشا كمتصرف لسنجق القدس وأبدى محاباة للصهيونيين قام وفد من وجهاء القدس (المسلمين) بتقديم الاحتجاج ضده في ايار عام ١٨٩٠ كما قام وجهاء القدس في ٢٤ حزيران ١٨٩١ بتقديم عريضة لرئيس الوزارة العثمانية (الصدر الأعظم) طالبوا فيها بمنع هجرة اليهود الروس الى فلسطين وتحريم استملاكهم للاراضي فيها(١٠). ومن الجدير بالملاحظة ان عريضة الاحتجاج الاولى ضد مشاريع الغزو الصهيوني تضمنت المطلبين الاساسيين للحركة الوطنية في فلسطين وهما تحريم الهجرة اليهودية ومنع استملاك اليهود للاراضي الفلسطينية.

لم تكن هذه العريضة الاحتجاجية الهامة وليدة المصادفة أو مرتجلة بل كانت نتيجة الوعي العربي المبكر لطبيعة الفكرة الصهيونية وأهدافها وتهديدها للوجود القومي لعرب فلسطين وذلك قبل ان يعتنق هرتزل نفسه تلك الفكرة. وتدل الوثائق التاريخية على ان كلا من رشيد رضا(١١) المصلح الاسلامي المعروف ويوسف الخالدي السياسي الفلسطيني المثقف، ادركا في مرحلة مبكرة جداً ان خطة الصهيونية تهدف إلى اقامة دولة يهودية في فلسطين. ولقد اقر يوسف الخالدي بوجود مشكلة يهودية في اوروبا ولكنه حذر من ان قيام دولة يهودية في فلسطين لا يمكن ان يتم دون اصطدامات وصراع دموي بسبب المعارضة العربية لقيام مثل هذه الدولة واقترح اقامة وطن قومي لليهود خارج فلسطين(١٢) والملاحظ ان المقاومة العربية للصهيونية اخذت تشتد في اعقاب المؤتمر الصهيوني الاول. فقد حارب مفتي القدس، محمد طاهر الحسيني، الهجرة اليهودية والاستيطان الزراعي اليهودي فترأس عام ١٨٩٧ هيئة محلية ذات صلاحيات حكومية مهمتها التدقيق في طلبات نقل الملكية في متصرفية القدس فحال بذلك دون حصول اليهود على اراض زراعية جديدة لسنوات عديدة كما شهد عام ١٩٠٠ حملة احتجاجية واسعة من العرائض الجماعية ضد شراء اليهود

للاراضي الزراعية. ان تقارير البرت عنتيبي المعتمد الرسمي «للجمعية الاستعمارية اليهودية» Jewish Colonial Association، وكانت حينذاك مؤسسة غير صهيونية، تدل دلالة قاطعة على الوعي الفلسطيني المبكر وتثبت ان الصهيونية هي التي سممت العلاقات العربية باليهود في فلسطين. سجل عنتيبي في تقاريره المشار اليها، ما كان يواجه من اسئلة الفلاحين الفلسطينيين الاميين «هل صحيح ان اليهود يودون الاستيلاء على هذا البلد» كما سجلت هذه التقارير امتداد المعارضة للصهيونية الى صفوف صغار موظفي الحكومة من اهالي البلاد(١٣). وحدث ان قامت الجمعيات اليهودية بشراء مساحة واسعة من الأرض من عائلة سرسق اللبنانية بالقرب من طبريا فما كان من فلاحي القرى المجاورة إلا أن هاجموا الفنيين الذين جاءوا لمسح الارض تمهيداً لنقل ملكيتها وذلك بقصد محاولة منع اتمام الصفقة. وقد نجح العرب بالفعل في استصدار احكام من الباب العالي بالغاء بعض الصفقات التي عقدها الصهيونيون في مطلع القرن العشرين.

ويبدو ان مشاعر الفلسطينيين العرب كانت ذات تأثير في مواقف السلطان عبد الحميد من محاولات هرتزل لاغرائه ببيع فلسطين لليهود على الرغم من حاجة الامبراطورية العثمانية الماسة حينذاك للدعم المالي(١٤).

المطالبة بالاستقلال والوحدة

ولا بد في هذا المجال من الاشارة الى اهمية العامل الديني والتراثي في مواقف عرب فلسطين ومواقف بعض المسؤولين العثمانيين من المطامع الصهيونية. فقد نقل البرت عنتيبي قول احد الشباب العرب -ولم يكن متعصباً حسب شهادة عنتيبي: سوف نبذل كل ما لدينا حتى القطرة الاخيرة من دمنا لنحول دون استيلاء غير المسلمين على الحرم الشريف(١٥).

كذلك لا بد من التنويه بالوعي العربي لدى أهل الثقافة والسياسة خارج فلسطين نظراً للقناعة العامة عند هؤلاء بأن ما يصيب فلسطين يصيب العرب كلهم. فبالإضافة الى رشيد رضا حذر نجيب عازوري* في كتابه «يقظة الأمة العربية» Le Réveil de la

* لبناني اقام في فلسطين كموظف في دوائر الحكومة قبل اصدار كتابه، وكان قبل عام من اصداره الكتاب المشار اليه قد أسس «عصبة الوطن العربي» Ligue de la Patrie Arabe في باريس ودعا العرب الى القيام بثورة استقلاليه.

Nation Arabe (الصادر في باريس عام ١٩٠٥) من ان المخططات الصهيونية تناقض الأماني العربية، كما نادى بضرورة فصل الأجزاء العربية عن الأمبراطورية العثمانية لاقامة دولة عربية واحدة مستقلة. ويرجح ان يكون الدافع المباشر الذي حدا بنجيب عازوري الى المطالبة بالانفصال الكامل عن الدولة العثمانية الاعتقاد باستحالة صد الخطر الصهيوني في إطار دولة مكبلة بقيود «الامتيازات الأجنبية» التي كان اليهود يستغلونها أيما استغلال. وقد أدى تسرب كتاب عازوري الى فلسطين في مطلع صيف ١٩٠٥ الى إلقاء القبض على عدد من الشخصيات البارزة في يافا وغزة والرملة.

ويعود السبب في تعاظم الشعور المناوىء للصهيونية الى اشتداد شوكة الخطر الصهيوني على أثر تبني الحركة الصهيونية لخطة جديدة للعمل في فلسطين اثر موت هرتزل من جهة واطلاع المثقفين الفلسطينيين على الكتابات الصهيونية بما في ذلك جريدة Ha Poel Ha Zair العبرية من جهة ثانية ووصول اعداد من مهاجري «الهجرة الثانية» (١٩٠٥-١٩٠٧) من جهة ثالثة(١٦). وكان للعامل الثالث اثره الحاسم إذ سرعان ما اتضح ان المستعمرين اليهود يتمتعون بدرجة عالية من التنظيم والتعصب العقائدي الصهيوني، ذلك التعصب الذي برز في موقفهم من عرب فلسطين واصرارهم على تطبيق مبدأ غزو العمل Kibush Avodah أي مقاطعة اليد العاملة العربية مقاطعة تامة. وهذا ما عبر عنه دافيد بن غوريون، احد زعماء الهجرة الثانية عندما انتقد مبدأ تشغيل اليد العاملة العربية على اساس «تناقض ذلك مع هدف الصهيونية الرامي الى خلق مجتمع يهودي مختلف عن غيره في كل شيء، مستقل في اقتصاده وثقافته ولغته وقادر على حماية نفسه(١٧)» وتجدر بنا الاشارة إلى أن هذا الموقف قاد زعماء الهجرة الثانية إلى الاصطدام بمستعمري الهجرة الاولى الذين كانوا يفضلون استخدام الفلاحين العرب نظراً لخبرتهم الزراعية واجورهم الزهيدة.

ثورة تركيا الفتاة

في عام ١٩٠٨ اجبرت ثورة «تركيا الفتاة» السلطان عبد الحميد على اعلان الدستور واجراء انتخابات للهيئة التشريعية «المبعوثان». وقد نص الدستور العثماني على اطلاق بعض الحريات وحق اصدار الصحف، ووجوب اجراء انتخابات للمجلس التشريعي. وفي غمرة الشعور بالانفراج والفرح في جميع ارجاء الامبراطورية ظن العرب والاتراك لفترة وجيزة ان «الدستور» سوف يشفي جميع امراض رجل اوروبا العجوز المريض وقامت الجالية العربية في ايلول ١٩٠٨ وبحضور اعضاء بارزين من «جمعية الاتحاد والترقي» التي

قادت ثورة الدستور بتأسيس جمعية الاخاء العربي العثماني التي تعهدت بحماية الدستور وتحقيق الانسجام والمساواة بين شعوب الامبراطورية والعمل على نشر التعليم بين العرب وترقية احوالهم . وقد تم في هذه الفترة بداية بناء الخط الحديدي الحجازي وتعيين الشريف حسين بن علي اميراً على مكة وشريفها بعد نفي طويل في استانبول . واغتنم الفلسطينيون فترة شهر العسل هذه فصدرت الصحف الوطنية وقامت بحملة ضد الصهيونية لمناسبة انتخابات «المبعوثان» ،فنشرت جريدة الاصمعي مقارنة بين وضع الفلاح العربي والمستعمر اليهودي مشيرة الى اضرار الهجرة اليهودية شاكية من تمتع الصهاينة بالامتيازات الاجنبية وفساد الادارة المحلية كما اوضحت الجريدة العربية بكثير من المرارة اعفاء اليهود من الضرائب العثمانية ومقاطعتهم للعرب مشيرة الى استحالة صمود العرب في وجه منافسيهم في ظل تلك الظروف والاحوال . وفي ختام مقالتها دعت الجريدة الجمهور إلى شراء البضائع الوطنية عوضاً عن الاجنبية كما ناشدت المتمولين العرب تطوير التجارة والصناعة الوطنية(١٨) .

محاولات التتريك

كان شهر العسل العربي- التركي الذي اعلنته جمعية الاخاء العربي العثماني قصير الاجل إذ سرعان ما اتضح ان عناصر جمعية الاتحاد والترقي كانت تركية اولاً ويهودية ثانية وأن الاتجاه القومي الطوراني* يقضي بسياسة «التتريك» وطمس معالم اللغة العربية والشخصية العربية . فقد ركز قادة الاتحاد والترقي هجومهم على عزت باشا العابد وابو الهدى الصيادي وكانا من العرب المقربين إلى السلطان عبد الحميد .

وفي اواخر ١٩٠٨ جرت الانتخابات للمجلس التشريعي فكان الخاسر الاكبر فيها فكرة الاخاء العربي العثماني . فعلى الرغم من ان العرب كانوا يفوقون الاتراك عدداً في الامبراطورية -بنسبة ثلاثة الى اثنين تقريباً(١٩) فان عدد النواب العرب بلغ ٦٠ نائباً مقابل ١٥٠ نائباً تركياً بسبب سيطرة الاتحاد والترقي على العملية الانتخابية .

وفي مطلع صيف ١٩٠٩ حاول السلطان عبد الحميد القيام بعملية انقلابية ولكن قائد الجيش في سالونيكا محمود شوكت باشا (وكان عربياً) زحف على استانبول وسحق

---

* يتمثل الاتجاه الطوراني باحياء امجاد الاتراك الاوائل وتخليص الفكر التركي من المؤثرات الخارجية العربية والفارسية .

المحاولة وأعاد الاتحاد والترقي الى سدة الحكم. ومنذ ذلك التاريخ مارس الحكام الأتراك سياسة قمعية ضد العرب وأظهروا محاباة للصهيونيين غير معهودة من قبل.

الجمعيات العربية

اثارت بعض نصوص «الدستور» واتجاهات الاتراك الجديدة الشبانَ العرب في استانبول ودفعتهم الى تبني اراء ثورية. ويقول عوني عبد الهادي، احد رواد الحركة القومية العربية في مطلع القرن العشرين: «ايقظ الدستور الحس القومي في نفوسنا وترعرع هذا الحس بفعل المنازعات التي كانت تنشب بيننا وبين الاتراك»(٢٠).

ودفع حل جمعية الاخاء العربي الشبان والقادة العرب الى تغذية الفكرة القومية العربية عن طريق اقامة النوادي الادبية العلنية وانشاء الجمعيات السرية ذات الأهداف السياسية الثورية. وكان «المنتدى الادبي» اول هذه النوادي والجمعيات العربية وقد تأسس في صيف ١٩٠٩ على يد عدد من النواب والادباء والطلاب العرب في استانبول*، ونظراً لطبيعته غير السياسية فقد سمحت به السلطات كما سمحت بفتح عدة فروع له في فلسطين وسوريا ولبنان. ولعب هذا المنتدى دوراً هاماً في جمع الطلبة والقادة العرب وانتسب اليه آلاف الطلبة وكان بمثابة مصنع للتفاعلات الفكرية العربية ومنطلق لافكار سياسية ثورية.

بعد مدة وجيزة من تاريخ انشاء المنتدى الادبي قامت الجمعية «القحطانية» السرية على يد جماعة** اشد جرأة من جماعة المنتدى الأدبي. أما أهداف «القحطانية» فكانت اقامة امبراطورية تركية عربية (على شاكلة الامبراطورية النمساوية الهنغارية) بحيث تتوحد الاجزاء العربية في ظل مملكة عربية لها برلمانها وحكومتها المحلية وتكون فيها العربية اللغة الرسمية. وكانت الجمعية متشددة في اختيار الاعضاء وفي التزام السرية لانها ادخلت الضباط العرب كقوة فاعلة في الحركة القومية. ولكن الجمعية توقفت عن النشاط بعد سنة من تأسيسها بسبب وشاية احد الاعضاء باسرارها الى السلطات. أما الجمعية العربية السرية الثانية فكانت «جمعية العربية الفتاة» وتعرف «بالفتاة» وقد أسست في باريس عام ١٩١١ وكان لها اثرها الحاسم في تاريخ الحركة القومية في مرحلتها التكوينية***. وكانت غايتها

---

* نذكر منهم عبد الكريم الخليل وجميل الحسيني وسيف الدين الخطيب وصالح حيدر ورفيق سلوم.

** نذكر منهم: عزيز علي المصري وعلي النشاشيبي وصفوت العوا وسليم الجزائري (من الضباط العرب) والاميرين امين وعادل ارسلان وشكري العسلي وامين قزما وخليل حمادة.

*** نذكر من مؤسسيها عوني عبد الهادي وجميل مردم ومحمد المحمصاني ورفيق التميمي وعبد الغني العريسي ورستم حيدر وتوفيق الناطور.

العمل من اجل استقلال العرب وتحريرهم من الحكم التركي وكل انواع الحكم الاجنبي أي أن «الفتاة» كانت أول جمعية تطالب بالاستقلال الكامل لا مجرد الحكم الذاتي للعرب ضمن الامبراطورية. وفي عام ١٩١٣ انتقل مقر الفتاة من باريس إلى بيروت وفي العام التالي إلى دمشق. وعلى الرغم من أن عدد اعضائها زاد على مئتي عضو فان حسن المحافظة على السرية في العمل صانها من تسرب اخبارها وحركاتها إلى الاتراك حتى انه عندما قبضت السلطات على احد مناضلي «الفتاة» وعرضته للتعذيب حاول الانتحار وظل محافظاً على سرية تنظيمه. وقد قامت جمعية «العهد» السرية بمبادرة من بعض اعضاء الفتاة وضمت عدداً كبيراً من الضباط العرب في الجيش التركي وكانت أخطر المنظمات العربية على الاطلاق.

وفي عام ١٩١٢ ظهر حزب اللامركزية الادارية العثماني المعروف «باللامركزية» (ومقره القاهرة) ومعظم رجاله من الوجهاء المعتدلين*. وكان هدف «اللامركزية» اقناع الحكام بضرورة الاخذ بنظام اللامركزية الادارية وحمل العرب على القبول بتلك الفكرة. وقد امتدت اللامركزية الى جميع المدن السورية وكانت على صلة حميمة بالمنتدى الادبي والجمعيات السياسية المختلفة وما لبثت ان اصبحت أكثر الهيئات تنظيماً ونشاطاً علنياً في التعبير عن الاماني العربية.

ولقد ادى نشاط هذه الجمعيات الى تحرك سياسي واسع مما ساعد على تشكيل «لجنة الاصلاح» المكونة من ٨٦ شخصاً ينتمون الى مختلف الاوساط وذلك في بيروت عام ١٩١٢. وكان هدفها وضع مشروع يضمن الحكم الذاتي (اللامركزي) للمقاطعات العربية في الامبراطورية العثمانية. وعندما اعلنت لجنة الاصلاح مشروعها في شباط ١٩١٣ قامت مظاهرات تأييد قوية لها في دمشق وحلب وعكا ونابلس وبغداد والبصرة. وعلى الاثر سارعت السلطات التركية إلى حل اللجنة مما ادى إلى اضراب عام وإلى اعتقالات واسعة شملت السياسيين والصحفيين. وما لبث مركز النشاط الوطني أن انتقل الى باريس بعيداً عن اضطهاد السلطات العثمانية. وهناك عقدت الجمعيات السرية والعلنية المؤتمر العربي الأول في ١٨ حزيران ١٩١٣.

---

* نذكر منهم رفيق العظم ورشيد رضا واسكندر عمون وفؤاد الخطيب ونايف تلو وسليم عبد الهادي وحافظ السعيد وعلي النشاشيبي والاربعة الأخيرون حكموا بالاعدام من قبل السلطات التركية اثناء الحرب والثلاثة الأخيرون منهم هم من ابناء فلسطين.

المقاومة الفلسطينية ١٩٠٨-١٩١٤

اثار توافد يهود «الهجرة الثانية» استياء الفلاحين الفلسطينيين الذين عبروا في أكثر من مناسبة من معارضتهم منذ اللحظة الاولى لوصول المستعمرين الصهيونيين(٢١). ورافق الاستياء من قدوم المستعمرين اليهود موجة من الغضب على الملاكين الاقطاعيين الذين كانوا يجنون الارباح من بيع الاراضي للصهيونيين :

«في شهر تشرين الثاني ١٩٠٨، وردت تقارير تدل على ان الفلاحين في منطقة حيفا وطبريا يضمرون شعوراً من العداء نحو الملاكين العرب اصحاب الاراضي الشاسعة (مصطفى باشا، فؤاد سعد، آل سرسق) وكذلك الامر بالنسبة للمستعمرين اليهود»(٢٢).

لا شك بأن تلك التقارير تطرح على بساط البحث مسألة هامة تتعلق بهوية الملاكين الذين كانوا يجنون الارباح من عمليات بيع الاراضي رغم الاضرار البالغة التي كانت تلحق بمستأجري الارض من الفلاحين العرب ودون مبالاة بضغط الرأي العام ضد البيع للمستعمرين.

ولقد القت الضوء على كثير من المعلومات الهامة بهذا الصدد، مخطوطة لم ينشر نصها حتى الآن وضعها احد السياسيين المثقفين من عائلة الخالدي المقدسية وفرغ منها في عام ١٩١١. ولا شك بأن المخطوطة المسماة «المسألة الصهيونية» قد تركت اثرها في عدد من الأفراد الذين لعبوا فيما بعد ادواراً حساسة في الحركة الوطنية الفلسطينية مثل الحاج امين الحسيني(٢٣). بدأ المؤلف كتابه بتعريف الصهيونية، جذورها وتاريخها واهدافها مع لفت النظر الى أن اقامة دولة يهودية في فلسطين هي اعظم اهدافهم جميعاً. واسهب بعد ذلك في وصف جهود هرتزل والمؤتمرات والمؤسسات الصهيونية. وبالاضافة الى ذلك رسم خطاً واضحاً بين الصهيونيين وغير الصهيونيين من اليهود. وبعد تقرير قصير عن التاريخ اليهودي عالج المؤلف على نحو دقيق منظم نشاطات المهاجرين اليهود وشؤون مستعمراتهم. ثم ادرج قائمة بأسماء جميع المستعمرات اليهودية التي كان قد تم انشاؤها حتى ذلك الحين مع ذكر موقع كل منها واسمها الأصلي العربي واسماء الملاكين الذين باعوها.

بائعو الاراضي

وفي الكثرة الساحقة من الحالات كان بائعو تلك الأراضي يتألفون من الفئات التالية :

١ـ الملاكون الغائبون ومعظمهم من الاسر اللبنانية ـ سرسق ، تيان ، تويني ،ملدور وغيرهم .
٢ـ الحكومة العثمانية وذلك عن طريق المزاد العلني الذي تباع فيه اراضي الفلاحين العاجزين عن دفع الضرائب المترتبة عليهم .
٣ـ الملاكون الفلسطينيون ومعظمهم من العائلات المسيحية ـ كسار، روك ، خوري ، حنا وغيرهم . ومع أن بعض الاراضي باعها وجهاء المسلمين إلا أن المؤلف لم يكشف النقاب عن ذلك في جميع الحالات . على أنه كتب عن حالتين باع الأراضي فيهما بعض الهندية صفد والرملة . واما الاراضي التي باعها اصحابها الفلاحون فكانت ثلاث قرى فقط بلغ مجموع مساحتها اقل من ٧٪ من الاراضي التي كانت قد بيعت حتى ذلك الحين .

وبلغ مجموع القرى التي كان يملكها اليهود حتى ذلك الحين ٢٨ قرية بلغ مجموع مساحتها ٧٧٩٤٩١ دونماً وهي نسبة ضئيلة جداً من مجموع اراضي فلسطين الصالحة للزراعة . وفي رسالة مفتوحة نشرها احد طلبة الأزهر الفلسطينيين في ذلك العهد قال الكاتب ان اليهود كانوا يتبعون وسائل خبيثة ملتوية كرشوة الحكام العثمانيين في ذلك النظام الفاسد من الحكم وذلك بقصد تسهيل شرائهم للاراضي في فلسطين(٢٤) . وجرت فوق ذلك محاولات قام بها الفلسطينيون لوصم نظام الحكم العثماني السابق بتهمة ممالأة الصهيونية من خلال التساهل في تطبيق القوانين المتعلقة بالهجرة اليهودية وامتلاك اليهود للاراضي . كذلك حاول الاعضاء الفلسطينيون في حزب الاتحاد والترقي الحاكم حينذاك ان يضغطوا على زملائهم من اعضاء الزمرة الحاكمة في استانبول لافتين انظارهم الى الخطر الذي يهدد البلاد والفلاحين من الهجرة اليهودية(٢٥) .

المعارضة العربية للهجرة الصهيونية

ويبدو انه بحلول نهاية عام ١٩٠٩ اصبحت معارضة الهجرة الصهيونية موضوع الاحاديث الدائمة للناس . ولقد عبرت عن ذلك الصحيفتان الفلسطينيتان الوحيدتان في ذلك الحين الاصمعي والكرمل . ولعب رئيس تحرير الصحيفة الاخيرة الصادرة في حيفا دوراً بارزاً في كشف وتعرية الخطر الصهيوني على فلسطين والفلسطينيين . وكان صاحب هذه الجريدة نجيب الخوري نصار وهو من سكان طبريا ، قد عمل في مطلع حياته وكيلاً لجمعية الاستعمار اليهودي ومن ثم فقد كانت ظروفه تمكنه من الاطلاع على الكثير من مخططاتهم واسرارهم في فلسطين . ثم واسس جريدة الكرمل عام ١٩٠٩ لغاية واحدة هي

الكتابة ضد اليهود في فلسطين حتى لا يستمر العرب في بيع اراضيهم لليهود»(٢٦) . وادت شكاوى اليهود ضد المقالات التي كانت تنشرها الكرمل الى اصدار امر بتعطيلها تعطيلاً موقتاً في اوائل صيف عام ١٩٠٩(٢٧)، ثم تعطيلها مرة اخرى في شتاء ذلك العام أيضاً(٢٨) .

ووجد وجهاء الفلسطينيين في البرلمان العثماني فرصة لطرح مشكلة معارضة العرب الفلسطينيين للصهيونية والهجرة اليهودية . ففي اوائل شهر حزيران ١٩٠٩ قدم نائب يافا استجواباً في مجلس المبعوثان العثماني تساءل فيه عما تقصده الصهيونية وعما اذا كانت الحركة الوطنية لليهود تنسجم مع مصلحة الامبراطورية العثمانية . ثم طالب بان يغلق مرفأ يافا في وجه المهاجرين اليهود(٢٩) . ومع أن المشكلة كانت مشكلة جديدة حديثة الا أن الوجهاء لعبوا فيها أيضاً دور الوساطة الذي تعودوه بين الحاكم والمحكوم فلم يتصدوا لمقاومة الصهيونية وجهاً لوجه بل اكتفوا بنقل وجهة النظر الشعبية والتوسط لدى الحكام .

وباقتراب نهاية العام ظهرت في الاجواء علائم سخط شديدة . وفي شهر تشرين الاول اوفدت صحيفة الأهرام مراسلاً خاصاً الى فلسطين ليوافيها بأنباء الحالة ، فكتب يقول ان الفلسطينيين قلقون من الحركة الصهيونية ، فالهجرة اليهودية المستمرة تخلق لديهم المخاوف والقلق فالبلاد تكاد الان تكون في ايدي الاجانب(٣٠) . واضاف المراسل ان الفلسطينيين يتهمون الحركة الصهيونية في فلسطين بأنها تهدف الى اقامة دولة صهيونية مستقلة ويؤكدون ان بعض اثرياء اليهود قد بدأوا يدفعون الرشوة للحكومة العثمانية حتى يعفى اليهود العثمانيون في فلسطين من الخدمة العسكرية ويكرسوا كل جهودهم للنشاط الاستعماري، في وقت لم يكن للمسلمين والمسيحيين خيار في تحمل اعباء تلك الخدمة العسكرية البغيضة(٣١) .

وفي زحمة الاستياء والاشتباه بتواطؤ الحكومة ظهر تطور بارز، اذ بدأت معارضة الصهيونية واستيطان اليهود تتخذان شكلاً منظماً . ففي شهر تشرين الاول ١٩٠٩ كتب البرت عنتيبي يقول انه تم تشكيل منظمة محلية مهمتها الحيلولة دون بيع الأراضي الى اليهود(٣٢) .

فبالاضافة الى الوسائل المعهودة في المعارضة من تسجيل الاحتجاجات الى تدبيج المقالات في الصحف الى ارسال البرقيات والوفود على مختلف المستويات شهد عام ١٩١٠

ظهور دعوة الى مقاطعة البضائع اليهودية رداً على مقاطعة الصهيونيين للبضائع والايدي العاملة العربية .

حملة على بيع الاراضي

وفي شهر ايار ١٩١٠ هاجمت الصحف العربية آل سرسق لاعتزامهم بيع قريتي فولة وعفولة لليهود . وارسل سكان الناصرة وحيفا برقيتين الى الحكومة المركزية محتجين فيهما على السماح ببيع الاراضي لليهود ومتهمين الصهيونيين بالسعي لحرمان السكان المحليين من اراضيهم . وحذرت الكرمل من ان يرتهن احد اراضيه لدى الشركة الانغلو ـ فلسطينية بالنظر الى انها صهيونية . وفي منتصف شهر ايار طلبت مجموعة من النواب العرب من طلعت بك تأكيدات بان لا يسمح لليهود بامتلاك اراضي السكان المحليين وبعدم السماح بهجرة يهودية واسعة .

ولم تذهب الاحتجاجات لدى السلطات العثمانية سدى ، فعندما تحدث احد موظفي السفارة البريطانية باستانبول الى طلعت بك عن تجديد القيود على بيع الاراضي قيل له ان تلك القيود جاءت «نتيجة شكاوى السكان المحليين الذين يخشون غزواً يهودياً اجنبياً»(٣٣) .

وبحلول صيف عام ١٩١٠ كانت عدة صحف عربية نافذة قد بدأت تتبنى الحملة المناوئة لبيع الاراضي العربية للمستوطنين اليهود بينها صحيفة المقتبس الدمشقية وصحف المفيد والحقيقة والرأي العام الصادرة في بيروت . وفي بعض الحالات كانت جهود نجيب نصار ذات أثر كبير في لفت أنظار محرري مختلف الصحف العربية الى الخطر الصهيوني(٣٤) .

وفي غضون مناقشات مجلس المبعوثان العثماني حث النواب الفلسطينيون الحكومة على اتخاذ اجراء ما ضد الهجرة اليهودية وبيع الاراضي واندفعوا يثبتون بحماس تعذر التوفيق بين المصالح العثمانية والاهداف الصهيونية في فلسطين . «ففي اثناء شهري آذار ونيسان كتب الدكتور جاكوبسون من استانبول يقول ان النواب العرب ، ولا سيما روحي بك الخالدي ، كانوا يشنون حملة لسن تشريع جديد ضد الهجرة اليهودية الى فلسطين»(٣٥) .

ومن بين النواب الفلسطينيين الاخرين الذين اظهروا فعالية ونشاطاً ضد الصهيونية

سعيد الحسيني نائب القدس الذي كان واسع الاطلاع على القضية الصهيونية بسبب اجادته للغة العبرانية . وكتب البرت عنتيبي يقول انه منذ أن انتشرت نصوص خطابات روحي الخالدي وشكري العسلي في الريف عمت بين الفلاحين المشاعر المناوئة لليهود (٣٦) . وارسلت من يافا برقية وقعها ١٥٠ عربياً الى كل من رئيس مجلس المبعوثان والصدر الاعظم ومختلف الصحف وذلك تعبيراً عن الاحتجاج على استمرار اليهود في ابتياع الاراضي .

حزب وطني ضد الصهيونية

وفي أيار ١٩١١ نشرت صحيفة هاـ هيروت نص كراس أكد ظهور معارضة عربية فلسطينية منظمة للصهيونية . وكان هذا الكراس صادراً عن «الحزب الوطني العثماني» . وجاء في هذا الكراس الذي وجهه الحزب الى العرب الفلسطينيين :

«الصهيونية هي الخطر الذي يحدق بوطننا ، وهي الموجة الرهيبة التي تضرب شواطىء بلادنا ، انها مصدر الاعمال الخداعة الغادرة التي تجتاحنا والتي ينبغي ان تكون اشد اخافة لنا من السير على انفراد في ظلمة الليل الحالكة . ولا يقتصر الأمر على ذلك بل انها ايضاً تذير بنفينا عن وطننا وطردنا من بيوتنا وممتلكاتنا» .

وحاول الشيخ سليمان التاجي الفاروقي احد مؤسسي الحزب الوطني العثماني تأليب الرأي العام في البلاد العربية المجاورة لفلسطين ضد ما سماه هو وزملاؤه أعضاء الحزب «الغزو الصهيوني» . ففي شهر آب ١٩١١ كتب هذا مقالاً افتتاحياً مطولاً في صحيفة المفيد البيروتية الواسعة الانتشار والتي كان يتولى رئاسة تحريرها عبد الغني العريسي وهو من السياسيين العرب البارزين . وجاء في مقال الفاروقي ان فلسطين تكاد تكون قد وقعت في نطاق النفوذ الصهيوني بالفعل وان الصهيونية تشكل في فلسطين حكومة داخل حكومة لها قوانينها ومحاكمها الخاصة وعلمها الخاص ونظامها الدراسي الخاص الخ . ومضى يقول ان المهاجرين اليهود مزودون بالتعليم والمال وان الفلسطينيين مهددون بالفقر والطرد . ولقد حفزت هذه الظروف جماعة من الشباب الى تأسيس :

«حزب وطني لتطوير كل ما هو مفيد للشعب وتوجيه كل الجهود نحو معارضة قانونية للحركة الصهيونية ومحاربتها بسلاح الحق ، بالاضافة الى اثارة وعي الامة للعواقب الوخيمة للصهيونية ، وتذكير الحكومة بواجباتها التالية .

أولاً ـ منع الهجرة وذلك بتطبيق نظام جواز السفر الأحمر*.
ثانياً ـ منع بيع الأراضي.
ثالثاً ـ اجراء احصاء لليهود واعطاء العثمانيين منهم بطاقات هوية واضحة.
رابعاً ـ فرض رقابة حكومية وبرنامج الدراسة الرسمي على مدارسهم.
خامساً ـ حظر اجتماعاتهم الخاصة ما لم يسبقها الحصول على اذن خاص من السلطات وفقاً للقوانين المرعية الاجراء بهذا الصدد.
سادساً ـ اجراء اعمال مسح لأراضي المستعمرات، وفرض مختلف الضرائب والاعشار والويركو عليهم مع اعادة تقييم وتقدير المبالغ المالية التي ضاعت على الخزينة عن السنوات الماضية»(٣٧).

الصهيونيون يتذكرون وجود عرب فلسطين

ولقد نشرت صحيفة هاعولام الناطقة بلسان الحركة الصهيونية المركزية تقريراً لمراسلها في فلسطين تناول تطور معارضة الصهيونية في صفوف العرب وجاء فيه:

«ان القوة الاكبر في فلسطين هي قوة العرب... ونحن ننسى كلياً ان هنالك عرباً في فلسطين، ولم نكتشف هذه الحقيقة الا في السنوات الأخيرة فقط.. اننا لم نأبه لهم ولم نحاول قط ان نقيم صداقات لنا في صفوفهم. ويعتبر المثقفون المسيحيون أكبر اعداء اليهودية في صفوف العرب»(٣٨).

وتعتبر الجملة الأخيرة من هذه العبارة المقتبسة اعترافاً بجهود نجيب نصار رئيس تحرير الكرمل الذي كان لجهوده القوية المثابرة اثر كبير في مكافحة الصهيونية واثارة الرأي العام داخل فلسطين وخارجها على السواء ـ ضد هجرة اليهود الى فلسطين واستيطانهم لها. ففي السابع من شهر حزيران ١٩١١ نشر نجيب نصار في صحيفته الكرمل رسالة مفتوحة موجهة الى جميع رؤساء تحرير جميع الصحف العربية الذين يشاركونه رأيه ومشاعره مقترحاً فيها توحيد جهودهم في جبهة واحدة ضد الصهيونيين. وفي غضون بضعة ايام فقط استجاب لاقتراحه طه المدور صاحب جريدة الرأي العام البيروتية الذي اقترح ان تتخذ

---

* كان نظام الجواز الاحمر وليد ضرورة منع تلاعب الصهاينة في ادخال المهاجرين تحت ستار السياحة وقد فرض هذا النظام مصادرة جوازات سفر السياح عند الدخول واعطائهم جوازاً احمر طيلة اقامتهم في فلسطين على ان يستردوا الجواز الاصلي لدى خروجهم من فلسطين.

جميع الصحف العربية موقفا موحدا معارضا لاستيطان الصهيونيين وذلك في محاولة لحمل الحكومة على اتخاذ اجراء ما ضد الصهيونية . وهكذا نجد عند مراجعة الصحف العربية الصادرة في النصف الثاني من عام ١٩١١ مقالات كثيرة ضد الصهيونية .

وفي اثناء العام نفسه نشر نجيب نصار كتاباً اسماه «الصهيونية : تاريخها ، غرضها ، أهميتها» . وقال المؤلف في كتابه ان الحركة الصهيونية تعتمد على قاعدة عنصرية . اما اهدافها فوطنية وسياسية على السواء . وركز نصار على مؤسساتها المستقلة وجمعياتها شبه العسكرية وعلمها وشعارها . وبعد ان ذكر ان الصهيونية تهدف الى التوصل الى «السيطرة على بلادنا ومصادر حياتنا» ، أشار الى أن «المطلوب هو قيادة صلبة ومخططات جريئة فنحن العرب بحاجة الى الاعتماد على النفس والكف عن انتظار كل شيء من الحكومة» .

أما الشعب الفلسطيني فقد بدأ يكتشف ان الحكومة شديدة الحرص على حمايتها من الخطر الصهيوني . ومن ثم فقد لقيت الدعوة الى التنظيم آذاناً صاغية لدى الشعب . فبعد المناقشة الثانية للصهيونية في مجلس المبعوثان التركي لفت نصار أنظار قرائه في جريدة الكرمل الى مدى تراخي السلطات العثمانية في حيفا في تطبيق أنظمة وقيود الدخول الى البلاد ، ونجح في تشكيل لجنة من المواطنين لمراقبة الحالة . ونجحت هذه اللجنة في الحصول على اذن من متصرف عكا للاشراف على نزول اليهود في مرفأ حيفا للتأكد من أن قيود الدخول الى البلاد مطبقة عليهم تطبيقاً دقيقاً(٣٩) . ولقد تركت جهود نصار انطباعاً قوياً لدى عدد من الصحافيين العرب مثل عيسى العيسى صاحب جريدة فلسطين وعزت دروزة الكاتب والسياسي المعروف(٤٠) .

أخطار الصهيونية العشرة

وبالاضافة الى ذلك كله تركت معارضة الصهيونية بعض الأثر على المؤلفات والآثار الادبية مثل كتاب اسعاف النشاشيبي «الساحر واليهودي» المنشور في شهر آذار ١٩٠٩ ومعروف الارناؤوط «فتاة صهيون» الصادر في شهر تشرين الثاني ١٩١١ .

وبحلول عام ١٩١٢ كان الصهيونيون قد بدأوا يتحدثون بالفعل عن «روح العداء التي بدأت تترسخ في صفوف الجماهير في متصرفية القدس»(٤١) .

وواصلت الصحف العربية حملتها على الصهيونية دون لين او هوادة . وصدرت في

القدس في ربيع ١٩١٢ صحيفة جديدة باسم المنادي فكانت منذ اول عدد لها واضحة الاتجاه في محاربة الصهيونية . ونشر محمد صالح الصمادي الحسيني في القدس مقالاً في صحيفة الرأي العام عن «اخطار الصهيونية العشرة» فالهجرة اليهودية المستوحاة من الصهيونية تؤدي الى : استيطان اليهود في اشد الأماكن اهمية من حيث التجارة والوضع الاستراتيجي ، بيع اراضي السكان المحليين ومنازلهم ، فقدان اثمن الاراضي واعظمها قيمة ، عودة اموال اليهود الى جيوبهم عن طريق اماكن اللهو وما شابه ذلك من المؤسسات التي سيفتحونها في وجه العرب ، اخضاع السكان المحليين لليهود ، هيمنة المدارس الصهيونية على جميع مرافق التعليم في البلاد ، استيلاء البنوك والمؤسسات اليهودية على جميع المرافق الصناعية والتجارية في البلاد ، القضاء على من يتصفون بالصلابة والحزم من الزعماء العرب واخيراً السيطرة الاقتصادية على فلسطين التي منها تنبثق السيطرة السياسية(٤٢) . وقالت صحيفة المقتبس متأثرة بهذا المقال أن الصهيونية ترمي الى القضاء على اقتصادنا وسياساتنا(٤٣) .

وقالت صحيفة فلسطين التي كانت في الطريق الى ان تصبح الصحيفة الأولى في مناهضة الصهيونية ، في احد اعدادها الصادرة في صيف عام ١٩١٢ ان المهاجرين اليهود قد اصبحوا يملكون ٣٠ مستعمرة او قرية ، وان الهجرة تسير بسرعة تثير الذعر وان اللغة العبرية ستصبح يوماً ما اللغة الرسمية للبلاد . فلدى الصهيونيين مدارس متقلمة وعدد كبير من الصحف الهامة والجمعيات القوية التي تساندهم . واختتمت الصحيفة مقالها بحث العرب على التنبه الى الخطر المحدق بهم والحيلولة ، قبل فوات الاوان ، دون التعرض للكارثة(٤٤) . وبعد ثلاثة ايام دعت الصحيفة نفسها جميع الفلسطينيين لمكافحة الخطر الصهيوني .

ويلاحظ ان الحرب البلقانية ادت الى توتر العلاقات بين المسلمين والمسيحيين من العرب في جميع مناطق الامبراطورية العثمانية باستثناء فلسطين . فقد ظلت علاقات الطائفتين في فلسطين ممتازة بسبب تضامنها في وجه الخطر الصهيوني(٤٥) .

وفي السابع عشر من تشرين الثاني ١٩١٢ ، نشرت صحيفة فلسطين مقالاً اتهمت فيه المتصرف بالتواطؤ على بيع الأراضي لليهود على الرغم من معارضة العرب واحتجاجاتهم القومية . وبحلول نهاية عام ١٩١٢ ، كانت حملة جريدة فلسطين ضد

الصهيونية قد بلغت من العنف بحيث اخذ مراسل صحيفة هاحيروت في يافا يدعو الى مقاطعتها(٤٦) .

وفي الاسبوع الاول من كانون الثاني ١٩١٣ نشرت صحيفة الكرمل مقالاً افتتاحياً عنيفاً عرّت فيه الكثير من حقائق الوضع السياسي كما قوّمت نتيجة حملتها ضد الصهيونية طيلة اربعة أعوام متتالية . واشارت الى جهود بعض النواب مثل شكري العسلي وروحي الخالدي بنوع خاص في مكافحة الصهيونية داخل مجلس النواب العثماني . ثم حملت الصحيفة على اولئك الزعماء الذين يتظاهرون بالسهر على المصالح الوطنية في الوقت الذي ينغمسون فيه بعمليات السمسرة على بيع الأراضي للصهيونيين . واختتمت الصحيفة مقالها بالاشارة الى ان «عدداً كبيراً من المفكرين العرب صحافيين وموظفي حكومة (محليين) ، قد ادركوا الآن اخطار الصهيونية وغدوا يحاربون معنا هذا الخطر»(٤٧) .

وشهدت سوريا طيلة صيف عام ١٩١٣ حملة عامة من الاحتجاجات ضد بيع اراضي الدولة في بيسان لليهود . وفي شهر حزيران نشرت صحيفة فلسطين صورة برقيتين وقعهما زعماء قرى بيسان وقبائلها ووجهوها الى كل من السلطان ووالي بيروت . وفي هذه البرقيات أوضح السكان ان الاراضي المذكورة قد اغتصبت منهم وسجلت باسم السلطان السابق وان الدولة تفكر الآن ببيعها الى الاجانب . وذكرت البرقيات السلطان بأن واجب السلطات الحاكمة هو صيانة مصالح رعاياها الذين يدفعون لها الضرائب ويتجندون في خدمتها . وجاء في احدى هذه البرقيات «اننا نؤثر الموت دفاعاً عن شعبنا وممتلكاتنا على ان نضطر الى الهجرة من بلادنا الى اماكن مجهولة والموت جوعاً»(٤٨) . وفي نهاية الشهر نفسه اشارت صحيفة فلسطين الى أن ما يحتاج اليه «شعبنا الحبيب» هو نعمة الاستقلال ولكننا «لا نجرؤ على الجهر بذلك»(٤٩) . ونشرت الصحيفة في نفس العدد مقالاً اكدت فيه ان الكلمات والالفاظ لا يمكن ان تقف في وجه التمويل والعلم والحماسة والتضامن الوطني وهي كلها عناصر متوافرة للصهيونيين . ومضى كاتب المقال يقول ان العمل وحده هو الذي يستطيع ان يقف في وجه العمل . واقترح الكاتب تأسيس شركة وطنية فلسطينية للاراضي يمولها عدد من اثرياء الفلسطينيين وذلك لابتياع الأراضي غير المزروعة والضغط على الحكومة لحظر بيع الأراضي الى الفلاحين . واختتم الكاتب مقاله بالدعوة الى الوحدة والتعاون للدفاع عن البلاد .

وفي هذه المقالات التي ظهرت في اوائل العقد الثاني من هذا القرن تجلت ظاهرتان

الاولى هي الشعور والاعجاب الضمنيان بالتقدم التكنولوجي والاساليب التنظيمية التي ينتهجها الصهيونيون والثانية هي الادراك بان المعارضة العربية للصهيونية لا يمكن ان تصبح فعالة الا من خلال اكتساب المعرفة والمهارة والتنظيم .

المؤتمر العربي الأول

وقد تمخض عن التفاعل بين التيارات الجديدة المختلفة الدعوة إلى عقد أول مؤتمر عربي بباريس في حزيران ١٩١٣ الذي ضم عدداً كبيراً من الشخصيات السياسية البارزة من سورية ولبنانية وفلسطينية .

وكان هذا المؤتمر بمثابة محاولة لوضع برنامج سياسي يطالب بشراكة متكافئة بين العرب والاتراك على أن يتم ذلك ضمن الامبراطورية العثمانية . وطالب المؤتمرون بالاعتراف بالعرب كشعب له حق الاستقلال الذاتي ضمن دولة عثمانية لا مركزية وبحقهم في ان يكون لهم ممثلون على جميع المستويات التشريعية والتنفيذية وحق الاستقلال الثقافي مع جعل اللغة العربية احدى اللغات الرسمية في البلاد .

ويستدل من الكتاب الذي نشر في اعقاب المؤتمر متضمنا الوقائع انه كان في عداد الاعضاء الذين حضروا المؤتمر عدد من الوجهاء والطلاب الفلسطينيين . وكان أشد من ذلك لفتا لانظار الاعضاء الى قضية فلسطين ذلك السيل من البرقيات التي تدفقت من فلسطين على المؤتمر ، وكشفت هذه البرقيات عن وجود جمعيتين ثقافيتين في يافا وهما : المنتدى الادبي والجمعية الخيرية الاسلامية . وكان بين تلك البرقيات عدد ورد من كل من نابلس وحيفا*. وابدت جميع هذه البرقيات تأييد اصحابها للمؤتمر والمطالبة بالاصلاح واللامركزية . وتلقى المؤتمر برقيات أخرى من وجهاء بيسان وجنين المحليين حثت المؤتمر على اعلان معارضته لبيع الاراضي في هاتين المنطقتين . وقال اولئك الوجهاء ان نظام الحكم العثماني القديم قد اغتصب منهم تلك الاراضي . واعتبر مرسلو البرقيات الفلسطينيون اعضاء مؤتمر باريس «ممثلين للامة العربية»(٥٠) .

غير انه مما يثير الدهشة والعجب ان المؤتمر العربي الأول لم يبحث باسهاب وتفصيل مشكلة الخطر الصهيوني في فلسطين ولم تتخذ بالتالي مقررات بشأن هذه المشكلة الهامة الخطيرة . ولعل مرد ذلك الى ان الحركة العربية كانت مستغرقة في بحث الطرق والوسائل

---

* حملت برقية حيفا ٥٧ توقيعاً جلهم من المسيحيين العرب بينهم نجيب نصار .

الكفيلة بتحقيق الاستقلال للمناطق العربية من الامبراطورية العثمانية . فقد ورد في دراسة نشرتها مجلة Middle Eastern Studies ان اتصالات قد جرت بين الوطنيين العرب من أعضاء «حزب اللامركزية» واللجنة التنفيذية الصهيونية . وهذه الاتصالات ينبغي ان ينظر اليها «في ضوء بحث الوطنيين عن حلفاء يقفون معهم في وجه الاتراك»(٥١) . غير ان الفلسطينيين لم يكونوا راضين عن سياسة التحالف مع الصهيونيين في وجه الاتراك ولو كان ذلك تحالفاً مرحلياً موقتاً . ففي شهر تموز من ذلك العام حملت جريدة فلسطين على أحد اعضاء المؤتمر القومي العربي الأول البارزين وهو الشيخ احمد طبارة لانه لم يذكر الاخطار التي تنطوي عليها هجرة الصهيونيين الى البلاد والمشكلات التي يتوقع ان تطرحها في المستقبل(٥٢) .

وقد قام الصهيونيون في استانبول بمحاولات لاجراء اتصالات مع العرب الفلسطينيين كان نصيبها الفشل . كانت مطالب العرب غير مقبولة لدى الصهيونيين فقد كانوا يريدون :

١ ـ مساعدة العرب في الشؤون التعليمية من خلال تقديم الخبرة والاموال .

٢ ـ تقديم ضمانات بعدم حرمان الفلاحين من اراضيهم او من تشغيلهم في اراضي المستوطنين اليهود .

٣ ـ تأمين مبالغ مالية كبيرة لتمويل مشروعات واسعة في الاشغال العامة ترمي الى تنمية وتطوير المقاطعات العربية(٥٣) .

تعاظم المعارضة للصهيونية

أما في فلسطين نفسها فقد كانت هنالك دلائل جلية على ازدياد حدة المشاعر العربية العدائية نحو الصهيونيين خلال الأشهر التي تلت انعقاد المؤتمر . ففي شهر آب قالت صحيفة فلسطين في احد اعدادها انها ستضطر الى زيادة عدد صفحاتها حتى تتمكن من استيعاب العدد المتزايد من العرائض والاحتجاجات التي تقدم ضد الصهيونية . وفي الثاني عشر من آب نشرت صحيفة الكرمل في صفحتها الاولى نبأ قيام مظاهرة كبيرة في نابلس ضد اعتزام الحكومة بيع اراضي بيسان التابعة للدولة الى اليهود . وقالت الصحيفة انه القي في المظاهرة عدد من الخطب النارية وابرق المتظاهرون الى السلطات يحتجون بشدة على ذلك .
وبعد ذلك بثلاثة اشهر اقترحت الكرمل عقد مؤتمر في نابلس تبحث فيه الطرق والوسائل الكفيلة بمقاومة الاخطار الصهيونية كما يبحث امر تأسيس جمعيات لتوعية الشعب وتجنيده

وتحسين حالة الفلاح وزيادة ثروة البلاد وتشجيع العلوم التطبيقية . وقالت الكرمل ان تحسين حالة الفلاح وتعزيز كرامته من شأنه ان يعزز احساسه بالواجب نحو امته . ومضت الصحيفة تقول ان المعرفة والوطنية والتضامن ، كل ذلك كفيل بالصمود في وجه الخطر الداهم . واستطردت تقول ان ما هو معرض للخطر هو بقاء الشعب بذاته ، ولا يمكن انقاذ الشعب والحفاظ عليه إلا من خلال العمل الواعي المنظم(٥٤) .

ولقد وافقت على عقد المؤتمر المقترح كثير من الصحف العربية والكتل السياسية ومع ذلك فان الاقتراح لم ينفذ بسبب عدم تحمس كبار الوجهاء له . ومهما يكن من امر فان حملة الكرمل الداعية الى تنظيم العمل والجهود كانت ذات اثر فعال في التمهيد لظهور «جمعية مكافحة الصهيونية» التي اتخذت من نابلس مقرها الرئيسي مع اقامة فروع لها في بعض المدن الفلسطينية الاخرى . ودعت هذه الجمعية الى اقامة المظاهرات ضد بيع الحكومة للاراضي بالمزاد العلني كما ارسلت برقيات الاحتجاج واقترحت ان تحفظ حقوق الفلاحين في اراضيهم التي اغتصبتها الحكومة وذلك بأن يدفع الفلاح الديون المترتبة عليه باقساط سنوية(٥٥) . وهكذا قادت «جمعية مكافحة الصهيونية» الصراع ضد الصهيونية واتخذت من نابلس مركزا لنشاطها بسبب عدم وجود عناصر يهودية ذات نفوذ في هذه المدينة العربية تستطيع ان تواجه هذا النشاط . وكتب عتيبي يقول انه منذ الحادي والثلاثين من آب «اخذت جمعية مكافحة الصهيونية تكتسب الانصار وتتحرك نحو مرحلة العمل»(٥٦) .

واستمرت فلسطين والكرمل طيلة شهر ايلول ١٩١٣ تكرسان قدراً كبيراً من صفحاتها لنشر انباء النشاطات الصهيونية وذلك في محاولة مدروسة يقصد بها اثارة وعي الشعب لمواجهة هذا النشاط ومكافحته(٥٧)) . وفي غضون الشهر نفسه كتبت صحيفة فلسطين انه تم تشكيل «جمعية الشباب اليهودي» بقصد العمل على ان يقاطع اليهود السكان المحليين (٥٨) . وبعد أقل من شهر واحد هاجمت الصحيفة نفسها المحاكم الخاصة بالطائفة اليهودية والتي اقيمت في تل ابيب وبعض المستعمرات الأخرى وذلك على اساس ان في هذا العمل تكمن بذور «خلق دولة ضمن دولة في فلسطين»(٥٩) . وفي الرابع من تشرين الثاني نشرت الكرمل برقية اعتبرت كل من يتعاون مع الصهيونيين خائناً . وفي الثامن من تشرين الثاني نشر الشيخ سليمان التاجي الفاروقي من الحزب الوطني العثماني قصيدة بعنوان «الخطر الصهيوني» وفي هذه القصيدة لم يكتف الفاروقي بالتنديد بالمخططات اليهودية لاغتصاب فلسطين من اهلها العرب بل حذر كذلك الحكام الاتراك وذكرهم

بواجبهم في حماية فلسطين التي تضم الكثير من الأماكن الاسلامية المقدسة .

على ان الحكومة العثمانية لم تكن راضية كل الرضا عن الحماسة التي طبعت المعارضة العربية للصهيونية ومن ثم فقد كانت تتخذ من وقت الى آخر اجراءات تأديبية ضد الصحف العربية التي تتطرف في معارضتها هذه . غير ان تعطيل الصحف العربية قد بدأ يثير شبهات العرب بأن الحركة الطورانية التركية والحركة الصهيونية متحالفتان ضد الحركة الوطنية العربية المنادية بالاستقلال .

وفي غضون الاشهر التي سبقت الحرب العالمية الاولى كانت الحركة المناهضة للصهيونية في فلسطين قد بلغت ذروتها . وظهرت دلائل جديدة على وجود معارضة منظمة للصهيونية . وكان جميع اولئك العرب الذين يتعاونون مع الصهيونيين يتعرضون للنقد الشديد والشجب الأكيد كما ان الصحافة وقفت ضد الصهيونية بشكل لا لبس فيه ، ولعبت مكافحة الصهيونية دوراً بارزاً في الحملة الانتخابية لمعظم المرشحين الفلسطينيين للبرلمان العثماني .

وفي شباط ١٩١٤ ، كتبت صحيفة الكرمل ان الشباب العرب في استانبول أسسوا جمعية لمكافحة الصهيونية(٦٠) وفي نهاية شهر نيسان كتب ابري للدكتور روبين يقول انه «واثق من انه يوجد بين اعضاء منظمتي الشباب في كل من القدس ويافا سواء منهم المسلمون او المسيحيون من هم على استعداد لمحاربتنا بجميع الوسائل في مختلف انحاء فلسطين»(٦١) .

جمعيات وطنية لنشر التوعية وتقوية الصناعة الوطنية

وفي الرابع عشر من حزيران نشرت صحيفة فلسطين رسالة من الشيخ راغب ابو السعود كشف فيها النقاب عن اسماء وبرامج اربع مؤسسات وطنية وخيرية أسست حديثاً في القدس بقصد «الوقوف في وجه الأخطار الوشيكة التي تهدد ارض الوطن وانقاذ البلاد من الدمار» . وكانت المؤسسات المذكورة هي : الجمعية الخيرية الاسلامية ، جمعية الاخاء والعفاف ، شركة الاقتصاد الفلسطيني العربي ، شركة التجارة الوطنية الاقتصادية . واضاف الكاتب يقول انه يجري انشاء ناد جديد تتوافر فيه المجلات والصحف والكتب للمطالعة وتثقيف الجماهير . وكانت جميع الجمعيات المذكورة تنادي بالتوعية ونشر التعليم ومساندة الصناعات الوطنية .

وفي شهر حزيران نشرت صحيفة الاقدام رسالة من جودت قندوس ورد فيها ان الطلبة الفلسطينيين في استانبول ـ الى جانب شباب صور ومرجعيون ـ «أسسوا جمعية غايتها توحيد الكلمة وجمع القلوب عموماً والفلسطينيين خصوصاً للسعي في سبيل مصلحة البلاد ولا سيما مكافحة الصهيونية بكل الوسائل. فاذا لم يتيسر ذلك من خلال المال فمن خلال رجال العلم والادب والاخلاص»(٦٢).

ولقد وضع مؤسسو الجمعية خططهم بحيث يكون مقر رئاستها في القدس وتكون لها فروع في مختلف المدن الفلسطينية. وفي تلك الرسالة نفسها قال الكاتب نفسه ان اعضاء الجمعية قد بدأوا بالفعل في الاتصال بأعضاء البرلمان وفي شهر ايار كتبت صحيفة اخرى نبأ عن تأسيس جمعية سميت «جمعية مقاومة الصهيونية» واسسها الطلبة الفلسطينيون في الأزهر الشريف(٦٣). وفي شهر تموز نشرت صحيفة الاقدام بياناً مسهباً لجمعية الازهر المذكورة تضمن اهداف الجمعية على النحو التالي:

١ ـ مقاومة الصهيونيين بكل الوسائل الممكنة من خلال توعية الرأي العام وتوحيد وجهات النظر حول هذه النقطة ونشر برنامج الجمعية في صفوف جميع طبقات الشعب العربي عامة وفي سوريا وفلسطين خاصة.

٢ ـ تأسيس فروع وجمعيات في جميع المدن السورية والفلسطينية لهذا الغرض.

٣ ـ محاولة نشر روح الوحدة بين جميع عناصر السكان.

٤ ـ تنشيط ومؤازرة المشروعات الاقتصادية والتجارية والزراعية وتوعية المزارعين والفلاحين بحيث يتمكنون من حماية انفسهم من اخطار الصهيونية.

٥ ـ تقديم الاحتجاجات والشكاوي الى جميع الجهات ذات العلاقة بهذا الموضوع للعمل على وقف الهجرة الصهيونية(٦٤).

وفي شهر تموز نشرت صحيفة هاـ حيروت نبأ عن تشكيل جمعيتين برعاية نجيب نصار. الأولى في بيروت وكانت تتألف من ١٠٠ شاب من نابلس يدرسون هناك اطلقت على نفسها اسم «الشبيبة النابلسية»(٦٥) وكانت تهدف الى حماية حقوق العرب والحث على العمل لمصلحة الأمة العربية ومصلحة سوريا. اما الجمعية الثانية فكانت تضم عناصر اسلامية ومسيحية من حيفا واطلقت على نفسها اسم المنتدى الادبي. وكانت غاية المنتدى المعلنة هي تنشيط الحركة الوطنية اما هدفه سرا فهو مقاومة الصهيونية.

وفي تموز ١٩١٤ ظهرت على المسرح النساء العربيات الفلسطينيات عندما أسّسْنَ «جمعية الاحسان العام» وجمعية «يقظة الفتاة العربية». وكانت كلتاالجمعيتين وطنية تتولى برعايتها الصناعات المحلية(٦٦).

نداء عام الى الفلسطينيين

وفي السابع من تموز نشرت صحيفة الكرمل «نداء عام الى الفلسطينيين» تلقته من القدس ويفترض انه جاء من احدى المنظمات الوطنية الجديدة التي تأسست في المدينة. وانعكس على نص النداء الجو السياسي المتوتـر الذي كان يسود البلاد وانطوى على محاولة لتجنيد الرأي العام الفلسطيني تمهيداً لاتخاذ خطوة أشد جذرية:

«... هل تقبلون ان تصبحوا عبيداً للصهيونيين الذين جاءوا لطردكم من بلادكم مدعين انها بلادهم ... ايرضيكم ذلك ايها المسلمون والسوريون والعرب؟ اننا نؤثر الموت على ان نسمح بأن يحدث ذلك».

ثم حث النداء الشعب على القيام بما يلي:

١ ـ توجيه ضغط الى الحكومة للعمل وفقاً لقانونها نفسه الذي ينص على حظر بيع الأراضي الاميرية (اراضي الدولة) الى الاجانب حظراً تاماً.
٢ ـ محاولة تطوير صناعات ومهن وطنية محلية. فلا تتعاملوا تجارياً الا مع مواطنيكم كما يفعلون هم (الصهيونيون) فهم لا يتعاملون مع المسلمين والمسيحيين.
٣ ـ اياكم ان تبيعوهم اراضيكم ولا تترددوا في استخدام القـوة لمنع الفـلاحين من بيـع اراضيهم. وعليكم منذ الان ان تطردوا سماسرة بيع الأرض وتلعنوهم.
٤ ـ احرصوا على ان تمنعوا، بجميع الوسائل الممكنة، تدفق الهجرة من فلسطين واليها.
٥ ـ طالبوا مؤسسات الاوقاف بفتح مدارس عربية دينية وكذلك مدارس صناعية ومهنيـة وزراعية وعلمية تطبيقية.
٦ ـ عززوا ايمانكم بالله وبأنفسكم، ولا تثقوا بالحكومة لانها مستغرقة في امـور اخرى. وكافحوا لجعل اللغة العربية لغة التعليم في المدارس.
٧ ـ عليكم ان تغرسوا في قلوب السكان ولا سيما الشباب منهم حب ممارسة الاعمال الزراعية والتجارية والصناعية.. ان الاخطار التي تهدد بلدكم كثيرة اشدها واكبرها هو «الخطر

الصهيوني» ولهذا فان عليكم ان تحذروه وان تجاهدوا وتعملوا لمكافحته والله يأخذ بيدكم .

وفي نهاية نص النداء نشرت الكرمل نصيحتها الخاصة لاصحاب التنظيم الجديد المذكور فقالت :

«عليكم ان تجندوا الرأي العام حتى تتمكنوا من تحقيق هذه الاهداف . وليس لكم ان تلوموا الصهيونيين بقدر ما ينبغي ان تلوموا زعماء بلدكم وموظفي حكومتكم الذين يبيعونهم الارض ويعملون كسماسرة لهم . اوقفوا هذه المبيعات توقفوا الحركة الصهيونية»(٦٧) .

التفكير بالثورة المسلحة

وكشف هذا النداء النقاب عن ان الفلسطينيين قد فقدوا الامل في ان تتخذ الحكومة اي اجراء ضد العدوان الصهيوني ومن ثم فقد تحركوا نحو تنظيم انفسهم والاعتماد عليها وحدها . وفي ضوء مشاعرهم هذه لم يكن مما يثير الدهشة ان يبدأ الفلسطينيون عشية الحرب العالمية الاولى بالتفكير في الانقضاض على الحكم التركي . وهكذا كانت جمعيتا «العهد» و«الفتاة» المنظمتان الثوريتان اللتان كانتا تناضلان في سبيل استقلال العرب بعد نشوب الحرب العالمية الاولى، تضمان في صفوفها الكثيرين من الفلسطينيين . وكان الفلسطينيون يعتبرون الصهيونيين حلفاء للاتراك في وجه النهضة العربية . ولم يكن مما يثير الدهشة بالطبع أن يكون شباب فلسطين قد بدأوا التفكير باللجوء إلى آخر الدواء ـ إلى العنف ـ ضد الصهيونية وذلك في وقت كانوا فيه يعملون أيضاً على القيام بثورة ضد الأتراك لتحقيق الاستقلال للعرب.

وفي غضون الاشهر السبعة الاولى من عام ١٩١٤ لعبت الصحافة العربية الفلسطينية دوراً حساساً في توعية الرأي العام والتمهيد للقيام باعمال منظمة منسقة ضد الصهيونيين . وثابرت هذه الصحافة دون كلل او ملل على التنديد بمواقف «اولئك الأثرياء المتنفذين الذين تعميهم مصالحهم الشخصية فلا يرون الخطر الصهيوني المحدق بهم ويؤثرون حاضراً ذهبياً على حساب مستقبل مظلم لابنائهم»(٦٨) . وحذر المقال نفسه من أن «من يملك الارض والاقتصاد هو السيد الحقيقي اما السيد السياسي فهو مجرد تابع له» .

وفي شهر نيسان ١٩١٤ نشرت صحيفة فلسطين مقالاً عن «الخطر الصهيوني

والصحافة العربية» اعربت فيه عن رضاها وامتنانها للحملة المناهضة للصهيونية في كل من القاهرة وبيروت ودمشق. واشادت الصحيفة بالدور الطليعي الذي قامت به جريدة الكرمل «في الكفاح الوطني» ضد الصهيونية وهو الدور الذي تسلمت زمامه فيما بعد صحيفة "نسطين نفسها بالاضافة الى صحف المقتبس والرأي العام وفتى العرب والاصلاح على التوالي. وقالت الصحيفة ان الصحف العربية القليلة الباقية التي لم تسهم في الحملة ضد الصهيونية، تتلقى مبالغ مالية او فوائد مادية من الحركة الصهيونية.

ومن الواضح أن كاتب المقال كان متأثراً تأثراً عميقاً بإسهام الهلال المجلة القاهرية الكبرى في الحملة ضد الصهيونية وأشار بالتالي الى مقال مسهب نشرته الهلال وتناولت فيه طريقة الحياة الشائنة التي ينتهجها سكان المستعمرات اليهودية التي تتمتع بما يشبه الاستقلال الذاتي. واعترف الكاتب كذلك بدور صحيفة الاقدام التي كانت أشد الصحف اندفاعاً في فضح أخطار الصهيونية وتنبيه الرأي العام لها.

وكانت الاقدام صحيفة اسبوعية تصدر في القاهرة عام ١٩١٤ ويتولى رئاسة تحريرها محمد الشنطي وهو فلسطيني الاصل. وكانت هذه الصحيفة تكرس جهودها للشؤون الفلسطينية، كما انها كانت تتمتع بقدر كبير من الحصانة لدى الكتابة عن المشكلة الفلسطينية وذلك بالنظر الى ان مصر لم تكن خاضعة للحكم العثماني. وهكذا نجد ان الاقدام جعلت الخطر الصهيوني منذ البداية، مدار الاهتمام في الحياة العامة والسياسية لفلسطين. واثارت نقاشا وجدالا حول الموضوع من خلال سلسلة من المقابلات اجرتها مع عدد من الوجهاء والشخصيات السياسية. وكان لها اثرها الفعال في جعل الخطر الصهيوني مدار الحملة الانتخابية البرلمانية. ففي اثناء النصف الثاني من شهر آذار ١٩١٤ نشرت الاقدام نص ثلاث مقابلات اجرتها مع كل من سعيد الحسيني وراغب النشاشيبي وسليم الحسيني.

وفي هذه المقابلات تعهد سعيد الحسيني بأن يواصل محاربة الصهيونية في البرلمان، كما فعل في الماضي، اذا اعيد انتخابه. وتبنى المطالبة بتحسين حالة الفلاح وتمليكه الاراضي التي يحرثها وذلك حتى يتعلق بها فلا يتخلى عنها مطلقاً. وانتقد الحسيني الحكومة على تخلفها عن محاربة الصهيونية التي تشكل خطراً اقتصادياً وسياسياً على السواء. وحذر من ان اهمال هذا الخطر كفيل بأن يؤدي الى عواقب وخيمة(٦٩).

اما راغب النشاشيبي، وهو مرشح آخر للبرلمان، فقد دعا الى وضع تشريع خاص يرمي الى منع الصهيونيين من امتلاك الاراضي في فلسطين. واعرب عن استيائه من أن

الكثيرين من الصهيونيين هم من الرعايا غير العثمانيين الذين يستغلون ما يتمتعون به من امتيازات اجنبية ، ولا يعرفون اللغة العربية وينظرون الى ابنائنا واخوتنا بازدراء «وتعهد النشاشيبي بمحاربة الصهيونية دون ان يسيء الى مشاعر اليهود العثمانيين»(٧٠) .

وتحدث سليم الحسيني فأعرب عن اعجابه بالصهيونيين ودعا الى التشبه بهم ومحاكاتهم . ولكنه تبنى المطالبة بوضع تشريع خاص لحظر بيع الاراضي .

الصهيونيون يريدون قتل الامة العربية

وبعد اسبوع واحد اجرت الاقدام مقابلة مع خليل السكاكيني «أحد مؤسسي المدرسة الدستورية في القدس حيث كانت تنشر روح العداء للصهيونية»(٧١) . وفي هذه المقابلة القصيرة قدم السكاكيني بياناً قوياً عن طبيعة التحدي الصهيوني فقال :

«ان الصهيونيين يريدون ان يمتلكوا فلسطين قلب الاقطار العربية والحلقة الوسطى التي تربط شبه الجزيرة العربية بأفريقيا . وهكذا يبدو انهم يريدون كسر الحلقة وتقسيم الأمة العربية الى جزئين للحيلولة دون توحدها . فعلى الشعب اذن ان يكون واعياً انه يمتلك ارضاً ولساناً . وإذا شئت ان تقتل شعباً ما فاقطع لسانه واحتل ارضه . وهذا بالضبط ما يعتزم الصهيونيون ان يفعلوه بالامة العربية»(٧٢) .

وفي العدد نفسه حذر فيضي العلمي ، وهو شخصية عربية أخرى ، من انه اذا استمرت الامور تسير في مجراها الحالي «فان الصهيونيين سيمتلكون البلاد ونصبح نحن فيها غرباء» .

واختصر جميل الحسيني المشكلة التي زجت بالوجهاء السياسيين في مأزق صعب فقال :

«ان مكافحة الصهيونية مقدمة على كل شيء لانها تلحق الضرر بشعب البلاد ولانها تهدف الى تجريده من اراضيه . ولكن انى لنا مقاومتها ومحاربتها وهي تتمتع بتأييد الحكومة ومساندتها والناس سُذَّج جهلة . ان موظفي الحكومة يعملون على تسهيل استيلاء الصهيونية على البلاد»(٧٣) .

وفي غضون ذلك ناشد عدد من وجهاء القدس ويافا وغزة اعضاء المنتدى الادبي في استانبول وصحيفة بيام التركية العمل على مساعدة شعب فلسطين . وتحدث النداء عن

حالة الفلاح والتاجر وموظف الحكومة الفلسطيني ووضعهم المهدد بسبب المطامع الصهيونية ونفوذها مؤكداً انه «اذا لم يخف المخلصون الى انقاذ الفلسطينيين فان مصيرهم سيكون مماثلاً لمصير الهنود الأمريكيين، فالصهيونية التي تشكل دولة ضمن الدولة، تهدد في الصميم مصير العرب ووجودهم في فلسطين»(٧٤).

وفي منتصف شهر نيسان ادلى احمد العارف، وهو عضو سابق في البرلمان، بتصريح لصحيفة الاقدام قال فيه «ان موضوع الحديث الوحيد بين الفلسطينيين في الوقت الحاضر. . . هو المشكلة الصهيونية، فالجميع مصابون بالخوف والذعر منها»(٧٥).

وفي الحادي عشر من نيسان اضطرت صحيفة فلسطين الى نشر ملحق «بسبب وفرة المواد الواردة عليها عن الحركة الصهيونية». وتضمن الملحق مقالاً هاماً عن المقاطعات الاقتصادية والضغوط التي يمارسها بنك انكلو ـ فلسطين على التجار ورجال الاعمال الذين وقعوا برقية احتجاج ضد الصهيونية. واورد كاتب المقال اسماء التجار المذكورين وكيف اضطروا الى سحب تواقيعهم عن البرقية بل حتى انكار تلك التواقيع حتى يرفع البنك مقاطعته لهم. ولم يبق الا تاجر واحد رفض سحب توقيعه ومن ثم ظل يعاني من آثار مقاطعة البنك له.

وقالت صحيفة فلسطين ان المقاطعة ليست سلاحاً جديداً ولكنها اصبحت في المدة الاخيرة صارمة «فاليهود لا يشترون من المسلمين والمسيحيين، ويندر ان يعثر على اثر للعمال المحليين في المشروعات اليهودية»(٧٦).

تعطيل الصحف الوطنية

وفي اليوم العشرين من نيسان ١٩١٤، عطلت السلطات المحلية جريدة فلسطين بناء على تعليمات تلقتها من وزارة الداخلية وذلك بحجة انها نشرت في عددها الصادر في الرابع من نيسان مقالاً يشيع الفرقة والخلاف العنصري بين فئات الشعب. وفي أعقاب هذا التعطيل أصدرت فلسطين منشوراً عممته على قرائها والمشتركين فيها حملت فيه على الحكومة بسبب اعتبارها الصهيونيين عنصراً قومياً معتبرة إياهم مجرد كتلة او جماعة سياسية. وميزت الصحيفة بين اليهودي والصهيوني ولامت الصهيونية على التوتر السائد:

«منذ عشرة اعوام كان اليهود يعيشون كأخوة عثمانيين تحبهم جميع العناصر العثمانية. . فهم يعيشون معهم في نفس الأحياء ويتعلم أبناء الجميع في نفس المدارس.

ولكن الصهيونيين وضعوا حداً لذلك كله وحظروا قيام أي اختلاط بين اليهود والسكان المحليين . وقاطعوا اللغة العربية والتجار العرب واعلنوا عن نيتهم في انتزاع البلاد من ايدي سكانها»(٧٧) . ونقل المنشور عن لسان الدكتور اورباخ من الحركة الصهيونية قوله في حيفا ان على الصهيونية ان تثور ضد العرب فتفرقهم وتقسمهم ثم تطردهم ، وبذلك تخدم المصالح العثمانية»(٧٨) .

وحذرت فلسطين السلطات من ان الصهيونية لم تعد مجرد شبح بل هي الآن خطر ملموس . ومضت الصحيفة تقول ان في وسع السلطات ان تقمع جريدة فلسطين ولكن هنالك صحفاً وطنية اخرى على استعداد «لحمل الشعلة» كما ان هنالك شباب فلسطين الذي « يغلي قلقاً على مستقبله المهدد بالخطر» .

وشهد نائب القنصل البريطاني في يافا وكذلك القنصل العام في القدس ان المنشور «يعكس ويصور باخلاص الاستياء المتناهي في صفوف العرب ضد الغزو اليهودي »(٧٩) .

وهكذا واصلت الصحف حملتها على الصهيونية دون لين أو هوادة حتى بداية الحرب العالمية الاولى في آب ١٩١٤ . ومع ذلك فان نشوب الحرب لم يمنع العرب من التفكير في اتخاذ إجراء ما ضد الصهيونيين. إذ يستفاد مما قاله بيرلمان أن الاوراق والمستندات التي وضع الاتراك ايديهم عليها عام ١٩١٥ تكشف عن وجود خطة للتخلص من الصهيونية تقضي باضرام النار في المستعمرات اليهودية وطرد السكان اليهود. وجاء في تلك الاوراق ان الصهيونيين هم ألد أعداء العرب . وهذا هو السبب الذي من أجله كان الاتراك على استعداد تام لمساعدتهم(٨٠) .

(١) راجع فيتال كوينه

Syrie, Liban, et Palestine Administrative Statistique descriptive et Raisonnée .

ـ باريس ـ ١٨٩٦، ص ٥٢٠

(٢) انظر تقرير جيمس فن القنصل البريطاني بالقدس الى بالمرستون، ٧ نوفمبر ١٨٥١ ، و. خ . ٧٨ـ٨٧٤ ـ رقم ٢٠ ـ

(٣) جورج انطونيوس «يقظة العرب» ـ بيروت ـ ١٩٦٦ انظر ايضا البرت حوراني «الفكر العربي في العصر الليبرالي ١٧٩٨ ـ ١٩٣٩» ـ لندن ـ ١٩٦٢ .

(٤) و.خ. ٢٢٦ ـ ١٨٣ .

(٥) ٢٨ حزيران ١٨٨٠ و.ح. ١٩٥ ـ ١٣٠٦

(٦) و.خ. ٢٢٦ـ٢٠٤ ـ رقم ٣٧ ـ.

(٧) ١٤ آذار ١٨٨٤ ، و . خ . ١٩٥ ـ ١٤٧٧ .

(٨) ٢٥ ايار ١٨٣٩ ، و . خ . ٧٨ ـ ٣٦٨ ـ رقم ١٣ .

(٩) انظر نيفيل مندل «الاتراك والعرب والهجرة اليهودية لفلسطين «١٨٨٢ـ١٩١٤» اطروحة دكتوراه غير منشورة كلية سانت انطوني جامعة اكسفورد ١٩٦٥ ص ٣٢ وص ٥٥ .

(١٠) المصدر نفسه ص ٤٤

(١١) انظر مجلة المنار المجلد الرابع ١٩٠٢ ص ٨٠١ ـ ٨٠٩

(١٢) انظر مندل ص ٩٥ـ٩٧

(١٣) المصدر نفسه ص ١٣٢

(١٤) للاطلاع على تفاصيل مواقف الحكومة العثمانية من مشاريع هرتزل وعروضه راجع مذكرات هرتزل الكاملة ـ الاجزاء الثاني والثالث والرابع .

(١٥) مندل ص ١٣٣

(١٦) في ٢٥ آذار ١٩٠٨ كتب القنصل البريطاني في القدس تقريرا قال فيه ان الحركة

المناوئة للصهيونية قد اشتدت في السنين الاخيرة نظرا لتدفق المهاجرين اليهود. راجع بليك الى باركلي و.خ. ١٩٥-٢٢٨٧ - رقم ١٨ -

(١٧) «دافيد بن غوريون - سنوات التحدي» - لندن - ١٩٦٤، ص ٤٢

(١٨) نقلت جريدة هابوعال هاتسعير العبرية المقال في حينه

(١٩) انطونيوس ص ١٠٤

(٢٠) «الثورة العربية الكبرى» - بيروت - ١٩٦٦، ص ١١

(٢١) في كانون الاول ١٩٠٨ حاول بعض القرويين من سكان كفركنّا بقضاء طبريا الاستيلاء على الاراضي التابعة لليهود كما وقعت عدة اشتباكات بين الفلاحين والمستعمرين الصهيونيين انظر مندل ص ١٧١-١٧٩.

(٢٢) المصدر نفسه

(٢٣) مقابلة مع الحاج امين الحسيني في لبنان صيف ١٩٦٦.

(٢٤) «الاهرام» القاهرية، ٤ آب ١٩٠٩.

(٢٥) «الجويش كرونيكل» اللندنية ١٨ حزيران ١٩٠٩.

(٢٦) مندل ص ٢٠٤

(٢٧) «هاحيروت» العبرية ٢٢ حزيران ١٩٠٩.

(٢٨) المصدر نفسه ٧ شباط ١٩١٠.

(٢٩) «الجويش كرونيكل» ١٨ حزيران ١٩٠٩.

(٣٠) «الاهرام» ٧ تشرين الاول ١٩٠٩.

(٣١) المصدر نفسه.

(٣٢) انظر مندل ص ٢١٤

(٣٣) و.خ. ١٩٥-٢٣٥ ملف رقم ٢٥، ٢٣ حزيران ١٩١٠.

(٣٤) من اجل الاطلاع على اثر نجيب نصار راجع جريدة «فلسطين» اليافية ٢ نيسان ١٩١٤.

(٣٥) مندل ص ٢٥١

(٣٦) المصدر نفسه ص ٢٦٨-٢٦٩.

(٣٧) «المفيد» ١٩ آب ١٩١١.

(٣٨) انظر موشي بيرلمان «فصول عن الدبلوماسية العربية ـ اليهودية» في مجلة Jewish Social Studies ١٩٤٤ .

(٣٩) هاحيروت ٩ آب ١٩١١ مندل ٢٧٢ .

(٤٠) انظر رسالة دروزة الى «الكرمل» ١٦ ايلول ١٩١٢ .

(٤١) مندل ص ٣٠٠

(٤٢) المصدر نفسه ص ٢٩٦

(٤٣) المقتبس، ٢٥ كانون الاول ١٩١٢ .

(٤٤) فلسطين ٢٨ آب ١٩١٢ اسس الجريدة عيسى العيسى في يافا في مطلع عام ١٩١١ .

(٤٥) فلسطين ٢٤ تشرين الثاني ١٩١٢ . اتهمت الجريدة الصهاينة بمحاولة زرع بذور الفرقة بين المسيحيين عن طريق نشر رسالة مزيفة تحت أسماء إسلامية وهمية يهاجم فيها أصحابها الدين المسيحي.

(٤٦) فلسطين ١٩١٢/١٢/٥

(٤٧) الكرمل ١٩١٣/١/٣

(٤٨) فلسطين ١٩١٣/٦/٥

(٤٩) فلسطين ١٩١٣/٦/٢٩

(٥٠) كتاب المؤتمر العربي الاول الصادر عن اللجنة العليا لحزب اللامركزية في مصر ـ القاهرة ـ ١٩١٣ .

(٥١) نيفيل مندل «محاولات اقامة تحالف عربي صهيوني ١٩١٣-١٩١٤» المجلد الاول رقم ٣، نيسان ١٩٦٤ ص ٢٤١ .

(٥٢) فلسطين ١٩١٣/٧/٩

(٥٣) المصدر نفسه ص ٢٥٧

(٥٤) الكرمل ١٩١/٨/١٥

(٥٥) الكرمل ١٩١٣/٨/١٣

(٥٦) انظر مندل ص ٣٩٠

(٥٧) الكرمل ١٩١٣/٩/١٩ .

(٥٨) فلسطين ١٩١٣/٩/٢٠ .

(٥٩) فلسطين ١٨/١٠/١٩١٣.
(٦٠) الكرمل ٢٤/٢/١٩١٤.
(٦١) انظر مندل ص ٤٧٦
(٦٢) الاقدام ٢١/٦/١٩١٤.
(٦٣) فتى العرب ٥/٥/١٩١٤.
(٦٤) الاقدام ١٩/٧/١٩١٤.
(٦٥) في حزيران ١٩١٤ منع المجلس الاداري في نابلس جميع بيوع الاراضي للصهيونيين. راجع فلسطين ٢٧/٦/١٩١٤.
(٦٦) الكرمل ٧/٧/١٩١٤.
(٦٧) المصدر نفسه
(٦٨) فلسطين ٢٦/٣/١٩١٤.
(٦٩) الاقدام ٢٢/٣/١٩١٤.
(٧٠) المصدر نفسه
(٧١) الاقدام ٢٩/٣/١٩١٤.
(٧٢) المصدر نفسه
(٧٣) المصدر نفسه.
(٧٤) فلسطين ٢٩/٣/١٩١٤.
(٧٥) الاقدام ١٤/٤/١٩١٤.
(٧٦) فلسطين ١١/٤/١٩١٤.
(٧٧) فلسطين ٢٩/٤/١٩١٤.
(٧٨) المصدر نفسه
(٧٩) ماغريغور الى مالت ٣١/٤/١٩١٤ و.خ. ٣٧١-١٢٣٤-٢٢٣٦ - رقم ٣١ -
(٨٠) مجلة «الدراسات الاجتماعية اليهودية» ص ١٢٥.

الفصل الثالث

الحرب العالمية الأولى: المؤامرات الاستعمارية ضد الوحدة العربية وعروبة فلسطين

في اواخر صيف ١٩١٤ أخذت الدلائل تشير إلى احتمال دخول تركيا الحرب إلى جانب المانيا الامر الذي دفع الانكليز الى الاتصال بالشريف حسين امير مكة بقصد استمالته وكسب العرب الى جانبهم وذلك عن طريق التلويح بميل بريطانيا نحو تأييد اعادة الخلافة الى عربي من الدوحة النبوية (الشريف حسين) ودعم العرب في مسعاهم لنيل الاستقلال اذا هم ثاروا ضد الاتراك. اما اهداف بريطانيا من تشجيع العرب للثورة على الاتراك فمتصلة باضعاف الموقف العسكري التركي وبالتالي تخفيف الضغط على قناة السويس وحماية امتيازات النفط في العراق والحيلولة دون اجماع المسلمين على تلبية نداء السلطان العثماني بالدعوة الى الجهاد*.

والواقع هو ان بريطانيا كانت تراقب تعاظم النفوذ الألماني في العاصمة العثمانية وامتداد الوجود الألماني عبر الخط الحديدي الذي يصل بين برلين وبغداد بقلق متزايد نظراً لما يشكل ذلك من تهديد لمصالح بريطانيا ومواصلاتها بين الخليج العربي والهند، ومن هنا اتجهت بريطانيا نحو استغلال الحركة القومية العربية ذات الاهداف الاستقلالية (عن تركيا) والتحالف معها بقصد بناء سد في وجه التحالف التركي ـ الالماني في المنطقة.

لم يكن غريباً والحالة هذه أن تبادر الحكومة البريطانية الى الاتصال بالشريف

* كان معنى إجماع المسلمين على تلبية نداء الجهاد خلق المتاعب لبريطانيا وفرنسا داخل المستعمرات في الهند والمغرب العربي الخ وبالتالي مصدر قلق للجيوش الامبراطورية المعتمدة على سكان المستعمرات.

حسين، عشية اندلاع الحرب العالمية الأولى. لقد كان من الواضح أن دخول الامبراطورية العثمانية كطرف في حرب واسعة النطاق سوف يفتح أبواب استقلال العرب على مصاريعها وتوزيع تركة رجل أوروبا المريض على الدول المنتصرة.

وكانت ردة فعل الشريف حسين متحفظة نظراً لخطورة الموقف ولتباين الرأي بين ولديه فيصل وعبد الله. ولقد عارض فيصل الانضمام للحلفاء لعلمه ـ من خلال اتصالاته مع رجالات سورية الوطنيين ـ بأن لفرنسا والدول الاوروبية مطامع استعمارية في المشرق العربي ولتخوفه من عدم استعداد العرب لإعلان انضمامهم لأعداء تركيا. أما اندفاع عبد الله في الاتجاه المعاكس فمرده أيضاً الى اتصالاته بالجمعيات العربية السرية واطلاعه على استعداد رجالات العرب في دمشق وبغداد للتجاوب مع اعلان الثورة من أجل الاستقلال.

وفي تشرين الثاني عاود الانكليز الاتصال بالشريف حسين بسبب دخول تركيا الحرب الى جانب ألمانيا ووعدوه بحمايته والمحافظة على حقوقه وامتيازاته اذا ما ثار على الأتراك، كما شجعوه على اعلان نفسه خليفة للمسلمين. اما بالنسبة للولايات العربية الخاضعة للسلطان العثماني فقد كانت عبارات الانكليز عمومية متضمنة الكلام عن وطن عربي وتحرر العرب مما أكد رغبة الانكليز في التحريض على ثورة عربية عامة ضد الاتراك. وكانت محصلة الموقف أن امتنع حسين عن تلبية نداء الاتراك باعلان الجهاد متذرعاً بعجز البحرية العثمانية عن حماية موانىء الجزيرة العربية من الاسطول البريطاني اذا ما أصبح الشريف طرفاً في الحرب ضد بريطانيا.

وفي مطلع ١٩١٥ اتصل رجال «العربية الفتاة» بالشريف لاطلاعه على اتجاه قادة الحركة الوطنية العربية في سوريا والعراق والضباط العرب في الجيش التركي نحو التفكير بالقيام بثورة لنيل الاستقلال من الاتراك» وعرضوا عليه أن يتولى قيادة الثورة المنتظرة. وكان ان ارسل الشريف ابنه فيصل في آذار ١٩١٥ الى استانبول بحجة الشكوى على الوالي التركي ولكن الغرض الحقيقي كان المرور بدمشق والاتصال بالقادة الوطنيين هناك. وقد تمخضت زيارة فيصل لدمشق ومباحثاته مع القادة الوطنيين عن تنسيبه الى جمعية «الفتاة» بعد ان اكتشف ان أعضاء الجمعية يشاركونه مخاوفه من اطماع الدول الاوروبية: فرنسا

انطونيوس ص ١٤٩.

وبريطانيا وايطاليا وروسيا كما وجد المشاعر ذاتها بين أعضاء جمعية «العهد» تلك الجمعية التي حازت على اعجاب فيصل نظراً لاحكام تنظيمها وأهميتها من الناحية العسكرية .

بروتوكول دمشق

وفي فترة اقامة فيصل في استانبول وضع قادة «الفتاة» و «العهد» خطة عمل تضمنت شروط تعاون العرب مع بريطانيا ضد تركيا وسلموها لفيصل أثناء مروره بدمشق بطريق عودته الى مكة ليسلمها الى أبيه ليعرضها بدوره على الانكليز كأساس للتعاون ،وقد عرفت هذه الخطة «ببروتوكول دمشق». ولقد حدد بروتوكول دمشق حدود الاستقلال العربي*، كما نص على الغاء الامتيازات الاجنبية وعقد معاهدة تحالف دفاعي بين بريطانيا والدولة العربية العتيدة .

تبنى الشريف حسين ما جاء في بروتوكول دمشق من اصرار على نيل الاستقلال السياسي للولايات العربية حسب الحدود التي رسمها البروتوكول فتضمنت رسالته الاولى المرسلة في تموز ١٩١٥ الى المعتمد البريطاني في القاهرة السير هنري مكماهون نصوص بروتوكول دمشق كأساس للتحالف بين بريطانيا والعرب ضد الاتراك بالاضافة الى مطالبة بريطانيا الاعتراف بخليفة عربي للمسلمين حين اعلان ذلك . والجدير بالذكر أن الشريف خاطب المعتمد البريطاني باسم العرب وفاوضه على هذا الاساس . وعلى الرغم من حراجة الموقف العسكري البريطاني في المنطقة وضرورة قيام ثورة عربية ضد الاتراك من الوجهة العسكرية البريطانية فقد حاول مكماهون في جوابه المرسل في ٣٠ آب ١٩١٥ التهرب من الالتزامات الاساسية التي طالبه بها الشريف مكتفياً بتمجيد الشريف والاسترسال في الألقاب والمجاملات والعبارات العامة حول الخلافة العربية والاستقلال العربي دون تحديد حدود الدولة العربية . وكانت حجج مكماهون في تبرير إحجام بريطانيا عن الالتزام بما طلبه الشريف واهية لا يفسرها سوى جهل المسؤولين البريطانيين بحقيقة قوة تيار «الفتاة» و «العهد» من الناحيتين السياسية والعسكرية ، وحقيقة الاتصال بين الشريف والجمعيات العربية السرية .

---

* خط مرسين اضنه- اورفه- ماردين جزيرة ابن عمر الى الحدود الايرانية شمالاً وعلى الحدود الايرانية الى الخليج شرقاً والمحيط الهندي جنوباً والبحر الأحمر والبحر الابيض المتوسط حتى مرسين غرباً . ومن الواضح ان فلسطين هي جزء لا يتجزأ من الدولة العربية العتيدة.

التمسك بعروبة لبنان وفلسطين

لم يخف الشريف في رده المؤرخ في التاسع من ايلول ١٩١٥ امتعاضه من غموض كتاب مكماهون «وبرودته وتردده فيما يتعلق بنقطتنا الاساسية، أعني نقطة الحدود» مؤكداً أن المسألة لا تتعلق بشخص بل هي مقترحات شعب بأسره يعتقد أنها ضرورية لتأمين حياته الاقتصادية. كما ركز جواب الشريف حسين على رفض العرب لمطامع فرنسا في بيروت وسواحلها مشيراً الى معارضة الشعب البيروتي للعزلة عن جواره العربي مهدداً بخلق المتاعب في وجه الأطماع الفرنسية وعلى هذا لا يمكن السماح لفرنسا بالاستيلاء على قطعة صغيرة من تلك المنطقة.

وقبل أن يبعث مكماهون برده على رسالة الشريف حسين تسنى للمسؤولين البريطانيين في القاهرة الاطلاع على مدى قوة ونشاط «الفتاة» و«العهد» وذلك بفضل محمد شريف الفاروقي أحد الضباط العرب المنتمين الى «العهد» وكان قد فر من الصفوف التركية في جبهة غاليبولي. وكانت المعلومات التي حصل عليها الانكليز عن طريق هذا الضابط من العوامل التي ساعدت مكماهون على تفهم سبب اصرار الشريف حسين على التمسك ببروتوكول دمشق وعلى إدراك أهمية تلبية مطالب العرب نظراً لجدية قواهم المنظمة في صفوف الجيش التركي واصرارهم على نيل استقلالهم. ومن هنا تضمنت رسالة مكماهون المؤرخة في ١٩١٥/١٠/٢٤ تعهدات بريطانيا التاريخية نحو الحركة القومية العربية في ما يتعلق بتأييد المطالب العربية المشروعة بوطن مستقل يضم الجزيرة العربية والعراق والولايات العربية في الامبراطورية العثمانية مع التحفظات التالية:

«ان مرسين واسكندرونة وبعض الأقسام السورية الواقعة غربي دمشق وحمص وحلب، لا يمكن ان يقال عنها انها عربية محضة فيجب أن تستثنى من الحدود التي ذكرتموها ونحن على استعداد للموافقة على تلك الحدود....

أما ما يتعلق بولايتي البصرة وبغداد فان العرب يعرفون أن مركز بريطانيا العظمى ومصالحها فيهما تتطلب شكلاً ادارياً خاصاً ومراقبة خاصة على تلك المناطق لحمايتها من العدوان الخارجي وتأمين مصالح السكان وحماية المصالح الاقتصادية المتبادلة*».

وعلى الرغم من الطابع الايجابي لرسالة مكماهون فان الشريف حسين اضطر الى رفض الموافقة على مطامع بريطانيا في العراق ولم يتنازل إلا عن مرسين واضنة باعتبارهما

---

* للاطلاع على النص الكامل لمراسلات حسين ـ مكماهون، انظر الملحق المثبت في آخر الكتاب.

غير عربيتين . اما بالنسبة لاستثناء مناطق غربي دمشق وحلب وحمص وحماه فقد كان رد الشريف قاطعاً :

«أما قضية حلب وبيروت وسواحلها فهي عربية صرف ، وليس هناك فرق بين المسلم العربي والمسيحي العربي ، فكلاهما من نسل واحد وسوف يتمتع المسيحيون بما نتمتع به من حقوق بما يتفق ومصلحة الشعب أجمع».

يتضح من مراسلات حسين- مكماهون أن حدود دولة الاستقلال العربي التي طالب بها الشريف حسين هي حدود بروتوكول دمشق نفسها وان الانكليز التزموا بالاعتراف بها ولم يتحفظوا الا بالنسبة للمناطق الواقعة غربي دمشق وحلب وحمص وحماة وذلك بسبب أطماع فرنسا في لبنان ومن هنا تضمن رد الشريف حسين على هذه النقطة كلاماً عن وحدة حال المسلم والمسيحي والنسل الواحد. وأما المناطق المستثناة فلا تشمل فلسطين على كل حال. وهناك العديد من الوثائق البريطانية السرية الرسمية التي تدل دلالة قاطعة على وقوع فلسطين ضمن أراضي دولة الاستقلال العربي التي وعد مكماهون بالاعتراف بها . وأن المذكرة التي قدمها قسم الاستخبارات السياسية في وزارة الخارجية بتاريخ ١٩٨/١١/١ بعنوان التزامات بريطانيا للملك حسين تشكل دليلاً قاطعاً على ما ذهبنا اليه في هذا الخصوص ولا سيما أن المذكرة تتضمن خارطة (لم يسبق لمؤرخ الاشارة إليها من قبل) فيها القول الفصل في المسألة كما أن وزير الخارجية البريطاني قال صراحة في جلسة مجلس الوزراء المعقودة في ١٩١٨/١١/٢٧ أن ذلك يشكل دليلاً اضافياً قاطعاً على «أن فلسطين تدخل ضمن المنطقة التي وعدت بريطانيا بالاعتراف بعروبتها واستقلالها في المستقبل» (مكتب السجلات العامة CAB ٢٤/٢٧).

وعلى أية حال فان المراسلات تمخضت عن تفاهم عربي- بريطاني تعلن بموجبه الثورة على تركيا التي تصنف في عداد أعداء الاسلام بينما التزمت بريطانيا بالاعتراف بخليفة عربي للمسلمين حين اعلان الخلافة والاعتراف بدولة عربية مستقلة ضمن حدود اتفق الطرفان عليها .

شهداء الاستقلال والوحدة

كانت خطة الشريف حسين تقضي باعلان الثورة في الحجاز وفي الولايات العربية

من المشرق العربي في آن معاً. ولكن القائد التركي جمال باشا اكتشف بعد مصادرة أوراق القنصلية الفرنسية في بيروت وجود تنظيمات ثورية تضم سياسيين وعسكريين داخل الجيش العثماني. وفي صيف ١٩١٥ أخذ جمال باشا يفتك بالوطنيين- واستحق لقب السفاح الذي عرف به- فأرسل القافلة الاولى من شهداء الاستقلال في ٢١ آب ١٩١٥، وكانت مكونة من ١١ شهيداً. وكان بين المحكومين بالاعدام عدد من الفلسطينيين فرّ أحدهم حسن حماد بما يشبه الأعجوبة بينما وافق جمال باشا على تخفيض حكم الاعدام بحق حافظ السعيد (يافا) والشيخ سعيد الكرمي (طولكرم) الى السجن المؤبد نظراً لتقدم السن بهما وقد توفي السعيد وهو في السجن. أما القافلة الثانية من الشهداء (٢١ شهيدا) فقد واجهت الشهادة في السادس من أيار ١٩١٦ وضمت عدداً من رجالات المؤتمر العربي الأول كما ضمت عدداً من الوطنيين الفلسطينيين بينهم علي عمر النشاشيبي (القدس) وسليم الاحمد عبد الهادي، ومحمد الشنطي (يافا) وكانت التهمة هي العمل من اجل استقلال سوريا وفلسطين والعراق عن الدولة العثمانية. وعلى اثر اعدام الشهداء دوت صيحة «طاب الموت يا عرب» مما دفع الشريف حسين الى التعجيل في اعلان ثورته ضد الاتراك وكان ذلك في الخامس من حزيران ١٩١٦.

قبل ان يجف مداد مراسلات حسين-مكماهون دخلت وزارة الخارجية البريطانية في مفاوضات مع الحكومة الفرنسية لاقتسام مناطق النفوذ في الولايات العربية الخاضعة للحكم التركي ضاربة عرض الحائط بالالتزامات والوعود التي قطعتها حول الاعتراف بالاستقلال العربي في تلك المناطق.

اتفاقية سايكس- بيكو

تمخضت هذه المباحثات عن اتفاقية سايكس- بيكو المعروفة والتي حصلت بموجبها فرنسا على أجزاء كبيرة من سوريا وجنوب الأناضول وعلى منطقة الموصل في العراق ولونت هذه المناطق على خارطة الاتفاق باللون الأزرق. أما حصة بريطانيا فشملت الأراضي الواقعة من أقصى جنوب سوريا الى العراق شاملة بغداد والبصرة والمناطق الواقعة بين الخليج العربي والاراضي الممنوحة لفرنسا، كما شملت مينائي عكا وحيفا ولونت جميعها باللون الأحمر. أما بالنسبة لفلسطين فقد لونت باللون البني اذ اتفق على اقامة نظام دولي خاص بها(٣). ويلاحظ ان تقسيمات معاهدة سايكس- بيكو تنسجم مع الوجود والمصالح الاقتصادية والتجارية للدول الاستعمارية وتكاد تتطابق مع امتدادات سكك الحديد للدول

الاوروبية المعنية(٤)

وتعتبر معاهدة سايكس ـ بيكو مثالاً للمكر والخداع والجشع في سياسة الدول الاستعمارية . ذلك انه تم التوصل الى تلك المعاهدة السرية من وراء ظهر العرب وضدهم في الوقت الذي كان العرب حلفاء بريطانيا كما انها مناقضة قطعا لالتزامات بريطانيا بموجب مراسلات حسين ـ مكماهون . ولقد حقق الاستعمار الاوروبي في هذه المعاهدة مؤامرته ضد قيام دولة عربية موحدة وقوية عن طريق تمزيق وحدة الولايات العربية الواقعة ضمن الامبراطورية العثمانية وتوزيعها على الدولتين الاستعماريتين بريطانيا وفرنسا لسلبها ارادتها ومقدراتها وثرواتها .

وعلى الرغم من أنَّ اتفاقية سايكس ـ بيكو كانت مؤامرة ضد الوحدة العربية والتقدم العربي بالدرجة الأولى فان القسم المتعلق منها بفلسطين ، أي وضع معظمها تحت ادارة دولية ، كان موضع معارضة من قبل قوى أخرى أيضا . ذلك أن هجوم الاتراك على قناة السويس برهن في مطلع الحرب بشكل قاطع أن خط الدفاع الأول عن ذلك الممر الحيوي هو فلسطين لا سيناء وبالتالي فقد رأى لفيف من السياسيين والعسكريين البريطانيين ان الاكتفاء بتحييد فلسطين ووضعها تحت ادارة دولية ربما عرض أمن السويس للخطر خصوصاً وان دولة قوية طامعة هي فرنسا تصبح عند ئذ بمثابة جارة لمصر . أما القوة الأخرى التي كانت تعارض اقامة ادارة دولية في فلسطين فكانت الحركة الصهيونية العالمية التي رأت في الحرب واحتمال تفكك الامبراطورية العثمانية فرصة تاريخية للحصول على فلسطين بموجب اتفاقات دولية وعن طريق الرعاية الاستعمارية الغربية أي عن طريق التحالف مع أشد الدول الاستعمارية طمعاً بفلسطين أي من خلال الانضواء تحت علم الامبراطورية البريطانية .

موقف الصهيونية العالمية

عندما نشبت الحرب العالمية الأولى وجدت الحركة الصهيونية نفسها موزعة بين مختلف الدول المتحاربة ، ولكنها سرعان ما وضعت خطة التزمت بموجبها الحياد رسمياً ـ ونقلت مقرها الرئيسي من برلين الى عاصمة الدانمرك المحايدة إلا أنها عملت في الواقع على محاولة كسب كلا الطرفين لضمان السيطرة الصهيونية على فلسطين مهما كانت نتائج الحرب .

كان الصهيونيون الألمان يشكلون غالبية داخل المجلس الصهيوني العام وكانت اللغة والثقافة الألمانيتان قويتين جداً داخل الحركة الصهيونية كما كانت برلين المقر الرئيسي للحركة الصهيونية كما رأينا. وعلى الرغم من انتقال المقر الرئيسي الى كوبنهاغن فقد وجد الصهاينة الألمان في كراهية اليهود للحكم الروسي مبرراً للتعاون مع المحور الألماني في الحرب ومحاولة الحصول على تنازلات للصهيونية في فلسطين ثمناً لهذا التعاون. وهكذا نشط الصهاينة الألمان من خلال منظمة عرفت باسم «لجنة الشرق Komitee Fur Den Osten وكانت غايتها وضع خبرة قادة المنظمة وعلاقتهم بيهود أوروبا الشرقية وأميركا تحت تصرف الحكومة الألمانية للمساهمة في هزيمة روسيا القيصرية والعمل على ضمان الاستقلال القومي لليهود(٥). وبالفعل قامت هذه اللجنة بتعيين ايزاك شتراوس مستشارا للسفير الألماني في الولايات المتحدة وذلك لتوطيد العلاقات بين المانيا ويهود أميركا. ونظرا لأهمية موقف يهود الولايات المتحدة ولدورهم المالي الخطير واحتمال تأثيرهم في مسألة انحياز أميركا لأحد الطرفين المتنازعين في الحرب فقد قام السفير الألماني في عدة مناسبات بالضغط على حكومته لتحقيق مطالب اليهود. وعلى هذا الأساس بعثت الحكومة الألمانية في مطلع الحرب بتعليمات لسفيرها في استانبول للتدخل من اجل اعادة فتح البنك الانكلو- فلسطيني وكان من أهم المؤسسات الصهيونية كما حالت السفارة الألمانية في فلسطين دون تسفير اليهود الروس من فلسطين. ولا شك بأن النفوذ الألماني القوي في العاصمة العثمانية ساهم مساهمة حاسمة في حماية الجالية اليهودية في فلسطين من اتخاذ إجراءات تركية ضدها(٦) لأسباب تتعلق بالأمن. وكان من جراء الرغبة الألمانية في كسب ود اليهود ان قامت علاقات رسمية بين اللجنة الصهيونية التنفيذية (برلين) والخارجية الألمانية، كما تمكن اليهود من استخدام الشيفرة اللاسلكية الألمانية للربط بين برلين وفلسطين. ولم تمض سنة على الحرب حتى تمكن الصهاينة الألمان من التوصل الى اتفاق مع المانيا وزع على القناصل في فلسطين اعلنت بموجبه الحكومة الألمانية تعاطفها «مع النشاط اليهودي الذي يهدف الى تحسين أحوال اليهود الاقتصادية وتقدمهم الثقافي في تركيا كما ان الحكومة الألمانية تنظر بعين العطف الى استيطان اليهود وهجرتهم من البلدان الأخرى»(٧).

استمرت الجهود الصهيونية للحصول على وعد الماني -وبالتالي موافقة تركيا حليفة المانيا- بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين. الا انه من المؤكد ان خطاب مورغنتو (سفير اميركا في استانبول) في ايار ١٩١٦ بمدينة سينسيناتي الأميركية، والذي جاء فيه انه بالامكان

وضع ترتيبات شراء فلسطين من الاتراك لصالح اليهود بعد انتهاء الحرب(٨) قد اثار غيظ المسؤولين الاتراك. وقد ازداد اقتراب الصهاينة الالمان من النجاح في مسعاهم للحصول على وعد الماني بوطن قومي يهودي في فلسطين في عام ١٩١٧ حتى ان هذا العامل كان من جملة العوامل الضاغطة على الحكومة البريطانية للتعجيل في اعلان وعد بلفور في تشرين الثاني ١٩١٧(٩).

الحلف البريطاني - الصهيوني

جاء صدور إعلان بلفور في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ على شكل كتاب موجه من وزير خارجية بريطانيا الى اللورد روتشيلد بمثابة شهادة زواج غير مقدس بين الامبريالية البريطانية والحركة الصهيونية الاستعمارية على حساب شعب فلسطين ومستقبل الأمة العربية بأسرها كما أن صدور هذا الاعلان في حينه كان تتويجاً لجهود الفريق الصهيوني البريطاني بزعامة حاييم وايزمن*. فعلى الرغم من التوجه الثقافي الألماني لدى العديد من الزعماء الصهيونيين فقد ظل قادة الحركة الصهيونية بشكل خاص يأملون بأن تتبنى بريطانيا الفكرة الصهيونية نظراً لتوافق ذلك مع استراتيجيتها في حماية السويس والطريق البري الى الهند وحاجتها الى جالية أجنبية في تلك المنطقة. وقد رأى وايزمن في الحرب العالمية الأولى فرصة ذهبية لتحقيق الهدف الصهيوني لأنها طرحت بشكل جدي احتمال تفكك الامبراطورية العثمانية فبدأ اتصالاته مع الدوائر البريطانية النافذة حتى قبل دخول تركيا الحرب رسمياً في تشرين الثاني من عام ١٩١٤. وبعد شهر من هذا التاريخ قابل وايزمن السياسي البريطاني بلفور للمرة الثانية بعد مرور ثماني سنوات على المقابلة الأولى. وقد وجد الزعيم الصهيوني من السياسي البريطاني الدعم والتشجيع كما أن هربرت صموئيل الشخصية السياسية اليهودية البريطانية البارزة ولويد جورج النائب البريطاني الذي أصبح رئيساً للوزراء فيما بعد والذي كان قد عمل كمستشار قانوني للصهيونيين(١٠)، كانا من المتحمسين لفكرة اقامة دولة يهودية في فلسطين. وما هي إلا فترة وجيزة حتى انضم اليهما سيريل سكوت صاحب جريدة المانشستر غارديان النافذة والوزير البريطاني ادوارد غراي. بيد ان من الخطأ الاعتقاد بأن الصهيونية كانت تحظى

---

* ولد وايزمن في روسيا عام ١٨٧٤ وبرز كعالم كيميائي وشارك في جميع المؤتمرات الصهيونية عدا المؤتمر الصهيوني الأول. هاجر الى بريطانيا عام ١٩٠٤ حيث عمل مدرساً في جامعة فيكتوريا بمانشستر وسرعان ما أصبح من أبرز الشخصيات الصهيونية في بريطانيا.

بتأييد شامل في الأوساط السياسية البريطانية كما يستدل من ردة الفعل التي احدثتها مذكرة هربرت صموئيل المقدمة في كانون الثاني ١٩١٥ الى الوزارة البريطانية، فقد طالب صموئيل بضرورة ضم فلسطين للامبراطورية البريطانية ودعم الحركة الصهيونية وخططها الرامية لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين. ولكن المذكرة فشلت في استثارة حماسة سكوت رئيس الوزراء بينما أظهر الوزير البريطاني اليهودي ادوين مونتاغيو معارضته لمقترحات صموئيل وللصهيونية بشكل عام على اساس تعارضها مع ولاء اليهود للبلدان التي يحملون جنسيتها والتي يعيشون فيها.

أثبتت الحملة العسكرية التركية على قناة السويس في مطلع الحرب ان فلسطين هي خط الدفاع الأول للقناة ولمصر الأمر الذي زاد من جاذبية الفكرة الصهيونية في نظر عدد من السياسيين والعسكريين البريطانيين. وقد عبر عن هذا الاتجاه الجديد هربرت سايدبوتام، المحرر العسكري للمانشستر غارديان بمقالات عديدة استهلها في افتتاحية هامة ظهرت في الغارديان، في ٢٢ تشرين الثاني من عام ١٩١٥ تعرض فيها للوضع الاستراتيجي البريطاني في الشرق الاوسط.بعد أن عرض الانحياز التركي لجانب المانيا مواصلات بريطانيا مع الشرق لأخطار الهجوم البري الذي يستحيل صده بواسطة الأساطيل البحرية مهما بلغت قوتها. أما الحل الذي قدمه سايدبوتام فيقضي بإقامة دولة حليفة لبريطانيا تكون بمثابة خط الدفاع الأول عن قناة السويس ومصر. وأكد ان الشعب الوحيد القادر على إقامة هذه الدولة الحليفة هو الشعب اليهودي. وبعد ثلاثة أشهر أجرى سايدبوتام اتصالات مع وزارة الخارجية البريطانية ليثنيها عن فكرة التعاون العربي مؤكداً أن البديل هو دعم اليهود في مسعاهم لإقامة دولة كبيرة في فلسطين ضمن الامبراطورية البريطانية تستطيع بعد فترة من الرعاية أن تحكم نفسها بنفسها وتؤمن دفاعها الخاص بها وأن تقدم العون للامبراطورية في الأوقات العصيبة[11].

وعلى الرغم من النشاط الصهيوني وجاذبية الفكرة الصهيونية للسياسيين الاستعماريين البريطانيين فإن الاعتبارات الصهيونية لم تطغ على اعتبارات التحالف مع العرب حتى منتصف عام ١٩١٦ أي بعد توقيع معاهدة سايكس ـ بيكو وتدهور وضع الحلفاء العسكري في أوروبا.

كان في عداد المسؤولين البريطانيين الذين يؤيدون الصهيونية الكولونيل لورنس المعروف «بصداقته» للعرب، لأنه كان يرى ان الصهيونية وسيلة «لإخراج الفرنسيين من الشرق الأوسط» انظر ص ١٠٢ من

عززت معاهدة سايكس - بيكو المواقع الصهيونية في بريطانيا نظراً لأن عدداً من معارضي مشروع تدويل فلسطين رأوا في الصهيونية الحجة المناسبة لإعادة النظر في هذا الجانب من الاتفاقية الفرنسية - البريطانية(*). أما تدهور الحلفاء العسكري فقد زاد من أهمية دخول الولايات المتحدة الى جانبهم في الحرب وهنا لعب الصهاينة ورقة نفوذهم في اميركا ببراعة ودهاء. وكان من اوائل من لفت نظر الانكليز إلى أهمية التحالف الكامل مع الحركة الصهيونية من اجل دخول اميركا الحرب الى جانبهم رجل بريطاني من اصل أرمني اسمه جيمس مالكولم كان يعمل بالتعاون مع روسيا وبريطانيا ضد تركيا. أما السبب المباشر الذي دعا مالكولم الى الاعتقاد بأن الصهيونيين قادرون على جر أميركا للحرب الى جانب الحلفاء فكان نفوذ القاضي لويس برانديس زعيم الحركة الصهيونية في أميركا لدى رئيس الولايات المتحدة ودرو ولسون.

وهكذا قامت صلة وثيقة بين المنظمة الصهيونية العالمية والمخابرات البريطانية فعقدت سلسلة اجتماعات بين الصهيونيين والمسؤولين البريطانيين (سايكس) في بيت وايزمن انتهت بالاتفاق على الاتصال سراً بالقاضي برانديس واخباره «بأن الحكومة البريطانية مستعدة لمساعدة اليهود في الحصول على فلسطين مقابل الدعم اليهودي النشيط لقضية الحلفاء في الولايات المتحدة بحيث يتغير الجو السياسي بشكل جذري لصالح الحلفاء»(*).

ومنذ ذلك الحين أصبحت دوائر الدولة البريطانية تعامل الصهيونية كحليف فتحت امامها جميع التسهيلات بما في ذلك حق استعمال وسائل الاتصالات السرية (الشيفرة) التابعة لوزارة الخارجية والاعفاء من التجنيد الاجباري. بالنسبة للعاملين في المنظمة الصهيونية.

كتاب : .
« The Secret Lives of Lawrence of Arabia » الصادر في لندن عام ١٩٦٩ بقلم فيليب نايتلي وكولن سمبسون .

انظر صموئيل لاندمان مجلة WORLD JEWRY آذار ١٩٣٥ . والجدير بالذكر ان لاندمان كان أحد كبار الزعماء الصهاينة حينذاك وقد تولى منصب سكرتير المنظمة الصهيونية العالمية بين ١٩١٧و ١٩٢٢ وقد أكد لويد جورج ما ذكره لاندمان في شهادته امام لجنة بيل الملكية عام ١٩٣٧ (انظر تقرير اللجنة ص ٢٣) .

وسرعان ما قدم وايزمن - في تشرين الأول من عام ١٩١٦ - مذكرة رسمية الى وزارة الخارجية بعنوان «برنامج لإدارة جديدة في فلسطين حسب أماني الحركة الصهيونية» كأساس للمفاوضات بين بريطانيا والمنظمة الصهيونية حول مستقبل فلسطين. وقد طالبت المذكرة في القسم الأول المتعلق «بالسكان اليهود الحاليين» بالاعتراف بيهود فلسطين كوحدة قومية واعتبار العبرية لغة قومية ومنح اليهود الاستقلال الذاتي في كل ما يتعلق بالشؤون التعليمية والدينية والاجتماعية والحكم الذاتي والضرائب المحلية. أما القسم الثاني المتعلق بتوطين اليهود القادمين من البلدان الأخرى فطالب بالترخيص لشركة يهودية باستعمار فلسطين ومنحها حق الأولوية في الاستيلاء على أراضي التاج وغيرها من الأراضي والامتيازات وبناء الموانىء والطرق واستيراد البضائع وحق استقدام المهاجرين.

وعــد بلفــور

وفي كانون الأول ١٩١٦ عندما تولى لويد جورج رئاسة الوزارة وأرثر بلفور وزارة الخارجية وكانا من الصهيونيين البارزين اعتبرت الاجتماعات غير الرسمية بين الصهيونيين والمسؤولين البريطانيين بمثابة مفاوضات جدية أدت بالنتيجة الى التزام بريطانيا بتحقيق حلم الصهيونية في اقامة وطن قومي يهودي في فلسطين. وقد عجل في اعلان السياسة البريطانية بشأن فلسطين حدثان اولهما دخول أميركا الحرب رسمياً في نيسان ١٩١٧. أما الحدث الثاني فكان اقبال الشبان اليهود في روسيا إثر ثورة شباط الروسية (١٩١٧) على الانخراط في صفوف الحزب الشيوعي (البلشفيك) بقيادة لينين الذي وقف ضد استمرار روسيا في الحرب مما دفع الجنرال ماكدونف قائد المخابرات البريطانية إلى طلب الاسراع* في اعلان فلسطين وطناً قومياً لليهود لكي يتجه الشباب اليهودي نحو العقيدة الصهيونية الرجعية الموالية للاستعمار عوضاً عن الانخراط في صفوف الاحزاب الثورية المعادية لبريطانيا. ولقد تضمنت شهادة الزواج غير المقدس بين بريطانيا والصهيونية صيغة رسالة بعث بها ارثر بلفور وزير الخارجية الذي عمل بحماس لصالح الصهيونية، الى اللورد روتشيلد الثري الصهيوني المعروف، فيما يلي نصها:

---

* كان من جملة اسباب التأخير في اعلان الاتفاق البريطاني- الصهيوني اعتراضات اليهود غير الصهيونيين بزعامة مونتاغيو والتي انصبت حول حماية اليهود في دول العالم من خطر ازدواجية الولاء القومي وحماية بعض حقوق سكان فلسطين الاصليين (العرب) من الانقضاض الصهيوني.

«ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين. وستبذل افضل مساعيها لتسهيل تحقيق هذه الغاية على ان يفهم جلياً انه لن يسمح بأي اجراء يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها المجتمعات غير اليهودية القائمة في فلسطين، ولا بالحقوق او بالمركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الاخرى».

ويعتبر وعد بلفور من اغرب الوثائق الدولية في التاريخ اذ منحت بموجبه دولة استعمارية ارضاً لا تملكها (فلسطين) الى جماعة لا تستحقها (الصهاينة) على حساب من يملكها ويستحقها (الشعب العربي الفلسطيني) مما ادى الى اغتصاب وطن وتشريد شعب بكامله على نحو لا سابقة له في التاريخ. ومما يسترعي الانتباه ان بريطانيا اقدمت على هذه الجريمة قبل ان تصل جيوشها الى القدس، بل في الوقت الذي كانت تتقدم فيه هذه الجيوش بفضل مساعدة «حلفائها» العرب وبفضل تضحيات شعب فلسطين الذي كان يناضل في سبيل الحرية والاستقلال.

هوامش الفصل الثالث

(١) انطونيوس ص ١٤٩

(٢) من اجل مراجعة نصوص مراسلات حسين ـ مكماهون بالانكليزية انظر

Correspondence between Sir Macmahon and the Sherif Hussein of Mecca July 1915 - March 1916 Cmd 5957 Miscellaneous No. 3 1939. H.M.S.O.

(٣) للاطلاع على نصوص معاهدة سايكس ـ بيكو راجع

Hurewitz, Diplomacy in the Near and Middle East, Voll II.

ص ١٨ ـ ٢٢ ـ كما ان النص العربي مثبت في كتاب «الوثائق الرئيسية لقضية فلسطين» الصادر عن الامانة العامة لجامعة الدول العربية القاهرة ١٩٥٧ .

(٤) راجع فريسكو سر رعنان «حدود وطن»
ـ لندن ـ ١٩٥٥

(٥) انظر ليونارد شتاين «وعد بلفور»
ـ لندن ـ ١٩٦١ ص ٩٨

(٦) المصدر نفسه .

(٧) المصدر نفسه ص ٢١٣ ـ ٢١٤

(٨) الجويش كرونيكل ٢٦ ايار ١٩١٦ .

(٩) شتاين، وعد بلفور، ص ٢١٦ (انظر ايضا ٥١٦ـ٥٢٨)

(١٠) شتاين، وعد بلفور، ص ٢٨

(١١) انظر هربرت سايدبوتام «بريطانيا العظمى وفلسطين»
Great Britain and Palestine ـ لندن ـ ١٩٣٤ ص ٣٨ .

الفصل الرابع

من الاحتلال البريطاني الى ثورة العشرين
١٩١٧ ـ ١٩٢٠

تعتبر هذه المرحلة ادق مراحل القضية الفلسطينية اذ تعددت خلالها مواقف جميع الفرقاء المعنيين، كما برزت فيها الملامح الواضحة لطبيعة التمركز الاجتماعي الفلسطيني في الصراع العربي الصهيوني في ظل الحكم البريطاني المباشر الملتزم بدعم المطامع الصهيونية واقامة وطن قومي يهودي فوق ارض فلسطين وعلى حساب اصحابها الشرعيين.

وعلى الرغم من جميع الامتيازات والتسهيلات التي قدمها البريطانيون للحركة الصهيونية فقد حاولت الادارة العسكرية البريطانية التي حكمت فلسطين طيلة تلك الفترة تهدئة عرب فلسطين عن طريق اخفاء الحقائق عنهم والتوفيق ما امكن بين الزعماء العرب وبين الصهيونيين تمهيداً لفصل فلسطين عن سوريا وتمكين السيطرة الاستعمارية عليها. بيد ان محاولات فرض الصهيونية على عرب فلسطين كشفت وجه بريطانيا الحقيقي كما كشفت طبيعة وسائل الحركة الصهيونية في فرض اهدافها العدوانية الأمر الذي ادى إلى الانتفاضة الفلسطينية الاولى عام ١٩٢٠.

ولكن كيف كان الوضع في فلسطين عشية الاحتلال البريطاني؟

هيمنت احداث الحرب العالمية الاولى على مسرح السياسة الداخلية لفلسطين في غضون الفترة الواقعة بين صيف عام ١٩١٤ وخريف عام ١٩١٧، إلا أن تلك الاحداث لم تصرف انظار عرب فلسطين عن الصهيونية واخطارها وضرورة محاربتها على الرغم من الانهاك الشديد الذي حل بشعب فلسطين والظروف القاسية التي عاناها طيلة فترة الحرب.

ففي تقرير اعده المكتب العربي ـ مؤسسة عسكرية بريطانية مقرها القاهرة ـ في مطلع

عام ١٩١٧ ابلغ المسؤولون البريطانيون انه «تم بالفعل تشكيل جمعية في القدس تضم الطبقة المثقفة من الشباب المسلمين لمحاربة الاستعمار اليهودي»(١).

وقد جاء هذا التقرير ليؤكد ما جاء في تقرير سابق رفعه الكابتن وليام اورمسبي غور ـ الذي اصبح فيما بعد وزيراً للمستعمرات البريطانية ـ عن الوضع السياسي في فلسطين وموقف الفلسطينيين العرب من الاتراك والبريطانيين والصهيونيين. وورد في التقرير «ليس في فلسطين احد ـ باستثناء المستعمرين الالمان ـ يحب الاتراك. وتعتبر طبقة الفلاحين المسحوقة ابعد فئات الشعب عن محبتهم(٢). اما الاسر الاسلامية البارزة وفي طليعتها آل الحسيني وآل النشاشيبي وآل الداودي فهي موالية للبريطانيين ترسل ابناءها للدراسة في المعاهد الانكليزية:

«ان المسلمين من سكان القدس وضواحيها يكنون للمسيحيين العطف والمودة ولكنهم شديدو العداء لليهود، او ان شئنا المزيد من الدقة، ـ للصهيونيين. فهم يعارضون بشدة تزايد المجتمعات اليهودية في المدن والارياف ولا سيما ابتياع الصهيونيين للاراضي وبالتالي تجريد السكان من ممتلكاتهم»(٣). وأضاف الكاتب يقول إن معارضة النواب القدماء في البرلمان العثماني من اتراك وعرب لامتلاك الصهيونيين للاراضي لم يترك ادنى اثر، الأمر الذي شجع الفلسطينيين العرب على الانخراط في صفوف جمعيات عربية سرية تهدف الى تحقيق الحكم الذاتي للعرب ثم تطور هدف هذه الجمعيات ليصبح تحقيق الاستقلال للعرب. ولقد ظهرت حقيقة الدور البارز الذي لعبه الفلسطينيون في هذه الجمعيات السرية عندما أمر القائد العسكري العثماني الاعلى في الجبهة العربية باعدام عدد من السياسيين العرب بتهمة التآمر ضد الدولة. وهكذا تم اعدام عدد منهم.

ولما كانت الحكومة البريطانية تدرك طبيعة المشاعر العربية بشأن مستقبل فلسطين* فقد حاولت ان تحول دون اجراء أي بحث لموضوع الصهيونية في اثناء سني الحرب. وعندما نشرت صحيفة القبلة التابعة للشريف حسين مقالاً عن الصهيونية في اواخر عام ١٩١٦، اصدر الجنرال ماكدونف، رئيس الاستخبارات البريطانية، تعليماته الى الجنرال كلايتون رئيس الشعبة السياسية في البعثة العسكرية المصرية ورئيس المكتب العربي بان يوجه الى

---

* على اثر زيارة قام بها سايكس للقاهرة في مطلع اذار ١٩١٦ علم من السياسيين العرب المتعاونين مع بريطانيا «ان العرب، مسلمين ومسيحيين على حد سواء، على استعداد لمقاومة بسط السيطرة اليهودية على فلسطين حتى آخر رجل».

شريف مكة «انذاراً جدياً وشخصياً» وان يحثه على «بذل اقصى جهده للحيلولة دون بحث هذا الموضوع الخطر»(٤).

واستطاعت هذه الجهود البريطانية ان تحول دون فقدان حسن النية لدى العرب «واستقبلت الجيوش البريطانية بالترحيب بوصفها جيوشاً للتحرير كما ان موقف العرب في فلسطين، سلباً وايجاباً، اسهم في نجاح تلك الجيوش»(٥). وهكذا دخل الجنرال اللنبي وبعثته العسكرية المصرية القدس في الحادي عشر من كانون الأول ١٩١٧ بعد أقل من ستة اسابيع من اعلان وعد بلفور.

توتر في القدس

وبعد ايام قليلة من دخول اللنبي الى القدس كتب الكولونيل ديدس التابع للبعثة العسكرية المصرية يصف ردود الفعل الاولية لوعد بلفور فقال:

«ان نبأ تصريح بلفور فيما يتعلق بفلسطين جديد على القدس وقد احدث قدراً غير ضئيل من المخاوف بين العناصر التي بلغني انها تحاول مقابلتي»(٦).

وفي غضون الأسبوع نفسه رفع ديدس تقريراً لاحظ فيه توتر العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين نتيجة للتصريح، وقال: إن المستعمرين اليهود يعلنون عن رغبتهم بأن يصبحوا في حالة اكتفاء ذاتي دون حاجة الى اليد العاملة العربية... ويلاحظ كذلك من حين إلى آخر شعور بالعداء للعرب يبادلهم العرب مثله. ولقد ازداد هذا الشعور في الأونة الأخيرة حدة وذلك كما تعلمون بسبب إعلان بلفور. والاحتكاك، بكلمة مختصرة، ليس ببعيد»(٧).

أما الجنرال كلايتون التابع للمكتب العربي فلم يلبث ان سارع الى لفت انظار لندن الى العواقب والآثار التي يرجح ان يتركها تصريح بلفور على مستقبل العلاقات الانكليزية العربية في فلسطين، فكتب يقول:

«ان السياسة المعلنة في البند الرابع (والمتعلقة بالاستعمار اليهودي في فلسطين) ستلقى معارضة شديدة من كلا المسلمين والمسيحيين العرب الذين ابدوا بالفعل فقدان الثقة بالمدى الذي تستعد حكومة صاحب الجلالة الذهاب اليه نتيجة لوعد بلفور للصهيونيين»(٨).

وكان كلايتون قد وضع امام سايكس، قبل ذلك باسبوعين، الاحتمالات البديلة لهذا الوضع قائلاً: «ان علينا اذن ان ننظر فيما اذا كانت الحالة تستدعي مناصرة متصاعدة للصهيونية على حساب خطر استعداء العرب في لحظة حرجة»(٩). أما سايكس فقد اوضح الطريق الذي اختاره فيما يتعلق بالبديلين اللذين اوردهما كلايتون. ففي مذكرة رفعها الى المجلس الحربي ووزعها على اعضاء اللجنة الخاصة بالشرق الاوسط قال «ان فلسطين وتصريحنا الصهيوني مجتمعين يمكنانا وحلفاءنا كمجموع من الهيمنة على قوى اليهودية وهي تمتاز بانها جوهرية ومسموعة وعاطفية»(١٠).

واضاف سايكس يقول ان اعشاباً ضارة اخذت في النمو حول المكاسب البريطانية (السياسية) في المنطقة. واول هذه الاعشاب في القائمة هي «القلق العربي فيما يتعلق بالصهيونية»(١١).

وبالنظر إلى ردود الفعل الفلسطينية العربية لتصريح بلفور وسياسة الوطن القومي اليهودي، عمدت السلطات العسكرية، التي كان همها الاول هو كسب الحرب ثم صيانة السلام والنظام في البلاد، إلى حظر نشر التصريح المذكور في فلسطين طيلة المدة التي كانت فيها البلاد خاضعة للحكم العسكري، وحاولت التقيد بقانون الحرب واصوله*. ومهما يكن من امر فان الكولونيل رونالد ستورس حاكم القدس العسكري خلال فترة ادارة الاحتلال العسكرية اعترف بخرق هذه الاصول وقال:

«ان الادارة العسكرية خالفت بشكل واضح الوضع الراهن فيما يتعلق بالصهيونية.. فقد صدر البيان الاول للجنرال اللنبي وكذلك جميع بياناته باللغة العبرية الى جانب اللغتين الانكليزية والعربية. وطبعت الايصالات الرسمية والبلدية بهذه اللغات ايضاً. وكان في جهاز موظفينا عدد من الموظفين والكتبة والمترجمين اليهود العاملين في مكاتبنا. ولقد وجه الينا النقد من داخل فلسطين وخارجها على السواء لهذه الاخلالات الاساسية المقصودة بالاصول العسكرية لادارة احتلال اراضي العدو»(١٢).

---

* منذ ان احتل الانكليز فلسطين في اواخر عام ١٩١٧ حتى مجيء ادارة مدنية في صيف ١٩٢٠ حكمت البلاد من قبل ادارة عسكرية وطبقاً للقوانين التي تسري على «اراضي العدو المحتلة» وبالتالي فقد كان من المفروض تطبيق سياسة الحفاظ على الأوضاع القائمة Status Quo وكانت الادارة عسكرية تابعة للجنرال اللنبي.

على ان هذا كله لم يرض الكثيرين من زعماء الصهيونية البارزين في فلسطين الذين كانوا متلهفين على ان يحولوا فلسطين بأسرع ما يمكن الى دولة يهودية «يهودية بقدر ما هي انكلترا انكليزية»(١٣). فقد اقترح الدكتور وايزمان الزعيم الصهيوني «ان تشكل الادارة الفلسطينية بكاملها على نحو يجعل من فلسطين كومنولث يهودي تحت الوصاية البريطانية»(١٤). ولقد أدى نفاد صبر الصهيونية الى قدر من الاحتكاك بين السلطات المسؤولة في لندن التي كانت راغبة في الامتثال للمخططات والضغوط الصهيونية وبين السلطات البريطانية المحلية في كل من فلسطين ومصر والتي كانت تتولى مسؤولية تنفيذ السياسات الصهيونية في وجه الاستياء العربي والضغوط المعاكسة.

ولعل ما دار في المقابلة التي تمت بين بلفور ووايزمان في الرابع من كانون الأول ١٩١٨ في وزارة الخارجية البريطانية دليل على سعة مسافة الخلف بين الجانبين. فالزعيم الصهيوني كشف النقاب في هذه المقابلة عن مدى ما يطمح اليه فقال انه يريد:

«مجتمعاً من اربعة الى خمسة ملايين يهودي يقيمون في فلسطين.. ومن هذا المجتمع يستطيع اليهود ان ينشروا في الشرق الادنى اشعاعهم... ولكن ذلك كله يفترض ان يسبقه تطور حر غير مقيد للوطن القومي اليهودي في فلسطين لا مجرد مزيد من التسهيلات اللازمة للاستعمار»(١٥).

على ان البريطانيين كانوا في تلك الفترة اقل اهتماماً بهذه المخططات الضخمة منهم بالحفاظ على مركزهم الحربي في المنطقة. ولكي يتمكنوا من انجاز ذلك كله كان لا بد من ايجاد نوع من التفاهم العربي الصهيوني(١٦). وكانت اول خطوة في هذا الاتجاه تتمثل في تهدئة الخواطر العربية من جهة والضغط على الملك حسين ليعدل من موقفه من مشكلة الصهيونية من جهة ثانية خصوصاً بعد ان حاول جمال باشا استغلال افتضاح امر اتفاقية سايكس-بيكو في اعقاب الثورة البلشفية في روسيا:

«في هذا الصدد لا بد ان يفهم الملك ان صداقة اليهودية العالمية للقضية العربية تعني كسب تأييد جميع الدول التي يتمتع فيها اليهود بنفوذ سياسي»(١٧).

يضاف الى ذلك انه نتيجة لجهود كلايتون فان اللجنة تعهدت بارسال وفود الى فلسطين لاقناع الفلسطينيين العرب باتخاذ موقف اكثر ليونة نحو الصهيونية(١٨).

على ان هذه الجهود عجزت عن التخفيف من الشبهات والشكوك العربية في

فلسطين. وكانت تقارير كلايتون الاسبوعية الصادرة من القدس تتحدث باستمرار عن قلق الفلسطينيين من النشاط الصهيوني وفقدان ثقتهم بـ«السياسة الصهيونية»[١٩] التي تتبعها بريطانيا. وفي شهر شباط ١٩١٨ كتب كلايتون يقول «إن المثقفين من المسلمين لا يزالون قلقين مما يرون فيه الأفضلية في معاملة اليهود ومن احتمال السيطرة اليهودية»[٢٠]. كما وردت تقارير أخرى في الفترة ذاتها عن ردة فعل مماثلة[٢١] في الأقطار العربية المجاورة.

بعثة صهيونية

وبناء على الاعتبارات الحربية العامة، كانت الحكومة البريطانية متلهفة على قيام بعثة صهيونية برئاسة وايزمان، يصحبها الكابتن اورمبسي غور كضابط اتصال، بزيارة لفلسطين، ومن ثم ابلغت وزارة الخارجية معتمدها في القاهرة الجنرال وينغيت ان:

«هدف البعثة هو ان تنجز، ضمن الخضوع لسلطة الجنرال اللنبي، اية خطوات تستدعيها مقتضيات تنفيذ تصريح الحكومة بشأن اقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين... وفي الوقت نفسه تهدئة شكوك العرب بشأن النيات الحقيقية للصهيونية»[٢٢].

وقبل ان تصل اللجنة الصهيونية الى فلسطين استطاع الفلسطينيون العرب ان يحولوا ما انطوت عليه مشاعرهم من الصدمة والخوف الى جهد منظم بحيث يصبح ذلك منطلقاً لتنمية فعاليتهم في معارضة الاهداف الصهيونية في فلسطين.. وكان من المحتم ان يتولد لديهم اغراء بتقليد العدو في اساليبه. ومن القدس كتب كلايتون الى رؤسائه يقول:

«لا يزال المسلمون متوتري الاعصاب بسبب تقدم الحركة الصهيونية. وهنالك دلائل تشير الى ان المسلمين يفكرون بان السلطات البريطانية تعتزم اقامة حكومة يهودية ولكنهم يعتقدون ان فرنسا ستتدخل وتعارض اقامة دولة صهيونية، ويشارك المسيحيون المسلمين مخاوفهم. ففي يافا توجد حركة في صفوف المسلمين والمسيحيين ترمي الى المطالبة بتعيين لجنة رسمية للسهر على مصالح المسيحيين والمسلمين تبنى على اساس خطوط مماثلة لتلك التي بنيت عليها اللجان اليهودية»[٢٣].

الجمعيات الاسلامية-المسيحية

ولقد وصلت هذه الحركة الى ذروتها حين تولدت منها الجمعيات الاسلامية المسيحية التي كانت مماثلة للمنظمات الصهيونية واليهودية وذلك في محاولة لتصبح قوة تقف في وجه

هذه المنظمات. وكان يهيمن على الجمعيات الاسلامية المسيحية بصورة عـامة الـوجهاء والتجار في المدن الرئيسية من البلاد.

وحاول الموظفون البريطانيون في المنطقة خلق جو من الوفاق يسبق قدوم اللجنـة الصهيونية ونسقوا جهودهم الرامية الى احداث توافق عـربي ـ صهيوني. ووجهت هـذه الجهود نحو مراكز النفوذ السياسي التقليدية. وهكذا قام القائد العام للقوات البريطانية بزيارة لمفتي القدس (احدثت أثراً طيباً جداً لدى مختلف فئات الطائفة الاسلامية)(٢٤).

وسارع كلايتـون الى اقناع السيـاسيين السـوريين المـوالين للسيـاسة البـريطانيـة والموجودين في القاهرة للعمل في سبيل اقامة دولة عربية في سوريا، بان وايزمان يعمل على اقامة «فلسطين بريطانية». واستطاع كلايتون ان يقنع كلا من فوزي البكري والعظم واحد افراد آل النشاشيبي وواحداً من افراد آل عبدالهادي بأن «يتصلوا بأصدقائهم في فلسطين وذلك بقصد التهدئة من مخاوفهم وتطمينهم»(٢٥).

وعلى الرغم من ذلك فعندما وصل وايزمان ولجنته الصهيونية الى فلسطين خـلال الاسبوع الأول من نيسان ١٩١٨، اكتشف ان «المحرضين العرب لم يتلكأوا في اعلان ان البريطانيين قد استدعوا اليهود ليتسلموا زمام البلاد»(٢٦).

وكان كلايتون يأمل متفائلاً بأن «تفلح الاجتماعات التي ستعقد بين اعضاء اللجنة وبين البارزين من الوجهاء المحليين في إزالة مخاوف الجمعيات المسيحيـة والاسلاميـة في فلسطين»(٢٧).

بيد أن آمال كلايتون بأن تؤدي زيارة اللجنة إلى وفاق عربي صهيوني قد خابت أيما خيبة. ففي تقرير طويل بعث به أورمسبي غور الى بلفور وزير الخارجية اورد الأول وصفاً مفصلاً عن الطريقة التي استقبلت بها هذه اللجنة، مختلف طوائف البلاد، كما أورد وصفاً لنشاطاتها والمشكلات التي انبثقت من هذه النشاطات. ولم يستطع التقرير، على الرغم من تحفظه، ان يخفي معارضة الفلسطينيين لتصريح بلفور وسياسة الوطن القومي اليهودي فقد جاء فيه:

«... من العبث انكار وجود قدر كبير من الشبهـات المتبادلـة لدى كـلا اليهود والعرب ... فالعرب بصورة عـامة متخـوفون من انتـزاع اليهود لبـلادهم ومن فقدان مكانتهم الاجتماعية والسياسية، كما أن اليهود من الناحية الأخرى متخوفون من التعصب

والتآمر والمحاولات الرامية للسيطرة»(٢٨).

الطريق المسدود :

ثم أورد أورمسبي غور حادثة لها دلالتها من حيث الطريق المسدود في العلاقات الثلاثية بين العرب والبريطانيين والصهيونيين في فلسطين. ولقد أشار التقرير إلى هذه الحادثة باسم «النزاع بشأن اللغة» وهو نزاع اثارته توصية قدمتها الأكثرية العربية في مجلس بلدية يافا (الذي عينه الحاكم العسكري) ومؤادها ان تكون اللغة العربية هي اللغة الرسمية الوحيدة. ولكن الأقلية اليهودية من اعضاء المجلس (عضوين من تسعة اعضاء) سجّلت احتجاجها ورفض الحاكم العسكري فرض توصية المجلس(٢٩). وهكذا احدث ما أُسمي «النزاع بشأن اللغة» توتراً في مدينة يافا حال دون اجراء اتصالات ودية بين اللجنة الصهيونية ووجهاء المدينة. كذلك حددت هذه الحادثة طريقة التصرف التي اصبح من المرجح ان يتبناها العرب في المجالس التمثيلية كما اكدت تعذر التوفيق بين حق العرب الفلسطينيين في تقرير المصير وبين تصريح بلفور والاهداف الصهيونية في فلسطين.

على أن الأمر كان مختلفاً في القدس، فقد استطاع الحاكم ستورس ان يعقد في مكتبه اجتماعاً بين أعضاء اللجنة ومجموعة من شخصيات المدينة البارزة. ولقد ضم هذا الاجتماع الأفراد الثلاثة البارزين من آل الحسيني:

«الذين يمكن اعتبارهم، بالنظر إلى المراكز الرسمية التي يشغلونها والاحترام العام الذي يتمتعون به لا في القدس وحدها بل في جميع الأجزاء الجنوبية من فلسطين، أكثر الزعماء العرب تمثيلاً للجزء المحتل من فلسطين»(٣٠).

وفي اليوم التالي قام وايزمان بزيارة لاسماعيل الحسيني حضرها ابن عمه المفتي كامل الحسيني. وحاول وايزمان ان يهدىء من مخاوف مضيفيه بشأن شتى المشكلات التي اثارت الفزع في صفوف الفلسطينيين، ثم:

«تطرق إلى المشكلة التي تعتبر اشد المشكلات اثارة لخواطر الزعماء العرب ألا وهي مشكلة الارض، فأكد لمضيفيه أن وضع اليد على اراضي الملاكين أو الفلاحين العرب أو اقصاءهم عن فلسطين بالوسائل الاقتصادية هو آخر ما يرغب فيه»(٣١).

وقال اورمسبي غور أن الوجيهين العربيين كانا متحفظين في اجوبتهما، ولكن تقريره اغفل على كل حال حادثة هامة تعتبر انعكاساً للمزاج السياسي في فلسطين. وكانت هذه

الحادثة قد جرت في القدس خلال زيارة اللجنة للمدينة المقدسة.

ولقد رويت هذه الحادثة بثلاثة اشكال. واوردتها صحيفة انباء فلسطين (The Palestine News) التي كان يصدرها البريطانيون في القاهرة في اواخر ايام الحرب بعددها الصادر في الخامس والعشرين من نيسان على النحو التالي:

«قام فريق من ادباء المسلمين في القدس ليلة الحادي عشر والثاني عشر من الشهر الحالي بتمثيل رواية «فتاة عدنان وشهامة العرب» في منتدى المدرسة الرشيدية، ومما لفت الأنظار خريطة كبيرة مجسمة لفلسطين نصبت في صدر المنتدى، وعكست عليها الانوار، وكتبت تحتها الأبيات التالية:

أرض فلسطين التي بوركت	ارض الميامين بني يعرب
يا خير ارض الله لا تيأسي	مالي عن حبك من مذهب
انا سنفديك بأرواحنا	ونرتقي مستصعب المركب
حتى ترى كالشمس في خدرها	تضيء من المشرق والمغرب(٣٢)

ولكن وايزمان قدم تقريراً أشد إثارة عن هذا الحادث الذي وقع في الحادي عشر من نيسان وذلك في تقرير قدمه الى اورمسبي غور وتناول الحالة السياسية في فلسطين. قال وايزمان:

« . . . ان كلا الخطيبين استخدم من الكلمات ما يمكن ان يعتبر ملائماً لو كانت هناك محاولة لاستبعاد عرب فلسطين والقضاء عليهم. فقد ناشدا الشعب ان يستيقظ من سباته وان يهب للدفاع عن ارضه وحريته واماكنه المقدسة في وجه أولئك الذين أتوا ليسلبوه كل شيء. وقد استحلف احد الخطيبين الحضور بأن لا يبيعوا شبراً واحداً من الأرض. ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل ان كلا الخطيبين اعتبر انه من المسلم به ان فلسطين كانت وستبقى عربية خالصة. والواقع انه عرضت في مكان بارز خريطة لفلسطين تحمل اسم (فلسطين العربية)، كما أن الخطب كانت تنتهي بعبارة (تحيا الأمة العربية)»(٣٣).

ولكي يقارن وايزمان بين موقف العرب وموقف اليهود من بريطانيا عمد إلى وصف وقائع اجتماع يهودي القيت فيه كلمات تدل على مدى الامتنان الذي يكنه اليهود للحكومة البريطانية لاصدارها وعد بلفور. واستخلص وايزمان من ذلك ان على البريطانيين ان يؤكدوا للعرب بوضوح المعنى والمدى اللذين ينطوي عليهما تصريح بلفور بالضبط وان

يبلغوهم ان من واجبهم ان يتصرفوا وفق هذا التصريح .

الصهيونيون سبب التوتر :

وبعد مرور اسبوع على التقرير الذي قدمه وايزمان الى اورمسبي غور، أجاب ستورس بتقرير مقابل صيغ بلهجة عنيفة ووصف فيه تقرير وايزمان بأنه مضلل كما القى اللوم على الصهيونيين للتوتر السائد في فلسطين(٣٤). وانتقد كذلك اللجنة الصهيونية لامتناعها عن اصدار بيانات عامة تزيل مخاوف السكان العرب في فلسطين(٣٥).

ووجد كلايتون بدوره ان من الضروري ان يبعث الى سايكس بمذكرة تحذيرية جاء فيها: «الى جانب الحقيقة التي تنطوي على ان تأييد الصهيونية هو السياسة المعلنة لحكومة صاحب الجلالة فانني شخصياً أعطف عليها، وانني مقتنع بأنها واحدة من اقوى اوراقنا، ولكني اعلم ان معرفتك بكل ما جرى في هذه المنطقة ستفضي بك الى موافقتي على ضرورة التزام جانب الحذر اذا كان لنا ان نصل بهذه السياسة الى نهاية ناجحة»(٣٦).

وقدم تقرير وضعته دائرة المخابرات في غضون الاسبوع الثالث من نيسان فكرة واضحة عن الزاوية التي ينظر منها رجل الشارع العادي الى الموضوع فقال:

«لم يكن الأثر السياسي الذي تركته زيارة اللجنة حتى الآن أثراً مرضياً. . . فالمسيحيون والمسلمون لا يحسون بأي تحسن في مشاعرهم تجاه مستقبلهم، ولا يزالون متخوفين من ان ينتقص من حقوقهم اذا تحقق ما يتوهمونه من المطامع الصهيونية، وانهم ماضون الآن قدماً في تشكيل لجان تتولى رعاية مصالحهم»(٣٧).

ولقد أيد وايزمان صحة مضمون هذا التقرير في رسالة بعث بها الى الزعيم الصهيوني الاميركي برانديس وجاء فيها:

«ان المجتمع غير اليهودي ولا سيما المجتمع العربي بمسلميه ومسيحييه على السواء، فسر التصريح على انه يعني اعتزام الحكومة البريطانية، اقامة حكومة يهودية في نهاية الحرب لتحرم العرب من اراضيهم وتخرجهم من البلاد. ونظروا الى اللجنة كما لو كانت رأس حربة للرأسماليين اليهود، ومن الطبيعي انهم استقبلونا بأكبر قدر من الشبهات»(٣٨).

أما بشأن السلطات البريطانية في المنطقة فقد قال وايزمان للقاضي برانديس «ان الموظفين بذلوا، قبل وصولنا، اقصى جهدهم للتخفيف من نقمة شباب العرب في كل من مصر وفلسطين»(٣٩).

وفي الثامن من أيار استدعى حاكم يافا العسكري اعيان الميناء العربي من سياسيين ومن رجال دين للاجتماع بوايزمان، وبعد ان اصغى المجتمعون إلى خطاب وايزمان أكد ناطق بلسان العرب للزعيم الصهيوني ان «كلا المسلمين والمسيحيين سيعاملون مواطنيهم اليهود كي يعامل بعضهم بعضاً ما دام اليهود يحترمون حقوق هاتين الديانتين مؤيدين بذلك الكلمات بالأفعال»(٤٠).

وانتهز الناطق العربي هذه الفرصة ليطالب بأن :

«تسمح بريطانيا العظمى لممثلي المسلمين والمسيحيين بحضور جلسات المجلس أو الهيئة التي ستتولى النظر في مشكلة هذه البلاد وحلها»(٤١).

وايزمان يعارض الديمقراطية بفلسطين :

وما كاد وايزمان يستمع إلى المطلب الفلسطيني حتى سارع إلى الكتابة الى بلفور محتجاً ضد تطبيق النظام الديمقراطي لانه «لا يأخذ بعين الاعتبار تفوق اليهود على العرب اعني الفارق النوعي الجوهري بين العرب واليهود»(٤٢). وفي نفس الرسالة قدم وايزمان مقترحات لاقامة جامعة عبرية وتسليم حائط المبكى لليهود ووضع ايديهم على اراضي الدولة والاراضي البور في فلسطين. ثم قدم الزعيم الصهيوني لوزير الخارجية البريطانية مشروعاً يرمي الى تطويق المعارضة العربية الفلسطينية للصهيونية وجاء في هذا المشروع المقترح :

«ان مشكلة علاقاتنا بالفلسطينيين العرب هي مشكلة اقتصادية لا سياسية. فمن وجهة النظر السياسية لا يكمن مركز الجاذبية العربية في فلسطين بل في الحجاز، او في الحقيقة، في المثلث الذي يقع بين مكة ودمشق وبغداد. وانني الآن على وشك القيام بزيارة الى نجل ملك الحجاز. وأرى ان ابلغه انه اذا كان يريد بناء مملكة عربية قوية ومزدهرة فاننا نحن اليهود وحدنا القادرون على مساعدته. ففي وسعنا ان نقدم له العون اللازم على شكل مال وطاقة تنظيمية. وسنكون جيرانه دون ان نشكل خطراً عليه لاننا لسنا دولة كبيرة ولا يمكن ان نصبح كذلك. فنحن وسطاء طبيعيون بين بريطانيا العظمى والحجاز»(٤٣).

وتم اجتماع وايزمان بفيصل في الرابع من حزيران ١٩١٨ في بلدة «وحيدة». ويستفاد من تقرير للكولونيل جويس ان الاجتماع كان ودياً ولكن فيصل لم يلزم نفسه بشيء. فقد ورد في هذا التقرير:

«صرح الشريف فيصل بأنه لا يستطيع بوصفه عربياً ان يبحث مستقبل فلسطين سواء كان ذلك بوصفها مستعمرة يهودية أو بوصفها بلداً تحت الحماية البريطانية. فهذه القضايا كانت قد اصبحت بالفعل موضوع قدر واسع من الدعاية الالمانية والتركية. ولا شك ان البدو غير المتعلمين سوف يسيئون فهمها إذا بحثت بصورة علنية. ولكن عندما تصبح الشؤون العربية فيما بعد، اكثر استقرارا وانتظاما يصبح في الامكان إثارتها»(٤٤).

الضغط على عرب فلسطين :

وأيد ناحوم سوكولوف في اجتماع ترأس فيه اللجنة السياسية الصهيونية بلندن في السادس عشر من آب ١٩١٨ الغاية المقصودة من اجراء الاتصالات الصهيونية مع العرب خارج فلسطين (القاهرة والحجاز) عندما قال ان الصهيونيين «يأملون بأن يقيموا أحسن العلاقات مع الممثلين الحقيقيين العرب خارج فلسطين وذلك حتى يؤثروا في العرب داخل فلسطين»(٤٥).

وزاد من اندفاع الجهود الصهيونية في هذا الاتجاه الاساليب التي اتبعتها القيادة الفلسطينية العربية. ففي الوقت الذي أصبح فيه التقاء السياسات البريطانية والأهداف الصهيونية أكثر وضوحاً، أخذ العرب الفلسطينيون يتطلعون إلى إعادة توازن القوى من خلال توثيق عرى تحالفهم مع الحركة العربية العامة(٤٦). ففي غضون النصف الثاني من أيار ١٩١٨ تبنى الفلسطينيون «العلم العربي» و«النشيد القومي العربي» (نشيد الثورة العربية).

ولم يكن مسعى الفلسطينيين لاثارة المزيد من الاهتمام والتأييد العربيين رد فعلهم الوحيد للأخطار التي يجابهونها. فقد حاولوا كذلك، مدفوعين بالتحدي الصهيوني، اقامة مؤسسات اجتماعية وثقافية بغية تحقيق اتحاد وانبعاث داخلي اوثق وهو امر اعتبروه ضرورياً جداً في ضوء احتمال تعرضهم للانعزال سياسياً والحيلولة دون اتصالهم بإخوانهم العرب.

وفي اثناء الاسبوع الاول من حزيران اوردت صحيفة أنباء فلسطين نبأ تشكيل عدة جمعيات في يافا هي «دار العلوم الاسلامية» و «جمعية الشبيبة اليافية» و«جمعية التعاون المسيحي» و«الجمعية الاهلية» كما نشرت الصحيفة نفسها في التاسع من شباط عام ١٩١٩ نبأ ظهور اول منظمة كشفية واول ناد نسائي عربي.

وبذلت جهود أخرى تهدف الى شل الجهود الصهيونية بوسائل عملية. ففي غضون

شهر حزيران أعلن احد الموظفين السياسيين البريطانيين في فلسطين انه تم في القدس :

« . . تشكيل جمعية مسيحية اسلامية ذات برنامج يهدف الى مقاومة السيطرة اليهودية والى مكافحة النفوذ اليهودي والحيلولة، بجميع الوسائل الممكنة، دون شراء اليهود للأراضي»(٤٧).

ومن بين الجمعيات السياسية الادبية الهامة الأخرى التي اعيد احياؤها في القدس خلال شهر حزيران ١٩١٨، النادي العربي برعاية الحاج أمين الحسيني (شقيق المفتي كامل الحسيني) وعدد من شباب القدس الذين كرسوا أنفسهم في الظاهر لبعث الحياة في اللغة والأدب العربيين(٤٨).

معارضة غير فعالة :

وفي أثناء شهر آب ١٩١٨ أعلن انه أعيد إحياء الجمعية الاسلامية التي سبق ان تأسست في القدس بغية الحفاظ على الممتلكات الاسلامية كما اعلن في تاريخ لاحق عن انشاء جمعية اخرى ذات صلة وثيقة بالحفاظ على الممتلكات الاسلامية اطلق عليها اسم (الاخاء والعفاف).

ومن ناحية أخرى تابع الفلسطينيون الاحتجاج والشكوى ضد السياسة البريطانية المتحيزة للصهيونية.

«فالمسيحيون يتذمرون من التحيز الذي تبديه السلطات نحو اليهود، والمسلمون يتذمرون، ضمن أسباب اخرى، من انه لم يكن للشريف من يمثله عند دخول القدس ولم يلعب دوراً في دخولها كما ان التجنيد في جيش فيصل لم يسمح به إلا في وقت متأخر فإننا (الانكليز) لم نسمح به إلا في وقت متأخر ولم نوافق عليه إلا لأنه كان علينا أن نرسل الأكثرية الساحقة من جيوشنا الى فرنسا(٤٩)».

ولكن هذه المعارضة لم تكن فعالة فقد عجز الوجهاء العرب كما عجزت الجمعيات الاسلامية المسيحية عن جعل المعارضة الفلسطينية للصهيونية ذات تأثير. وفي الرابع من آب كتب كلايتون يقول:

«استقالت الجمعية الاسلامية المسيحية في يافا بسبب فشلها التام في تحقيق هدفها في السهر على مصالح العرب المسلمين والمسيحيين. ويقوم الحاكم العسكري الآن باتخاذ

الخطوات اللازمة لتشكيل جمعية جديدة»(٥٠).

ولقد أدى هذا العجز عن احداث تغيير في الحالة من خلال احداث ضغط داخلي الى القيام بمحاولة فاشلة على صعيد عالمي تمثلت في نداء مسيحي اسلامي باسم عرب فلسطين نشر في صحيفة المستقبل العربية التي كانت تصدر في باريس. وسرعان ما بعث سايكس برسالة الى بيكو وصف فيها النداء المذكور بإنه ملتهب يدعو الى الثورة لانه يدعو الى اقامة صندوق حرب لمقاومة الصهيونية(٥١).

رأي أركـان حـرب الامبراطوريـة

إلا أن ذلك لا يعني ان المعارضة الفلسطينية العربية للسياسة البريطانية الصهيونية كانت فاشلة كلياً. فقد وجدت السلطات البريطانية المحلية صعوبة متصاعدة في تطبيق سياسة موالية للصهيونية في فلسطين وطلبت ان تمنح صلاحيات اكثر استقلالاً ومرونة في تنفيذ هذه السياسة(٥٢). وفي الوقت نفسه اتجهت القيادة البريطانية العسكرية العليا نحو تبني سياسة مبنية على مزيد من التصلب من حيث ضرورة الاحتفاظ بسيطرتها على فلسطين بالنظر الى اهميتها الاستراتيجية للدفاع عن قناة السويس. وكتب ل. س. امري من وزارة الحربية والذي اصبح فيما بعد وزيراً للمستعمرات مذكرة أكد فيها:

«ان فلسطين ومصر تسيران من الوجهة الاستراتيجية معاً. ففلسطين ليست حاجزاً ضرورياً أمام قناة السويس وحسب بل ان أي دفاع عن قضية فلسطين تكون قاعدته الرئيسية من الناحية الأخرى في القنطرة .. وفلسطين، جغرافياً وعملياً، تقع في قلب الامبراطورية البريطانية»(٥٣).

والواقع ان النتائج المنطقية لخط التفكير هذا، قد وضعت في مذكرة اعدها اركان الحرب في وزارة الحربية جاء فيها:

«ان اقامة دولة يهودية حاجزة في فلسطين، على الرغم من انها ستكون دولة ضعيفة بذاتها، هي من الناحية الاستراتيجية شيء مرغوب فيه بالنسبة لبريطانيا العظمى»(٥٤).

وحلت الذكرى السنوية الأولى لوعد بلفور لتكون بمثابة اختبار للمواقف والعلاقات الناشئة بين اضلاع مثلث الصراع الفلسطيني الثلاثي. فعندما سمع العرب ان الصهيونيين يعتزمون الاحتفال بهذه الذكرى هددوا بالقيام بمسيرات معاكسة. وهنا هدد حاكم القدس

العسكري بإلقاء القبض على اي عربي يجرؤ على الاقدام على ذلك ووضعه في السجن. ونصح ستورس الصهيونيين بأن يوقفوا مسيراتهم قبل الوصول الى باب يافا حيث تتجمع اعداد كبيرة من العرب يومياً. ولكن مسيرتين من الطلاب اهملت هذه التعليمات فاصطدمتا باثنين من العرب فصدر الحكم على كل منهما بالسجن اربعة اشهر وهو حكم اعتبره ستورس صارماً. وكانت نتيجة ذلك قيام اول تظاهرة عربية بقيادة موسى كاظم الحسيني رئيس بلدية القدس الذي قدم احتجاجات خطية الى الحكومة. وقدم احتجاجاً آخر الى الحكومة الاميركية(٥٥).

وما أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها حتى لاحظ كلايتون وجود بذور تحول في أساليب الفلسطينيين العرب في معارضة الصهيونية فقد «أخذ العداء المسيحي والاسلامي للصهيونية يظهر بشكل أوضح منذ قيام الهدنة»(٥٦)، لأسباب عديدة من أهمها اقتراب موعد انعقاد مؤتمر السلام.

ولمناسبة حلول الذكرى السنوية الأولى لانتصار اللنبي على الأتراك قدمت الجمعية الاسلامية المسيحية في يافا مذكرة الى الحاكم العسكري كانت بمثابة دليل على دقة تقرير كلايتون وانعكست فيها ردود الفعل الفلسطينية السائدة ضد الصهيونية والحجج المعاكسة لتصريح بلفور. وبدأت المذكرة بامتداح بريطانيا العظمى مؤكدة ثقة الجمعية بتصريح مستر لويد جورج فيما يتعلق بمنح العرب الحكم الذاتي، وثقتها بالرئيس ولسون من زاوية اعلانه حق تقرير المصير. ثم انتقلت الى التأكيد على ان فلسطين بلد عربي بكل ما في الكلمة من معنى داحضة الحجج الصهيونية التي يحتمل التذرع بها.

«فإذا كانت الذريعة هي البلاد فلا بد ان نسارع الى القول بأن البلاد عربية وكذلك سكانها. وإذا كان العدد هو الذريعة فينبغي ان لا ننسى ان العرب يزيدون على اليهود بثلاثين ضعفاً. أما إذا كان التذرع بأكثرية المساحة الأرضية فلا بد من لفت نظر اليهود الى ان ما يمتلكونه من فلسطين لا يزيد بالنسبة لما يمتلكه المسلمون والمسيحيون على $\frac{١}{٥٠}$ فهل الذريعة هي اللغة؟ انه لمن المعروف جيداً ان لغة هذه البلاد هي العربية الخالصة»(٥٧).

وقالت الجمعية ان الحجج التي يتوسل بها الصهيونيون للمطالبة بفلسطين تنطوي على تبرير غير عملي لرسم خريطة جديدة كلياً للعالم كله. ومضت الجمعية تقول في مذكرتها انه مهما يكن الأمر فان العرب الفلسطينيين:

« لا يمكن أن يوافقوا على اخضاعهم للاستعباد بل بالعكس فاننا ستتمسك بحقوقنا الوطنية حتى الموت. فنحن العرب غير معادين للآخرين ولا يخطر ببالنا على الاطلاق طرد العناصر الأخرى من بلادنا، ولكننا لا نستطيع الموافقة على ان يحرمنا ضيوفنا اليهود من حقوقنا السياسية، ولسنا نرغب في اعطاء حقوق المواطنية للسكان المحليين الذين يفدون من أماكن خارج بلدنا.

« اننا نرفض رؤية ملايين اليهود يتدفقون على فلسطين لانهم سيستوعبون ويحتكرون كل منتجات فلسطين، اذ ينبغي ان لا يغيب عن الدولة ان اليهودي لا يحب إلا اليهودي ولا يساعد إلا اليهودي».

« ولا شك ان مثل هذه الاعمال ستكون سبباً في اندلاع لهيب ثورات متتابعة تدمر البلاد وتلحق البؤس بالسكان.. واذن فينبغي ان يعرف اليهود ان فلسطين لنا ولن نتخلى عنها. وعليهم كذلك ان يعرفوا اننا في فلسطين ولدنا وفيها نأمل ان نموت وان تدفن جثثنا في تربتها المقدسة»(٥٨).

ولقد صيغت المذكرة بلهجة ودية بالنسبة لبريطانيا وبلهجة متطرفة بالنسبة للصهيونيين وذلك انسجاماً مع السياسة العامة التي انتهجها الوجهاء السياسون من العرب في فلسطين. ومهما يكن من امر فليس من المستبعد ان يكون موقف اعضاء الجمعية الاسلامية المسيحية في يافا أكثر وداً نحو البريطانيين من مواقف الجمعيات المماثلة في المدن الأخرى. وذلك بالنظر إلى المصالح التجارية والحمضية في يافا والتي كانت تعتمد إلى حد كبير على حسن نية الحكومة وسياساتها. وثمة عنصر آخر يمكن أن يكون قد اسهم في موقف جمعية يافا، ذلك هو النزعة الودية نسبياً لدى الكولونيل هبارد حاكم يافا العسكري الذي كان يميل الى انتهاج سياسة بريطانية أكثر توازنا بين العرب والصهيونيين في فلسطين(٥٩).

ولاحظ سايكس في اعقاب زيارة قام بها الى القدس ان ثمة شكويين عربيتين :

(١) ان الصهيونيين عدوانيون مستفزون، وانهم يهددون العرب بحكومة يهودية.
(٢) ان الحكومة البريطانية المحلية تتصرف على نحو يجعل العرب الفلسطينيين يشعرون بأنهم سيخضعون عاجلاً او آجلاً للحكم اليهودي(٦٠).

ولكنه لاحظ ايضاً وجود :

«شعور لدى العرب بأن التصريح لا يعني الشيء الكثير وانه يكفيهم ان يثيروا الاضطراب لكي يوضع على الرف ويبطل مفعوله» .

ومهما يكن من أمر فان سايكس ابدى لاورمسبي غور خوفاً حقيقياً من ان «تتصور العناصر غير اليهودية ان خير وسيلة للتعبير عن مشاعرها هي استخدام العنف»(٦١)

وحدة سوريا وفلسطين

لم يكن اللجوء الى العنف المتعمد هو المشكلة الوحيدة التي كانت تواجه الموظفين البريطانيين في فلسطين . فقد أثار انزعاج السلطات البريطانية مناداة الفلسطينيين بوحدة سوريا وفلسطين . ففي غضون النصف الثاني من تشرين الثاني وزعت ثماني عشرة نسخة من التصريح الانغلو- فرنسي الصادر في السابع من تشرين الثاني والذي جاء فيه ان هدف الدول الحليفة هو تحرير الشعوب التي اضطهدها الاتراك وان فرنسا وبريطانيا لن تفرضا على هذه الشعوب أي نوع من الحكم والادارة الا برضى الأهلين واختيارهم . وفي اليوم التالي قام وفد من المسلمين والمسيحيين بزيارة ستورس . وبعد ان أبدى اعضاء الوفد امتنانهم العميق للتصريح المذكور قدموا لستورس رسمياً الاسئلة التالية :

أ ـ هل تشكل فلسطين جزءا من سوريا؟
ب ـ إذا كان الجواب بالايجاب فهل تقع فلسطين في عداد الاقطار المحررة المدعوة لتقرير مستقبلها الخاص .
ج ـ اذا لم يكن الأمر كذلك فلماذا أرسلت اليهم نسخ من التصريح أصلاً؟(٦٢) .

وتحدث ستورس كذلك في تقريره بشأن هذه الحادثة عن التضامن بين المسلمين والمسيحيين من العرب وعن موقفهم الموحد بشأن «قبولهم التصريح الانغلو- فرنسي ورغبتهم في اقامة حكومة شريفية» كما لاحظ ان العداء المشترك للصهيونية قد عزز التضامن بين مسلمي فلسطين ومسيحييهم(٦٣) . وبعد ايام كتب ستورس يقول انه بالاضافة الى تشكيل جمعية مسيحية اسلامية عربية في القدس :

«ابلغت عن عقد اجتماعات يومية في مدرسة «مقتطف الدروس» التي بدل اسمها الآن ليصبح «النادي العربي» ولقد اتخذ في هذه الاجتماعات قراران رئيسيان : ١ ـ توقيع عريضة وارسالها الى القوميسرية الفرنسية يلتمس فيها الموقعون ان تصبح فلسطين رسمياً مشمولة في سوريا ٢ ـ ينادى بالشريف في الثاني والعشرين من الشهر خليفة»(٦٤) .

وسارع ستورس الى استدعاء المفتي ومطالبته باقناع انصاره بالامتناع عن تبني أيّ من القرارين المذكورين سابقا. كذلك تصدى ستورس لاحباط التنظيم الجديد من خلال مطالبة رئيس البلدية وغيره من الشخصيات البارزة من اعضاء الجمعية العربية الاسلامية والمسيحية ممن يشغلون مناصب ادارية:

«بأن يختاروا واحداً من الطريقين الاداري او السياسي لأن الجمع بين الاثنين اصبح الآن غير ملائم. وبدا رئيس البلدية ممتناً لهذا التحذير الذي منحه الفرصة ليقول انه يعتقد انه سيكون اكثر فائدة لبلاده وهو في منصب رئيس البلدية»(٦٥).

العوامل الاقتصادية والطبقية

ان هذه الحادثة وما تلاها من وقائع المؤتمر العربي الفلسطيني تطرح التأثيرات الاقتصادية والطبقية في موقف الفلسطينيين العرب من الصهيونية والحكم البريطاني. لقد رأينا كيف ان المعارضة العربية الفلسطينية للصهيونية كادت تشمل مختلف طبقات الشعب وفئاته وهذا ما يؤكده الجنرال كلايتون نفسه في احد تقاريره عن الحالة السياسية في فلسطين وتأثير العوامل الاقتصادية في المعارضة العربية للصهيونية حيث جاء:

«إن الاكثرية الساحقة من العرب الذين احرزوا على نحو او اخر قدراً من التعليم ينظرون بخوف وكراهية الى اي احتمال لامتداد الصهيونية. فالملاك الصغير بوسائله القديمة غير المتطورة في الحراثة يدرك انه لا يستطيع الحفاظ على مركزه في وجه العلم والحيوية اليهوديتين، والتاجر ينظر بتوجس الى اليوم الذي من المحتم ان تدفع به المشاريع اليهودية، تساندها الاموال اليهودية واساليب العمل العصرية، الى خارج السوق، والافندي الصغير الذي كان مطمحه الاول على الدوام هو الظفر بوظيفة حكومية، يجد أمامه ادارة سيسيطر فيها اليهودي الأعلى ثقافة والأحدّ ذكاء الامر الذي يقلل من فرصه وفرص طبقته للحصول على الوظيفة الرسمية الدائمة... هذه الطبقات التي اشرت اليها أعلاه، لن تترك فرصة تسنح دون ان تبث في صفوف الفلاحين شعوراً عدائياً نحو اليهود. وهي على اتصال اوثق من اتصال أية طبقة اخرى بالطبقات الدنيا من المجتمع، وليس من العسير عليها ان تقنع السكان الجهلة ذوي الانقياد السهل بأن الصهيونية ليست سوى لفظ آخر لمعنى السطو على اراضيهم وحتى وسائل عيشهم»(٦٦). اما اورمسبي غور فقد رأى «ان المشكلة الرئيسية هي المنافسة بين العمال العرب والعمال اليهود»(٦٧).

بيد انه على الرغم من ان الصراع مع الصهيونية وحد بين مصلحة جميع طبقات الشعب العربي الفلسطيني نظراً للطابع الوطني والقومي لهذا الصراع فإن الاحتلال البريطاني عطل تحرك بعض الطبقات إبان فترة الانتداب البريطاني نظراً لرغبة طبقة الوجهاء والملاكين في التقرب من الحكومة حرصاً منها على مصالحها ومواقعها. وعلى الرغم من وضوح التحالف البريطاني الصهيوني استمرت طبقة الوجهاء التقليديين في لعب دور الوسيط بين الحاكم والمحكوم وبالتالي عجزت هذه الطبقة عن قيادة الشعب في حالات النزاع مع الحكومة القائمة. وهذا ما دفع اورمسبي غور الى القول في صيف ١٩١٨ :

«ان طبقة الافندية المسلمين التي لا تجمعها رابطة سياسية حقيقية ،والتي لا تتمتع بأي قوة منظمة ، منقسمة على نفسها بين موال للاتراك وموال للبريطانيين وهي على كل حال لا تجرؤ على الاقدام على أي عمل من شأنه ان يزعج ادارة عسكرية بريطانية تساندها الخوذ البريطانية»(٦٨) .

المؤتمر العربي الفلسطيني

وفي المؤتمر العربي الفلسطيني الذي انعقد في القدس خلال الفترة الواقعة بين السابع والعشرين من كانون الثاني والعاشر من شباط ١٩١٩ ، ظهر الصراع بين الوجهاء واصحاب الاملاك المتقدمين في السن والذين التزموا الهدوء وبين الاعضاء الفعالين من الشباب المثقفين المنتسبين الى الطبقة الوسطى. وكان هذا المؤتمر الذي تألف من مندوبين عن الجمعيات الاسلامية المسيحية في مختلف انحاء البلاد قد دعي للبحث في أمر عرض المطالب الفلسطينية بشأن تقرير المصير على مؤتمر السلام ،والاعراب عن مخاوف العرب الفلسطينيين من الصهيونية ومن احتمال السيطرة اليهودية .

ويستفاد من تقرير اعده الكابتن كامب من دائرة الاستخبارات البريطانية عن المؤتمر أن ١١ مندوباً من بين مجموع المندوبين البالغ عددهم ٢٧ مندوباً كانوا موالين لبريطانيا ، وكان اثنان منهم مواليين لفرنسا واثنان آخران ليست لهما ارتباطات سياسية معينة. اما الباقون وعددهم ١٢ مندوباً فقد كانوا من أنصار الوحدة العربية(٦٩) . وتولى رئاسة المؤتمر عارف الداودي الدجاني وهيمن عليه وجهاء المدن الفلسطينية الذين كان معظمهم ينتمون الى طبقة الملاكين وذوي المصالح السياسية والاقتصادية الراسخة. وكان ابرز اعضاء جبهة انصار الوحدة العربية السيدين عزت دروزة ويوسف العيسى رئيس تحرير جريدة

فلسطين، وكلاهما ينتمي الى الطبقة الوسطى المتعلمة من سكان المدن.

وتعرض المؤتمر منذ البداية الى ضغط قوي من الخارج. «فقد كان نفوذ وتأثير بعض اعضاء المنتدى الأدبي والنادي العربي المناصرين للوحدة العربية قوياً جداً»(٧٠). ولكن الصراع داخل المؤتمر كان على أشده بين الكتلة الموالية لبريطانيا والكتلة الموالية للوحدة العربية، كما كان هذا الانقسام يعود في أصوله الى عوامل اقتصادية بقدر ما يعود الى الفوارق بين مفاهيم الأجيال المختلفة.

«كان الشباب المسلمون اعضاء مختلف الجمعيات العربية يحثون على المطالبة بفلسطين مستقلة تشكل جزءا من دولة عربية كبيرة مستقلة. اما المسلمون القرويون والمسلمون الذين يمتلكون املاكاً واسعة فجميعهم تقريباً موالون للبريطانيين».

وأكد الكابتن كامب ان الخوف من الصهيونية كان:

«السبب الرئيسي الذي يدفع الشباب من العناصر الموالية للوحدة العربية نحو العطف على الاتحاد مع سوريا العربية المستقلة. فبانضمام فلسطين الى سوريا العربية يصبح في وسع شعب،فلسطين بمساعدة العرب الآخرين، ان يقاوموا بنجاح الهجرة اليهودية».

وهنا تكمن ورطة العرب الفلسطينيين الموالين لبريطانيا: فمع انهم كانوا معارضين للصهيونية (تحدث التقرير عن «المعارضة العنيدة لجميع العناصر غير اليهودية في فلسطين للصهيونية») فقد كانوا عملياً يقدمون المساعدة للصهيونية من خلال الولاء لبريطانيا الموالية للصهيونية، ومن خلال تأييدهم لفصل فلسطين عن سوريا.

اقدام الشباب واحجام الشيوخ

وفي ضوء هذه الورطة لم يكن مما يثير الدهشة ان يكتب كامب في تقريره:

«لقد سمعت شخصياً الكثيرين من العرب من مسيحيين ومسلمين يصرحون علناً بأنهم سيقاومون بالقوة اية محاولة لاقامة دولة يهودية او ما يماثل ذلك في هذه البلاد. فالجيل الصاعد من أنصار الوحدة العربية والذين يبدون جرأة بالغة في أحاديثهم، يقولون ذلك في كل مناسبة. ولكن هنالك عناصر اخرى لا تبدي مثل هذه الجرأة، ولعلها اشد صدقاً وصراحة، تعلن انها ستبيع ممتلكاتها وتهاجر من البلاد. ولست اظن انه من الحكمة

الاستخفاف بتهديدات الشباب العرب ، فقد تحدث قدراً كبيراً من المتاعب من خلال اثارة روح التعصب الكامنة في نفوس القرويين فضلاً عن انه من المؤكد انهم سيلقون التأييد من العرب المقيمين خارج فلسطين» .

والحقيقة ان نفوذ هؤلاء الشباب الصاعدين هو الذي حمل المؤتمر على اتخاذ بعض القرارات التي صيغت بلهجة قوية . واعلن المؤتمرون ان قرارتهم تلك تعبر عن أماني ومطالب شعب «سوريا الجنوبية المعروفة باسم فلسطين» ، وابلغوا مضمونها لمؤتمر السلام «ونحن مقتنعون بأنه سيعترف بحقوقنا ويستجيب لمطالبنا»(٧١) .

وبدأت التمنيات والمطالب الفلسطينية المقدمة الى مؤتمر السلام بالاشارة الى ان «تصريح الرئيس ولسون يعتبر واحداً من المبادىء الجوهرية التي اليها يستند مؤتمر السلام في تأمين الحرية للشعوب التي تحررت من النير التركي وفي الغاء جميع المعاهدات السرية التي عقدت في اثناء الحرب ووعد الشعوب باختيار نوع الحكومة التي يرغبونها لانفسهم»(٧٢) .

والحقيقة ان هذه القرارات تستحق ان تسرد بكاملها :

١ ـ اننا نعتبر فلسطين جزءاً من سوريا العربية إذ لم يحدث قط ان انفصلت عنها في أي وقت من الأوقات . ونحن مرتبطون بها بروابط قومية ودينية ولغوية وطبيعة واقتصادية وجغرافية .

٢ ـ ان التصريح الذي ادلى به المسيو بيكو وزير خارجية فرنسا وقال فيه ان لفرنسا حقوقاً في بلدنا مبنية على رغائب ومطامح السكان ليس له اساس ، ونحن نرفض جميع التصريحات التي ادلى بها في الخطاب الذي القاه في التاسع والعشرين من كانون الأول ١٩١٨ ، لأن تمنياتنا ومطامحنا تنحصر في الوحدة العربية والاستقلال التام .

٣ ـ بناء على ما تقدم ، اننا نعرب عن رغبتنا بأن لا تنفصل سوريا الجنوبية او فلسطين عن حكومة سوريا العربية المستقلة وان تكون متحررة من جميع انواع النفوذ والحماية الاجنبيتين .

٤ ـ وفقاً للمبدأ الذي وضعه الرئيس ولسون واقرته معظم الدول الكبرى نعتبر كل وعد صدر او معاهدة عقدت فيها يتعلق ببلادنا ومستقبلها لاغيين وباطلين . ونحن نرفضها .

٥ ـ ان حكومة هذه البلاد ستطلب العون من صديقتها بريطانيا العظمى اذا دعت الحاجة الى إحداث تحسين او تطوير في البلاد شريطة ان لا ينتقص ذلك من استقلالها او يؤثر في

الوحدة العربية بأي شكل من الأشكال، كما انها ستبقى على علاقات طيبة مع الدول الحليفة(٧٣).

وقرر المؤتمر الفلسطيني كذلك ايفاد السادة ابراهيم عبد الهادي وحيدر عبد الهادي والشيخ راغب ابو السعود وجبران قزما وعزت دروزة الى دمشق «لابلاغ الوطنيين العرب هناك مضمون القرار الذي يدعو الى تسمية فلسطين سوريا الجنوبية وتوحيدها مع سوريا الشمالية». وسمى وفد آخر من ثلاثة اعضاء ليكون اعضاؤه بمثابة «ممثلين محتملين للذهاب الى باريس» وقدمت قرارات المؤتمر كتابة الى ممثلي بريطانيا وفرنسا وايطاليا واسبانيا في القدس. وكان من الواضح ان العناصر الشابة تمكنت بمساعدة الضغط الفلسطيني من الخارج من السيطرة على المؤتمر. ووافق المؤتمر، قبل ان يقرر رفع جلساته، على ان يعود الى الاجتماع بعد ثلاثة اشهر في نابلس ولكنه لم ينجح في انتخاب لجنة تنفيذية.

وأيدت ملاحظات كامب هذه دراسة اعدها وايزمن معتمداً فيها على تقارير وضعتها دائرة استخبارات صهيونية ناشئة. واضافت هذه الدراسة التي حولها سايكس الى وزارة الخارجية ابعاداً جديدة الى احتمالات اقدام العرب على عمل ما ضد الصهيونية.

«ان الجانب الاكبر من المفكرين والمحرضين من الشباب موالون للفكرة العربية ويرون ضم فلسطين ضماً تاماً الى الشريف...

«أما الطبقات المعتدلة والوجهاء المتقدمون في السن فيؤثرون الحصول على حكم ذاتي محلي. فهم أشد ميلاً الى الواقعية المادية منهم الى المثالية. ومع انهم معادون لليهود الا انهم لن يقفوا موقفاً معارضاً للتفاهم معهم. أما الشباب فانهم يحاربون هؤلاء الوجهاء بشدة(٧٤)».

وكشف وايزمان النقاب في «ملحق بمذكرة تتعلق بالقضية العربية» مؤرخ في الثامن من كانون الثاني ١٩١٩ عن ان المعتدلين والمتقدمين في السن من مسلمين ومسيحيين ممن ينتمون الى الأسر الغنية ذات النفوذ في فلسطين، ولا سيما في القدس، قد نظموا صفوفهم داخل ما أسموه «الجمعية الاسلامية المسيحية». ودعت هذه الجمعية الى «ضرورة ارسال وفود الى اوروبا تطالب بأن تكون (فلسطين للفلسطينيين)، وقالت انه من المستحيل ان يقبل المسيحيون وكذلك اليهود حكم الشريف على فلسطين كما يطالب بذلك الشباب»(٧٥).

بداية الاحتكاك العربي- البريطاني

غير انه بازدياد حدة التحريض العربي وتصاعده* أصبحت العلاقات بين العرب الفلسطينيين والادارة البريطانية في تزعزع متصاعد. وكان امتناع الحكومة البريطانية عن الاستجابة لمطالب العرب الفلسطينيين بشأن تقرير المصير ولنداءاتهم كفيلاً بحدوث احتكاك بين الجانبين. ولقد اوضح بلفور وزير الخارجية البريطانية في رسالة له الى رئيس الوزراء واحداً من الاسباب التي دعت الى الامتناع عن اعطاء الفلسطينيين حق تقرير المصير. ولم يكن في وسع العرائض العربية ان تغير هذا الوضع. وفيما يلي جانب من الرسالة المذكورة:

«ان النقطة الضعيفة في مركزنا بالطبع هي اننا، فيما يتعلق بفلسطين، نمتنع عامدين، ونحن على صواب في ذلك، عن قبول مبدأ تقرير المصير. ذلك انه إذا استشير السكان الحاليون فانهم دون شك سيصوتون ضد اليهود. اما مبرر سياستنا هذه فهو اننا نعتبر فلسطين قضية استثنائية بشكل مطلق، وان مشكلة اليهود خارج فلسطين مشكلة ذات اهمية عالمية»(٧٦).

وبينما كان الوقت يمتد بمؤتمر السلام، كان الفلسطينيون يزدادون قلقاً: فقد كانت البيانات الصهيونية المعلنة تؤيد اسوأ ما لديهم من مخاوف:

وفي نهاية شهر آذار كتب كلايتون يقول:

«لقد ازدادت الدعاية المناوئة للصهيونية ازدياداً كبيراً في فلسطين في الآونة الاخيرة وتزداد الآن حدة المشاعر لدى المسلمين والمسيحيين الذين يخشون ان يمنح اليهود في التسوية السلمية امتيازات سياسية واقتصادية. وتفاقمت هذه المشاعر بسبب الاعمال والتصريحات الطائشة الصادرة من اليهود انفسهم وبسبب البيانات التي ينشرها كبار الزعماء الصهيونيون في الصحف الانكليزية والأمريكية وغيرها. وهنالك اسباب قوية تدعو الى الاعتقاد بأنه يجري الآن الاعداد للقيام باضطرابات مناوئة لليهود في كل من القدس ويافا وغيرهما. ومع انه يجري الآن اتخاذ احتياطات وقائية الا ان اصدار اعلان ينص على ان اليهود سيمنحون

---

* زاد من حدة التوتر وجود كتائب يهودية تابعة للجيش البريطاني في فلسطين. للحصول على معلومات كاملة عن الوحدات اليهودية في الجيش البريطاني اثناء الحرب العالمية الأولى انظر وزارة الحربية (البريطانية) ١٥٣٩/٣٢.

أية امتيازات خاصة قد يولد الانفجار»(٧٧) .

وفي الثامن والعشرين من آذار طلبت الجمعية الاسلامية المسيحية في القدس السماح لها بالدعوة الى القيام بتظاهرة في اليوم الأول من نيسان احتجاجاً على البرنامج الصهيوني . وعندما رفض المسؤولون هذا الطلب اذعن المفتي ونواب القدس السابقون الثلاثة للأمر ولكن احتياطات واسعة اتخذت لمواجهة احتمال نشوب الاضطرابات في المدن وفي المستعمرات اليهودية المعرضة للهجوم وذلك خوفاً من ان تتصرف العناصر العربية الأشد تطرفاً بدافع من نفسها . وفي اواخر شهر نيسان ابلغت المنظمة الصهيونية وزارة الخارجية انها منزعجة من آخر المعلومات التي وردت اليها من فلسطين والتي تدل على ان العرب يتأهبون للقيام باضطرابات وانهم يتسلحون سراً (٧٨) .

وزاد الوضع سوءاً في فلسطين ما ساد جو مؤتمر السلام في باريس من فوضى فيما يتعلق بمستقبل الشرق الأدنى . ففي شهر نيسان قرر مؤتمر السلام ايفاد لجنة تمثل الحلفاء الى كل من سوريا وفلسطين والعراق للتأكد من مشاعر شعوب هذه الاقطار فيما يتعلق بمستقبل ادارة شؤونها . ولكن سفر اللجنة تأخر بسبب تلكؤ الفرنسيين في تسمية ممثليهم في اللجنة . وكان البريطانيون بدورهم يخشون ان يسفر ما تقوم به اللجنة من تحقيقات عن نتائج مدمرة لخططهم وسياساتهم في فلسطين.

فرض البرنامج الصهيوني بالقوة

ولقد أيد مخاوف لندن تأييدا مطلقا تقرير كبير اداريي فلسطين بشأن النتائج المرجحة لتحقيقات اللجنة الحليفة وبشأن الحالة المتفجرة الكامنة في فلسطين اذ جاء فيه :

«ليس من شك، في ضوء الحالة الراهنة من المشاعر السياسية، في انه اذا كان برنامج الصهيونية ضرورة ملازمة للانتداب فان شعب فلسطين سيؤثر الولايات المتحدة او فرنسا لتكون الدولة المنتدبة او لتكون الدولة الحامية لادارة عربية .

« . . فالفلسطينيون يرغبون في ان تكون بلادهم لهم وسيقاومون اية هجرة يهودية عامة مهما كانت تدريجية، بكل ما لديهم من وسائل بما في ذلك العنف . . ولقد تركت الحوادث الاخيرة في مصر انطباعا قويا في نفوس شعب فلسطين.

«ونتيجة ذلك ان الانطباع بان بريطانيا هي المتبنية الرئيسية للبرنامج الصهيوني

سيحول دون اية مطالبة محلية بانتداب بريطاني، وليس في وسع اية دولة منتدبة ان تنفذ البرنامج الصهيوني الا بالقوة»(٧٩).

اما كلايتون فقد اعتبر هذا التقرير بمثابة «تقدير صادق للحالة. فالخوف من الصهيونية وفقدان الثقة في اهدافها ينمو يوميا وليس في وسع الاقناع او الدعاية ان يزيلا ذلك»(٨٠). واضاف كلايتون يقول «كان هناك اخيرا خوف من قيام اضطرابات خطيرة يشترك فيها سكان الضفة الشرقية من الأردن».

تخاذل فيصل

وحاول فيصل وفقا لاتفاقية فيصل ـ وايزمان المعقودة في شهر كانون الثاني ١٩١٩* ان يوفق بين العرب الفلسطينيين والسياسة الصهيونية. ففي الحادي عشر من ايار ١٩١٩ كتب كلايتون يقول:

«ابلغ فيصل وفدا عربيا في دمشق انه لا يرى ان الاهداف العربية والصهيونية غير قابلة للالتقاء وبدا ان الوفد قد اخذ انطباعا طيبا عن ذلك. وسيدعى اعضاء اللجنة الصهيونية لزيارة فيصل الذي قد يقوم بدعوة بضعة زعماء بارزين من العرب الفلسطينيين للحضور بقصد التوفيق بين الجانبين»(٨١).

كان وايزمان يدرك تماما حتمية فشل اية جهود تبذل للتوفيق بين اليهود وبين الاكثرية الساحقة من عرب فلسطين(٨٢)، فقد كان مصمما على تحويل فلسطين الى دولة يهودية صهيونية. وعندما عارض هربرت صموئيل تصريحا ادلى به اسرائيل زانغويل وجاء فيه انه ينبغي تهجير عرب فلسطين الى سوريا لكي تنتقل اراضيهم لليهود، اجابه وايزمان بصراحة داعيا الى حتمية استعمال العنف لفرض البرنامج الصهيوني في فلسطين:

«هل يطبق البريطانيون مبدأ تقرير المصير في فلسطين التي تبعد خمس ساعات عن مصر او لا يطبقونه؟ اذا لم يطبقوه فلا بد من فرض البرنامج الصهيوني فرضا.. نعم اولا: تلك هي المسألة»(٨٣).

---

* من أجل الاطلاع على الاتفاقية وعلى التحفظ الخطي الذي كتبه فيصل فيما يتعلق باعتبار الاتفاق لاغياً اذا لم ينفذ بحذافيره اي اذا لم يحصل العرب على الاستقلال، راجع اوراق سانت انطوني الخاصة، مكتبة الشرق الأوسط ـ اكسفورد.

وعلى الاثر طالب وايزمان بامتيازات للصهاينة ويمنح اليهود اراضي الدولة لكي يوطن فيها ما بين اربعين الفا وخمسين الفا من المهاجرين سنويا. فقد حظيت وجهة نظر وايزمان ومطالبه بتأييد اورمسبي غور على الفور. وكان هذا الاستعماري البريطاني يميل الى تشجيع العناصر غير الاسلامية من اوروبية ويهودية على استعمار المنطقة في ضوء الافتراض بان الاسلام هو الخطر الرئيسي كما كان يميل الى تشجيع فكرة انشاء دويلات طائفية لتفتيت وحدة العرب وبعثرة قواهم امام اوروبا والصهيونية. ولما كانت المنظمة الصهيونية قد امنت العنصر البشري المطلوب للمراكز الامامية في فلسطين وذلك في حرب اوروبا ضد الاسلام:

«فان من مصلحة انكلترا ان تساعد المنظمة الصهيونية واية منظمة اخرى قد تتعاون معها في التطوير العملي للاستعمار اليهودي في فلسطين»(٨٤).

وهكذا نرى لماذا كانت الصهيونية وسياسة تصريح بلفور القائمة على اساس اعطاء اليهود وطنا قوميا في فلسطين، امرا مفروغا منه في نظر اورمبسي غور وغيره من الشخصيات السياسية البريطانية الرئيسية.

مؤتمر السلم في باريس

افتتح مؤتمر السلم في باريس في مطلع كانون الثاني من عام ١٩١٩ ليرسم خارطة جديدة للعالم وليرسي الاسس الجديدة للعلاقات الدولية بعد الحرب وسط جو من التفاؤل بقرب موعد تنفيذ مبدأ تقرير المصير للشعوب. الا انه سرعان ما تبددت الاوهام عندما كشفت الدول الاستعمارية، وفي طليعتها فرنسا وبريطانيا عن اطماعها وخططها في ضم ممتلكات استعمارية جديدة وضم مساحات شاسعة من الاراضي التي كانت واقعة تحت سيطرة المانيا وتركيا.

ولقد كان واضحا ان الصهيونيين يتمتعون بمركز قوي جدا في المؤتمر يؤهلهم لتحقيق مآربهم كافة. ذلك أن بريطانيا كانت ملتزمة بتبني فكرة إنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين كما ان الرئيس الاميركي ولسون كان على استعداد مسبق للتخلي عن تنفيذ حق تقرير المصير فيما يتعلق بفلسطين نظرا لتأثير برانديس فيه ولاهمية اليهود في السياسة الداخلية في الولايات المتحدة، كما ان فرنسا وبقية الدول الرئيسية في المؤتمر ولا سيما

جنوب افريقيا (الجنرال سمطس) كانت ملتزمة بتأييد الصهيونية.



مطالب الحركة الصهيونية ومطامعها

اما الحركة الصهيونية فقد كانت تعمل وفق خطة مدروسة واضحة المعالم: «وصاية بريطانية قائمة على اساس تنفيذ وعد بلفور على ان يشمل امتداد فلسطين الجغرافي ضواحي صيدا ومنابع الليطاني والاردن وحوران وشرق الاردن والعقبة والعريش واجزاء من شبه جزيرة سيناء**».

ولم يكن من السهل ان يضم الحلفاء البلدان المرشحة للفوز بالاستقلال دون التقيد الشكليّ بمبدأ تقرير المصير والاعتراف بحق الشعوب في الاستقلال فكانت بدعة الانتداب. وقد وضعت بموجب هذه البدعة الجديدة المستعمرات والاراضي التي خسرها الالمان والاتراك في الحرب والتي يعجز سكانها عن ممارسة الحكم الذاتي في بلادهم وديعة لدى المدنية، اي النظام الدولي الجديد في عصبة الامم الواقع تحت سيطرة الدول الغربية الاستعمارية. ووجد الحلفاء ان تحقيق هذه المبادىء يتطلب تسليم وصاية هذه الشعوب الى احدى الدول الاستعمارية لتحكمها باسم عصبة الامم بوصفها «منتدبة» عن هذه العصبة. وقد قسمت الانتدابات الى درجات مختلفة بحسب درجة رقي الشعب المحكوم.

---

* للاطلاع على دور لورنس راجع كتاب فيليب نايتلي وكولن سمبسون الصادر في (لندن) ١٩٦٩.
The Secret Lives of Lawrence of Arabia

** للاطلاع على تاريخ المطامع الصهيونية الاقليمية راجع كتاب المؤلف «المطامع الصهيونية التوسعية» (بيروت ١٩٦٦).

اما بالنسبة لسوريا الطبيعية فقد جاء في الفقرة الرابعة من المادة الثانية والعشرين من عهد عصبة الامم ما يلي:

«ان بعض البلاد التي كانت تابعة للامبراطورية العثمانية قد بلغت درجة من الرقي يمكن معها الاعتراف مبدئيا بكيانها كأمم مستقلة على ان تستمد الارشاد والمساعدة من دولة اخرى حتى يأتي الزمن الذي تصبح فيه قادرة على الوقوف بمفردها. ان اعتبار رغبات البلاد يجب ان يكون في المقام الاول لدى انتقاء الدولة المنتدبة».

لجنة كنغ كرين

وعلى هذا الاساس اقر الحلفاء تعيين لجنة دولية لدرس قضية الولايات العربية والوقوف على رغبات سكانها. ولاسباب استعمارية واضحة تخلف الفرنسيون والبريطانيون عن الاشتراك في اللجنة الدولية الحليفة، فما كان من الاميركيين الا ان قرروا ارسال وفدهم لاجراء التحقيقات اللازمة على مسؤوليتهم الخاصة، وقد عرفت هذه اللجنة باسم لجنة كنغ - كرين. ومع انه من الممكن ان يكون غياب الدولتين الاخريين المفروض اشتراكهما في اللجنة قد اثار ردود فعل سلبية ضدهما في صفوف العرب الا انه من الممكن ايضا ان يكون كلايتون مصيبا في رأيه الذي رفعه الى وزارة الخارجية والذي قال فيه:

«من المعقول ان يشعر زعماء الشعب بانهم اكثر حرية في التعبير عن مشاعرهم الحقيقية فلا يضايقهم الخوف من الاساءة الى أي من بريطانيا او فرنسا لان كلا منهما تعتبر طرفا ذا مصلحة»(٨٥).

وقبل ان تصل لجنة كنغ - كرين باسبوع واحد ارتأت الجمعية الاسلامية المسيحية في القدس اصدار منشور يتضمن وجهات نظرها التي تعتزم عرضها على اللجنة. واكد المنشور وحدة سوريا كما اكد ان فلسطين - سوريا الجنوبية - هي جزء لا يتجزأ من سوريا، اما فيما يتعلق بمشكلة الصهيونية فقد ميزت الجمعية بحذق بين اليهود الفلسطينيين واليهود الاجانب القادمين من الخارج فقالت:

«اننا نرفض كل الرفض السماح بان تتحول فلسطين الى وطن قومي لليهود. ونحن لا نسمح كذلك لاي يهودي بالهجرة الى بلادنا ونحتج بقوة على الحركة الصهيونية. اما اليهود المحليون الذين كانوا يقطنون فلسطين من قبل فينبغي اعتبارهم مواطنين يتمتعون بالحقوق والواجبات التي نتمتع بها»(٨٦).

بيد ان الجنرال اللنبي اعتبر هذا المنشور امرا غير مرغوب فيه وامتنع عن منح الأذن باصداره.

وفي التاسع عشر من حزيران وصلت اللجنة وسارعت الى دراسة آراء الشعب كله. وقبل ان تغادر فلسطين كانت قد تلقت تقارير وعرائض من مختلف الجماعات السياسية في البلاد(٨٧). ومن اصل ٢٦٠ عريضة تلقتها اللجنة في فلسطين عارضت ٢٢٢ منها البرنامج الصهيوني(٨٨).

وكتبت اللجنة تلخص دراستها فقالت:

«استنادا الى البينات التي تلقتها اللجنة خلال مدة زيارتها القصيرة الى فلسطين ١٠ـ٢٥ حزيران، لم يبد العطف على اقامةوطن قومي لليهود الصهيونيين في ذلك البلد سوى ما يقارب عشر مجموع عدد السكان. اما بقية السكان من مسلمين ومسيحيين على السواء، فانهم اعربوا عن رغبتهم بالحفاظ على وحدة بلادهم مع سوريا التي يعتبرون فلسطين من كلتا الوجهتين التاريخية والجغرافية جزءا منها»(٨٩) وكان المسلمون والمسيحيون عمليا ضد الصهيونية بالاجماع كما كانوا يعبرون عادة عن مشاعرهم بلهجة بالغة التأكيد.(٩٠).

ولاحظت اللجنة أيضاً أن:

«الشعور ضد البرنامج الصهيوني ليس مقتصرا على فلسطين بل يشاركها فيه بصورة شاملة جدا مختلف سكان سوريا كما اظهرت اجتماعاتنا بجلاء. فقد كان اكثر من ٧٢ في المائة من العرائض التي تلقيناها من جميع انحاء سوريا والتي بلغ مجموعها ١٣٥٠ عريضة موجها ضد البرنامج الصهيوني. ولم يزد على التمسك بهذا سوى التمسك بمطلبين اخرين هما وحدة سوريا والاستقلال»(٩١).

وقبل ان تغادر اللجنة فلسطين بدأت تسمع باستمرار عن مؤتمر قادم سيعقد في دمشق «ولأول مرة بدأ المندوبون العرب يجهرون بالمطالبة بضرورة ترك مشكلة اختيار الدولة المنتدبة الى المؤتمر المنتظر انعقاده قريبا في دمشق»(٩٢). ولقد كان التغيير من الاصرار على الاستقلال الى الرضا بادارة منتدبة امرا يلفت الانظار. وقد عزاه الكولونيل كورنواليس نائب المعتمد السياسي في دمشق الى:

«رسالة بعث بها رستم حيدر المندوب العربي في باريس قائلا ان المطالبة بالاستقلال

التام ستكون مميتة لان الدول قررت انه لا بد من اقامة انتداب»(٩٣).

وارسل كورنواليس كذلك تقريرا ذكر فيه ان فيصل كان قد حل في ذلك الوقت كلا من حزبي «الاستقلال» و«الاتحاد السوري» واعلن حظر قيام جمعيات سياسية جديدة. ولكن الامير الهاشمي بدأ:

«يدرك الصعوبات التي سيواجهها في التوفيق بين الفلسطينيين والصهيونية ولم يعد يعتبر الموضوع امرا ثانويا.. وفي غضون ذلك اصبح الفلسطينيون ينادون باستخدام العنف ودعا محمد الصالح الحسيني من نابلس الى الدفاع عن استقلال فلسطين بحد السيف»(٩٤).

المؤتمر السوري العام

واخيرا انعقد المؤتمر السوري العام في دمشق خلال الاسبوع الاول من تموز وكان يضم: «مندوبي جميع المناطق الثلاث الجنوبية والشرقية والغربية، والحائزين على اعتمادات سكان مقاطعاتنا وتفويضاتهم من مسلمين ومسيحيين وموسويين»(٩٦).

وقام وفد انتخبه المؤتمر بتقديم بيان الى اللجنة وقعه أعضاء المؤتمر وعرف باسم برنامج دمشق. ويطالب البيان «بالاستقلال الفوري التام لسوريا دون حماية أو وصاية وذلك في ظل حكومة مدنية ملكية نيابية» أما فيما يتعلق بفلسطين فقد عبر البرنامج عن مشاعر الفلسطينيين في السابع والثامن والعاشر من بنود البيان.

٧ ـ «اننا نرفض مطالب الصهيونيين بجعل القسم الجنوبي من البلاد السورية اي فلسطين وطنا قوميا للاسرائيليين ونرفض هجرتهم الى اي قسم من بلادنا لانه ليس لهم فيها ادنى حق ولانهم خطر شديد جدا على شعبنا من حيث الاقتصاديات والقومية والكيان السياسي. اما سكان البلاد الاصليون من اخواننا الموسويين فلهم ما لنا وعليهم ما علينا.

٨ ـ «اننا نطلب عدم فصل القسم الجنوبي من سورية المعروف بفلسطين والمنطقة الساحلية التي من جملتها لبنان، عن القطر السوري ونطلب ان تكون وحدة البلاد مصونة لا تقبل التجزئة بأي حال كان.

١٠ ـ وان القاعدة الاساسية من قواعد الرئيس ولسون التي تقضي بإلغاء المعاهدات السرية تجعلنا نحتج على كل معاهدة تقضي بتجزئة بلادنا (اتفاقية سايكس ـ بيكو) وكل وعد خصوصي يرمي الى تمكين الصهيونيين في القسم الجنوبي من بلادنا (وعد بلفور). ونطلب ان تلغى المعاهدات والوعود بأي حال كان».

وقام الاعضاء الفلسطينيون الذين قدموا من جميع المدن الفلسطينية الرئيسية بدور بارز في المؤتمر وتولى سكرتيريته السيد عزت دروزة.

وايزمان يحاول تضليل حلفائه

وجاء في تقرير للكولونيل فرنش كبير المسؤولين السياسيين وضعه في خضم الحوادث التي رافقت مغادرة لجنة كنغ ـ كرين للبلاد ما يلي:

«ان البلاد بأسرها هي الآن هادئة من الناحية السياسية، ولكنه هدوء ناجم عن الاستنزاف الذي أعقب الصخب السياسي الذي رافق زيارة اللجنة كما انه ناجم جزئيا عن التوتر الذي احدثه الاعتقاد بأن قرار المؤتمر سيعلن قريباً»(٩٧).

وفي الرسالة نفسها رد فرنش على ادعاء لوايزمان فيما يتعلق بما اسماه «الهياج المصطنع» في فلسطين قائلا:

«أن الرأي المدروس للموظفين البريطانيين الذين يعرفون فلسطين جيداً هو ان معارضة الصهيونية المبنية الى حد ما على المشاعر الوطنية للسكان، قد ازدادت حدة في غضون الاشهر الماضية، ويعتقد ان هذا امر معروف لدى اللجنة (الصهيونية) التي تتمتع بدائرة استخبارات تتصف بالكفاءة»(٩٨).

والواقع ان تقرير الكولونيل فرنش كان نصاً معدلا لما كتبه احد موظفيه في حيفا بشأن ادعاءات وايزمان وجاء في اقواله:

«ان سوء تقدير وايزمان البالغ فيما يتعلق بالمعارضة العامة للصهيونية التي يصفها بانها (هياج مصطنع قد يظل سائدا) هو شيء مذهل. لقد وجدت ان المعارضة في القدس اشد مما كانت قبل ان غادرتها منذ اربعة اشهر واشد تنظيماً ومن المعترف به بصورة عامة ان القدس ونابلس هما المركزان السياسيان لفلسطين مع العلم بان المدينة الثانية هي اشد تعصبا وعداء من الاولى ولدى اللجنة الصهيونية في القدس جهاز استخبارات يتصف بالكفاءة البالغة، واعتقد ان تقارير هذا الجهاز قد اغفلت لشدة ما تثيره من الذعر»(٩٩).

جمعية «الفدائية»

ولقد كانت سجلات الاستخبارات الصهيونية عن تلك الفترة ـ ارشيف الهاغانا ـ تؤيد ما رفعه ضباط الاستخبارات البريطانية في فلسطين الى رؤسائهم في القاهرة ولندن، غير انه من الضروري قبل ان تدرس تقارير الاستخبارات الصهيونية المفصلة والهامة ان نشير الى تقرير ضاف وضعه الميجر كامب عن «الحركة العربية والصهيونية»(١٠٠).

وتضمن التقرير معلومات عن الجمعيات العربية البارزة في القدس بما فيها المنتدى الادبي والنادي العربي ونادي الاخاء والعفاف ومنتدى آل الدجاني وجمعية «الفدائية». والنادي الاخير هو هيئة فدائية سرية كانت تضم عددا من رجال البوليس والدرك. وكانت نشاطات هذه الجمعيات تتناول اعدادا شاملا للثورة بما في ذلك:

«تسليح الاعضاء بالاسلحة الخفيفة واعداد قوائم باسماء اليهود البارزين والعناصر الموالية للصهيونية من غير اليهود مع تسجيل مكان اقامة كل منهم، بث الدعاية بين بدو شرقي الاردن. . وبذل الجهد لتركيز الضباط الفلسطينيين في عمان حتى يكونوا على اهبة الاستعداد اذا اعلنت سياسة موالية للصهيونية ثم تعليم عدد محدود من العملاء اللغة العبرية حتى يمكنهم متابعة ما يقال او ينشر في الصحف العبرية، وتعيين عملاء لمراقبة كل ما يدور ويجري، بذل الجهد للاتفاق مع رجال البوليس والدرك على تسليم اسلحتهم او على الاقل عدم وضع العقبات في الطريق اذا ما نشبت الثورة، تشريب الاطفال مبادىء الوحدة العربية ولا سيما طلاب مدرستي الرشيدية وروضة المعارف.

وبعبارة اخرى كانت جميع انواع الاعدادات تجري بهدوء للعمل في حالة نجاح اية سياسة صهيونية مهما بلغت من الاعتدال»(١٠١).

ووصف وايزمان نفسه نشاطات هذه الجمعيات: المنتدى الادبي، النادي العربي والاخاء والعفاف، في تقرير مؤرخ في الثامن من شباط. ويستفاد من هذا التقرير ان اعضاء هذه الجمعيات:

«كانوا يوفدون احيانا الى القرى لاثارة الفلاحين ضد اليهود. وتحاول هذه الجمعيات كذلك تنظيم الارهابيين والمؤسسات السرية لكي تقوم فيها بعد بحرب عصابات ضد اليهود. انهم يحاولون بصورة عامة خلق روح معادية جدا ضدنا. وقد انخرط الكثيرون منهم في صفوف رجال البوليس حتى يسهل عليهم تنفيذ مهامهم كما ان الكثيرين منهم

شباب متعلمون جدا درسوا في اوروبا وبعضهم يعرف القضية اليهودية معرفة تامة»(١٠٢).

التأهب للعمل

واستطاع عميل صهيوني سري ان يبلغ دائرة الاستخبارات الصهيونية عن اجتماع «للفدائية» حضره في السابع والعشرين من آب ١٩١٩، ١٦ عضوا وذلك، على الارجح، للاعداد للثورة. وتحدث الاعضاء في هذا الاجتماع عن نجاح الاتصالات التي اجروها مع زعماء العشائر في شرقي الاردن وعن مدى توافر الاسلحة، وعن جميع القرويين في ضواحي القدس الذين ينتظرون بفارغ الصبر صدور اول اشارة لهم للعمل(١٠٣).

والقى السيد جودت الحلبي احد زعماء هذه المنظمة الفدائية السرية خطابا في الاجتماع المشار اليه كشف فيه النقاب عن تطرف حركة الفدائية واستعداد اعضائها للعمل ضد التحالف الانكليزي الصهيوني في فلسطين:

«لقد ابتعنا من الاسلحة بقدر ما اردنا وستتلقى المزيد ايضا. وان عملنا الرئيسي ينبغي ان يكون ضد اليهود الذين يريدون اخذ اراضينا ولكن اذا ساعدتهم الحكومة فسنكون ضدها ايضا. وان الكثيرين من اعضائنا واصدقائنا هم من رجال البوليس والدرك وهو امر ممتاز جدا بالنسبة لمستقبلنا. ان علينا جميعا الا ننسى شهداء بلاد آبائنا واجدادنا وشهداء كرامتنا..».

وقال عضو آخر «ان جميع الفلاحين والبدو ينتظرون اول اشارة منا وهم متأهبون لكل شيء».

ولم ينس العميل الصهيوني ان يصف الطبيعة السرية لحركة «الفدائية» التي قرر اعضاؤها الاجتماع مرة او مرتين اسبوعيا دون ذكر موعد الاجتماع التالي الا قبل حلوله ببضع ساعات فقط(١٠٤).

محاربة الهجرة... وبريطانيا

ووردت في تقرير آخر انباء اجتماع آخر عقد في «المنتدى الادبي» وتحدث فيه الاديب المعروف الاستاذ اسعاف النشاشيبي فقال ان الحاجة ماسة الى المال وليس من العار ان يجمع المال بالتبرعات أو بعرض اوراق اليانصيب. ودعا الى خلق حالة من «الاضطرابات المتواصلة» ضد اليهود كوسيلة لمحاربة الهجرة اليهودية(١٠٥).

ودعا السيد محمود عزيز الخالدي الذي كان ينتمي لعدة جمعيات سرية إلى اغتيال بعض زعماء اليهود في يافا وحيفا لبث الذعر في قلوب من يحتمل هجرتهم الى فلسطين من اليهود. وكشف خطابه النقاب ايضاً عن وجود تحريض ديني على نطاق واسع ضد البريطانيين:

«ان شباب هذا البلد لا يخشون احداً بما في ذلك الحكومة الاستبدادية نفسها. انهم يريدون البدء بالعمل حالاً وهم جميعاً على استعداد لملاقاة الموت سعداء. وان معظمهم يسألونني دائماً عن الموعد الذي يشرعون فيه بالثورة ضد الكفار ويظهرون فيه قوتهم ويتخلصون منهم الى الأبد»(١٠٦).

في ضوء هذه النشاطات ووجهات النظر جاء تحذير الجنرال واطسون في اعقاب تسلمه ادارة الاحتلال العسكري واقعياً ومناسباً أيضاً.

«ان عداء الاكثرية الساحقة من السكان للصهيونية هو عداء ذو جذور عميقة. وهو آخذ بالتحول بسرعة الى عداء للبريطانيين. وسينجم عنه، اذا فرض عليهم البرنامج الصهيوني بالقوة، انفجار خطير يستدعي استخدام عدد من القوات يفوق بكثير ما هو موجود منها في البلاد في الوقت الحاضر»(١٠٧).

افقار الفلاحين تمهيداً لاجلائهم

وقد بدأ واضحاً من خلال تقارير رجال الاستخبارات البريطانية والصهيونية على السواء ان الفلاحين كانوا اشد استعداداً من سائر فئات المجتمع للثورة والتضحية بالنفس. ويعود ذلك في بعض الحالات الى التعصب الديني، ولكن هنالك بالاضافة الى هذا العنصر اسباباً اقتصادية فضلاً عن الاضرار التي لحقت بالفلاحين من برامج ومطامح الصهيونية. فقد قاطع اليهود اليد العربية العاملة في المستعمرات اليهودية وفي مشروعات العمل اليهودية ناهيك باحتمالات تعرض العرب للتشرد كلما وضع اليهود ايديهم على مزيد من الاراضي. واخيراً هناك المعارضة الصهيونية لبرنامج القروض الزراعية للفلاحين(١٠٨). ولا شك في أن معارضة وايزمان لهذا البرنامج تمتّ بصلة وثيقة الى رغبة الصهيونية في إفقار الفلاح الفلسطيني تمهيداً لإجلائه عن وطنه. ويستفاد من تقرير لجنة التحقيق التي عكفت على دراسة الظروف التي أدت الى نشوب اضطرابات شهر نيسان ١٩٢٠:

«انه كان لحادث الفيتو على القروض الزراعية اثر اشد مما تقدم بكثير في إلهاب المشاعر

المتصاعدة التوتر ضد الصهيونية... فلقد توصل الشعب حالاً الى استخلاص ان الصهيونيين قد تدخلوا لكي يبقوا لهم قطعاً كبيرة من الاراضي الفقيرة فيضطروا في النهاية الى بيع اراضيهم للصهيونيين باي ثمن كان»(١٠٩).

وفي غضون شهر ايلول كتبت دائرة الاستخبارات البريطانية البحرية تقول ان المشاعر المناوئة للصهيونية آخذة في التصاعد و «ان مؤامرة تم اكتشافها بوساطتنا، وهي ترمي الى اغتيال الدكتور وايزمان عند وصوله».

وعندما اعلن فصل فلسطين عن سوريا في اواخر شهر ايلول نشرت في صحيفة «سوريا الجنوبية» التي كان يصدرها في القدس السيد عارف العارف الذي انقلب فيما بعد ليلتحق بخدمة الادارة البريطانية لفلسطين وكذلك في الصحف الدمشقية، احتجاجات بالغة الشدة. ونشر السيد عزة دروزة في صحيفة الاردن الدمشقية مقالاً بعنوان «دقت ساعة العمل» جاء فيه:

«ليس من حق ممثلي الشؤون الانكليزية والفرنسية والصهيونية ان يفعلوا ما يشاؤون ببلد تحرر بفضل دماء ابنائه الذين هم على استعداد لسفك المزيد من الدماء، اذا دعت الضرورة لتحقيق اهدافهم»(١١٠).

وجاء في تقرير آخر لدائرة الاستخبارات البريطانية البحرية انه بحلول شهر تشرين الثاني ١٩١٩، سارت الحركة المناوئة للصهيونية في فلسطين في منعطف مناوىء جداً للبريطانيين وبعد أربعة أسابيع كتبت الاستخبارات البحرية ان الدعاية المناهضة للصهيونية آخذة في الامتداد الى القرى الصغيرة حيث يبدي الفلاحون:

«اهتماماً بالاصغاء عندما تقرأ عليهم الصحف الدمشقية والمحلية.. ويجري بحث احتمال القيام بمعارضة فعالة لليهود. وهنالك دلائل تشير الى انه سيجري محاولة مؤكدة للقيام بتظاهرة، ويسود الاجواء شعور من الترقب»(١١١).

وبحلول اوائل عام ١٩٢٠ اصبح من الواضح لجميع الاطراف في فلسطين ان وقوع انفجار مناهض للصهيونية غدا امراً وشيك الوقوع. وفي كانون الثاني كتبت الاستخبارات البحرية البريطانية تقول ان وفوداً عديدة تفد من دمشق على يافا:

«ويعتقد ان هذه الزيارات السريعة تنبىء بوقوع محاولة لإحداث الاضطرابات في

مختلف انحاء سوريا وفلسطين في وقت واحد وذلك وفقا لمخططات مشابهة لتلك التي اتبعت في مصر»(١١٢).

واكد التقرير كذلك ان المشاعر المناهضة للصهيونية هي التي أدت الى نشوء علاقات ودية بين المسيحيين والمسلمين. أما بشأن الفلاحين:

«فإنهم يدعون ان المستعمرين اليهود يتلقون العون المالي من الخارج وتمنحهم الحكومة امتيازات لا تتوفر للآخرين ومن ثم فانهم-الفلاحين-لا يستطيعون خوض المنافسة في وجه مثل هذه الامتيازات الأمر الذي سيؤدي في النهاية إلى تصفيتهم»(١١٣).

وبحلول شهر شباط كان قد تم انجاز عملية الاستقطاب. وفي رسالة للورد كرزون أشار وايزمان الى انه مما لا شك فيه ان كلتا الدعايتين المناوئة للصهيونية والمناوئة للبريطانيين تسير في خطين متوازيين في صفوف العرب(١١٤).

تظاهرات عربية في القدس

وفي السابع والعشرين من شباط ١٩٢٠ جرت تظاهرة عربية سياسية كبيرة في القدس بمعرفة السلطات. وعلى الرغم من احتجاجات الصهيونيين فقد رأى الجنرال بولز كبير الاداريين ان المسيرات المنظمة يمكن السيطرة عليها كما انها تعمل كصمام للأمان(١١٥). وجرت تظاهرة ثانية في الثامن من آذار وسط هياج عام وذلك لمناسبة تنصيب الامير فيصل ملكاً على سوريا وفلسطين:

«وكانت الخطب ذات طابع سياسي عنيف ورافقها قدر كبير من الهتاف ضد اليهود. ومن المؤكد ان مزاج المتظاهرين كان خطراً. ووقع حادث قيل انه نشأ بسبب محاولة صبي يهودي شق طريقه عبر المسيرة الأمر الذي أدى إلى حدوث شجار رافقه قذف للحجارة. ونتج من ذلك اصابة بضعة يهود ولكن البوليس تمكن من استعادة زمام الأمر بسرعة وتفرقت التظاهرة دون حدوث مزيد من الحوادث»(١١٦).

وفي اليوم الأول من آذار شنت عصابتان من الفلسطينيين المسلحين(١١٧) هجوماً على اثنتين من المستوطنات اليهودية الواقعة قرب الحدود السورية وهما المطلة وتل حي. وقد قام بتنظيم الهجومين-على الارجح-الفلسطينيون الموجودون في دمشق(١١٨). وقد قتل في هذين الهجومين الكابتن جوزف ترامبلدور وهو عسكري صهيوني بارز وستة يهود آخرين. ولكن هذا الحادث الذي كان انعكاساً للمزاج السياسي الفلسطيني واشارة إلى الحوادث المقبلة لم

يستطع أن يشعل اضطرابات عامة مناوئة للصهيونية وذلـك بالنـظر الى تدهـور الوضـع السياسي في دمشق واقتراب نظام فيصل من الانهيار(١١٩).

ثورة العشرين

وفي الحادي عشر من آذار ونتيجة للضغط الصهيوني على كبير رجال الادارة، صدر أمر بحظر القيام بالتظاهرات، وهو اجراء لا بد أن يكون قد زاد من حدة الاستياء العام لدى العرب. وكان اقتراب موعد اسبوع عيد الفصح ومصـادفة وقـوع الاحتفالات الـدينية للمسيحيين واليهود في نفس موعد احتفالات موسم النبي موسى عند المسلمين، قد أحدث قلقاً بالغاً لدى الطائفة اليهودية والادارة العامة(١٢٠). ففي تلك المنـاسبة يحتشـد الزوار المسلمون حاملين البيارق المحلية وقادمين من القرى المجاورة للقدس. وكانت الحكومة تعترف على الدوام رسمياً بهذا الموسم وتؤمن القوات الضرورية لحفظ الأمن فضلاً عن فرقة موسيقية للاحتفاء بالمناسبة. على انه بالنظر للهياج السياسي والتوتر السائد، لم يكن من المستغرب ان تقرر الاوساط الوطنية العربيـة في فلسطين تحويل أي تجمـع إلى مناسبة للاحتجاج والتحريض ضد الصهيونية والادارة البريطانية. وهكذا عندما وصلت مسيرة وفد الخليل في الرابع من نيسان توقفت أكثر من مرة للاستماع الى خطب القاها كل من عارف العارف وموسى كاظم الحسيني رئيس البلدية، والحاج أمين الحسيني وغيرهم من الشخصيات الاسلامية البارزة. وجاء في تقرير لجنة باالين ان عادة ايقاف المواكب والمسيرات للاستماع إلى الخطيب قد استحدثت لأول مرة عام ١٩١٩. غير ان خطب عام ١٩٢٠ كانت ذات طابع سياسي مكشوف بلغت ذروتها في رفع صورة للامير فيصل وتحيته بوصفه «ملكاً لسوريا وفلسطين»،وكانت الاعصاب قد وصلت عند هذا الحد إلى أقصى حالات الانفعال. ويبدو من المرجح جداً أنه كـان هنالـك عملاء محـرضون تغلغلوا في المسيـرة منتظرين فرصتهم المرتقبة(١٢١). ويقول عزت دروزة ان الجمهور كان ينادي أثناء المسيرة بشعارات مناوئة للصهيونية والبريـطانيين(١٢٢). وسجـل عيسى السفري ان المسيحـيين الفلسطينيين اشتركوا في الموكب داعين للوحدة العربية والاستقلال ومعلنـين معارضتهم للهجرة الصهيونية(١٢٣).

وبعد الاستماع الى الخطب التي القيت وبينما كـان الموكب يجتـاز باب يـافا وقـع الانفجار: «لم تتأكد بوضوح طبيعة الحادث الذي أدى الى الانفجار ـ وربما كان هنالك أكثر

من حادث مسبب واحد. . فهنالك بعض الادلة التي تشير الى ان موقف المشاهدين اليهود كان في بعض الحالات موقفاً استفزازياً ولكن يبدو اكثر احتمالا ان يكون قد وضع لغم بصورة متعمدة بواسطة بعض العملاء المخربين الذين تذرعوا بالادعاء بأن أحد اليهود أطلق صيحة اهانة للعلم. . ومهما يكن من امر فمن الواضح ان حالة الهياج التي وصل اليها المشتركون في الموكب عند الوصول الى النادي العربي والاستماع إلى الخطباء السياسيين وعرض صورة الامير فيصل، جعل اقل حادث كفيلاً باحداث الانفجار»[١٢٤].

وأدى الانفجار الى قذف الحوانيت اليهودية المجاورة بالحجارة والاشتباك مع اليهود. «هنالك بعض الادلة التي تشير الى ان بضعة أفراد من اليهود كانوا مسلحين وانهم اطلقوا النار على الغوغاء انتقاماً في بعض الحالات»[١٢٥].

واستمرت الانتفاضة وأعمال العنف المتفرقة طيلة الفترة الواقعة بين الرابع من نيسان والعاشر منه، على الرغم من إعلان الأحكام العرفية. ووصل مجموع الاصابات التي بلغ عنها الى ٢٥١ جريحاً توفي منهم تسعة. وكانت إصابات ٢٢ منهم خطرة بينها كانت إصابات ٢٢٠ بسيطة. ومن بين هذه الاصابات شملت إصابات اليهود خمس وفيات و١٨ إصابة خطيرة و١٩٣ إصابة بسيطة معظمها تسببت عن هجمات العرب بالخناجر والعصي والحجارة. وجرح سبعة جنود بريطانيين كلهم جرحوا على أيدي المتظاهرين من العرب. أما إصابات العرب فقد بلغت ٢٨ إصابة بينها ٤ قتلى بالرصاص. واشتبهت اللجنة «بأنه من المحتمل أن يكون بعض الفلاحين المصابين بإصابات طفيفة قد فروا الى قراهم»[١٢٦].

وحدة السياستين الصهيونية والبريطانية

واستخلصت اللجنة من بين جميع الادلة المتوافرة لديها «ان الهجوم كله كان ضد اليهود» ولكنها على كل حال اعترفت بأن البريطانيين في فلسطين:

«يواجهون مواطنين محليين يهيمن عليهم السخط الشديد بدافع من شعورهم بالغبن وخيبة الأمل، ويلفهم الذعر بشأن مستقبلهم. ونتيجة ذلك ان ٩٠ في المائة منهم يكنون عداء مريراً للادارة البريطانية العامة»[١٢٧].

وقبل انْ تصل اللجنة الى استنتاجاتها السابقة الذكر، برزت في التقرير موضوع البحث ظاهرتان تكشفان عن وحدة السياستين الانكليزية والصهيونية في فلسطين وعن طبيعة المعارضة العربية لهذا التحالف في غضون انتفاضة عام ١٩٢٠. فالظاهرة الاولى هي

نشوء وحدات يهودية «للدفاع الذاتي»، الهاغانا، شكلها جابوتنسكي الذي كان يحارب في صفوف الجيش البريطاني خلال الحرب ووصل الى رتبة لفتنانت والمستر روتنبرغ الذي كان موظفاً روسياً بارزاً في عهد حكومة كيرنسكي (١٩١٧). وجاء في تقرير اللجنة ان هذه الوحدات شكلت دون موافقة الادارة العامة أو معرفتها. ولكنها «كانت تتدرب بصورة علنية وراء مدرسة ليمل وفوق قمة جبل الزيتون»(١٢٨) وهو أمر كان معروفاً لدى العرب خلال شهر آذار. وأهم من ذلك وأعظم دلالة ان الادارة العامة اتخذت قراراً باستخدام هذه الوحدات غير الشرعية.

«في يوم الثلاثاء استدعت دائرة الحاكم المستر روتنبرغ وأبلغه الكولونيل ستورس والكولونيل بيدي ان الادارة قررت استخدام رجاله بوصفهم شرطة خاصة غير مسلحة . . . وكان فريقان مؤلفان من نحو ٥٠ رجلاً قد اقسموا اليمين بالفعل عندما قررت الحكومة تعليق هذا الأمر ولم يجر تنفيذه»(١٢٩).

أما الظاهرة الثانية فهي اختلاف وجهات النظر بين الزعماء الصهيونيين وبعض الموظفين البريطانيين بمن فيهم اعضاء اللجنة بشأن الأسباب الحقيقية للقلق السائد في صفوف العرب الفلسطينيين:

«لقد قال الصهيونيون ان الهياج الشعبي مصطنع وانه، الى حد كبير، نتيجة الدعاية التي بثتها طبقة الافندية التي تخشى ان تفقد مراكزها بسبب المنافسة اليهودية، ولكن يكفي ان نقتبس شهادة الميجر وينغيت الذي تجد اللجنة نفسها متفقة معه كل الاتفاق عندما يقول (من المهم جداً ان ندرك ان المعارضة ليست سطحية أو مصطنعة على الاطلاق وانني لأعتبر ان النظر الى الحالة بهذا المنظار هو أمر خطير)»(١٣٠).

وقال اعضاء اللجنة في استنتاجاتهم النهائية:

«ان سياسة الادارة الفلسطينية تتعرقل تعرقلاً كبيراً بسبب تدخل السلطات المركزية المباشرة لصالح الصهيونية. ووجد اعضاء اللجنة انفسهم مضطرين كذلك الى التحذير من ان الحالة الراهنة الناشئة في فلسطين هي حالة بالغة الخطورة وتتطلب معالجة قوية تتسم بالجلد والصبر إذا اريد تجنب كارثة خطيرة»(١٣١).

وصدرت أحكام مختلفة بالسجن ضد ٢٣ شخصاً لاشتراكهم في ثورة القدس*.

* حكم على كل من عارف العارف والحاج امين الحسيني بأحكام صارمة جداً ولكنهما تمكنا من الفرار الى شرق الأردن.

وأثارت هذه الانتفاضة مشكلة رئاسة بلدية القدس. فقد نحي موسى كاظم الحسيني عن منصبه بسبب اشتراكه في المظاهرات ضد السياسة الصهيونية. وأبلغ موسى كاظم الكولونيل ستورس أنه في ظل هذه الظروف «لن يجرؤ عربي على ان يحل محلي»(١٣٢). ولكن ما حدث بالفعل هو ان وجيهاً منافساً له هو راغب النشاشيبي قبل المنصب حالما عرض عليه، كاشفاً بذلك عن الافتقار الى التضامن والتصميم في صفوف الوجهاء العرب في وجه الادارة البريطانية.

والجدير بالذكر ان تقرير لجنة بالين بقي طي الكتمان ولم يكشف النقاب عنه حتى عام ١٩٦٨. أما المعارضة العربية العنيفة فقد فشلت في احداث أي تغييرات جوهرية في الصورة العامة للسياسة البريطانية في فلسطين. وعلى النقيض من ذلك كانت حكومة صاحبة الجلالة البريطانية تفكر بالانتقال من ادارة عسكرية الى حكومة مدنية منتدبة تلتزم بموجب ميثاقها بتنفيذ تصريح بلفور، على الرغم من تعثر التوصل الى صلح مع تركيا. وبالاضافة الى ذلك اقترحت الحكومة البريطانية تعيين هربرت صموئيل السياسي اليهودي المعروف الذي كان يشغل عام ١٩١٦ منصب وزير الداخلية، كأول مندوب سام بريطاني في فلسطين(١٣٣). ولقد سارعت السلطات البريطانية في فلسطين إلى ذكر الاخطار التي ينطوي عليها تعيين يهودي صهيوني معروف في هذا المنصب. وكان كل من صموئيل ومجلس الوزراء البريطاني يدرك طبيعة هذه الأخطار. ففي رسالة للورد كرزون أوضح صموئيل نص حديث دار بينه وبين وفد يمثل مجلس يهود القدس فقال:

«لقد قلت لهم ان الحكومة تلقت انذاراً خطيراً . . . بأن تعيين أي يهودي ليكون أول حاكم لفلسطين يرجح أن يصبح نقطة انطلاق لنشوب اضطرابات خطيرة وان ثمة خطراً من وقوع غارات واسعة النطاق على المستعمرات اليهودية وعلى الافراد اليهود كما ان من المحتمل ان تقع غارات عبر الحدود. وبالاضافة الى ذلك يحتمل ان تسحب عناصر هامة من المسيحيين تأييدها للحكومة مع العلم بأن هذا التأييد والتعاون ضروري جداً لتسيير دفة الحكم. ولقد ذكر ان الرأي العام الاسلامي قد أصبح بالفعل في حالة من الهيجان بالنظر الى تضمين المعاهدة التركية تصريح بلفور وبالنظر إلى ان مثل هذا التعيين المقترح سيعتبر نقلاً للبلاد بأكملها إلى ايدي اليهود»(١٣٤).

ومما يجدر ذكره ان صموئيل قال في مذكراته المنشورة انه عين في المنصب المذكور «مع معرفة حكومة صاحب الجلالة التامة بعواطفي الصهيونية بل، دون شك، بسبب هذه

العواطف الى حد كبير»(١٣٥).

وفي الحادي والثلاثين من أيار أي في اعقاب اعلان الانتداب على فلسطين وادخال نص تصريح بلفور في بنود الانتداب وتعيين صموئيل أول مندوب سام لفلسطين، اجتمع عدد من الشخصيات السياسية الفلسطينية البارزة في النادي العربي بدمشق حيث أسسوا «الجمعية الفلسطينية العربية». أما أقطاب الجمعية فكانوا: الحاج امين الحسيني وعزت دروزة وعارف العارف. وحثت الجمعية كل الجمعيات والنوادي الفلسطينية على العمل معاً في سبيل المصلحة العامة. وسجلت الجمعية، فضلاً عن ذلك، احتجاجها على قرار مؤتمر سان ريمو بمنح بريطانيا الانتداب على فلسطين وتعيين صموئيل مندوباً سامياً عليها. وناشدت كذلك مسلمي الهند والبابا بأن يتنبهوا الى الاخطار اليهودية على فلسطين(١٣٦).

لقد جاء تعيين صموئيل ضربة قوية للعرب الفلسطينيين الذين بدوا مصممين على كل حال على مقاومة الصهيونية وتصريح بلفور. وهكذا دخل الكفاح ضد الصهيونية والاستعمار في مرحلة جديدة.

هوامش الفصل الرابع

(١) «مذكرة حول المسألة اليهودية الفلسطينية» المكتب العربي ١٩١٧/٢/٥ و. خ. ٨٢٢-١٤ ص ١٦٠

(٢) مذكرة من اورمسبي غور «فلسطين: تقرير سياسي» ١٩١٧/١/١٢ و.خ. ٨٢٢-١٤

(٣) المصدر نفسه ص ٤-٥

(٤) سايكس الى بوكانان ١٩١٦/٥/١٤ و.خ. ٣٧١-٢٧٦٧ ماكدونان الى كلايتون ١٩١٦/١١/٢١ و.خ. ٨٨٢-١٤

(٥) من اجل الاطلاع على ما جاء في المصادر البريطانية عن هذا الدور راجع تقرير «لجنة بيل الملكية» الصادر في لندن عن الحكومة البريطانية وكتاب أ.ف. ويفل حملات فلسطين The Palestine Campaigns - لندن - ١٩٢٨ و.ت. اي لورنس ثورة في الصحراء «Revolt in the Desert» - لندن - ١٩٢٧. ص ٢٠٨

(٦) ديدس الى المندوب السامي في مصر ١٩١٧/١٢/١٦. و.خ. ١٤١-٨٠٣.

(٧) ديدس الى القيادة العامة - ق.ع. البعثة المصرية العسكرية - ب.م.ع. - ١٩/١٢/١٧ و.خ. ١٤١-٨٠٣

(٨) كلايتون الى و.خ. ١٩١٧/١٢/٣٠ و.خ. ١٤١-٨٠٣

(٩) كلايتون الى سايكس ١٩١٧/١٢/١٥ اوراق كلايتون جامعة دورهام ١٤٧-١

(١٠) مارك سايكس «فلسطين والوضع في غربي الجزيرة العربية» ١٩١٨/١/١ و.خ. ٣٧١-٣٣٨٨

(١١) المصدر نفسه.

(١٢) رونالد ستورس Orientations - لندن - ١٩٣٧ ص ٣٥٣

(١٣) رسالة من جوزف كوهين الى التايمس اللندنية ١٩١٩/٩/١٩.

(١٤) وايزمن الى اهير ١٩١٨/١٢/١٧ و.خ. ٣٧١-٤١٧٠

(١٥) «ملاحظات حول مقابلة مع المستر بلفور» ١٩١٨/١٢/٤ و.خ. ٣٧١-٣٣٨٥

(١٦) و.خ. الى وينغيت ١٩١٨/١/٤ و.خ. ٣٧١-٣٠٥٤

(١٧) المصدر نفسه. انظر ايضا الضابط البريطاني هوغارت مع الملك حسين ١٩١٨/١/١٥ و.خ. ٣٧١-٣٣٨٣

(١٨) وينغيت الى و.خ. ١٩١٨/١/٤ و.خ. ٣٧١-٣٠٥٤
(١٩) ١٩١٨/١٢/٤ و.خ. ٣٧١-٣٣٩٨
(٢٠) كلايتون الى و.خ ١٩١٨/٢/٢٥ و.خ. ٣٧١-٣٣٩١
(٢١) كلايتون الى و.خ. ١٩١٨/٣/٥ و.خ. ٣٧١-٣٣٩١
(٢٢) و.خ. الى وينغيت ١٩١٨/٢/١٣ اوراق كلايتون ١٤٨-٥ رقم ٢١٨
(٢٣) كلايتون الى و.خ. ١٩١٨/٣/١٠ و.خ ٣٧١-٣٣٩١
(٢٤) كلايتون الى و.خ ١٩١٨/٣/٣٠ و.خ. ٣٧١-٣٣٩١
(٢٥) كلايتون الى سايكس ١٩١٨/٣/٣١ و.خ ٣٧١-٣٣٨٣
(٢٦) وايزمن «التجربة والخطأ» ص ٢٧٢
(٢٧) كلايتون الى و.خ. ١٩١٨/٤/٩ و.خ. ٣٧١-٣٣٩١
(٢٨) اورمسبي غور الى بلفور ١٩١٨/٤/١٩ و.خ. ٣٧١-٣٣٩٥
(٢٩) المصدر نفسه
(٣٠) المصدر نفسه
(٣١) المصدر نفسه
(٣٢) انباء فلسطين ١٩١٨/٤/٢٥ المتحف البريطاني.
(٣٣) وايزمن الى اورمسبي غور ١٩١٨/٤/١٦ و.خ ٣٧١-٣٣٩٨
(٣٤) ستورس الى ق.ع. ١٩١٨/٤/٢٢ و.خ. ٣٧١-٣٣٩٨
(٣٥) المصدر نفسه.
(٣٦) كلايتون الى سايكس ١٩١٨/٤/١٨ اوراق كلايتون ١٤٨-٨
(٣٧) ١٩١٨/٤/٢٢ و.خ. ٣٧١-٣٣٩٨.
(٣٨) وايزمن الى برانديس ١٩١٨/٤/٢٥ و.خ. ٣٧١-٣٣٩٥
(٣٩) المصدر نفسه
(٤٠) «مستقبل فلسطين» ايار ١٩١٨ و.خ. ٣٧١-٣٣٨٣
(٤١) المصدر نفسه.
(٤٢) وايزمن الى بلفور ١٩١٨/٥/٣٠ و.خ ٣٧١-٣٣٩٥
(٤٣) المصدر نفسه. كان كلايتون هو الذي شجع وايزمن على محاولة التحالف مع الهاشميين.
(٤٤) ب.س. جويس «مقابلة بين الدكتور وايزمن والشريف فيصل» ١٩١٨/٦/٥

و.خ. ٨٨٣-١٤.

(٤٥) ١٩١٨/٨/٢٧ و.خ. ٣٧١-٢٢٨٩ ملحق رقم ٢

(٤٦) كلايتون الى وينغيت ١٩١٨/٨/٢ اوراق كلايتون ١٤٩-٣

(٤٧) البينا الى سايكس - بدون تاريخ - و.خ. ٨٠٠-٢٢١

(٤٨) انباء فلسطين ١٩١٨/٦/٢٧.

(٤٩) المكتب العربي «تقرير عن الحركة العربية» تموز ١٩١٨ و. خ. ٨٨٢ - ٣٣٩١

(٥٠) كلايتون الى و.خ. ٢٥-٨-١٩١٨ و.خ. ٣٧١-٣٣٩١

(٥١) ١٩١٨/٩/٧ و.خ. ٣٧١-٣٣٨٨

(٥٢) كلايتون الى وينغيت ١٩١٨/٩/٢١ اوراق كلايتون ١٤٨-٨

(٥٣) مستقبل فلسطين ١٩١٨/١٠/١٨ و.خ. ٣٧١-٣٣٨٤

(٥٤) الاركان العامة، وزارة الحربية «الاهمية الاستراتيجية لسوريا بالنسبة للامبراطورية البريطانية» ١٩١٨/١٢/٩ و.خ ٣٧١-٤١٧٨

(٥٥) المصدر نفسه.

(٥٦) كلايتون الى و.خ. ١٩١٨/٩/١٩ و.خ ٣٧١-٣٩٩٥

(٥٧) ١٩١٨/١١/١٦ و.خ ٣٧١-٣٣٨٦

(٥٨) المصدر نفسه.

(٥٩) انظر هبارد الى ق.ع. ١٩١٨/١١/٢٠ و.خ. ٣٧١-٣٣٨٦

(٦٠) ١٩١٨/١١/١٥ و.خ. ٣٧١-٣٣٨٦

(٦١) ١٩١٨/١١/١٧ و.خ. ٣٧١-٣٣٩٨

(٦٢) ١٩ - ١١ - ١٩١٨ و. خ. ٣٧١ - ٣٣٨٦

(٦٣) ستورس الى ق.ع. ١٩١٨/١١/١٦ و.خ. ٣٧١-٣٣٨٦.

(٦٤) ١٩١٨/١١/٢٤ المصدر نفسه

(٦٥) المصدر نفسه

(٦٦) كلايتون الى بلفور ١٩١٨/٦/١٦ و.خ ٣٧١-٣٣٩٥

(٦٧) اورمسبي غور الى بلفور ١٩١٨/٥/٢٠ و.خ. ٣٧١-٣٣٩٥

(٦٨) ١٩١٨/٨/٢٧ و. خ ٣٧١ - ٣٣٨٩

(٦٩) ج.ن. كامب «المؤتمر الفلسطيني» ١٩١٩/٢/١٥ و.خ ٣٧١-٤١٥٣.

(٧٠) المصدر نفسه

(٧١) المصدر نفسه

(٧٢) المصدر نفسه

(٧٣) المصدر نفسه

(٧٤) «تقرير من وايزمان» ٨-٢-١٩١٩ و.خ. ٣٧١-٤١٧٠

(٧٥) المصدر نفسه.

(٧٦) ١٩-٢-١٩١٩ و.خ. ٣٧١-٤١٧٩

(٧٧) ٢٦-٣-١٩١٩ و.خ. ٣٧١-٤١٥٣

(٧٨) ٣٠-٤-١٩١٩ و.خ. ٣٧١-٤١٨٠

(٧٩) ٣-٥-١٩١٩ و.خ. ٣٧١-٤١٨٠

(٨٠) المصدر نفسه

(٨١) كلايتون الى و.خ. ١٩١٩/٥/١١ و.خ. ٣٧١-٤١٨٠

(٨٢) انظر وايزمان الى آرون فيليكس ١٩١٩/٥/٨ و.خ. ٣٧١-٤١٨١

(٨٣) الارشيف الصهيوني المركزي - القدس - ١٩١٩/٥/١٠ ز - ١٦٠٠٩

(٨٤) المصدر نفسه

(٨٥) كلايتون الى و.خ. ١٩١٩/٥/٢ و.خ. ٣٧١-٤١٨١

(٨٦) المصدر نفسه

(٨٧) انظر كتاب هاري هوارد بعثة كنغ - كرين - بيروت - ١٩٦٣.

(٨٨) للاطلاع على بعض العرائض العربية راجع اوراق كنغ الخاصة مكتبة كلية اوبرلين، اوبرلين، اوهايو، الولايات المتحدة.

(٨٩) هوارد ص ١٠٠

(٩٠) المصدر نفسه ص ١٠٢

(٩١) تشارلز كرين وهنري كنغ، «تقرير الفريق الاميركي من البعثة الحليفة للانتدابات في تركيا، القسم الاول تقرير سوريا» باريس ١٩١٩/٨/٢٨، الارشيف القومي، وزارة الخارجية الاميركية ١٨١، ٩١٠٢-٩

(٩٢) هوارد ص ٩٨

(٩٣) كلايتون الى كرزون ٥-٦-١٩١٩ و.خ. ٣٧١-٤١٨١

(٩٤) المصدر نفسه

(٩٥) كلايتون الى وزير الخارجية، ١٩١٩/٦/١٩، و.خ. ٣٧١-٤١٨٢

(٩٦) مذكرة من المؤتمر السوري العام للفريق الامريكي من بعثة الحلفاء ١٩١٩/٧/٣ و.خ. ٣٧١-٤١٨٢

(٩٧) فرنش الى كيرزون ١٩١٩/٨/٣٠ و.خ. ٣٧١-٤١٨٢

(٩٨) المصدر نفسه

(٩٩) ١٩١٩/٨/١٢ و.خ. ٣٧١-٤٢٢٦

(١٠٠) كامب الى رئيس القسم السياسي ق.ع. ١٩١٩/٨/١٢ و.خ. ٣٧١-٤١٨٢

(١٠١) المصدر نفسه

(١٠٢) وايزمان ١٩١٩/٢/٨

(١٠٣) ارشيف الهاغانا، القدس ١٩١٩/٨/٢٧

(١٠٤) المصدر نفسه.

(١٠٥) المصدر نفسه ١٩١٩/٩/٢

(١٠٦) المصدر نفسه

(١٠٧) واطسون الى رئيس القسم السياسي ب.ع.م. ١٩١٩/٨/١٦ و.خ. ٣٧١-١٤٧١

(١٠٨) انظر وايزمان الى السير رونالد غراهام ١٩١٩/٧/١٤ و.خ ٣٧١-٤٢٢٥

(١٠٩) «تقرير محكمة التحقيق المنعقدة بامر سعادة المندوب السامي والقائد العام في ١٢ نيسان ١٩٢٠» ١٩٢٠/٧/١ و.خ. ٣٧١-٥١٢١ تقرير بالين.

(١١٠) ١٩١٩/١٠/١٨، و.خ. ٣٧١/٤١٨٥

(١١١) الاستخبارات البحرية «الوضع في سوريا وفلسطين» ١٩١٩/١٢/١٢ و.خ. ٣٧١-٤٢٣٨

(١١٢) ١٩٢٠/١/٩ المصدر نفسه

(١١٣) المصدر نفسه

(١١٤) ١٩٢٠/٢/٧ و.خ. ٣٧١-٤١٨١

(١١٥) تقرير بالين ص ٥٦

(١١٦) المصدر نفسه ص ٥٧

(١١٧) انظر وايزمان ٣١٧-٣١٨ وكريستوفر سايكس Crossroads to Israel - لندن - ١٩٦٥ ص ٢١

(١١٨) انظر عزت دروزة ص ٣٧

(١١٩) المصدر نفسه
(١٢٠) المصدر نفسه
(١٢١) المصدر نفسه ص ٦٢
(١٢٢) دروزة ص ٣٧
(١٢٣) عيسى السفري «فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية» ـ القدس ـ ١٩٣٧ ص ٤٧
(١٢٤) تقرير بالين ص ٦٣ـ٦٤
(١٢٥) المصدر نفسه
(١٢٦) المصدر نفسه ص ٧٥ـ٧٦
(١٢٧) المصدر نفسه ص ٧٨
(١٢٨) المصدر نفسه ص ٦٨
(١٢٩) المصدر نفسه ص ٧٦
(١٣٠) المصدر نفسه ص ٧٩
(١٣١) المصدر نفسه ص ٨١
(١٣٢) المصدر نفسه ص ٨٢
(١٣٣) ستورس «شرقيات» ص ٣٩١
(١٣٤) انظر ايلي كدوري «السير هربرت صموئيل وحكومة فلسطين» Affairs المجلد الخامس رقم ١ كانون الثاني ١٩٦٩ .
(١٣٥) رسالة من صموئيل الى كيرزون ١٤/٥/١٩٢٠ و.خ. ٨٠٠ـ١٥٦
(١٣٦) هربرت صموئيل مذكرات ـ لندن ـ ١٩٤٥ ص ١٦٨
(١٣٧) السفري ص ٣٤ـ٣٥

الفصل الخامس

مرحلة التبلور: ١٩٢٠ - ١٩٢٣

لفتت انتفاضة القدس خلال شهر نيسان ١٩٢٠ أنظار مؤتمر السلام (سان ريمو) الى النزاع العربي الصهيوني في فلسطين. ولكن المؤتمر بدلاً من ان يعيد النظر في سياسة بريطانيا بشأن الوطن القومي اليهودي في فلسطين، منح بريطانيا حق الانتداب على فلسطين، وحدد واجباتها من خلال تكرار نص تصريح بلفور حرفياً على الرغم من التناقض الواضح بين فرض وعد بلفور على الشعب الفلسطيني وبين حق هذا الشعب بتقرير مصيره وسيره نحو الاستقلال بموجب ميثاق عصبة الأمم وبموجب وعود الحلفاء المقطوعة في هذا الصدد.

ولم تكشف الادارة العسكرية النقاب رسمياً عن مضمون هذا التصريح أمام شعب فلسطين حتى شهر نيسان ١٩٢٠ (وبالتحديد بعد ثلاثة أيام من تفويض بريطانيا بالانتداب على فلسطين)(١). وبعد خمسة أيام بلغت الادارة مضمون قرارات سان ريمو لوجهاء نابلس. وعلى الرغم من تحذيرات اللنبي الخطيرة(٢) وعلى الرغم من الاعتبارات الشرعية الناشئة من تأخر إبرام معاهدة السلام، فقد وافق رئيس الوزراء ومجلس الوزراء على اقتراح صهيوني بأن يصبح هربرت صموئيل أول مندوب سام لفلسطين(٣).

وفي غضون الفترة الواقعة بين قرارات مؤتمر سان ريمو في نيسان ١٩٢٠ وبين شهر أيلول ١٩٢٣ عندما بدأ تطبيق بنود الانتداب الفلسطيني تطبيقاً كاملاً، ازدادت مواقف الاطراف الثلاثة لفلسطين تصلباً وتبلوراً. فقد حولت احكام الانتداب الانسجام البريطاني الصهيوني -كما حدده تصريح بلفور- من مشروع حب مبني على مصلحة متبادلة إلى زواج دولي كاثوليكي لا تنفصم عراه تعهدت فيه بريطانيا بانتهاج سياسة انشاء وطن قومي يهودي مقابل التعاون والمساندة الصهيونية في فلسطين.

وفي أعقاب اعلان تصريح بلفور وقرار سان ريمو اجتاحت البلاد موجة من احتجاجات العرب الفلسطينيين ضد هذه السياسات وضد فصل فلسطين عن سوريا، وظهرت بوادر القلق والتمرد(٤). ووقعت عدة اشتباكات بين القبائل العربية والحرس البريطاني على طول الحدود التي تفصل فلسطين عن سوريا في المنطقة الممتدة بين بيسان وسمخ ونزل بالجانبين عدد كبير من الاصابات.

وفي السادس من أيار نشرت صحيفة فتى العرب ان «المسلمين والمسيحيين يعقدون مزيداً من الاجتماعات السياسية التي قد تسفر عن احتجاجات ضد السياسة البريطانية التي أسهمت في تقسيم سوريا».

السلطات تمنع عقد المؤتمر الفلسطيني الثاني

وبعد ذلك باربعة أيام نشرت صحيفة الكرمل ان «وفوداً قد أرسلت إلى منطقتي الجليل وعكا لحث السكان على تقديم المساعدة في مؤتمر القدس».

بيد انه على الرغم من السخط والاستياء الذي كان يكنه الفلسطينيون للسياسات الموالية للبريطانيين فان طبقة الوجهاء السياسيين في البلاد كانت تسعى جاهدة ومصممة الى تجنب الاصطدام مباشرة بالسلطات البريطانية في غضون الكفاح ضد الصهيونية. فقد كانت القيادة الفلسطينية تهدف الى احداث تغيير في السياسة البريطانية (في فلسطين) من خلال التصميم (السلمي) والاقناع الودي.

ففي مقال حول طريقة تركيب المؤتمر وهدفه كشفت صحيفة الكرمل التي أخذت تبدي ميلاً نحو الانكليز- عن الاستراتيجية التي تنتهجها الجمعيات الإسلامية المسيحية في وجه التحالف الانكليزي -الصهيوني في فلسطين فقالت «ان الحكومة البريطانية حكومة قوية ومن ثم فمن الصعب علينا أن نحاربها. فلا بد لنا إذن من جعل ثورتنا تقتصر على محاربة خصومنا(٥)».

ومع ذلك وعلى الرغم من هذه الاشارات الودية فان السلطات البريطانية حظرت، لاسباب تتعلق بالامن(٦)، عقد المؤتمر الفلسطيني الثاني.

ومضت أقلية من الوجهاء السياسيين الى حد التعاون مع الصهيونيين. فبموجب برنامج صهيوني سري وضعه وايزمان(٧)، عقد الدكتور ادر من اعضاء اللجنة الصهيونية

صفقة مع رئيس تحرير صحيفة الأخبار بمبلغ ١٢٥ جنيهاً فلسطينياً . وعقد صفقات بمبالغ أكبر مع كل من سعيد النابلسي ورشيد أبو خضرة من يافا وحيدر طوقان من نابلس(٨) . ولكن هذه الحملة الصهيونية بالذات قد فشلت ، وكتب ضابط قسم الاتصال التابع للدكتور ادر تقريراً يتضمن قيام موجة من الاحتجاجات الفلسطينية ضد المتعاونين(٩) . ولقد كانت هذه الحادثة بالذات هي التي حفزت صحيفة الكرمل للدعوة الى الوحدة الوطنية لكي تحث الرأي العام على الضغط على الملاكين حتى لا يبيعوا أراضيهم لليهود(١٠) .

الصهيونية «تسمم نفوس اليهود»

وجاء تعيين صموئيل مندوباً سامياً ضربة قوية للفلسطينيين . ففي أعقاب القيام برحلة شاملة خلال شهر ايار ، كتب الجنرال بولز يقول :

«انهم مقتنعون بأنه سيكون متحيزاً للصهيونية وانه يمثل حكومة يهودية لا بريطانية»(١١) .

وفي التقرير نفسه تحدث بولز عن «دلائل مؤكدة عن وجود دعاية وأفكار بولشفيكية» . ومهما يكن من أمر فليس لحزب «عمال صهيون» او لحزب «العمال الاشتراكيين» (الحزب الشيوعي) اتباع كثر في صفوف طبقة العمال العرب أو الفلاحين . ولكن حزب «عمال صهيون» أصدر كراساً اتهم فيه الزعماء الصهيونيين «بتسميم نفوس العمال اليهود ضد الفلاح غير المثقف وشن حرب اقتصادية ضد اولئك الذين لا يملكون شيئاً»(١٢) . أما حزب «العمال الاشتراكيين» فقد «ظل يهودياً خالصاً حتى اواخر العشرينات ، ولقي الشيوعيون صعوبة كبرى في العثور لا على مرشحين من العرب للدخول في عضويته وحسب بل حتى على مجرد متعاطفين وحلفاء محتملين»(١٣) .

وباقتراب موعد تسليم السلطة لحكومة مدنية ، اشتدت حدة احتجاجات العرب الفلسطينيين ضد قرارات مؤتمر سان ريمو وضد تعيين هربرت صموئيل مندوباً سامياً . ورجا فيصل اللنبي بأن «يعمل على الغاء هذا القرار الذي يؤثر تأثيراً بالغاً في مصالح السكان العرب وكرامتهم على السواء»(١٤) .

ولم تقتصر معارضة تعيين هيربرت صموئيل على كتابة المذكرات الدبلوماسية بل انتشرت شائعات عن اعتزام العرب القيام في الثلاثين من حزيران بغارات عربية بقصد التأثير في نفس السير هيربرت صموئيل . ووردت كذلك تقارير عن وجود محاولات

لاغتياله(١٥) . وقدم الصهيونيون معلومات تتعلق بانفجار وشيك مزعوم يتم في نهاية شهر رمضان(١٦) . وعندما وصل صموئيل في الثلاثين من حزيران وجد السلطات العسكرية في حالة من التوتر «وقد اتخذت أشد الاستعدادات ضد أي حادث طارىء محتمل»(١٧) .

الخطة الصهيونية- البريطانية

وكان صموئيل قد قرر قبل وصوله ان يتبنى سياسة ذات حدين ترمي الى حمل العرب على الاذعان لسياسة بريطانيا في انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين . فهو من جهة ، قرر إبلاغ العرب ان انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين بالتدريج هو أمر واقع مفروغ منه بقدر ما يتعلق الأمر بالحكومة البريطانية* وهو من جهة أخرى، قرر كسب تأييد الفلسطينيين المعتدلين أي ذوي المصالح الثابتة المستقرة وذلك من خلال إبداء المودة الشخصية والتساهل السياسي «وعدم التحيز» ضمن إطار تصريح بلفور. أما الخطة البريطانية الصهيونية لتهويد فلسطين فقد سارت على أساس الغزو التدريجي القائم على تشجيع الهجرة اليهودية ونقل ملكية الاراضي لليهود وتعليق الحكم الذاتي كما سنرى .

وسارع صموئيل بعد وصوله الى استدعاء وجهاء القدس وضواحيها، لاجتماع يعقد في السابع من تموز والى استدعاء وجهاء حيفا الى اجتماع يعقد في اليوم التالي . وهنا دعت الحركة الوطنية الفلسطينية التي سبق لها ان أعلنت انه ليس في وسع الفلسطينيين ان يعترفوا بهيربرت صموئيل الذي يعتبرونه زعيما صهيونياً(١٨) الى مقاطعة الاجتماعين :

«ولبضعة أيام وفي بعض المناطق ، ساد التردد بعض الوجهاء البارزين بشأن الدرب الذي يسلكونه ولكنهم في النهاية حضروا جميعاً باستثناء عدد ضئيل جدا»(١٩) .

ولقد فضح فشل المقاطعة مدى تهيب الوجهاء السياسيين في فلسطين . وفي كلا الاجتماعين المذكورين قرأ صموئيل رسالة موجهة من الملك الى شعب فلسطين ، والقى كلمات وعد فيها بالحرية والمساواة لجميع الأديان وباحداث تطوير إداري واقتصادي ممتاز ، واعلن العفو عن جميع من كانوا في السجن بسبب اضطرابات عيد الفصح في القدس .

---

* لكي يتأكد من تعاطف الادارة الفلسطينية البريطانية مع الصهيونية قام صموئيل بتعيين وندهام ديدس سكرتيرا أول للحكومة ونورمان بنتويتش سكرتيرا قانونيا وكلاهما من المعروفين بميولها الصهيونية المتطرفة ، اما بنتويتش فكان يهودياً صهيونياً مؤلفاً في الصهيونية وعيّن نائباً عاماً وعهد إليه بسن القوانين وكان موضع نقمة العرب واحتجاجهم الدائم.

وبالاضافة الى ذلك كشف صموئيل النقاب عن خططه بشأن «المرحلة الاولى من قيام مؤسسات الحكم الذاتي».

وكان «المجلس الاستشاري» خطوة قصد بها خلق شعور بالمشاركة في الحكومة، وطريقاً للتعبير السلمي عن المشاعر الأمر الذي يساعد على تفادي حدوث انفجارات سياسية مفاجئة وعنيفة. ففي تقرير قدمه الى وزير الخارجية اعرب صموئيل عن رضاه عن الاثر الودي الذي تركته خطبه في مختلف انحاء البلاد ولكنه اضاف يقول «.... ان المتطرفين سيواصلون، دون شك، انتقاداتهم»(٢٠).

الصهيونية تتنافى وحقوق العرب

رداً على خطب صموئيل التي بدت في الظاهر معتدلة أشارت صحيفة الكرمل الى تعذر التوفيق بين الدعامتين اللتين يقوم عليهما كل من تصريح بلفور والانتداب فقالت:

«اننا لا نفهم كيف يمكن ان تتم اقامة وطن قومي لعناصر غريبة في بلادنا دون المساس بحقوقنا الدينية والمدنية.

«اننا لنحتج بشدة ضد عزل فلسطين عن امها سوريا وجعلها وطناً قومياً لليهود، ونناشد الحكومة البريطانية والشعب البريطاني الحرّ العمل على احقاق العدالة».

وعقد اول اجتماع للمجلس الاستشاري الذي اشار اليه صموئيل في خطابه الاول، في السادس من تشرين الاول ١٩٢٠، وكان المجلس يتألف برئاسة صموئيل نفسه من ٢٠ عضواً نصفهم من الموظفين البريطانيين والنصف الثاني من الفلسطينيين- سبعة من العرب (اربعة مسلمين وثلاثة مسيحيين) وثلاثة من اليهود. اما الاعضاء العرب فكان بينهم اسماعيل الحسيني، فريح أبو مِدّين، سليمان ناصيف، عبد الرزاق طوقان وهم من الوجهاء الموالين لبريطانيا ومن اصحاب المصالح الضالعين معها. ووصف ديدس الاجتماع الاول للمجلس بأنه أسفر عن نجاح كبير على الرغم من الانتقادات التي وجهها الاعضاء غير الرسميين(٢١). وبالاضافة الى ذلك سجل ديدس وجود شعور لدى قطاع (يتألف معظمه من المسلمين) من السكان بضرورة ان يكون اعضاء المجلس منتخبين لا معينين.

وبعد ثلاثة اسابيع أخذت النظرة المتفائلة للادارة العامة بالتغير. واوضح ديدس أن الاسباب الكامنة وراء هذا التغيير تشمل مبادرة جديدة اتخذتها الطبقة المثقفة(٢٢)، ففي

الشرق يكاد يكون من المستحيل منافسة هذه الطبقة ، ثم وجود حركات مثل حركة الوحدة الاسلامية(٢٣) الخ وضرورة معالجة بعض المشكلات العملية الناشئة من البرنامج الصهيوني .

المؤتمر الفلسطيني الثالث

ومن بين العوامل الاخرى احتمال عقد مؤتمر فلسطيني ثالث فقد كان سقوط الحكم العربي في دمشق خلال شهر تموز ١٩٢٠ ضربة قوية للحركة الوطنية العربية الفلسطينية تركت آثاراً عميقة في استراتيجية هذه الحركة ،ذلك ان مصدراً قوياً للتأييد قد اختفى فجأة فوجد الفلسطينيون انفسهم وحيدين وسط حلبة صراع تحول فيها ميزان القوة إلى اعدائهم المصممين على سياستهم . وكان على المؤتمر الفلسطيني الجديد المقترح عقده ان يقوم بمهمة ثقيلة الا وهي استحداث استراتيجية جديدة تتصدى للحالة الجديدة .

وهكذا عقد «المؤتمر الفلسطيني العربي الثالث» في حيفا في الثالث عشر من كانون الاول ١٩٢٠ وحضره ممثلون عن الجمعيات الاسلامية المسيحية والجمعيات الاخرى في مختلف انحاء البلاد، وتولى رئاسته موسى كاظم الحسيني . واكد أعضاء المؤتمر فيما اتخذوه من قرارات ان فلسطين مشمولة في المملكة العربية التي وعدت بريطانيا بموجب مراسلات الحسين- مكماهون بان تعترف بها ، واعربوا عن استيائهم من «شكل الحكومة الحالي من حيث انه لا يلبي رغباتهم ولا يصون مصالحهم»(٢٤) . واشار البيان الذي صدر عن المؤتمر ، على نحو يتصف بشيء من الحذر ، إلى أن الحكومة غير شرعية لانها تمارس «سلطة التشريع دون مجلس تمثيلي وقبل أن يصدر القرار النهائي لعصبة الأمم» . واعترض الاعضاء على اعتراف الحكومة بالمنظمة الصهيونية هيئة رسمية وباللغة العبرية لغة رسمية وكذلك استخدام العلم الصهيوني وقبول المهاجرين الصهيونيين . وشجب المؤتمر المجلس الاستشاري واعتبره «محاولة باطلة لاظهار وجود مجلس في فلسطين يتمتع بسلطات تشريعية ويمثل السكان» . وبالاضافة إلى ذلك ندد بكثرة عدد الصهيونيين المعينين في مختلف دوائر الحكومة واختتم بيانه باعلان ثلاثة مبادىء أي «ميثاق وطني» للحركة الوطنية العربية في فلسطين :

١ ـ شجب السياسة الصهيونية التي تنطوي على اقامة وطن قومي لليهود والمبنية على تصريح بلفور .

٢ـ رفض مبدأ الهجرة اليهودية .

٣ـ اقامة حكومة تمثيلية وطنية(٢٥) .

وانتخب المؤتمر لجنة تنفيذية من الوجهاء الفلسطينيين المعتدلين برئاسة موسى كاظم الحسيني(٢٦) . وعهد اليها الإشراف على تنفيذ مقررات المؤتمر الى حين انعقاده .

اثر سقوط الحكم العربي بدمشق

مع ان المؤتمر كان مناوئاً للصهيونية بشكل جلي إلا انه كان معتدلاً من حيث موقفه من الحكومة البريطانية . فالمبادىء الثلاثة المعلنة لم تتحد سلطة الانتداب على نحو سافر بل ركزت على الاعتراض على ادخال تصريح بلفور في مواده .

وسادت البلاد خلال شهر كانون الاول وأوائل كانون الثاني شعور من الهياج واعمال التحريض(٢٧) . ولما كان المؤتمر منبثقاً من الجمعيات الاسلامية المسيحية فقد كان يمثل العناصر التي تولت قيادة هذه الجمعيات(٢٨) منذ عام ١٩١٨ أي العناصر المنبثقة من الوجهاء والتجار والملاكين في المدن والقرى مضافاً اليهم اقلية من مثقفي الطبقة الوسطى . اما الوحدة الوطنية فقد كانت تعني الحد الادنى المشترك بين افراد المعسكر المناوىء للصهيونية ، ومن الطبيعي ان يعكس تركيب اللجنة التنفيذية هذا الواقع . واما عدم ورود أي ذكر للاستقلال والوحدة مع سوريا في بيان المؤتمر فقد كان نقطة تلفت النظر لا يمكن تفسيرها إلا في ضوء الاحتلال الفرنسي لسوريا .

ومع ذلك فان مقررات المؤتمر لم تنج من الانتقادات التي وجهتها اليها العناصر الشابة العنيفة . فقد كتب السيد عيسى العيسى مقالاً اختتمه مشيراً إلى أن مطالب مؤتمر حيفا لم تكن جذرية إلى الحد الكافي(٢٩) .

بيد انه على الرغم من اعتدال مقررات مؤتمر حيفا فان الحكومة ارتأت أن مندوبي المؤتمر اختارتهم اقلية صغيرة من الجماعات ورفضت بالتالي الاعتراف بانه يمثل الشعب(٣٠) . وعندئذ كان لا بد لزعماء المؤتمر من اثبات صدق تمثيلهم للبلاد فشنوا حملة ناجحة لهذا الغرض لكي يكسبوا التأييد العام لقيادة المؤتمر ومقرراته(٣١) . ولقد كانت اعمال التحريض والنشرات والاجتماعات العامة التي اقترنت بهذه الحركة سبباً في تجديد الاهتمامات اليومية بالشؤون السياسية وبأمر مستقبل البلاد لدى الشعب الأمر الذي ادى بدوره إلى عودة حالة التوتر إلى البلاد .

وفي محاولة لتخفيف حدة المخاوف المتصاعدة ولاقامة علاقات شخصية بزعماء المعارضة دعا صموئيل موسى كاظم وخمسة من زملائه السياسيين إلى دار الحكومة ليبحث معهم على صعيد شخصي «الامور التي تشغل بالهم»(٣٢) وذكر موسى كاظم مخاوف الشعب من عواقب بيان المستر بلفور والهجرة اليهودية واثار كذلك قضية الحكومة التمثيلية . وفي معرض الرد على مطالب موسى كاظم أوضح صموئيل بجلاء ان صلاحيته لا تشمل السياسة التي وضعتها حكومة صاحب الجلالة البريطانية وتصريح بلفور وانما تنحصر مهمته في تنفيذ هذه السياسة . ولكن صموئيل اشار على كل حال، إلى أن من ضمن صلاحياته تنفيذ الجزء الثاني من تصريح بلفور. وقال ان مسألة اجراء انتخابات بلدية تحظى الان بالفعل باهتمامه البالغ . وبالاضافة إلى ذلك صرح صموئيل بانه مستعد للاعتراف باي هيئة من «الذوات» تمثل قطاعاً هاماً من الشعب بنفس الطريقة التي اعترف فيها بالمجلس الوطني اليهودي وبنفس الشروط أي أن لا تكون هناك اية قرارات تتناقض مع شروط الانتداب(٣٣) . ومع ان الزعماء الفلسطينيين امتنعوا عن الموافقة على مقترحات صموئيل إلا انهم تجاوبوا متعاطفين مع امكانات قيام علاقات شخصية ودية مع المندوب السامي ومع الملابسات السياسية التي ترافق ذلك .

تجدد النشاط السياسي

ولعل واحداً من الاسباب القوية لانتعاش النشاط السياسي في خضم مؤتمر حيفا يعود إلى شعور عدم الاستقرار الذي كان يسود المنطقة . فقد اوحت انتصارات مصطفى كمال اتاتورك شعوراً بان تركيا سترفض ، على الاغلب ، المصادقة على معاهدة الصلح الأمر الذي حمل على اعادة النظر في أمر الانتداب من جديد . يضاف إلى ذلك شعور ساد الأوساط الشعبية بان العرب سيقومون بمحاولة لطرد الفرنسيين من سوريا . وفي منتصف شهر كانون الثاني ١٩٢١ رفع ديدس تقريراً كتب فيه ان العرب الفلسطينيين حتى المسؤولين منهم يؤمنون ايماناً قوياً «بانه لا تزال هناك فرصة لتغيير الانتداب وان الكثيرين من السياسيين البريطانيين وقطاعاً من الرأي العام البريطاني يرغب في حدوث التغيير»(٣٤) .

وبالنظر لوفرة الاسباب التي تدعو إلى نشوب الاضطرابات اعرب ديدس عن مخاوفه من الاحتمالات الفورية فقال :

«لست اعتقد ان ثمة اسبابا كثيرة للخوف من الاعضاء المسؤولين من الفئات

المستاءة، ولكن اقوال واعمال الاعضاء غير المسؤولين عرضة لاثارة الاخطار في جو مشحون على الدوام بالتوتر ولا سيما في هذا الوقت من العام الذي تقترب فيه من عيد الفصح»(٣٥). ولقد تفاقم هذا الشعور نفسه بعد نشر مسودة الانتداب في الصحف المحلية (٣٨). وتضمن تقرير شهر شباط المشار اليه انباء عن حركة لجمع التواقيع احتجاجاً على فصل فلسطين عن بقية المنطقة التي تنتمي اليها فلسطين جغرافياً وقومياً وتاريخياً. ولقد كانت هذه الحركة انعكاساً «لجهود متجددة قام بها القوميون العرب في مصر وفلسطين وسوريا لتحقيق اغراضهم من خلال التعاون»(٣٧). وتضمن التقرير انباء عن وجود اهتمام متزايد بمشكلة الهجرة اليهودية الى منطقة الجليل من خلال محاولات مؤتمر حيفا لكسب التأييد لمقرراته:

«ففي ضواحي بيسان ساد شيء من القلق والخوف اعرب عنها اخيراً بعض سكان المنطقة من العرب وذلك بناء على انطباع لا اساس له من الصحة بان الحكومة تعتزم توسيع نطاق اليهود على نحو يلحق الاذى بمصالح السكان العرب»(٣٨).

وكانت ملكية اراضي الجفتلك في بيسان ذات أثر مباشر في اشتراك الفلاحين في الحرب السياسية ضد سياسة الحكومة الموالية للصهيونية. وكانت للفلاحين هنا مخاوف حقيقية بالنظر الى التعقيدات المشمولة في حقوقهم بملكية واستئجار الاراضي موضوع البحث.

مؤتمر القاهرة

وعندما تسلم المستر ونستون تشرشل(٣٩) بوصفه وزيراً للمستعمرات، زمام المسؤولية عن دائرة الشرق الاوسط، سارع الى استدعاء ضباطه العسكريين والموظفين الاداريين والسياسيين الذين يشغلون مناصب حساسة في المنطقة وعقد معهم مؤتمراً في القاهرة(٤٠).

وكان الهدف العام للمؤتمر هو مراجعة الوضع البريطاني في المنطقة ووضع الخطط السياسية لمستقبل سياسة بريطانيا في الشرق الاوسط وذلك في ضوء احتلال فرنسا لسوريا وفي ضوء الاحوال غير المستقرة لشرقي الاردن والعراق.

واعتبر المؤتمر ان حكومة صاحب الجلالة البريطانية مسؤولة، فيما يتعلق بفلسطين، عن انشاء وطن قومي لليهود فيها وذلك بموجب شروط الانتداب. وجاء في مذكرة وضعتها

دائرة الشرق الاوسط وقدمتها الى مؤتمر القاهرة ان الادارة الفلسطينية العامة تلتزم بدقة بشروط الانتداب التي اقترنت بأحسن النتائج»(٤١).

وأوصى المؤتمر بان تشكل شرقي الاردن مقاطعة عربية من فلسطين بقيادة الامير عبد الله شقيق فيصل بحيث يكون مسؤولاً أمام المندوب السامي، ولكن دون ان تكون هذه المقاطعة مشمولة في النظام الاداري لفلسطين وبالتالي دون ان تنطبق عليها شروط الانتداب(٤٢). وفي مقابل ذلك كله، وكذلك في مقابل تلقي مساعدة مالية، تعهد الامير عبد الله ـ بعد عدة اجتماعات عقدها مع تشرشل في القدس ـ باحترام الالتزامات البريطانية الدولية سواء منها ما كان نحو فرنسا بشأن سوريا أو نحو الصهيونيين بشأن فلسطين(٤٣). اما الهدف الرئيسي من انشاء امارة في شرقي الاردن فكان ايجاد مأوى ومستوطن للفلسطينيين العرب الذين سوف يضطرون الى مغادرة فلسطين بسبب البرنامج الصهيوني.

وبعد وقت قصير من الاطلاع على اعتزام تشرشل زيارة مصر وربما فلسطين ايضاً، اعلنت اللجنة التنفيذية لمؤتمر حيفا اختيار وفد للتوجه الى مصر حيث يعرض على تشرشل ظلامات العرب الفلسطينيين. وعلى الرغم من نصيحة الادارة الفلسطينية للوفد بأن ينتظر وصول تشرشل الى القدس فانه غادر فلسطين برئاسة موسى كاظم الحسيني في الثاني عشر من آذار ثم عاد بعد اسبوعين. واستقبل تشرشل الوفد على كره منه، ولكنه رفض ان يبحث معه المشكلات السياسية في تلك المناسبة قائلاً انه ينوي استقبال الوفد في القدس في الثامن والعشرين من آذار ١٩٢١(٤٤). وفي غضون إقامة أعضاء الوفد في مصر أقامت الشخصيات السياسية البارزة هناك من سورية ولبنانية حفلات تكريم لهم ألقيت خلالها الخطب تحية للوحدة العربية(٤٥).

«ففي مساء التاسع عشر من الشهر عقد حزب الاتحاد السوري اجتماعاً بحث فيه التعاون مع العرب الفلسطينيين لتحقيق استقلال سوريا التام»(٤٦) وفي اثناء وجود موسى كاظم في القاهرة اجتمع بالدكتور اسماعيل صدقي من الحزب الوطني الذي نصح الزعيم الفلسطيني بأن يشكل حزباً وطنياً في فلسطين يعمل لنيل البلاد استقلالها التام. وكشف موسى كاظم النقاب في جوابه عن الاستراتيجية الاساسية لتلك المرحلة التي تقوم على اساس قيادة الجمعيات الاسلامية المسيحية.

«وقال موسى كاظم ان اهداف الوفد الفلسطيني تشمل المطالبة بالاستقلال التام،

ولكن اذا لم يكن ذلك مستطاعاً فان الوفد يطالب بان تكون السلطة الفعلية في يد الانكليز لا في يد اليهود كما انه يرغب في ان يكون للبلاد برلمانها الخاص»(٤٧).

اضرابات ومظاهرات واصطدامات

وعندما زار تشرشل فلسطين وجد ان الفلسطينيين متلهفون على ان ينقلوا اليه حيثما ذهب مشاعرهم القوية ضد الصهيونية، مع انه لم يعلن رسمياً موعد وصول القطار الخاص الذي يقل وزير المستعمرات والمندوب السامي إلى غزة فقد استقبلتهما:

«حشود كبيرة مترقبة من الناس كما قدم اشخاص كثيرون من القرى المجاورة. وكانت تسمع في غضون الزيارة هتافات، (يسقط بلفور)، (لا نريد اليهود)»(٤٨).

وعندما امر حاكم حيفا في الخامس والعشرين من آذار بحظر المظاهرات محذراً من مغبة ذلك ومنذراً بفرض العقوبات على من يشتركون في تظاهرات تحظرها الحكومة، تحدى المتظاهرون أوامره واصطدموا بالبوليس مما ادى إلى مقتل صبي مسيحي ورجل مسلم وإصابة وجرح مسيحي برصاصة، كما أصيب عشرة يهود بجروح نتجت من ضربات بالعصي والحجارة وأصيب كذلك خمسة من رجال البوليس بإصابات طفيفة(٤٩).

وبعد ثلاثة ايام رفض حاكم يافا منح الاذن باقامة مظاهرة سلمية. ونتيجة لذلك اقفلت جميع المتاجر الاسلامية ابوابها. وفي اليوم نفسه سارت في القدس مظاهرة ضخمة ولكنها منظمة للاعراب عن الاحتجاج ضد تصريح بلفور(٥٠).

المطالب العربية

وفي الثامن والعشرين من آذار، اجتمعت اللجنة التنفيذية لمؤتمر حيفا بالمستر تشرشل في دار الحكومة بالقدس وقدمت مذكرة شاملة وصفها تشرشل بانها «دراسة تتصف بكفاءة بالغة» وشرحت اللجنة فيها تظلمات العرب وقدمت مطالبها لوزير المستعمرات. واتهمت المذكرة الحكومة البريطانية بخلق فكرة الوطن القومي ونفخ الروح فيها وتحقيقها حتى قبل المصادقة على الانتداب بواسطة عصبة الامم. وعالجت مشكلة فلسطين من النواحي الشرعية والتاريخية والخلقية والاقتصادية والسياسية، واختتمت اللجنة المذكرة بتقديم خمسة مطالب فلسطينية عربية تدعو إلى الغاء الوطن القومي اليهودي ووقف الهجرة وبيع الاراضي واقامة حكومة وطنية فلسطينية مسؤولة امام برلمان وعدم فصل فلسطين عن الدول الشقيقة(٥١).

وابلغ تشرشل الزعماء الفلسطينيين في جوابه انه ليست لديه السلطة على الغاء تصريح بلفور ووقف الهجرة اليهودية التي تفرضها سياسة اقامة الوطن القومي اليهودي في البلاد واضاف يقول ان تصريح بلفور هو «امر واقع» نشأ من الحرب وليس في وسع العرب في فلسطين أن يفعلوا شيئاً غير الموافقة عليه(٥٢) .

ولكنه اكد لزواره ان الحكومة مصممة كل التصميم على التقيد باحكام الجزء الثاني من تصريح بلفور الذي يفرض عليها في الواقع التزاماً مزدوجاً «فاذا كان أحد الوعدين ملزماً فان الوعد الاخر ملزم أيضاً»(٥٣) .

وفي ضوء الطريقة المرتجلة الخالية من الاحترام التي عامل بها تشرشل الزعماء الفلسطينيين ، لم يكن من المستغرب أن يبدأ التقرير السياسي عن شهر نيسان بالقول : ان زيارة الوزير ارضت اليهود وخيبت أمل العرب»(٥٤) .

وكتب الكابتن برانتون من دائرة الاستخبارات العامة في فلسطين تقريراً قال فيه ان زيارة تشرشل قد زادت حدة القلق لدى الفلسطينيين لان وزير المستعمرات «ايد الصهيونية وعامل المطالب العربية وكأنما هي صادرة عن معارضة لا اهمية لها بحيث يمكن تفاديها ببضع عبارات سياسية ومعاملة قادتها كانهم حفنة من الاطفال السيئي التصرف»(٥٥) .

وكانت صرامة الجنود والارواح التي ازهقت خلال تظاهرات حيفا في الثامن والعشرين من آذار قد اججت نار العداء ضد الحكومة وعززت اواصر الوحدة بين المسيحيين والمسلمين لا في حيفا وحدها بل في المناطق الفلسطينية الأخرى أيضاً . ففي بيسان خرج المتظاهرون محتجين ضد الصهيونية والهجرة اليهودية في اثناء الزيارة التي قام بها صموئيل الى البلدة . وفي لواء السامرة لاحظ الحاكم «تزايد نفوذ الزعماء المعادين للصهيونية في صفوف الفلاحين»(٥٦) .

مشكلة انتخاب المفتي

ووردت في التقرير كذلك اشارة الى مشكلة هامة ومثيرة للجدل :

«ففي القدس كان موضوع الاهتمام الرئيسي منصباً على اختيار المفتي الجديد ، وكان الرأي العام منقسماً على نفسه من حيث الشخص الذي ينبغي ان يخلف كامل افندي الحسيني الذي تحتفظ عائلته (وهي احدى اقوى العائلات نفوذاً واوفرها تمتعاً بالاحترام)

بهذا المنصب منذ اجيال عديدة . ولكن رأي المتعلمين ممثلين برجال القضاء لم يكن يعطف على المرشح الشعبي الحاج امين الحسيني شقيق المفتي الراحل ومن ثم فقد جاء ترتيبه من حيث اصوات المنتخبين في اسفل قائمة المرشحين الامر الذي اغضب آل الحسيني وفريقاً كبيراً جدا من سكان المقاطعات كلها . واتجهت الشبهة نحو الحكومة واليهود ورئيس بلدية القدس بأنهم أثروا في نتائج الانتخابات . وكان وجود ثغرة في طريقة تشكيل الهيئة الناخبة سبباً في تسوية هذه المشكلة»(٥٧) .

على ان الحاج امين الحسيني سرعان ما تولى دور المفتي بصرف النظر عن تسوية القضية ، ومن ثم كان هو الذي تولى دعوة صموئيل الى مأدبة غداء اقيمت على شرفه لهذه المناسبة في الخامس والعشرين من نيسان الماضي . وكانت تلبية صموئيل للدعوة بمثابة اعتراف ضمني بالحاج امين الحسيني مفتياً للبلاد في حين ان المعاملة الودية الكريمة التي عامل بها الحاج امين ضيفه دلت على انه راغب في التفاهم مع الحكومة . وسرعان ما اتضح انه لا بد من صرف النظر عن الانتخابات والسماح بان يصبح الحاج امين هو المفتي* وهكذا تفادى صموئيل استعداء آل الحسيني في حركة توازن بين آل الحسيني وخصومهم آل النشاشيبي تتفق مع السياسة الاستعمارية التقليدية المعترف بها .

ان مشكلة مركز الافتاء كانت مشكلة هامة بالنظر إلى أن الادارة الفلسطينية العامة كانت تعتبر مفتي القدس رئيساً (للطائفة الاسلامية) في فلسطين . وبالاضافة الى ذلك انتخب الحاج امين رئيساً للعلماء ورئيساً للمجلس الاسلامي الاعلى الذي زوده بسلطة قوية من خلال ما يمنحه ذلك من سيطرة فعالة على مداخيل الاوقاف ومصروفاتها وعلى تعيين وصرف موظفي المحاكم الشرعية ودوائر الاوقاف وعلى تسمية قضاة الشرع .

على أن جهود الادارة لكسب الرأي العام العربي الفلسطيني ما كانت لتستطيع التغلب على الاساسين اللذين نبعت منها المعارضة العربية وهما الاساس السياسي والاساس الدستوري . فعلى الصعيد السياسي لم تكن الادارة العامة في موقف يسمح لها بإلغاء تصريح بلفور وسياسة الوطن القومي اليهودي . أما على الصعيد الدستوري فلم يكن في وسع الادارة الفلسطينية أن تفعل شيئاً للتعجيل في التسوية النهائية للانتداب في

---

* حملت السلطة أحد المرشحين الثلاثة الناجحين وهو الشيخ حسام الدين جار الله بحيث تسنى للحاج أمين ان يكون الثالث بين الفائزين فاختارته من بينهم.

مؤتمر الصلح كما انه لم يكن في وسعها أن تغير تكوينها الاستبدادي البيروقراطي لتصبح دولة تمثل الشعب. ففي حين كانت أهداف الانتدابات في الاقطار الاخرى هي اعداد السكان المحليين بحيث يتمكنون من الاضطلاع بمهام الحكم الذاتي، فان الادارة الفلسطينية كانت ملتزمة بسياسة جامدة بالنظر إلى أن منح حكومة ذاتية للاكثرية العربية في فلسطين لا ينسجم مع سياسة الوطن القومي اليهودي.

ثورة يافا

وبعد ايام معدودة من الاصطدام بين المتظاهرين والبوليس في حيفا، وجد رجل عربي قتيلاً بالقرب من معسكر للمهاجرين اليهود واصبحت الحالة بالغة التفجر. ولكن الانفجار المتوقع حدث في يافا لا في حيفا وذلك خلال الاسبوعين الاولين من أيار. ولم يكن في ذلك ما يثير الدهشة بالنظر لانتشار البطالة من جهة وازدياد الاستياء من الهجرة الصهيونية ونوع المهاجرين الذين غمروا لكثرتهم المرفأ العربي(٥٨)من جهة اخرى.

ففي مساء الثلاثين من نيسان وزعت مناشير شيوعية باللغات العبرية واليديشية والعربية داعية الى التوقف عن العمل احياء لذكرى يوم أول ايار كما دعت الى قيام طبقة العمال (البروليتريا) في وجه البريطانيين واقامة سوفييت فلسطيني(٥٩).

وفي صباح اليوم الأول من ايار اصطدمت بتل ابيب تظاهرة صهيونية اشتراكية بتظاهرة اخرى غير مرخصة قام بها نحو ٥٥ شيوعياً يحملون العلم الأحمر ونتيجة للاصطدام اجبر الشيوعيون (البولشفيك) على الخروج من تل ابيب ملتجئين الى حي المنشية الاسلامي اليهودي المشترك في يافا. وعندما حاول افراد البوليس تفريق البولشفيك شمل ذلك سكان الحي من المسلمين فثارت اضطرابات عامة سرعان ما عمت انباؤها المدينة بأسرها. واثارت شائعات قيام اليهود بالهجوم على حي المنشية غضبة العرب.

حرس يهودي في مدرعات بريطانية

ويستفاد من تقرير وضعه برنتون ان اليهود بدأوا الحوادث، باطلاق النار على المارين من العرب(٦٠) وان العرب هاجموا منزلاً مخصصاً لاستقبال المهاجرين اليهود الجدد. ولقد أظهر المسلمون والمسيحيون في هذه المناسبة تضامناً في القتال ضد الصهيونية(٦١).

وأشد دلالة مما تقدم ما اشار برنتون اليه من حوادث عديدة وقعت في اليوم الاول من الاضطرابات وأدت الى الاشتباه بتحيز القوات والسلطات. وشملت الحوادث التي اشار اليها برنتون: «وضع حرس يهودي في سيارات مدرعة» وحادث «يهودي مدني شوهد وسمع وهو يصدر الأوامر الى الجنود البريطانيين باطلاق النار على الجمهور» ثم «قيام اليهود بتفتيش العرب على مرأى من الجنود البريطانيين»(٦٢). ومن هذه الحوادث انبثق في اليوم الثاني من ايار ما وصفه برنتون بتظاهرة شرسة طالب فيها العرب الفلسطينيون باحلال قوات هندية محل القوات البريطانية كما طالبوا بتسليحهم ليدافعوا عن انفسهم أمام اليهود المسلحين(٦٣).

وفي اليوم الثالث من أيار تواصلت الاضطرابات ووقعت حوادث قتل في كلا الجانبين والحقت بمتاجر اليهود اضراراً بالغة. ولعب النساء «دوراً كبيراً في حث العرب على مهاجمة اليهود»(٦٤) في حين كان الوجهاء يحاولون تهدئة الناس وابلوا في ذلك «بلاء حسناً»(٦٥).

ولقد الهبت الحوادث التي جرت في يافا خلال الايام الثلاثة الاولى من شهر ايار مشاعر القرويين في مناطق اخرى من فلسطين، وكتب صموئيل الى تشرشل يقول ان العديد من المستعمرات اليهودية في مختلف المناطق قد تعرضت للهجوم:

«وكان من الضروري إرسال عدة مفارز من الجنود والسيارات المدرعة والطائرات والشرطة إلى عدد من الأماكن المختلفة ومطالبة السلطات البحرية بإرسال السفن البحرية إلى يافا وحيفا كإجراء احترازي»(٦٦).

بريطانيا تقتل العرب دفاعا عن الصهيونيين

على أن اخطر الاصطدامات وقعت في منطقة يافا. فحالما سمع الفلاحون والبدو في المناطق المجاورة بتعرض العرب للقتل على ايدي اليهود في يافا، سارعوا الى مسرح الحوادث.

«ففي الخامس من أيار تجمع نحو ٣٠٠٠ عربي الى الشمال من مستعمرة ملبس (بيتاح تيكفا) اليهودية التي تبعد عن يافا نحو عشرة أميال. وتجمع حشد قوي اخر جنوب المستعمرة يتألف من عدة مئات من الرجال»(٦٧).

ولكن قوات الحكومة تولت صد المهاجين وتتبعتهم ملحقة بهم اصابات فادحة بلغت نحو ٦٠ قتيلاً وعدداً من الجرحى(٦٨). وقدرت لجنة هايكرافت عدد القتلى في اضطرابات

يافا بنحو ٩٥ قتيلاً بينهم ٤٨ عربياً و٤٧ يهودياً ونحو ٢١٩ جريحاً بينهم ٧٥ عربياً و١٤٦ يهودياً(٦٩) . غير ان هذه الاحصاءات لم تدخل فيها بعض الاصابات التي وقعت في الخامس من ايار .

وابلغ برنتون رؤساءه ان الصهيونيين كانوا يحاولون ان يثبتوا ان انفجار اليوم الأول من ايار قد اعده العرب ودبره نفر من الوجهاء تشجعهم المناورات الفرنسية . ولكنه اعرب عن رأيه :

« ان ذلك هو ابعد ما يكون عن الواقع . فقد درست القضية بعناية بالغة ، وليست هنالك ذرة من دليل على ان الفرنسيين او غيرهم اشتركوا في التآمر . بل بالعكس كان موقف القنصل الفرنسي يبدو على خير ما يمكن ان يرجى . كذلك ليس هنالك ما يدل على ان الأمر جرى بموجب خطة مدبرة من العرب »(٧٠) .

الثورة نتيجة استياء شعبي عميق

وبالنظر الى اعتقاد برنتون ان اضطرابات يافا لم تكن انفجاراً بسيطاً استخدم فيه الغوغاء العنف بل كان تعبيراً عن « استياء شعبي عميق الجذور وواسع النطاق من السياسة البريطانية الحالية »(٧١) فقد وجد أن لا مفر من ان يوصي بتقديم تنازلات للعرب بشأن الهجرة اليهودية او بزيادة عدد افراد الحرس حتى يمكن فرض التأييد البريطاني للصهيونية في فلسطين بالقوة .

ومما يجدر ذكره ان لجنة هايكرافت حملت انطباعاً ممتازاً عن مستوى الاهتمام والوعي السياسي في المدن والقرى الفلسطينية مثل طولكرم :

« ففي مركز اسلامي صغير من هذا النوع نجد لدى الناس ذهنية سياسية تفوق ما يقابلها في قرية انكليزية ونجد ان بحث الأمور السياسية هو محور اهتمامهم الفكري الاكبر ان لم يكن المحور الوحيد »(٧٢) .

وفي تقرير رفع الى تشرشل ، عزا صموئيل الانفجارات الى عوامل سياسية واقتصادية زادتها الهجرة الصهيونية سوءاً . وأضاف صموئيل يقول إن العرب يطالبون بمؤسسات تمثيلية ويعتبرون الادارة الفلسطينية إدارة أوتوقراطية خلافاً للأصول(٧٣) . وبالاضافة الى ذلك فإن التأخر في المصادقة على الانتداب « هو عنصر هام يلعب دوره في الحيلولة دون استقرار البلاد وهدوئها »(٧٤) .

واعرب صموئيل عن شعوره بالامتنان لزعماء «الحركة الوطنية العربية» اي زعماء مؤتمر حيفا والجمعيات الاسلامية المسيحية التي :

«بذلت اقصى جهدها لتهدئة الحالة . فلو ان الزعماء السياسيين عملوا على تأجيج نيران الاضطرابات الحالية بدلاً من كبح جماحها فإن البلاد بأسرها كان يحتمل ان تنغمس في حالة من الفوضى وما كان النظام ليعود الا بأكبر قسط من الصعوبة»(٧٥) .

ومن الدلائل الأخرى على الدور الذي لعبه الوجهاء ، موقفهم من ردود الفعل لدى السكان الفلسطينيين بشأن مقاطعة اليهود في شهر أيار ١٩٢١ . فقد تعرضت سمعة الوجهاء ومكانتهم للانحطاط بسبب امتناعهم عن لعب الدور الذي كانت الاكثرية الساحقة من الفلسطينيين تطالبهم به :

«ففي غضون ذلك الشهر عمت مقاطعة جميع السلع اليهودية . وقيل ان الوجهاء قد بذلوا اقصى جهدهم للحيلولة دون ذلك ولكنهم جوبهوا بصعوبة بالغة . فقد فسر الناس ذلك بأنهم مدفوعون من اليهود وسار الاتجاه بالتالي نحو الانتقاص من مكانة الوجهاء لدى الجمهور»(٧٦) .

واقترح صموئيل ابعاد العناصر البلشفية ،كما اجبرته ثورة يافا على طلب وقف الهجرة اليهودية مؤقتا ثم تنظيمها على أسس أشد صرامة مع النظر في أمر «اقامة مؤسسات تمثيلية في وقت مبكر جداً»(٧٧) . واخيراً ابلغ صموئيل تشرشل انه ينظر بعطف الى زيارة الوفد الفلسطيني الوشيكة الى اوروبا ولندن . ويعتقد انه ينبغي بذل الجهود للتوفيق بين الوفد والمنظمة الصهيونية(٧٨) . وفي تقرير آخر اوصى صموئيل تشرشل بضرورة الحد من صلاحيات المنظمة الصهيونية التي اعترف بها بموجب المادة الرابعة من صك الانتداب على فلسطين او جعلها مقبولة لدى العرب من خلال زيادة مادة مماثلة تؤمن اعترافاً مقابلاً لهيئة غير يهودية(٧٩) .

على ان تشرشل ، خلافا لصموئيل ، لم يكن راغباً في استرضاء الزعماء الفلسطينيين من خلال تقديم تنازلات سياسية ، حتى بعد ان اتخذوا موقفاً متعاوناً في ظل ظروف متوترة . وكان يعارض بنوع خاص المطالب العربية بشأن اقامة مؤسسات تمثيلية منتخبة(٨٠) . وسارع الصهيونيون من جهتهم الى اعلان معارضتهم الشديدة لأي شكل من اشكال

المؤسسات التمثيلية مؤكدين من جديد تطابق المصالح البريطانية والصهيونية .

«ان هيئة من النوع الذي يبدو انه الآن موضع دراسة وتفكير، ستثبت في الوقت الحاضر على الأرجح انها غير ودية نحو السياسة البريطانية بصورة عامة والوطن القومي اليهودي بصورة خاصة»(٨١) .

المؤتمر الفلسطيني الرابع

كشفت احداث ربيع عام ١٩٢١ النقاب عن ان الوجهاء كانوا بحاجة الى اعادة ترسيخ زعامتهم في البلاد. وكان لا بد بالتالي من إظهار تضامنهم السياسي على نطاق واسع ، وهكذا تم عقد المؤتمر العربي الرابع في القدس خلال شهر ايار ١٩٢١ ، في ظل الرئاسة التقليدية لموسى كاظم الحسيني. وحضر المؤتمر نحو ١٠٠ مندوب مؤكدين القرارات التي اتخذت في مؤتمر حيفا، كما انهم اختاروا وفداً عربياً فلسطينياً لشرح القضية العربية الفلسطينية في اوروبا ولندن . «وبانتظار سفر هذا الوفد وما سيقوم به من مباحثات في لندن ، صدرت التعليمات بضرورة تجنب جميع الحركات غير المنظمة»(٨٢) .

وفي غضون شهر حزيران ١٩٢١ ، هيمن على فلسطين مزاج اكثر مسالمة وان ظلت «اسباب القلق باقية» (٨٣) كما قال صموئيل . وكان مرد ذلك الى سببين رئيسيين ، السبب الأول هو خطاب صموئيل الهام في اجتماع للوجهاء لمناسبة عيد ميلاد الملك في الثالث من حزيران . ففي هذا الخطاب اعاد صموئيل تفسير معنى تصريح بلفور على نحوٍ قصد به التخفيف من حدة مخاوف العرب الفلسطينيين وتعزيز شيوع الهدوء في فلسطين. ووعد صموئيل الفلسطينيين بأن بريطانيا«لن تفرض عليهم سياسة تكون لديهم اسباب تدعوهم الى الاعتقاد بأنها مناقضة لمصالحهم الدينية والسياسية والاقتصادية»(٨٤) .

واستقبل خطاب صموئيل هذا استقبالاً غير ودي في الاوساط الصهيونية . أما أثره في العرب الفلسطينيين فكان من الصعب تقديره . فهو لم يرض المتطرفين «الذين لا يرضيهم شيء أقل من سحب تصريح بلفور او حتى الغاء الانتداب البريطاني» . اما الجانب الاكبر من الجمهور فقد قدرت السلطات البريطانية انه وان كان قد اطمأن بعض الاطمئنان فانه يحمل «شعوراً ملؤه الاشتباه بنيات الادارة أو قدراتها على التنفيذ»(٨٥) . فقد اعترف صموئيل بأن الفلسطينيين كانوا يأملون بأن يصدر تصريحاً ابعد اثراً وأشد تحديداً ودقة في شروطه(٨٦) .

أما السبب الثاني فهو سفر الوفد الوشيك الى اوروبا وسياسة التهدئة المقصودة التي تبنتها القيادة السياسية للمؤتمر الفلسطيني وهذا ما اعترف به صموئيل :

« . . . إذا شاء زعماء معارضة الصهيونية ان يتصدوا في أي وقت لتأجيج جذوة المعارضة فقد تنفجر هذه الجذوة لتتحول الى لهب . ولكن نفوذهم موجه ، في الوقت الحاضر على الأقل ، نحو التهدئة »(٨٧) .

الشعب يكتشف قدرته على مقاومة الحكومة

وكان صموئيل على علم بتزعزع مكانة القيادة السياسية الفلسطينية . فقد ابلغ تشرشل ان الأحداث الأخيرة قد كشفت النقاب عن اهتمام الجمهور البالغ بالشؤون العامة شاملاً ذلك الفلاحين والبدو وغير المتعلمين . وكان اكتشافهم لقدرتهم على مقاومة الحكومة وعرقلة اعمالها عاملاً جديداً هاماً لا بد من أخذه بعين الاعتبار . وبالاضافة الى ذلك ، يملك العرب سلاحاً آخر ضد الحكومة ألا وهو سلاح المقاومة السلبية . وحذر صموئيل من انه اذا عمدت الحكومة الى زجر الوفد فإن طبقة المشايخ ورجال الدين الذين ظلوا حتى الآن في موقف المتفرج ، ستقدم على أخذ زمام المبادرة والحلول محل السياسيين في قيادة التحريض والثورة ضد سياسة الحكومة .

«والخلاصة انه لا بد من القيام بمحاولة جدية للتوصل الى تفاهم مع معارضي السياسة الصهيونية حتى ولو كان ذلك على حساب تضحيات كبيرة . والبديل الوحيد لذلك هو اللجوء الى سياسة استخدام القوة وهي سياسة خاطئة من حيث المبدأ ومن المرجح ان تثبت عدم جدواها من حيث التطبيق»(٨٨) .

وأضاف صموئيل يقول ان التفاهم مع الوفد ليس امراً عاجلاً وضرورياً فقط بل هو أيضاً امر ممكن . ثم تحدث عن اعضاء الوفد فطمأن وزير المستعمرات قائلاً «لقد ابلغت ان موقفهم الحالي ليس ، بأي شكل من الاشكال ، موقفاً غير قابل للتسوية »(٨٩) .

وعلى الرغم من الحكم العرفي المفروض في منطقة يافا وتسليح المستعمرات اليهودية فان استئناف الهجرة اثار بعض الاضطراب «وأحدث بحارة مرفأ يافا قدراً كبيراً من الاضطراب فيما يتعلق بانزال المهاجرين اليهود»(٩٠) ومهما يكن من أمر فقد كان صموئيل يقدر ان البلاد ستبقى هادئة طيلة المدة التي سيقضيها الوفد في انكلترا .

محاولة تشكيل حزب معتدل

«وفي غضون ذلك بدأت بعض القطاعات بتشكيل حزب اشد اعتدالاً ، وفي الوقت الذي لا يخفي فيه الحزب معارضته للسياسة الصهيونية فإنه يؤكد الحاجة الى اصلاح داخلي ولا سيما فيما يتعلق بمصالح سكان القرى»(٩١) .

على ان فكرة التعاون مع حكومة ملتزمة بسياسة إقامة وطن قومي لليهود لم تكن جديدة كلياً بالنسبة لقطاع من الوجهاء السياسيين . ففي شهر أيار ١٩٢١ أنعمت الحكومة على رؤساء بلديات القدس وطولكرم ويافا وكذلك على مفتي عكا ومفتي صفد وقاضي القدس الشرعي بأوسمة عن «الخدمات التي أدوها في فلسطين» . وبالاضافة الى ذلك فان معركة الافتاء جددت الخلافات العائلية القديمة وعززتها ولا سيما تلك الخلافات الناشبة بين عائلتي النشاشيبي والحسيني . كذلك فان الجهود والأموال الصهيونية اسهمت في تنمية بذور الخلاف وفقدان الوحدة بين الزعماء السياسيين الفلسطينيين كما أسهمت في بذر بذور فكرة تأسيس «حزب معتدل» . ففي رسالة الى اللجنة الصهيونية كتب ادر ما يلي :

«العرب . لا أزال اواصل التفاوض مع العرب . وهنالك تحركات مختلفة . واذا توفر لدي المال فمن المحتمل ان يتبين انه لا يزال في وسعي ان افعل شيئاً ما . . فهناك احتمال بإمكان ارسال وفد ثان يعارض الوفد الاول»(٩٢) .

على ان وجهة النظر الرسمية البريطانية كانت في ذلك الحين لا ترى ضرورة لإرسال وفد معتدل او وفد ثان في تلك المرحلة . فقد كان أعضاء الوفد يبدون دلائل تشير الى تلهفهم للتوصل الى اتفاق مع الحكومة ويشيرون الى انهم قد يتبنون موقفاً مرناً من الانتداب(٩٣) على الرغم من أنهم سبق أن أعلنوا معارضتهم لأي مؤسسة تتبنى القبول بوعد بلفور(٩٤) .

ومهما يكن من امر فان اعتدال الوفد لم يمثل المزاج السياسي للشعب . وقد تحدث تقرير سري حكومي صادر في تموز ١٩٢١ بصورة مطولة عن الجو السياسي مشيراً الى تقلص هيبة الحكومة وفقدان الامن وتعرض الحالة بكاملها للتفجر :

«هنالك اتفاق في الرأي على انه من المستحيل ارجاء وقوع الاضطراب الى ابعد من موعد عودة الوفد من اوروبا اذا عاد الوفد فارغ اليدين»(٩٥) .

الحالة في فلسطين تربك تشرشل

واختتم التقرير بالاشارة الى انه «لا شيء اقل من تعديل السياسة اليهودية واقامة بعض اشكال التمثيل النسبي يمكن ان يخفف من حدة الحالة»(٩٦).

وبعد قضاء فترة قصيرة في القاهرة، توجه الوفد الى روما حيث استقبلهم البابا وأعرب عن عطفه على قضيتهم. ومن هناك توجه الى لندن حيث وجد ان الدورة البرلمانية ليست منعقدة. وهنا عاد ثلاثة من الاعضاء الى جنيف لعرض القضية العربية الفلسطينية أمام عصبة الأمم والاحتجاج ضد البنود الصهيونية في صك الانتداب. واشترك هؤلاء الاعضاء في الوقت نفسه في جهد عربي إعلامي عام ومنسق بذل في جنيف(٩٧). ولدى عودتهم الى لندن شنوا حملة إعلامية واسعة وجندلوا «خدمات وكالة اعلانية صحافية»(٩٨).

وكان تشرشل قبل يوم واحد من تسلمه أول مذكرة من الوفد العربي، قد أثار مشكلة فلسطين أمام مجلس الوزراء:

«ان الحالة في فلسطين تسبب لي الارتباك والقلق. فالبلاد بكاملها في حالة من الغليان. ولا تلقى السياسة الصهيونية قبولاً لدى أحد غير الصهيونيين انفسهم. وان كلا الجانبين العربي واليهودي مسلح وماض في التسلح ومستعد للانقضاض على الجانب الآخر. . . ولقد رفضنا حتى الآن، لمصلحة السياسة الصهيونية، منح العرب أي مؤسسة انتخابية، ومن الطبيعي ان يقارنوا معاملتهم هذه بتلك التي يلقاها اخوانهم في العراق».

«ويبدو لي انه لا بد من ان يقوم مجلس الوزراء بمراجعة الحالة بكاملها»(٩٩) ولكن مجلس الوزراء رفض قبول المطالب الفلسطينية(١٠٠).

الوفد العربي الفلسطيني

وأكد الوفد في مذكرته الاولى لتشرشل المطالب الوطنية الفلسطينية(١٠١) وفي غضون النصف الثاني من آب، أجرى مقابلتين مع تشرشل والميجر يونغ من دائرة الشرق الأوسط. وأكد تشرشل خلال المقابلة أنه يستقبلهم بوصفهم وفداً رسمياً وأنهم ما داموا يصرون على الغاء وعد بلفور فليس هنالك ما يمكن بحثه. وأضاف ان التصريح لا بد من تنفيذه وأن على العرب ان يقبلوا هذه الحقيقة.

«ولكن في وسعهم ان يروا ان تنفيذه لا يتم على نحو يلحق الضرر بالعرب فلنحاول

البحث عن أساس لترتيبات ودية للاعوام القليلة القادمة».

أما الوفد فقد قال من جهته انه في الوقت الذي لا يزال يثق بالحكومة البريطانية وبروح العدالة التي تتصف بها. . فانه يشعر بفقدان الحقوق الفلسطينية. ومن ثم كان عليه ان يأتي الى لندن لبحث المشكلة من جذورها ـ تصريح بلفور ـ مع اولئك الذين كان في وسعهم ان يحدثوا تغييراً في السياسة. وعندما بدأ الوفد بحث الوسائل التي تكفل الحقوق والمصالح العربية ، اوضح تشرشل بجلاء أن أية هيئة أو مجلس تمثيلي سوف لا تكون لديه سلطة للاشراف على الهجرة أو أي أمر جوهري يتناول تنفيذ سياسة الوطن القومي اليهودي. وعندئذ أعلن الوفد ان تصريح بلفور في شِقّيه متناقض فالصهيونية لا تنسجم مع المصالح العربية(١٠٣).

وفي اليوم التالي واجه الجانبان نفس العثرات، وضغط تشرشل على الوفد لمقابلة وايزمان وغيره من الزعماء الصهيونيين للبحث فيما اذا كان في وسع الجانبين التوصل الى اتفاق تحت رعاية وزارة المستعمرات. ولكن الوفد كان يرفض الموافقة على هذا الاقتراح بنوع خاص لانه لا يعترف بوايزمان والمنظمة الصهيونية. وبالاضافة الى ذلك، «ان شعب فلسطين لا يرغب في ان نفاوضهم. فقد اوفدونا لمفاوضة الحكومة»(١٠٤) .ولكن تشرشل أصر على ان يقبل الوفد اقتراحه ويقنعه بأنه يبذل جهده للتوصل الى اتفاق وذلك كشرط مسبق لقيامه بتدبير مقابلة للوفد مع رئيس الوزراء(١٠٥). وهنا طلب الوفد ان يعطى مهلة يتشاور خلالها اعضاؤه ويتداولون الأمر قبل ان يجيبوا تشرشل عن طلبه.

مناورات صموئيل

على انه قبل ان يقرر الوفد موقفه في لندن، سارع المندوب السامي إلى استدعاء ٢٩ عضواً من أعضاء «اللجنة الاستشارية الإسلامية المسيحية» الى اجتماع يعقد في القدس وذلك في محاولة واضحة لزعزعة مركز الوفد في لندن. وكان الهدف المعلن للاجتماع هو دعوة العرب الفلسطينيين للتعبير عن وجهات نظرهم بشأن نصوص الدستور الذي تقوم الحكومة البريطانية باعداده. وهنا قال الناطق بلسان المدعوين انه من السابق لأوانه اصلاً ان ينظر في أمر وضع الدستور لأن وضع البلاد لم يتقرر أمره بعد، كما ان الاعضاء لا يستطيعون على أية حال ان يقروا دستوراً يتبنى تصريح بلفور ، وان الوفد الموجود حينذاك في لندن هو الجهة التي ينبغي استشارتها في هذه الأمور(١٠٦) .

باستثناء بعض الأحاديث غير الرسمية التي دارت بين شكبورغ رئيس دائرة الشرق الاوسط وبين اعضاء الوفد، لم تجر أية اتصالات رسمية بين الوفد ووزارة المستعمرات طيلة الفترة الواقعة بين الاول من ايلول والخامس عشر من تشرين الاول، . وفي غضون هذه الاحاديث وجد شكبورغ اعضاء الوفد ميالين الى الاعتدال ولكن دون ان يلتزموا بشيء محدد. ومع انهم استاءوا من اقتراح تشرشل بأن يتصلوا بالمنظمة الصهيونية فان شكبورغ كان يحمل انطباعاً بأنهم يقبلون الاجتماع بالصهيونيين اذا كان الاجتماع تحت رعاية وزارة المستعمرات(١٠٧).

وفي الرابع والعشرين من تشرين الاول وجه الوفد رسالة الى تشرشل طلب ان تعرض على مجلس الوزراء البريطاني. وفي هذه الرسالة كرر الوفد ذكر المخاوف التي يحس بها ٩٢٪ من الشعب الفلسطيني فيما يتعلق بالسياسات الصهيونية مؤكداً ان:

«القلق البالغ الخطورة والمتصاعد في صفوف الفلسطينيين، ناشىء من قناعتهم المطلقة بأن السياسة الحالية للحكومة البريطانية موجهة نحو اجلائهم عن بلادهم بغية جعلها دولة قومية للمهاجرين اليهود. . . ان تصريح بلفور قد صدر دون استشارتنا وليس في وسعنا ان نرضى به لتقرير مصيرنا»(١٠٨).

المطالبة بإلغاء وعد بلفور

وكان من ضمن ما اقترحه الوفد أو طالب به:

«أن يلغى التصريح وتحل محله اتفاقية تصون حقوق ومصالح وحريات شعب فلسطين وتتضمن في الوقت نفسه نصاً يؤمن المطامح الدينية اليهودية المعقولة على ان لا يمنحوا أية امتيازات سياسية خاصة بهم من شأنها ان تصطدم حتماً بالحقوق العربية(١٠٩) فاذا لقيت اقتراحات الوفد ووجهات نظره عطفاً من مجلس الوزراء فإنه على استعداد للدخول في مفاوضات مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية تتناول تفاصيل المشروع الذي يعرض فيما بعد على شعب فلسطين».

غير ان الوفد وافق بعد تلكؤ شديد ونتيجة مباحثات أجراها معه تشرشل على ان الغاية المقبولة من الاجتماع هي «بحث إمكان اتخاذ اجراءات للعمل»(١١٠) بين الوفد والصهيونيين. ولكن وايزمان كتب الى ديدس يقول، ان العرب «قد جاءوا لا لبحث

التفاصيل العملية، بل للاستماع الى بيان سياسي كما وعد» (١١١) وهكذا فشل الاجتماع. ولقد تمترسوا وراء هذا الموقف ولم يستطع شكبورغ ان يزحزحهم*».

وبينما كانت المفاوضات تسير متعثرة في لندن، كان الفلسطينيون قد فقدوا أي أمل بالظفر بأي كسب حاسم عن طريق الجهود الدبلوماسية. وفي شهر كانون الأول بعث وايزمان الى شكبورغ بتقارير وصفها بأنها دقيقة وتناولت اجتماعات سياسية عربية سرية عقدت في فلسطين خلال شهر أيلول ١٩٢١ ويفترض ان دائرة الاستخبارات الصهيونية هي التي وضعت تلك التقارير التي كشفت النقاب عن عدد من الحقائق بشأن تركيب وأهداف ومناورات الحركة الوطنية العربية الفلسطينية المناوئة للصهيونية خلال تلك الفترات بالذات.

مقاومة الهجرة بواسطة العنف

وتناولت تلك التقارير اجتماعات عقدت في الخليل والرملة ولوبية وطولكرم اشتركت فيها وفود من المدن والقرى المجاورة. وكانت تلك الاجتماعات بمثابة فرصة للتنسيق والتعاون بين القيادة الوطنية في المدن والنشاطات السياسية في المناطق الريفية. ويستفاد من هذه التقارير ان السبب الرئيسي لهذه الاجتماعات السرية التي عقدت في شهر ايلول ١٩٢١ هو ادراك الشعب ان الوفد العربي في لندن ليس لديه أي أمل بتحقيق مطالب الشعب وان من الضروري بالتالي اتخاذ الاجراءات الضرورية في فلسطين. ولما كان العرب اضعف من ان يتمكنوا من مجابهة الجيوش البريطانية في فلسطين، بدا ان هناك «وسيلة فعالة واحدة فقط للحيلولة دون الهجرة والقضاء على تصريح بلفور، تلك هي القيام بسلسلة منظمة من الغارات على اليهود في فلسطين»(١١٣).

---

* وقد وجد شكبورغ- رغم عطفه على الصهيونية- كما وجد العديد من المسؤولين البريطانيين في فلسطين قبله، ان النفوذ الصهيوني- ونفوذ وايزمان خاصة- لدى رئاسة الوزارة وكبار المسؤولين البريطانيين تسبب الارتباك والاحراج للمسؤولين عن دائرة الشرق الاوسط في وزارة المستعمرات بحيث تظهر السياسة البريطانية بمظهر يعوزه الانسجام. فقد صرح وايزمان اثناء محادثة جرت بينه وبين شكبورغ بحضور بلفور ان الوطن القومي اليهودي يعني قيام دولة يهودية على الرغم من تصريحات صموئيل المعاكسة لذلك. وكتب شكبورغ الى بعض زملائه في القسم محتجاً «انه من العبث ان نحاول إقناع الدكتور وايزمان بضرورة تبنيه لتفسير ضيق لوعد بلفور في الوقت الذي يشجعه رئيس الوزراء على تفسير معاكس. واذا لم تتكلم حكومة صاحبة الجلالة بصوت واحد فان الفوضى ستطبع موقفنا في هذا الصدد»(١١٢).

وهكذا عقدت الجمعيات الوطنية في الاماكن المجاورة اجتماعات كان يحضر كلا منها ما يتراوح عدده بين ٣٠و٥٠ مندوباً لكي تقرر ما إذا كان من الممكن ان تعد خلال الاشهر الثلاثة أو الأربعة القادمة سلسلة من الغارات على المستعمرات اليهودية في الضواحي القريبة من كل مجموعة من تلك الجمعيات. وكان القصد من ذلك هو بث الذعر في نفوس المهاجرين اليهود وبالتالي وقف الهجرة اليهودية واقناع البريطانيين بأن العرب مصممون على التمسك بمطالبهم، وان يظهروا للعالم ان المطالب العربية عادلة «ونتيجة لذلك سوف لا تقر عصبة الامم صك الانتداب»(١١٤).

وكشفت ثلاثة تقارير أسس التحريض وأسباب الاستياء من اليهود. لقد رأينا كيف اعتبر العنصر السياسي مهماً ولكن العنصر الاقتصادي الذي كان شديد الارتباط بالعنصر السياسي لعب دوره أيضاً:

«ينبغي أن نسمح بقبول الانتداب علينا لأن ذلك يعني أن اليهود الأثرياء سيضعون أيديهم على كل شيء وبذلك تتدمر تجارتنا ولا نستطيع الصمود في وجه المنافسة. ولدى اليهود بنوك مالية كثيرة وهي لا تقدم المساعدات إلا لليهود. انهم يتطلعون للحصول على امتيازات تؤدي الى دمارنا»(١١٥).

وفي اجتماع آخر انتهج المجتمعون خطاً مماثلاً ولكن التركيز فيه كان هذه المرة على جوانب توضح المعارضة العنيفة التي أبداها المتعلمون وأشباه المتعلمين من الطبقة الوسطى من العرب، وكان هؤلاء يشكلون نسبة عالية من قيادة الجناح الجذري المناضل ضد الصهيونية في فلسطين:

«لا بد لنا من التخلص من السيطرة اليهودية علينا. فاليهود يشغلون الوظائف الحكومية الهامة في مختلف انحاء البلاد في حين يستبعد العرب من هذه الوظائف في كل مكان. فهنالك محاولة تقوم بها الطبقة المثقفة من اليهود للاستيلاء على جميع المناصب الحكومية. وعلينا أن لا نسمح باستمرار ذلك. فإذا وقع تصريح بلفور فسنبقى الى الأبد عبيداً لليهود»(١١٦).

تباين ذهنية الأجيال

وفي الاجتماع الذي عقد في لوبية (الى الغرب من طبريا) أكد المجتمعون استحالة التوفيق بين تصريح بلفور والحقوق السياسية العربية وظهرت بوضوح الفوارق بين ذهنية

الاجيال المتفاوتة عندما أبدى المتقدمون في السن معارضتهم للوسائل العنيفة التي اقترح الجيل الجديد اللجوء إليها. «إن هؤلاء الشيوخ المسنين لا يفهمون أنهم يتلاعبون بمستقبلنا، ولكنهم لحسن الحظ لا يتمتعون بقدر كبير من النفوذ»(١١٧).

ومع أنه قيل ان الفلاحين «تعبوا من السياسة» فان العناصر الفعالة كانت واثقة من اشتراكهم في الغارات على المستعمرات اليهودية إذا تأكدوا من ان اليهود ليسوا مسلحين بالقدر الذي يدعونه(١١٨).

ولقد وافق المشتركون في هذه الاجتماعات على اعداد السكان للغارات المقبلة وجمع المعلومات عن مقادير الأسلحة المتوافرة لدى اليهود وحض الضباط العسكريين البريطانيين على اتخاذ موقف سلبي خلال الغارات القادمة.

وحاول الصهيونيون أن يقوموا بحملة معاكسة ضد جهود المناضلين من خلال القيام بجهد منظم منسق لشق صفوف الفلسطينيين وذلك باقامة «جمعيات وطنية اسلامية» ثم فيما بعد «جمعيات وطنية مسيحية».

«وذكر ان هدف هذه الجمعيات هي العمل مع الحكومة وتنمية علاقات طيبة بين مختلف قطاعات المجتمع»(١١٩).

غير ان الجهود الصهيونية في هذا الاتجاه عجزت عن تحقيق النتائج المرجوة بالنظر الى ان جميع العرب الذين اشتركوا في هذه الجمعيات اعتبرهم الفلسطينيون والصحافة العربية خونة(١٢٠).

أما صموئيل فقد نظر الى هذه الجمعيات بارتياب لأن الرأي العام كان يعلم انها أنشئت في الدرجة الاولى بتأثير اليهود(١٢١) ولا سيما المستر كالفاريسكي وهو عضو يهودي في المجلس الاستشاري.

وحين أحس صموئيل بعودة الفلسطينيين الى روح القتال بسبب تراكم خيبات الأمل السياسية والاقتصادية لديهم، استأنف جهوده الرامية الى استرضاء الرأي العام الاسلامي عن طريق وضع الشؤون الدينية الاسلامية (من اوقاف ومحاكم شرعية الخ)(١٢٢) تحت اشراف المسلمين.

دعوة الى الاضراب

وفي نهاية تشرين الاول وزعت «اللجنة الفلسطينية في مصر» منشوراً دعت فيه شعب فلسطين الى الامتناع عن العمل واغلاق المتاجر واعلان الحداد لمناسبة ذكرى وعد بلفور «وعلى الرغم من صدور أمر بمصادرة المنشور حيثما وجد فقد عمّم في فلسطين على نطاق واسع»(١٢٣). وعلى أثر ذلك اتخذت اجراءات أمن مشددة للحيلولة دون وقوع اضطرابات في أي جزء من فلسطين. وتعهد الوجهاء العرب في القدس ويافا بالحيلولة دون الاعراب عن الاحتجاجات ما استطاعوا الى ذلك سبيلاً. ومع ذلك وبالرغم من كل هذه الاحتياطات والتعهدات وقعت بعض الاضطرابات صباح ذكرى صدور وعد بلفور.

وعندما ظهرت أعمال العنف في شارع يافا بالقدس فرق البوليس القائمين بها، «ولكنهم سرعان ما تجمعوا من جديد للهجوم على الحي اليهودي الذي كان البوليس قد حوّل بصره عنه(١٢٤). وتبادل جمهور من العرب مع جمهور آخر من اليهود المتجمعين داخل الحي اليهودي اطلاق النار. وبعد ذلك سارت دوريات الحرس في المدينة وقام الحاكم مصحوباً بكبار وجهاء المسلمين بالسير في الشوارع حيث أعادوا اليها النظام»(١٢٥). وقد قتل في هذه الاصطدامات خمسة من اليهود وثلاثة من العرب واصيب ٣٦ شخصاً بجراح. ومع انه لم تقع اضطرابات في أية مدن اخرى فقد كان الجو مشحوناً بالتوتر، في مختلف أنحاء البلاد. وفي اليوم التالي أعلن الوجهاء السياسيون في القدس عدم علاقتهم بالتصرفات التي قام بها الشباب غير المسؤول في اليوم الثاني من تشرين الثاني.

ولكن هؤلاء الوجهاء وجدوا انفسهم مكرهين على الاحتجاج على طبيعة تركيب المحكمة التي تشكلت لمعالجة الاضطرابات وعلى الاحكام القاسية التي اصدرتها ضد العرب في الوقت الذي كانت احكامها ضد اليهود خفيفة(١٢٦).

الشعب يتخطى الزعماء

وفي الحادي عشر من تشرين الثاني ابدى الوجهاء قدرا من التحدي الضئيل للحكومة وذلك في اجتماع عقدوه في القدس. فقد اتخذت الجمعية الاسلامية المسيحية بالاجماع قرارا بعدم الامتثال للمرسوم الذي يخول الحكام الاداريين سلطة فرض كفالة مالية على اولئك المشتبه بقيامهم بنشـــاط سياسي او غير سياسي لضمان حسن سلوكهم وتصرفهم(١٢٧).

وعلى الرغم من هذه الاحتجاجات فقد اعتبرت الجماهير الفلسطينية ان الوجهاء

السياسيين عجزوا عن القيام بمهمتهم في قيادة المعارضة للصهيونية والسياسات البريطانية الصهيونية . وفي اعقاب اصطدامات ذكرى وعد بلفور اعدت دائرة الاستخبارات الحكومية تقريرا تحدثت فيه عن ظهور «اتجاه لدى الشعب للعمل بمنأى عن الوجهاء واغفال نصائحهم»(١٢٨).

وحفزت احداث شهر تشرين الثاني صموئيل ومساعديه الى المسارعة الى ايجاد تسوية لمشكلة اراضي بيسان ومشكلة «الاوقاف» والشؤون الدينية الاسلامية حتى يمكن بذلك خلق انطباع طيب في البلاد. غير ان هذا الانطباع الطيب لم يدم طويلا بسبب اكتشاف ٣٠٠ مسدس وكمية من الذخيرة في حيفا مرسلة الى اسحق روزنبرغ الامر الذي كشف النقاب عن وجود جهود صهيونية لتهريب الاسلحة على نطاق واسع(١٢٩).

ولقد كانت هذه الحادثة سببا في ظهور هياج وتحريض واسعين في الصحافة وغيرها. واستؤنفت في الشهر التالي محاولات اخرى، وان كانت على نطاق اضيق، لجلب الاسلحة والذخائر. واعتبر العرب وجود مهاجرين عاطلين عن العمل في كل من يافا وحيفا دليلا على ان الادارة العامة لا تعتزم تنفيذ التعهد الذي قدمته في الثالث من حزيران ١٩٢١ بان لا يقبل في البلاد من المهاجرين الجدد الا اولئك الذين تتوافر لهم الاعمال او أولئك الذين يستطيعون اعالة انفسهم «وابلغت انباء عن وجود اتجاه نحو تشكيل جمعية تعرف باسم (جمعية الشباب الفلسطيني) وكان الذين يفكرون بتأسيسها جماعة من دعاة الوحدة العربية المتطرفين»(١٣٠).

تدهور الأوضاع الاقتصادية

وكانت الهجرة اليهودية والسياسات البريطانية تثير استياء العرب وقلقهم لا من الزاوية السياسية وحسب بل من الزاوية الاقتصادية ايضا. فقد وزع المستر تشرشل على اعضاء مجلس الوزراء نص تقرير تلقاه من ج. س. سايمز حاكم لواء حيفا عن اسباب استياء السكان العرب في منطقته جاء فيه ان للظروف الاقتصادية اثرا قويا في الشؤون السياسية وان تلك الظروف كانت سيئة جدا في منطقته الامر الذي جعل القرويين يتجاوبون مع التحريضات المناوئة للحكومة:

«فالأعمال في عكا وشفا عمرو متوقفة. وفي حيفا تكاد تكون جميع انواع العمل التي تعود بالربح على العرب في تدهور. كما انه من الواضح ان الحواجز الجمركية مع سوريا

اخذت تقتل تجارة الترانزيت.. فصاحب الحانوت غير اليهودي للبيع بالمفرق يكاد يتوقف عن العمل. بل ان الحمالين وغيرهم ممن يمارسون الاعمال غير الدائمة قد اخذ وضعهم يتأثر بسبب الافضلية التي تمنحها المؤسسات اليهودية واصحاب العمل اليهود للمهاجرين الجدد من العمال.. وتعاني جميع طبقات سكان المدن من ارتفاع تكاليف المعيشة.. اما الطبقات الاجتماعية الاعلى نسبيا كالتجار الافندية فانهم يكادون يصلون الى حافة اليأس فهم يجدون صعوبة متصاعدة في العيش بمداخيلهم او بواسطة اية اعمال اخرى يمارسونها وكثيرون منهم يواجهون الخيار بين الافلاس او الهجرة، وليست حالة ملاك الارض الكبير خيرا من ذلك بكثير فهو مثقل بالديون وليس في وسعه ان يحصل على مزيد من القروض. فأسعار الحبوب منخفضة كما ان الاسواق الخارجية، لسبب او آخر مقفلة عمليا في وجهه بل انه ليجد من الصعب عليه ان يبيع ما يضطر الى بيعه من الاراضي بسعر معقول». ويرى ساكن المدينة ان ما يعانيه من حالات العجز والبؤس انما هو نتيجة مباشرة للسياسة البريطانية وما يترتب عليها من الهجرة اليهودية.

«اما البدو فان عليهم اما ان يتحولوا الى فلاحين او يهاجروا من البلاد»(١٣١).

وكان سايمز يرى ان امل الادارة الوحيد يكمن في الاهتمام العملي بتحسين حال الفلاحين الأمر الذي قد يمكن الادارة العامة من الحيلولة دون «استعدائهم كليا» وبذلك تستطيع تنفيذ السياسة البريطانية في فلسطين. واعترف سايمز ان السياسة البريطانية تعتبر «لعنة» في نظر الاكثرية الساحقة من السكان بمن فيهم اشد العناصر استنارة(١٣٢). واضاف سايمز يقول حتى بعد تحقيق الاقتراح المذكور فان املنا بامكان تنفيذ تلك السياسة بالوسائل السلمية انما يتوقف على قدرتنا على توفير مزيج موفق من الحزم واللباقة مقترنين بالحظ الحسن(١٣٣).

ولقد أدت الهجرة اليهودية وتهريب اليهود للاسلحة الى استياء عام في صفوف الجمعيات الاسلامية المسيحية التي قدمت احتجاجها على ذلك في اوائل عام ١٩٢٢. وحاول ديدس ايضاح سياسة الادارة العامة بشأن هاتين المشكلتين ولكنه لم يستطع اقناع الوفود الاسلامية المسيحية المتحدة(١٣٤). ومن الاسباب الاخرى لاحتجاج العرب على سياسة الادارة العامة ذلك القرض الذي قدمته لانشاء طريق ريشون ـ رحفوت. فقد كان العمل في انشاء هذا الخط مقصورا على المهاجرين من العمال اليهود مع اعطائهم اجورا اعلى من تلك التي يتقاضاها العمال العرب المماثلون مع العلم ايضا بان انشاء هذا

الطريق لا يعود بالفائدة في الدرجة الاولى الا على المستعمرات اليهودية. كل ذلك كان سببا لاتهام العرب المرير للادارة العامة بالتحيز السافر للصهيونيين.

رفض الدستور المقترح

وفي شرح مماثل، كتب ديدس يقول:

«استقبل المسلمون والمسيحيون على السواء في مختلف انحاء البلاد نصوص الدستور المقترح باستياء شديد. وكانت اهم النقاط التي اعترضوا عليها هي اعتراف الدستور بتصريح بلفور وكون أكثرية الاعضاء في المجلس التشريعي معينين لا منتخبين وتركيز السلطة على نحو بالغ في ايدي المندوب السامي وحرمان الشعب وممثليه من اية سلطة حقيقية ادارية كانت او تشريعية وذلك فيما يتعلق بامور تؤثر تأثيرا قويا في مصير فلسطين وشعبها»(١٣٥).

واحرز الفلسطينيون نجاحاً إعلامياً خلال الزيارة التي قام بها اللورد نورثكليف القطب الصحافي البريطاني الى فلسطين، وكانت الجمعيات الاسلامية المسيحية تقوم، في محاولة اخرى منها لاكتساب عطف الزوار الاجانب بتوزيع منشورات إعلامية عليهم كتبت باللغة الانكليزية(١٣٦). واعتبر صموئيل العلاقات العامة والجهود الإعلامية التي يقوم بها العرب بديلا للجوء الى استخدام العنف للفت النظر الى قضيتهم فكتب الى تشرشل يقول:

«ان الزعماء الرئيسيين في البلاد يتعاونون في هذه السياسة ولا يبدون تباطؤا في استخدام نفوذهم للحيلولة دون نشوب الاضطراب او قمعه كلما كان ذلك ضروريا»(١٣٧).

واضاف صموئيل يقول ان الميل الى اللجوء الى الاضطرابات واستخدام العنف يمثل طابع الطبقات الدنيا من سكان المدن والقرى حيث توجد درجة عالية من الوعي والاهتمام بترجمات الصحف العبرية والبريطانية(١٣٨).

وفي اثناء شهر آذار كشف النقاب عن وجود شعور من التوتر العام في مختلف انحاء فلسطين، وعمت الشائعات عن ان الاضطرابات وشيكة الوقوع. واصبح من الملاحظ نمو الوعي السياسي في مختلف مناطق البلاد ولا سيما في تلك المناطق التي لا يرتفع صوتها عادة مثل منطقتي بئر السبع وغزة وساد الاعتقاد في:

«ان الحكومة قد نكثت بوعدها فيما يتعلق بالهجرة.. وان العدالة معرضة لضغط الصهيونيين وان الحكومة البريطانية لا تخضع الا للعنف»(١٣٩).

لا ثورة بدون منظمة ثورية:

بيد ان استخدام العنف متعذر بدون قيام منظمة تهدف الى الثورة وتتوافر لديها الوسائل اللازمة لتنفيذ ذلك. وجميع المعلومات المتوافرة تؤيد الانطباع بعدم وجود منظمة كهذه(١٤٠). ومن الواضح ان ذلك كان انعكاسا لحالة من العجز عن افراز قيادة ملائمة. فالقيادة التقليدية مناوئة للثورة كما ان القوى التي تتبنى الاساليب الثورية عجزت عن افراز الزعماء المطلوبين.

وليس من شك على الاطلاق في ان موقف الادارة العامة من مركزي الافتاء والمجلس الاسلامي الاعلى وعلاقاتها الودية بالحاج امين الحسيني، كل ذلك قد لعب دورا هاما في الحيلولة دون الانفجارات والثورات في وقت كانت فيه مشاعر الرأي العام والمشاعر العامة كفيلة بالافضاء الى حالات الاضطراب والعنف(١٤١).

وكان عدد من المسلمين «المسؤولين» عاكفا حينذاك على اعمال اجتماعية شملت وجوها من النشاط التعليمي كتأسيس كلية اسلامية وتطوير حركة كشفية والقيام ببعض المشروعات الاقتصادية والدينية. وفي هذه الفترة تألفت جمعية اقتصادية عربية ودار البحث حول امكان تأسيس بنك وطني عربي وما شابه ذلك(١٤٢). وكتب ديدس يقول ان هذه النشاطات قد ولدت جهوداً ترمي الى تحقيق قدر اكبر من التضامن والتلاحم ولا سيما في صفوف المسلمين(١٤٣).

هذا التقارب المفيد مع الحاج امين وانصاره من جهة والخوف، من جهة اخرى، من ان يؤدي فشل مهمة الوفد العربي في لندن فشلا تاما الى تحطيم هذا التطور الايجابي قد حمل صموئيل على القيام بزيارة الى لندن واثار سفر صموئيل هذا لدى البعض جوا من الترقب كما اثار لدى البعض الآخر جوا من القلق ومع ذلك لم تحدث خلال شهر ايار اية تطورات هامة باستثناء احتجاجات العرب على تعاون الحكومة بشأن وجود قوة الدفاع اليهودية «الهاغانا» ووضع مقاعد لليهود الذين يبكون عند جدار المبكى.

كتاب تشرشل الأبيض

على انه بارتفاع حدة الضغط على سياسة بريطانيا الموالية للصهيونية، رأى تشرشل

ان يضع حدا لحالة القلق السائد في فلسطين وللانتقادات التي عمت الصحف البريطانية ووصلت الى مجلس اللوردات وذلك باصدار بيان رسمي عن السياسة البريطانية في فلسطين. وهكذا اصدر كتابه الابيض المشهور لعام ١٩٢٢ والذي قال فيه ان تصريح بلفور الذي تعتزم الحكومة التقيد به، لا يهدف الى اخضاع السكان العرب او الثقافة العربية. ولكن اليهود موجودون في فلسطين بدافع من الحق وليس التسامح(١٤٤). وسيكون في وسعهم ان يزيدوا عددهم من خلال الهجرة شريطة ان لا يتعارض ذلك مع «الطاقة الاستيعابية الاقتصادية» للبلاد. واعلن الكتاب الابيض ان حكومة صاحب الجلالة البريطانية تعتزم تبني التطور التدريجي نحو الحكم الذاتي الكامل. وسينشأ على الفور مجلس تشريعي تكون اكثرية اعضائه منتخبة كما تتولى لجنة منبثقة من الاعضاء المنتخبين في المجلس مهمة الاتفاق مع الادارة العامة بشأن القضايا المتعلقة بتنظيم الهجرة. على انه في حالة قيام خلافات بين اللجنة والادارة العامة تكون الكلمة الفاصلة لحكومة صاحب الجلالة البريطانية.

وسارع الصهيونيون الى الموافقة على الكتاب الابيض ولكن العرب رفضوه(١٤٥). ذلك ان الوفد الفلسطيني لم يكن مفوضا بقبول اية سياسة بريطانية مبنية على تصريح بلفور. فتنظيم الهجرة اليهودية يعني اكثرية يهودية في المستقبل وبالتالي سيطرة اليهود على فلسطين. اضف الى ذلك ان الوعد يجعل اكثرية اعضاء المجلس التشريعي منتخبة لا يؤمن للعرب الذين يشكلون اكثرية السكان ان تكون اكثرية المجلس كمجموع، من الاعضاء العرب المنتخبين.

ومع ان الكتاب الابيض فشل في تأمين موافقة العرب على الهجرة اليهودية وعلى تحقيق الوطن القومي اليهودي بخطوات ابطأ، فان صدوره كان امرا ضروريا للتغلب على المعارضة التي تكونت في البرلمان البريطاني في وجه الموافقة على الانتداب مع تنفيذ تصريح بلفور. ففي غضون النصف الثاني من شهر حزيران اثار اللورد اسلنغتون مشكلة فلسطين في مجلس اللوردات واستطاع ان يستصدر من المجلس قرارا اعلن فيه رفضه للانتداب الفلسطيني. على انه فشلت في غضون ذلك محاولة لاثارة قضية الانتداب امام مجلس العموم لاجراء دراسة بشأنها.

وبعد ذلك بوقت قصير اقرت عصبة الامم صك الانتداب واوضحت الحكومة البريطانية من جهتها بجلاء ان نصوص الانتداب ستنفذ في ضوء بيانها السياسي الصادر

عام ١٩٢٢.

وعندما ظهر بشكل حاسم ان الحكومة البريطانية لا تعتزم الغاء تصريح بلفور، اجتمعت اللجنة التنفيذية للمؤتمر الرابع خلال الفترة الواقعة بين الثالث والعشرين من حزيران والسابع والعشرين منه لتتخذ ما يتوجب من الخطوات في حالة ابرام وثائق الانتداب كما كان متوقعا: واشتملت القرارات التي اتخذتها اللجنة على القيام بتظاهرات سلمية واعلان الاضراب العام في جميع انحاء فلسطين في اليومين الثالث عشر والرابع عشر من تموز وذلك للاعراب عن احتجاج الشعب على السياسة البريطانية كما اشتملت على قيام جميع الجمعيات والهيئات التمثيلية في فلسطين بتوجيه الاحتجاجات الى عصبة الامم. وقررت اللجنة كذلك انه في حالة ابرام الانتداب يستدعى الوفد للعودة الى البلاد «للعمل في فلسطين والبلاد الشرقية»(١٤٦). وتقرر ارسال وفود الى مكة والفاتيكان للظفر بعطف العالمين المسيحي والاسلامي. واتخذت اللجنة ايضا قرارات «سرية» تقضي بجمع التبرعات لبث دعاية مناوئة للصهيونية ومراقبة تصرفات الحكومة عن كثب(١٤٧).

نحو استراتيجية جديدة

وعند هذه النقطة بدأت تظهر معالم تغيير هام في الاستراتيجية الفلسطينية:

«كانت معارضتهم حتى هذا الوقت تتناول سياسة الوطن القومي اليهودي وشروط صك الانتداب فقط، ولكنهم الآن يدركون ان سياسة الانتداب ستنفذ على الارجح ومن ثم تولد اتجاه نحو الاعتقاد بان الطريقة الوحيدة لمقاومة بنوده البغيضة انما هي معارضة الانتداب البريطاني كمجموع والتحرك نحو الاستقلال التام واقامة دولة موحدة تتألف من سوريا وفلسطين»(١٤٨).

وكانت التقارير التي تلقتها الحكومة البريطانية تدل على انه نتيجة لهذا التحول السياسي الذي اضطرت اليه زعامة الحركة الوطنية الفلسطينية كارهة،كان عدد أولئك الذين يبدون الاستعداد لتحمل عواقب زيادة الاخطار الناجمة عن جهودهم الرامية الى اشاعة الاضطرابات ومناوأة السلطات الحكومية، في تزايد مطرد. واصدر الطلاب الفلسطينيون نداء موجها الى زملائهم الطلاب في انكلترا يدعونهم فيه الى تأييد الكفاح الفلسطيني ضد البنود الصهيونية من صك الانتداب لان تنفيذ هذه البنود لا يمكن ان يفضي الا الى اندلاع نيران الثورة في فلسطين، ورفض القرويون والمخاتير مرافقة اللجان الحكومية

لتخطيط ومسح الاراضي الموات (البور) معبرين بذلك عن فقدان ثقتهم بالادارة العامة ونياتها وقدمت الاحتجاجات ضد تنازل الحكومة عن ملكية اراضيها في منطقتي بيسان والبيرة وقيصرية لليهود(١٤٩) وكذلك ضد انهاء خدمات الموظفين العرب والموظفين المتعاطفين مع العرب في جهاز الحكومة(١٥٠). واخذت لهجة الصحافة تزداد يوما بعد يوم عداء للسياسة البريطانية(١٥١).

وفي اليومين الثالث عشر والرابع عشر من تموز اضربت المدن الكبيرة في مختلف انحاء سوريا وفلسطين للتعبير عن الاحتجاج على الانتداب البريطاني المبني أساساً على تصريح بلفور. وعكفت اللجنة التنفيذية العربية على تنظيم حملات لجمع التبرعات بوساطة الجمعيات الاسلامية المسيحية المحلية(١٥٢).

المؤتمر الفلسطيني الخامس

وفي الوقت الذي كان الفلسطينيون فيه يزدادون تطرفا في مواقفهم المناوئة للبريطانيين كان الاتجاه نحو التضامن بين الهيئات الوطنية في كل من سوريا وفلسطين ومصر يتصاعد وكانت الدعوة الى استقلال سوريا وفلسطين التام تتجدد. وحثت الهيئات الوطنية الفلسطينية الفلاحين على الامتناع عن دفع الضرائب لحكومة غير اسلامية. وكان الخطباء من الشباب الوطنيين يدعون المصلين في مسجد يافا الكبير الى اليقظة والتنبه الى الاخطار الصهيونية المحدقة بفلسطين(١٥٣).

وكتب حكام مقاطعات فلسطين المختلفة خلال شهر تموز يقولون ان البلاد اصبحت فيها مدرستان فكريتان وإن احداهما تدعو الى المقاومة السلبية غير العنيفة والاخرى تدعو الى انتهاج اساليب ثورية وتتبنى «الاستفادة من البدو للقيام بحرب العصابات»(١٥٤). وكان الفريق الثاني قد تشجع بالمثل الذي ضربه مصطفى كمال لانتزاع اعتراف الدول الاوروبية به. غير ان اللجنة التنفيذية العربية اثرت الوسائل غير العنيفة بل ان المندوب السامي بعث بتقرير قال فيه ان اللجنة تتعاون مع الحكومة عملياً في صيانة الأمن والسلام(١٥٥).

وأخيراً غادر الوفد انكلترا بناء على طلب اللجنة التنفيذية العربية في القدس، ووصل الى حيفا في الحادي والعشرين من آب واتجه من هناك الى نابلس في اليوم نفسه لحضور المؤتمر الفلسطيني الخامس. واستقبل الوفد بحماسة بالغة في حيفا والناصرة وجنين

وسيلة الظهر وبرقة ونابلس. واكد موسى كاظم في خطابه الاول في حيفا ان ابواب انكلترا لا تزال مفتوحة للمفاوضات وان هنالك انصارا كثيرين للقضية العربية في انكلترا وفرنسا على استعداد للدفاع عن القضية العربية في اي وقت. وقال المندوب السامي في تقريره ان الكثيرين من الحضور كانوا يرددون الهتافات بحياة فلسطين وسقوط الانتداب وتصريح بلفور والصهيونية ولكن موسى كاظم امتنع عن تحريضهم ضد بريطانيا وامتنع كذلك عن تشجيع الاتجاه نحو اللجوء الى العنف كوسيلة لمحاربة سياسة بريطانيا الصهيونية على الرغم من ان التصريح لا ينسجم، في رأيه، مع الاستقلال(١٥٦).

وبدأت جلسات المؤتمر في اليوم التالي اي في الثاني والعشرين من آب واستمرت حتى اليوم الخامس والعشرين منه. وقدم الوفد للمؤتمر تقريرا لخص فيه ما انجز خلال زيارته الطويلة واوصى باقامة تعاون اوثق بين عرب فلسطين وسائر العرب وذلك بوسائل عملية من خلال العلاقات الاقتصادية والتعليمية كما اقترح ارسال وفود الى الافراد والحكام العرب لابلاغهم وضع فلسطين الحقيقي والظلم الذي تتعرض له(١٥٧).

وتبنى المؤتمر ١٨ قرارا اهمها رفض الدستور الفلسطيني الجديد ومقاطعة الانتخابات القادمة للمجلس التشريعي(١٥٨)، وإنشاء مكتب عربي فلسطيني في لندن وتوفير الظروف الملائمة لتوعية الفلاحين وتبصيرهم بالشؤون الوطنية ومقاطعة البضائع اليهودية ومشروع روتنبرغ والحيلولة دون بيع العقارات الى اليهود وتنفيذ «برنامج مالي» لجباية التبرعات.

الميثاق الوطني الفلسطيني

وتبنى المؤتمر ميثاقا وطنيا فلسطينيا تعهد المندوبون بالتمسك به واقسموا اليمين التالي على ذلك:

«نحن ممثلي الشعب العربي الفلسطيني في المؤتمر العربي الفلسطيني الخامس المعقود في نابلس نتعهد امام الله والتاريخ والشعب على ان نستمر في جهودنا الرامية الى استقلال بلادنا وتحقيق الوحدة العربية بجميع الوسائل المشروعةوسوف لا نقبل باقامة وطن قومي يهودي او هجرة يهودية»(١٥٩).

على ان الجهود التي بذلها الوجهاء السياسيون من الفلسطينيين للحيلولة دون اللجوء الى العنف كوسيلة للتعبير عن معارضة الانتداب والهجرة اليهودية لم تقترن بنجاح

كامل . ففي غضون شهر آب كتب المسؤولون يقولون:

«ان الهجمات المميتة على اليهود في يافا بواسطة جماعات صغيرة من العرب وقيام الرعاع من اليهود بهجمات انتقامية معاكسة قد اججت نيران الاحقاد العنصرية في منطقة يافا»(١٦٠).

وفي غضون ذلك كتب ديدس الى شكبورغ رسالة معبرة مثيرة للاهتمام وصف فيها الحالة السياسية بعبارات جلية واضحة قال فيها انه يبدو ان اعضاء الوفد قد عادوا من لندن «موالين جدا للبريطانيين»(١٦١)، فقد كانوا جميعا باستثناء توفيق حماد معتدلين ومعقولين وما كانوا ليوافقوا على مقررات المؤتمر الخامس لو لم تدفعهم الى ذلك التنظيمات المحلية. ومع انه كانت تهيمن على جو المؤتمر الرغبة في مقاطعة انتخابات المجلس التشريعي المقترح الا انه ظهرت دلائل تشير الى امكان قيام حزب يبدي بالتدريج رغبته في التعاون مع الحكومة وتقديم مرشحين للانتخابات. ولم يكن ظهور هذا الحزب الجديد بدافع من الاعتبارات السياسية وحسب بل كان كذلك منبثقا من «العداوات العائلية البالغة الحدة والتي تعود الى اجيال بعيدة»(١٦٢) بين آل الحسيني وآل النشاشيبي.

وظهر الخلاف بين موقفي الحزبين تجاه الحكومة في مناسبة الاحتفال باداء القسم وذلك في الحادي عشر من ايلول فقد دعا آل الحسيني، بمن فيهم الحاج امين والجمعيات الاسلامية المسيحية بصورة عامة الى اعلان الاضراب في البلاد كلها ومقاطعة ذلك الاحتفال ولكن «الامير عبدالله وآل النشاشيبي حضروه»(١٦٣).

وفي اثناء شهري ايلول وتشرين الاول كتب حكام بعض المقاطعات انباء عن تولد اعتقاد متصاعد القوة لدى الفلاحين بان جذور الاسباب العديدة للصعوبات التي يواجهونها تعود في الدرجة الاولى الى عوامل سياسية(١٦٤). وفي الوقت نفسه استاء الشعب اشد الاستياء من الطريقة العنيفة التي لجأت اليها الشرطة خلال سلسلة من عمليات التفتيش التي اجرتها في بعض قرى لواء السامرة بحثا عن الاسلحة(١٦٥). اما في قرى منطقة الخليل فقد ازدادت حدة مواقف الفلاحين العدائية من الحكومة بسبب الصعوبات التي واجهوها في تصريف محاصيلهم الزراعية باسعار معقولة وما اعقب ذلك من الضيق الذي تعرضوا له عند دفع الضرائب(١٦٦). وتفاقم الامر بسبب الاجراءات المعاكسة التي قامت بها الحكومة وشملت إلقاء القبض على بعض العناصر الأمر الذي عزز الشعور العدائي السائد ضد الحكومة.

الاتصال بمصطفى كمال

وفي شهر ايلول ١٩٢٢ استقبل السكان المسلمون انباء انتصارات مصطفى كمال ببالغ الفرح والتهليل(١٦٧). واثارت هذه الانتصارات التركية احتمالات اعادة النظر في معاهدة سيفر التي شملت نصوصها الانتداب على فلسطين، وانعشت الامال بامكان احداث تغيير جذري في حالة فلسطين. وانتخب وفد لحضور مؤتمر لوزان القادم وجمعت مبالغ كبيرة من المال للهلال الاحمر بغية تقديمها كمساعدة لاتراك الاناضول.

وسرعان ما اخذت فكرة الاتصال بالاتراك للظفر بتأييدهم للحركة المناوئة للصهيونية في فلسطين تزداد قوة، ثم اكتسبت مزيدا من التأييد عندما عاد الشيخ عبدالقادر المظفر من تركيا في اواسط شهر كانون الاول وابلغ زعماء الحركة الوطنية ان الزعماء الاتراك وعدوا بتأييد المطامح الوطنية الفلسطينية ومنح العرب استقلالهم. وهنا أبرق لفيف من الفلسطينيين الى مصطفى كمال يلتمسون منه العمل على تأييد منح الفلسطينيين الاستقلال في ظل انتداب تركي(١٦٨).

وانتعشت آمال الفلسطينيين مرة اخرى بحدوث تغيير في السياسة وذلك بعد ورود أنباء استقالة حكومة لويد جورج الائتلافية.

وفي الوقت الذي لعبت فيه العوامل الخارجية دورها في انعاش آمال جديدة، ادى التحريض ضد الدستور الجديد المقترح والانتخابات التشريعية المقترحة ـ وكلاهما ينطوي على قبول سياسة الوطن القومي اليهودي ـ الى تشجيع انتهاج اساليب اشد جرأة في الداخل(١٦٩). وعكفت اللجنة التنفيذية على تقديم الاحتجاجات بسبب ما قدمته الحكومة من اراضي الدولة لليهود وعلى مطالبتها بصيانة مصالح الفلاحين المسلمين الذين كانوا يعيشون في تلك الاراضي اما الوطنيون العرب فقد انصرفت جهودهم نحو مصالحة العائلات المتخاصمة والتوفيق بينها(١٧٠). واهم من ذلك ما ورد في تقرير عن:

«عقد اجتماع في النادي العربي بحثت فيه الفوائد المرتقبة من قيام حركة ثورية عند هذا المفترق من الطرق، ولكن السيد جميل الشهابي ارتأى ضرورة انتظار وصول انباء من الوفد»(١٧١).

وعند هذه المرحلة تبنى صموئيل موقفا جديدا نحو المعارضة الفلسطينية عندما انتهج سياسة التشجيع على قيام حزب معتدل. ففي دراسة شاملة اعدها عن الظروف السياسية

والاقتصادية في فلسطين حث صموئيل وزير المستعمرات الجديد، ديفونشاير، ء
انتهاج سياسة سلفه في فلسطين كوسيلة لخلق استقرار سياسي مع العمل على
العناصر الموالية للحكومة في صفوف العرب:

«اذا عاد الوفد الحالي الى فلسطين دون ان يحقق شيئا في لوزان ولندن واقت
باعادة التأكيد على السياسة السابقة، فان الحزب المعتدل سيتشجع كثيرا وتنـ
حركة الامتناع عن التعاون وتزداد فرص نجاح الجهود التي سأبذلها عندئذ في ا
عامة في الانتخابات»(١٧٢)

مقاطعة انتخابات المجلس التشريعي

وعندما استقبل ديفونشاير الوفد الفلسطيني في كانون الثاني ١٩٢٣ ابلغه
المحافظين الجديدة لا تعتزم الغاء تصريح بلفور او احداث تغير في السياسة ا
تشرشل في كتابه الابيض.

اما في فلسطين فقد شنت المعارضة حملة ناشطة لمقاطعة انتخابـار
التشريعي. واقسم الناس بتحريض من خطباءالمساجد، على مقاطعةالان
وعقدت اجتماعات عديدة كان المجتمعون يؤكدون فيها ان قبول دستور مبني ع
بلفور هو بمثابة انتحار وطني(١٧٣).

والى جانب مقاطعة المجلس التشريعي كانت الحركة الوطنية الفلسطينية
بذل جهد لتحسين الوضع الاقتصادي في محاولة منها لحماية المزارعين العرب.
الاول من شباط ١٩٢٣ عقد «المؤتمر الزراعي الاقتصادي العربي» اول اج
وانتخب لجنة تنفيذية مرتبطة باللجنة التنفيذية للمؤتمر العربي، فقد تقـرر
اللجنتان في الشؤون الاقتصادية والسياسية على السواء. وتقرر كذلك مطالبا
بالغاء بعض الضرائب والعوائد بقصد تشجيع زراعة الدخان وغرس الاشجا
مطالبتها بانشاء مدرسة زراعية. ولكن اشد القرارات اهمية كان:

«مطالبة الحكومة بسن قانون يحظر على الفلاح بيع ارضه اذا كانت مساحت

---

* كانت الحركة الوطنية تضطر الى استخدام المساجد والكنائس كمنبر سياسي وطني ذ
سلطات الانتداب الخانق على حرية الوطنيين الفلسطينيين.

٢٠٠ دونم بغية تأمين اسباب الحياة له وذلك على غرار القانون المصري الذي يحدد المساحة المقابلة بخمسة فدانات»(١٧٤) .

وبينما كانت حملة المقاطعة تزداد حدة كان كل من صموئيل والعناصر الموالية للحكومة يجدون انفسهم في مواقف اشد حراجة . وهنا حاول حزب الموالين للحكومة اكتساب بعض التنازلات كوسيلة لتبرير ميل اعضائه للتعاون مع الحكومة . وابدى صموئيل ميلاً لمنح المعتدلين بعض التنازلات بالفعل كوسيلة لتعزيز نفوذهم وتهدئة خواطر الرأي العام في فلسطين . ففي الحادي عشر من شباط كتب صموئيل الى ديفونشاير يقول انه تلقى عرضاً باسم قطاعات هامة من العرب ابدت استعدادها للتخلي عن معارضة تصريح بلفور والتقدم للتعاون مع الحكومة وخوض معركة انتخابات المجلس التشريعي اذا توافرت الشروط التالية :

١ ـ تحديد العدد السنوي للمهاجرين .
٢ ـ زيادة عدد الاعضاء العرب الذين يعينهم المندوب السامي في المجلس التشريعي بحيث يجري اختيار العدد الاضافي المطلوب من بين قوائم تقدمها للمندوب السامي الهيئات المحلية وبحيث يشكل مجموع عدد الاعضاء العرب المعينين مضافاً الى الاعضاء الذين ينتخبهم الشعب ، اكثرية اعضاء المجلس .
٣ ـ بقاء الموظفين البريطانيين محتفظين بجوهر السلطة التنفيذية على أن يزداد في المستقبل عدد الفلسطينيين الذين يشغلون مناصب ادارية هامة زيادة كبيرة .
٤ ـ تعيين امير عربي لفلسطين مع احتفاظ المندوب السامي بسلطاته الحالية(١٧٥) . ومع ان صموئيل اعترض على الشرط الاخير كما ابدى بعض التحفظات الاخرى إلا أنه اقترح مواصلة الحوار في انتظار ورود قرار ايجابي من وزير المستعمرات .

غير أن جواب ديفونشاير لم يكن مشجعاً(١٧٦) ولم يكن في الامكان بالتالي عمل أي شيء يصلح لتغطية ادعاءات الموالين للحكومة واعتبر ذلك بمثابة نصر جلي للجنة التنفيذية على سياسة الحكومة وعلى العناصر الموالية لها والتي تجرأت على ترشيح بعض اعضائها للانتخابات . وفي اليوم الثاني عشر من آذار أصدرت اللجنة بياناً اعلنت فيه الاضراب العام عن العمل في الرابع عشر من الشهر وذلك تكريماً للموقف الذي اتخذته «الامة العربية من عملية الانتخابات»(١٧٧) .

القيادة تلجم التحرك الشعبي

وتقرر كذلك القيام باستقبال شعبي للوفد العربي العائد. وفي اثناء الاستقبال اصطدم البوليس بالجماهير عندما حاول القاء القبض على عدد من المشتركين في الاستقبال بسبب هتافاتهم بشعارات «استفزازية ومهينة»(١٧٨).

واصيب الكثيرون بجروح والقي القبض على عدد آخر واعتبر الحادث مثلاً على وحشية البوليس. وانهالت الاحتجاجات من مختلف انحاء فلسطين الأمر الذي ادى الى موجة جديدة من المشاعر المناوئة للحكومة.

وكان اقتراب موعد موسم النبي موسى ومهرجاناته فرصة اتيحت للجنة التنفيذية لكي تضغط على الحكومة وتثبت مدى قوتها ولكنها بدلاً من أن تفعل ذلك اتخذت «ترتيبات عامة تكفل السيطرة على الجماهير والمواكب»(١٧٩). وكان جمال الحسيني سكرتير اللجنة التنفيذية قد قال لديدس في مقابلة خاصة ان هناك واحداً من طريقين للوصول الى الحقوق السياسية الكاملة في فلسطين:

«اما الوسائل الدستورية او الثورة وان الوسيلة الأولى هي المفضلة وان كانت الوسيلة الثانية تكفل حصول الفلسطينيين على ما يطلبونه بحق، في غضون ستة اشهر»(١٨٠).

وفي الشهر التالي اجرى جمال الحسيني مقابلة مع أحد اعضاء الحكومة قال خلالها ان اللجنة تتعرض لضغط من جهات عديدة بقصد الدعوة الى عقد المؤتمر العربي وتحديد الموقف الذي ينبغي ان تتبناه البلاد بكاملها نحو الحكومة، وبالاضافة الى ذلك:

«كان هناك قطاع كبير من الرأي العام يعطف على الامتناع عن دفع الضرائب باعتبار ذلك الخطوة التالية التي ينبغي اتخاذها دون توجيه مزيد من النداءات الى انكلترا والحكومة البريطانية. وقال انه هو شخصياً لا يعطف على سياسة الاندفاع نحو سياسة عدم دفع الضرائب بل هو يؤثر توجيه نداء آخر الى انكلترا»(١٨١).

وفي اعقاب المقاطعة العربية الناجحة للانتخابات اعلن صموئيل تعطيل بنود الدستور المتعلقة بالمجلس التشريعي وإقامة مجلس استشاري جديد(١٨٢). غير أن اللجنة التنفيذية اتخذت موقفاً قوياً من هذه الخطوة وقالت «ان لا شيء غير المزيد من الفوضى دون ادنى قدر من الفائدة»(١٨٣) يمكن ان ينجم عن ذلك.

وفي اثناء شهر ايار، مارست اللجنة التنفيذية الضغط على المرشحين للمجلس الاستشاري لحملهم على رفض التعيين. وهنا واجه الاعضاء العرب ضغطاً شعبياً قوياً واضطروا بعد شيء من التلكؤ الى الاستقالة حتى قبل ان يعين صموئيل موعد عقد الجلسة الاولى.

على ان اللجنة التنفيذية تلقت في السابع عشر من ايار برقية من الملك حسين بن علي سببت انتشار شائعات واسعة عن الغاء تصريح بلفور. وقامت اللجنة بتحليل البرقية ونشرها مقرونة بنصيحة الى الشعب بان يتجنب كل ما قد يخل بالسلام والهدوء في فلسطين. وبعد اسبوع من ذلك قررت اللجنة ارجاء عقد المؤتمر العربي الفلسطيني السادس الى ما بعد نشر نصوص معاهدة الملك حسين بن علي مع بريطانيا المعروفة بالمعاهدة الانغلو- عربية.

المؤتمر الفلسطيني السادس

عقد المؤتمر العربي الفلسطيني السادس في يافا خلال الفترة الواقعة بين السادس عشر من حزيران ١٩٢٣ والعشرين منه برئاسة موسى كاظم الحسيني. وقرر رفض المعاهدة الانغلو- عربية التي اعتبرها مناقضة لحقوق عرب فلسطين ومصالحهم.

وقرر المؤتمر كذلك تشكيل وفد عربي جديد يرئسه هذه المرة ايضاً موسى كاظم نفسه على ان يتوجه الوفد الى لندن على الفور ويجري اتصالات مع اعضاء البرلمان ووزارة المستعمرات قبل ان يجري توقيع المعاهدة نهائياً.

اما المشكلة الرئيسية الثانية التي شغلت المؤتمر فكانت مشكلة الامتناع عن دفع الضرائب للحكومة. وقد افتتح الحديث عن هذه المشكلة الجوهرية التي شغلت تفكير الرأي العام قبل انعقاد المؤتمر، السيد جمال الحسيني الذي تبنى في خطاب طويل مدعم بالحجج القوية، الدفاع عن سياسة الامتناع عن دفع الضرائب. وقال مبرراً دعوته ان الحكومة تجمع الضرائب وتوزعها على الجمعيات الصهيونية والمهاجرين اليهود. ومضى يقول ان الحكومة امتنعت، بضغط من الصهيونيين، عن تزويد المزارعين العرب بالقروض الزراعية الامر الذي سيتسبب في قتل الفلاح اقتصادياً، وان المندوب السامي يمنح الأراضي والامتيازات لليهود دون استشارة العرب. وختم خطابه بطلب محدد الا وهو ان تنظر اللجنة الاقتصادية في أمر الامتناع عن دفع الضرائب مستندة الى مبدأ «لا ضرائب

بدون تمثيل»(١٨٤) .

وفي اللجنة الاقتصادية نشبت خلافات حادة وتقرر في النهاية احالة الموضوع على اللجنة التنفيذية التي «ينبغي لها ان تدرس مشكلة رفض دفع الضرائب للحكومة وان تضع ذلك موضع التنفيذ عندما تصبح الفرصة مؤاتية»(١٨٥). ولقيت الفكرة معارضة في الاجتماع العام على أساس انه من المتعذر تنفيذها دون احداث ثورة وان من العبث ان يؤمل بنجاح ثورة ضد الحكومة البريطانية في بلد صغير وفقير كفلسطين(١٨٦).

ولعل من الايضاحات الموثوق بها للبواعث التي املت على معارضي الامتناع عن دفع الضرائب مواقفهم، ما كتبه حاكم لواء السامرة:

«قبل ان يجري عقد المؤتمر تلقيت من رئيس البلدية ضمانات بان لا يتبنى المؤتمر أية قرارات تدعو الى الامتناع عن دفع الضرائب. ولقد اخبرني ان الحاج سعيد الشوا حريص جداً على ان لا يتبنى قرار الامتناع عن دفع الضرائب لانه ملاك كبير للاراضي وسيكون اول من يعاني من أي اجراء قد تتخذه الحكومة»(١٨٧) .

وينبغي كذلك ان يلاحظ ان القيادة السياسية فشلت في اللجوء الى سلاح فعال كالامتناع عن دفع الضرائب في وقت كانت الدلائل فيه تشير الى ان قطاعات كبيرة من السكان ستتقيد به. ويستفاد من التقارير الحكومية ان خطاب جمال الحسيني الذي دعا فيه الى الامتناع عن دفع الضرائب «قد اشاع الرضا في صفوف المواطنين العرب»(١٨٨) . وفي شمال فلسطين وقع في العاشر من حزيران هجوم على رجال الدرك البريطاني. وفي المنطقة الجنوبية ابدى السكان عدم ارتياحهم للحالة.
«انهم في حالة ذهنية تسمح لهم بأن يستقبلوا بالعطف الدعايات المناوئة للحكومة ولا سيما تلك الدعايات التي تتناول الامتناع عن دفع الضرائب»(١٨٩) .

وبعد ان تم انتخاب لجنة تنفيذية جديدة، تبنى المؤتمر ٢٤ قراراً(١٩٠) وكلف اللجنة التنفيذية الجديدة بتنفيذ مقاطعة مشروع روتنبرغ والبضائع اليهودية والقيام بوجوه النشاط والفعاليات بصورة عامة. وجمعت الاموال لتغطية نفقات الوفد المسافر الى لندن ونفقات المكتب البريطاني الموالي للعرب.

عقم مساعي التفاهم مع بريطانيا

وغادر الوفد العربي الجديد فلسطين في الخامس عشر من تموز تحفزه الى المسارعة

بذلك انباء وردت من انكلترا مؤداها ان لجنة وزارية قد بدأت تعقد جلساتها للنظر في المشكلة الفلسطينية . على ان اللجنة الوزارية رفضت استقبال الوفد الأمر الذي «احدث اشمئزازاً وخيبة امل لدى الاوساط الوطنية العربية»(١٩١) .

ومع ذلك فان اللجنة التنفيذية بدلاً من ان تقرر استدعاء الوفد وعقد مؤتمر لدراسة موقف الحكومة البريطانية واستخلاص النتائج المنطقية من حيث خط العمل الذي يتعين على العرب تبنيه ، قررت ان تصدر تعليماتها بأن تبقى اللجنة في انكلترا ثم تزور امريكا لبث الدعاية وجمع التبرعات(١٩٢) .

ولقد اوضح هذا الموقف غلبرت كلايتون وهو خبير قديم في الشؤون العربية والفلسطينية حل محل ديدس في منصب السكرتير المدني لحكومة فلسطين في ربيع عام ١٩٢٣ . ففي رسالة كتبها كلايتون الى ديفونشاير اورد خلاصة حديث دار بينه وبين «واحد من الاعضاء الاكثر تقدمية في الجمعية الاسلامية المسيحية»(١٩٣) وكشف النقاب عن خط العمل الذي ترتأي الجمعية انتهاجه في حالة عودة الوفد فاشلاً فارغ اليدين . وخلاصة هذا الخط من العمل هو ان النية متجهة الى ان لا تنتهج المعارضة سبيل العنف والثورة بل ان تتمسك بالوسائل الدستورية والشرعية . وقد شجعها على ذلك بنوع خاص تزايد التأييد للقضية في مجلس العموم ، وهم (زعماء المعارضة) :

«يبدون على ثقة من أن نفوذهم على اتباعهم يبلغ من القوة ما يكفي للحيلولة دون اللجوء إلى أي عمل عنيف او غير دستوري ما داموا يستطيعون ان يثبتوا أن سياستهم الحالية تثمر نتائج طيبة»(١٩٤) .

وكان كلايتون من الحصافة بحيث اوصى وزير المستعمرات بان لا يعمل على تحطيم هذه الامال بصورة مفاجئة واقترح :

«أن توفر للعرب بعض المبررات للحفاظ على سياستهم الحالية التي تمتاز على الأقل بانها تحول بينهم وبين انتهاج اساليب اسوأ منها ، وبذلك يتوفر الوقت اللازم لتغلب الرأي الحكيم»(١٩٥) .

وسرعان ما بدأت آمال كلايتون «بتغلب الرأي الحكيم» تأخذ طريقها نحو التحقيق فقد ورد في تقرير لاحق :

«بدأت تظهر في الأفق علائم العمل على تشكيل حزب اطلق على نفسه أول الأمر

اسم الحزب الحر المعتدل ثم عاد فغير اسمه الى الحزب الوطني . أما سياسته المعلنة فهي وان كانت وطنية الا انها تتعارض مع سياسة الجمعيات الاسلامية المسيحية من حيث انها ترتأي تحقيق اهدافها من خلال التعاون مع الحكومة لا معارضتها .(١٩٦) .

ولقد تعزز جانب هذا الحزب في اعقاب رفض اللجنة التنفيذية قبول توصيات لجنة وزارية شكلت خلال صيف عام ١٩٢٣ لمراجعة السياسة البريطانية في فلسطين . ومع ان بعض اعضاء اللجنة الوزارية المذكورة رأوا ان تصريح بلفور غير ضروري وغير حكيم فان اللجنة رأت أنه من المتعذر على اية حكومة ان تفك ارتباطها بالتصريح دون أن تفقد قدراً كبيراً من الانسجام واحترام الذات .

وعندما وصل الانتداب الفلسطيني الى مرحلة التنفيذ الكامل بناء على قرار مجلس عصبة الأمم الصادر في التاسع والعشرين من ايلول ١٩٢٣ ، كانت مواقف الاطراف الثلاثة التي يتألف منها المثلث الفلسطيني قد تبلورت بالفعل .

تبلور الموقف

وهكذا وقفت الحكومة البريطانية متمسكة بقوة بتصريح بلفور وسياسة الوطن القومي اليهودي مسترشدة بنظرية «الالتزام المزدوج» ومبدأ الطاقة الاقتصادية على الاستيعاب بشأن سياسة الهجرة . اما التسوية النهائية للانتداب فقد ازالت جميع ظلال الشك واستبعدت امكان حدوث أي تغيير جذري في السياسة البريطانية في فلسطين خلال المستقبل المنظور .

أما الصهيونيون فقد كانوا مقتنعين بان بنود الانتداب الفلسطيني والسياسات البريطانية في فلسطين كفيلة بان تؤدي الى تحقيق هدفهم الأساسي المباشر أي الوصول بالبلاد الى أكثرية يهودية وبالتالي السيطرة السياسية عليها وذلك من خلال الهجرة والاستيلاء على اراضي فلسطين . ولهذا كانوا يعارضون انشاء مؤسسات تمثيلية وتطبيق مبدأ حق تقرير المصير في فلسطين وذلك بحجة ان الأكثرية العربية ستلجأ الى استخدام هذه المؤسسات لمحاربة الصهيونية والغاء الانتداب . أما التوافق الانغلو صهيوني فقد كشفت عنه موافقة الصهيونيين على الكتاب الابيض الذي اصدره تشرشل كما تجسد هذا التحالف في شخص المندوب السامي نفسه .

وقد قوّم صموئيل الموقف العربي تقويماً دقيقاً في تقرير ثاقب النظر قدمه في شهر

كانون الثاني ١٩٢٤ قال فيه:

«ان الأكثرية الساحقة من سكان فلسطين هي من العرب المسلمين. والأكثرية من هذه الأكثرية وربما بنفس النسبة من الكثرة، تعطف على وجهات النظر العامة لما يمكن ان تعرف بالمعارضة المحلية للسياسة الفلسطينية لحكومة صاحب الجلالة البريطانية كما تطبقها هذه الادارة»(١٩٧).

ووصف صموئيل بواعث حزب الاقلية الموالية للحكومة والذي أخذ في التبلور بالعبارات التالية:

«انهم تواقون لحياة هادئة ولا يودون التورط في صراعات سياسية. فهم يرغبون في زيادة ثرواتهم ويعتقدون ان الادارة والسيطرة البريطانية في الوقت الراهن، هما خير ما يمكن ان يجعل البلاد وانفسهم اكثر ازدهاراً. وبعضهم مدفوعون الى مواقفهم هذه كما سبق أن ذكرت بدوافع أقوى ناجمة عن الحزازات داخل صفوف معسكر المعارضة. وهناك من يعتقدون انهم قد يظفرون بمزايا وفوائد مباشرة او غير مباشرة من خلال الوقوف الى جانب الحكومة»(١٩٨).

ويلاحظ ان العناصر المسيحية كانت بارزة في الحركة المناهضة للصهيونية وفي الحزب المعتدل على السواء(١٩٩). ولكنهم بصورة عامة اصبحوا ميالين الى اتخاذ موقف أقل تصلباً نحو الحكومة بعد الانتصارات التي سجلها مصطفى كمال وبعد انتعاش الافكار الداعية للوحدة الاسلامية. يضاف الى ذلك انهم يشكلون نسبة عالية من موظفي الحكومة في فلسطين. ومهما يكن من امر فقد كان العديد من المفكرين العرب المسيحيين بين العناصر الشديدة التطرف ضد الصهيونية في فلسطين.

تيارات ثلاثة

وعزا صموئيل المعارضة الفلسطينية لبريطانيا الى ثلاثة تيارات فكرية: القومية العربية والعداء للصهيونية والوحدة الاسلامية. فهذه التيارات الثلاثة اجتذبت رجالاً يتفاوتون في مستوى اخلاصهم وحماسهم.

«فهنالك نواة من الوطنيين الاصلاء الذين لديهم استعداد لتقديم تضحيات كبيرة في سبيل قضيتهم. وهناك عدد من الشباب الذين يجدون متعة فيما تقترن به الحركة الوطنية من اثارة للاهتمام والانفعال. ثم هنالك حاشية كبيرة من الاشخاص الذين يعطفون بصورة

عامة على الافكار والاراء العربية والشرقية . . . وهم على استعداد لاقفال حوانيتهم ، حين يكونون من اصحاب الحوانيت ، اذا طلبت منهم ذلك اللجنة التنفيذية في بعض مناسبات الاحتجاج ، وهم يبدون رغبة في الانضمام الى الجماهير المجتمعة في الشوارع لتوديع وفد مسافر او الترحيب بوفد عائد»(٢٠٠) .

وبحلول نهاية عام ١٩٢٣ كان هناك اعتقاد متصاعد في صفوف الاكثرية العربية الفلسطينية بأن بريطانيا والانتداب هما الحاميان الفعليان للصهيونية وان سياسة الوطن القومي اليهودي انما تمثل تلاحم المصالح الاستعمارية البريطانية بالاستعمار الصهيوني في فلسطين الذي يكفل نشوء اكثرية وسيطرة يهودية ثم طرد العرب في النهاية من بلادهم . وكان آل الحسيني والقيادة الاسلامية المسيحية قد رفضوا على الدوام ان يلزموا انفسهم بأي اطار قد يفسر ضمنا على انه موافقة على تصريح بلفور ولكنهم رفضوا من الناحية الاخرى ان يشجعوا قيام اية حركة ثورية ضد التحالف الانغلو- صهيوني . ولعل الموقف الاخير يعزى الى الرهبة من القوة العسكرية البريطانية فضلاً عن الاعتقاد بان الثورة ستكون حتماً مدمرة لمصالحهم . ومهما يكن من امر فان فشلهم في التمسك باطار ثوري لم يفض الى ظهور قيادة ثورية منبثقة من صفوف الوطنيين المناضلين من مثقفي الطبقة الوسطى . وهكذا تركت «الطبقات الدنيا» من المجتمع الفلسطيني وهي الطبقات التي كانت تكمن لديها الرغبة والمصلحة في الثورة دون قيادة . واعقبت ذلك فترة طويلة من الهدوء والركود .

هوامش الفصل الخامس

(١) تقرير بالين ص ٣٧

(٢) اللنبي الى لويد جورج ٦/٥/١٩٢٠ اوراق لويد جورج مكتبة بيفربروك انكلترا.

(٣) وايزمان ص ٣٢٥

(٤) لمراجعة «عرائض احتجاج» بين ٢ و٥/٥/١٩٢٠ انظر و.خ. ٣٧١-٥١٢٠ و ٣٧١ - ٥١١٤

(٥) الكرمل ١٣/٥/١٩٢٠

(٦) انظر دروزة ص ٣٨

(٧) راجع مذكرة للدكتور ادر ٥/٥/١٩٢٠ ارشيف الهاغانا.

(٨) تقرير الى الدكتور ادر ٣٠/٥/١٩٢٠ ارشيف الهاغانا

(٩) المصدر نفسه

(١٠) ١٤/٥/١٩٢٠

(١١) بولز الى و.خ. ١/٦/١٩٢٠ و.خ. ٣٧١-٥١١٤ ص ٢٠

(١٢) والتر لاكير «الشيوعية والقومية في الشرق الاوسط» - لندن -

(١٣) والتر لاكير «الشيوعية والقومية في الشرق الاوسط» - لندن - ١٩٦١ ص ٧٩

(١٤) اللنبي الى و.خ. ٩/٦/١٩٢٠ و.خ. ٣٧١-٥١٢٠

(١٥) ق.ع.، ب.ع.م. الى وزارة الحربية ٢٣/٦/١٩٢٠ و.خ. ٣٧١-٥١٢٠

(١٦) «الحالة في فلسطين» ٣١/٥/١٩٢٠ و.خ. ٣٧١ - ٥١١٩

(١٧) مذكرات صموئيل ص ١٥٤

(١٨) بولز الى و.خ. ٢٥/٦/١٩٢٠ و.خ. ٣٧١-٥١١٤

(١٩) صموئيل الى كيرزون ١٢/٧/١٩٢٠ و.خ. ٣٧١-٥١٢١

(٢٠) المصدر نفسه

(٢١) ديدس الى تيلي ١٠/١٠/١٩٢٠ و.خ ٣٧١-٥١٢٤

(٢٢) ١/١١/١٩٢٠ المصدر نفسه

(٢٣) المصدر نفسه

(٢٤) انظر كتاب متيل مغنم «المرأة العربية والمشكلة الفلسطينية» - بالانكليزية - لندن - ١٩٣٧ ص ١٢٥-١٢٧

(٢٥) المصدر نفسه
(٢٦) للاطلاع على اسماء اللجنة انظر دروزة ص ٣٨
(٢٧) مرآة الشرق ١٤ - ١ - ١٩٢١
(٢٨) حدد تقرير بريطاني عدد الجمعيات الاسلامية - المسيحية بـ٤٣ جمعية وعدد أعضاء هذه الجمعيات بثلاثة آلاف عضو من صموئيل إلى كرزون ١٩٢١/١/١ و.خ. ٣٧١-٦٣٧٤.
(٢٩) فلسطين ١٩٢٠/٣/٢٠ و ١٩٢٠/٣/٢٧
(٣٠) صموئيل الى موسى كاظم باشا ١٩٢٠/١١/٢١
(٣١) التقرير السياسي لشهر كانون الثاني ١٩٢١ و.خ. ٣٧١-٦٣٧٤
(٣٢) المصدر نفسه
(٣٣ المصدر نفسه
(٣٤) ديدس الى تيلي ١٩٢١/١/١٤ وزارة المستعمرات - و.م. - ٧٣٣-١٧ - أ -
(٣٥) المصدر نفسه
(٣٦) التقرير السياسي لشهر شباط ١٩٢١ و.خ. ٣٧١-٦٣٧٥
(٣٧) المصدر نفسه
(٣٨) المصدر نفسه.
(٣٩) لمراجعة مواقف تشرشل العامة من الصهيونية واليهود انظر اوسكار رابينويتش «ونستون تشرشل والمشاكل اليهودية» - لندن - ١٩٥٦ انظر ايضا مقالة تشرشل «الصهيونية ضد البلشفية» ١٩٢٠/٢/٨ في Illustrated Sunday Herald
(٤٠) لمراجعة وقائع المؤتمر انظر Cab ٢٤-١٢٦
(٤١) المصدر نفسه
(٤٢) المصدر نفسه ص ١١٠
(٤٣) المصدر نفسه ص ١٠٨
(٤٤) التقرير السياسي لشهر آذار ١٩٢١ و.م. ٧٣٣-٢
(٤٥) المصدر نفسه
(٤٦) المصدر نفسه
(٤٧) المصدر نفسه
(٤٨) المصدر نفسه

(٤٩) المصدر نفسه

(٥٠) المصدر نفسه

(٥١) انظر المصدر نفسه ملحق «تقرير رسمي»

(٥٢) انظر تقرير «مؤتمر القاهرة» ص ١٥٠

(٥٣) المصدر نفسه ص ١٥١

(٥٤) التقرير السياسي لشهر نيسان ١٩٢١ و.م. ٧٣٣-٣

(٥٥) تقرير برنتون ١٣/٥/١٩٢١ «الحالة في فلسطين»، ٩/٦/١٩٢١ و.م. ٧٣٣-١٣

(٥٦) المصدر نفسه ص ٥

(٥٧) المصدر نفسه ص ٣

(٥٨) في السابع من ايار ١٩٢١ عين المندوب السامي لجنة تحقيق برئاسة السير توماس هايكرفت رئيس القضاة في فلسطين. وقد وضعت لجنة هيكرفت تقريرا نشرته الحكومة بامر رقم ١٥٤٠ سنة ١٩٢١.

(٥٩) تقرير برنتون ٩/٦/١٩٢١. للاطلاع على النص العربي الكامل للمنشور انظر «وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الانتداب البريطاني والصهيوني» تحرير عبدالوهاب الكيالي - بيروت - ١٩٦٨ ص ٢٢ - ٢٥

(٦٠) المصدر نفسه

(٦١) المصدر نفسه.

(٦٢) المصدر نفسه ص ٢-٣

(٦٣) المصدر نفسه

(٦٤) المصدر نفسه

(٦٥) للاطلاع على دور الوجهاء في مساعدة الحكومة لتهدئة الموقف راجع «التقرير الاولي للجنة التحقيق» ١٦/٨/١٩٢١ و.م. ٧٣٣/٥ ص ٢٤

(٦٦) صموئيل الى تشرشل ٨/٥/١٩٢١ و.م. ٧٣٣ - ٣ انظر ايضا التقرير السياسي لشهر ايار ١٩٢١ و.خ. ٣٧١-٦٣٧٥

(٦٧) تقرير برنتون ص ٣٠

(٦٨) المصدر نفسه

(٦٩) «التقرير الاولي» ملحق ب ص ١٠

(٧٠) تقرير برنتون ص ٣-٤ ولقد ثبتت لجنة هيكرفت في تقريرها الاولي ما جاء في تقرير برنتون.

(٧١) المصدر نفسه
(٧٢) «التقرير الاولي»
(٧٣) صموئيل الى تشرشل ١٩٢١/٥/٨و.م ٧٣٣-٣
(٧٤) المصدر نفسه
(٧٥) المصدر نفسه
(٧٦) التقرير السياسي لشهر ايار ١٩٢٠ ص ٢
(٧٧) المصدر نفسه ص ٢
(٧٨) المصدر نفسه ص ٧-٨
(٧٩) صموئيل الى تشرشل ١٩٢١/٥/٢٤ و.م. ٧٣٣-٣
(٨٠) تشرشل الى صموئيل ١٩٢١/٥/١٤ و.م. ٧٣٣-٣
(٨١) المنظمة الصهيونية، المكتب المركزي، ١٩٢١/٦/١ و.م. ٧٣٣-١٦
(٨٢) التقرير السياسي لشهر حزيران ١٩٢١ و.م. ٧٣٣-٤
(٨٣) المصدر نفسه.
(٨٤) «خطاب السير هربرت صموئيل في القدس بتاريخ ٣ حزيران ١٩٢١» ١٩٢١/٦/٢٨ و.خ. ٣٧١-٦٣٧٥
(٨٥) صموئيل الى تشرشل ١٩٢١/٥/١٣ و.م ٧٣٣-٣
(٨٦) المصدر نفسه
(٨٧) التقرير السياسي لشهر حزيران ١٩٢١
(٨٨) المصدر نفسه ص ٦
(٨٩) المصدر نفسه
(٩٠) المصدر نفسه ص ٢
(٩١) المصدر نفسه ص ١
(٩٢) ادر الى اللجنة التنفيذية الصهيونية ١٩٢١/٦/٤ الارشيف الصهيوني المركزي ز ٤-١٦١٥١ ص٥.
(٩٣) راجع «مقابلة بين ٤ اعضاء من وفد مؤتمر حيفا وسعادة المندوب السامي» ١٩٢١/٦/٢٣ و.م. ٧٣٣-٤
(٩٤) «بيان الوفد العربي» ١٩٢١/٧/٢٩ و.م. ٧٣٣-١٦
(٩٥) «الحالة في فلسطين» تموز ١٩٢١ و.م. ٧٣٣ - ١٣

(٩٦) المصدر نفسه ص ٧
(٩٧) للاطلاع على هذا الجهد الاعلامي العربي راجع كتاب «اعمال الوفد السوري الفلسطيني ـ القاهرة ـ ١٩٢٣».
(٩٨) رسالة من شبلي الجمل الى الدكتور شطارة ١٩٢١/٨/٢٤ اوراق لويد جورج
(٩٩) «فلسطين. مذكرة وزير الدولة لشؤون المستعمرات» ١٩٢١/٨/١١ و.م. ٧٣٣ـ١٤
(١٠٠) ١٩٢١/٨/١٨ و.م. ٧٣٣ـ١٤
(١٠١) الوفد العربي الفلسطيني ١٩٢١/٨/١٢ و.م. ٧٣٣ـ١٤ ص ٢
(١٠٢) «ملاحظات حول محادثات بين وزير الدولة واعضاء الوفد العربي الفلسطيني» ١٩٢١/٨/٢٢ و.م. ٧٣٣ـ١٤ ص ٢٠
(١٠٣) المصدر نفسه ص ٧
(١٠٤) ١٩٢١/٨/٢٣ و.م. ٧٣٣ـ١٧ ـ ب ـ ص ١٥
(١٠٥) المصدر نفسه ص ١٦
(١٠٦) صموئيل الى تشرشل ١٩٢١/٨/٢٦ و.م. ٧٣٣ـ٥
(١٠٧) شكبورغ الى ماسترتون سميث «العلاقات العربية الصهيونية» ١٩٢١/١٠/١٥ و.م. ٧٣٣ـ٦
(١٠٨) رسالة الى تشرشل ١٩٢١/١٠/٢٤ و.م. ٧٣٣ـ١٦ ص ١ـ٢
(١٠٩) المصدر نفسه ص ٣ـ٤
(١١٠) تشرشل الى صموئيل ١٩٢١/١١/٢٦ و.م. ٧٣٣ـ١٥
(١١١) وايزمان الى ديدس ١٩٢١/١٢/١٣ و.م. ٧٣٣ ـ ١٦
(١١٢) شكبورغ الى ماسترتون سميث ١٩٢١/١١/٧ و.م. ٧٣٣ـ١٥
(١١٣) وايزمان الى شكبورغ ٢ـ١٢ـ١٩٢١ و.م ٧٣٣ـ١٧ ـ ب ـ
(١١٤) المصدر نفسه ص ٢ـ٣
(١١٥) المصدر نفسه ص ١
(١١٦) المصدر نفسه ص ٢
(١١٧) شكبورغ الى ماسترتون سميث «العلاقات العربية الصهيونية»
(١١٨) المصدر نفسه
(١١٩) التقرير السياسي لشهر تشرين الاول ١٩٢١ و.م. ٧٣٣ـ٧

(١٢٠) انظر التقرير السياسي لشهر نيسان ١٩٢٢ و.م. ٧٣٣ـ٢١

(١٢١) صموئيل الى تشرشل ١٩٢١/١١/١٨ و.م. ٧٣٣ـ٧

(١٢٢) صموئيل الى تشرشل ٨ ـ ١٠ ـ ١٩٢١ و . م . ٧٣٣ ـ ٦

(١٣٣) صموئيل الى تشرشل ١٩٢١/١١/١١ و . م ٧٣٣ ـ ٧

(١٢٤) صموئيل الى تشرشل ١٩٢١/١١/٢ و.م. ٧٣٣ـ٧

(١٢٥) المصدر نفسه

(١٢٦) التقرير السياسي لشهر تشرين الثاني ١٩٢١ ٧٣٣ـ٨

(١٢٧) «ملخص تقرير الاستخبارات» رقم ٣١، تشرين الثاني ١٩٢١ و.م ٧٣٣ـ١٧ـ ب ـ

(١٢٨) المصدر نفسه

(١٢٩) التقرير السياسي لشهر كانون اول ١٩٢١

(١٣٠) التقرير السياسي لشهر كانون الثاني ١٩٢٢ و.م. ٧٣٣ـ١٨

(١٣١) «الحالة في لواء حيفا» ١٩٢٢/٤/٣ . و.م. ٧٣٣ ـ ٣٨ ص ١

(١٣٢) المصدر نفسه ص ٢

(١٣٣) المصدر نفسه

(١٣٤) التقرير السياسي لشهر شباط ١٩٢٢ و.م. ٧٣٣ـ١٩ ص ٢ـ٣

(١٣٥) المصدر نفسه

(١٣٦) المصدر نفسه.

(١٣٧) صموئيل الى تشرشل ١٩٢٢/٣/٩ و.م. ٧٣٣ـ١٩ ص ٦

(١٣٨) المصدر نفسه ص ٥

(١٣٩) التقرير السياسي لشهر اذار ١٩٢٢ و.م. ٧٣٣ـ٢٠

(١٤٠) المصدر نفسه

(١٤١) التقرير السياسي لشهر نيسان ١٩٢٢ ص ٢

(١٤٢) المصدر نفسه ص ١

(١٤٣) المصدر نفسه

(١٤٤) راجع مذكرة تشرشل «السياسة البريطانية في فلسطين» حزيران ١٩٢٢ و.م. ٧٣٣ـ٣٤

(١٤٥) حكومة بريطانيا العظمى «مراسلات مع الوفد العربي الفلسطيني والمنظمة

الصهيونية» امر حكومي رقم ١٧٠٠ حزيران ١٩٢٢ ص ٢١-٢٨

(١٤٦) التقرير السياسي لشهر حزيران ١٩٢٢ و.م ٧٣٣-٢٣

(١٤٧) المصدر نفسه

(١٤٨) المصدر نفسه

(١٤٩) المصدر نفسه

(١٥٠) انظر مذكرة اللجنة التنفيذية للمؤتمر العربي الفلسطيني الرابع الى المندوب السامي ١٩٢٢/٦/٢٨ و.م. ٧٣٣-٢٣.

(١٥١) التقرير السياسي لشهر حزيران ١٩٢٢

(١٥٢) المصدر نفسه.

(١٥٣) المصدر نفسه ص ٣-٤

(١٥٤) المصدر نفسه

(١٥٥) المصدر نفسه ص ١

(١٥٦) التقرير السياسي لشهر آب ١٩٢٢ و.م. ٧٣٣-٢٥

(١٥٧) المصدر نفسه

(١٥٨) المصدر نفسه

(١٥٩) راجع «وثائق المقاومة الفلسطينية العربية» ص ٥٣

(١٦٠) ١٥-٩-١٩٢٢ و.م. ٧٣٣-٣٨

(١٦١) المصدر نفسه

(١٦٢) المصدر نفسه

(١٦٣) التقرير السياسي لشهر ايلول ١٩٢٢ و.م. ٧٣٣-٢٦

(١٦٤) المصدر نفسه

(١٦٥) التقرير السياسي لشهر تشرين الأول ١٩٢٢ و.م. ٧٣٣.٢٧

(١٦٦) المصدر نفسه

(١٦٧) انظر التقرير السياسي لشهر ايلول ١٩٢٢

(١٦٨) راجع «وثائق المقاومة الفلسطينية العربية» ص ٦٦-٦٧

(١٦٩) انظر التقرير السياسي لشهر تشرين الثاني ١٩٢٢ و.م. ٧٣٣-٢٨

(١٧٠) التقرير السياسي لشهر كانون الأول ١٩٢٢

(١٧١) المصدر نفسه

(١٧٢) المصدر نفسه
(١٧٣) المصدر نفسه ملحق (س)
(١٧٤) التقرير السياسي لشهر شباط ١٩٢٣ و.م. ٧٣٣-٤٣
(١٧٥) صموئيل الى ديفونشاير ١١-٢-١٩٢٣ و.م. ٧٣٣-٤٢
(١٧٦) ديفو نشاير الى صموئيل ١٦-٢-١٩٢٣ و.م. ٧٣٣-٤٢
(١٧٧) التقرير السياسي لشهر اذار ١٩٢٣ و.م. ٧٣٣-٤٤
(١٧٨) انظر صموئيل الى ديفونشاير ١٧-٣-١٩٢٣
(١٧٩) التقرير السياسي لشهر آذار ١٩٢٣ ص ٧
(١٨٠) المصدر نفسه ص ٦
(١٨١) التقرير السياسي لشهر نيسان ١٩٢٣ و.م. ٧٣٣-٤٥
(١٨٢) للاطلاع على تفاصيل التطورات المتعلقة بالمجلس الاستشاري راجع صموئيل الي ديفونشاير ١٥-٦-١٩٢٣ و.م. ٧٣٣-٤٦
(١٨٣) ٣-٣-١٩٢٣ و.م. ٧٣٣-٤٦
(١٨٤) للاطلاع على وقائع المؤتمر الفلسطيني السادس انظر كلايتون الى ديفونشاير ٢٢-٦-١٩٢٣ و.م. ٧٣٣-٤٦
(١٨٥) المصدر نفسه ص ٦
(١٨٦) المصدر نفسه
(١٨٧) التقرير السياسي لشهر حزيران ١٩٢٣ و.م. ٧٣٣-٤٧
(١٨٨) المصدر نفسه
(١٨٩) المصدر نفسه ص ١٠
(١٩٠) المصدر نفسه
(١٩١) التقرير السياسي لشهر آب ١٩٢٣ و.م ٧٣٣-٤٩
(١٩٢) المصدر نفسه
(١٩٣) كلايتون الى ديفونشاير ٢٤-٨-١٩٢٣ و.م. ٧٣٣-٤٨
(١٩٤) المصدر نفسه
(١٩٥) المصدر نفسه
(١٩٦) التقرير السياسي لشهر ايلول ١٩٢٣ ٧٣٣-٥٠
(١٩٧) صموئيل الى توماس ٢٥-١-١٩٢٤ و.م ٧٣٣-٦٣

(١٩٨) المصدر نفسه
(١٩٩) صموئيل الى شكبورغ ٦. ١٠-١٩٢٢ و.م. ٣٨-٧٣٣
(٢٠٠) المصدر نفسه

الفصـل السادس

هـدوء وركـود : ١٩٢٣- ١٩٢٩

شهد المسرح السياسي الفلسطيني خلال المدة الواقعة بين ١٩٢٤ و ١٩٢٨ فترة فريدة من الركود والشلل. ولقد لعبت عوامل عديدة دوراً في الوصول الى هذا الهجوع في الصراع الفلسطيني ضـد الصهيونيـة والانتداب البـريطاني اهمهـا التسويـة النهائيـة لأمر الانتداب في عصبة الامم ثم عدم احراز الوطن القومي اليهودي في فلسطين قدراً كبيراً من النجاح العملي.

في غضون شهر تشـرين الاول ١٩٢٣ عقدت اللجنـة التنفيذيـة للمؤتمر العـربي الفلسطيني اجتماعين هامين انبثق منهما خطان سياسيان واضحان. ففي الاجتماع الاول الذي عقد في اليوم الثاني من تشرين الاول عكفت اللجنة على دراسة نشـاطات الـوفد الفلسطيني في لندن ودراسة النتائج التي تم التوصل اليها(١). وبدل ان تلجأ اللجنة إلى انتهاج خط عمل ثوري بعد ان اكتسب الانتداب كامل مقوماته للتنفيذ، اقترح رئيسها موسى كاظم ان يعود الوفد الى لندن عندما تبدأ الدورة التالية للبرلمان.

أما اجتماع اللجنة التنفيذية الثاني فقد عقد في السادس والعشرين من الشهر نفسه وحضره الحاج امين الحسيني والسيد محمد علي الطاهر سكرتير اللجنة الفلسطينية في مصر وطالب الطاهر باعلان الثورة باعتبارها الوسيلة الوحيدة لتحقيق المطالب الفلسطينية اما موسى كاظم فقد قال ان احد انصار القضية العربية في انكلترا اقترح سلوك هذا الطريق أيضاً ومع ذلك فقد رفض الزعيم الفلسطيني الموافقة على أي عمل حينذاك معلناً رضاه عن التقدم الذي احرزته القضية العربية حتى ذلك الحين(٢).

على أن اللجنة التنفيذية تمسكت بسياستها الرامية الى عدم التعاون مع الحكومة

ورفضت عرضا تلقته لاقامة وكالة عربية في فلسطين يكون لها مركز مماثل للمركز الذي تتمتع به الوكالة اليهودية بموجب البند الرابع من صك الانتداب(٣). ولكنها لم تظفر بدعم يذكر لموقف الرفض هذا لأن الرأي العام كان مجمعاً كل الاجماع على الرفض(٤).

حزب المتعاونين مع الحكومة

ومهما يكن من أمر فان المأزق الذي سدّ الطريق امام اللجنة التنفيذية عزز دعاة الحزب «المعتدل» الذين اخذ نشاطهم يتزايد. وهكذا تم عقد المؤتمر الأول للحزب الوطني في القدس وذلك خلال التاسع والعاشر من شهر تشرين الثاني وحضره عدد من الوجهاء بزعامة عارف الدجاني الذي كان معروفا بمعارضته للجمعيات الاسلامية المسيحية. وحضر الاجتماع عدد من القرويين ولا سيا من قضاء رام الله(٥). واختير الشيخ سليمان التاجي الفاروقي رئيساً كما اختيرت لجنة تنفيذية مؤلفة من ثمانية اعضاء ولجنة مركزية للاشراف مؤلفة من ٢٠ عضواً. ولكن سياستهم المعلنة، كما ذكر المندوب السامي، قد «احدثت خيبة أمل كبيرة لليهود الذين كانوا يأملون بما يقرب من الموافقة على تصريح بلفور»(٦).

ولم تكن اللجنة التنفيذية للحزب الوطني ذات قوة تذكر كما انها كانت تتخذ مواقف سياسية مترددة. وكان عدد من اعضاء اللجنة ،مثل راغب النشاشيبي ،من رؤساء البلديات ومن ثم لم يكونوا في الظاهر من رجال السياسة.

وسارع انصار اللجنة التنفيذية العربية الى الحملة على الحزب الجديد بعنف واشتبك الجانبان في حملات صحفية متبادلة.

«وادخل الحزب الوطني في نطاق حملته مهاجمة المجلس الاسلامي الأعلى وظهر في صحيفة مرآة الشرق الناطقة بلسانه مقال اضطر رئيس المجلس الاسلامي الأعلى الى ملاحقة رئيس تحرير الصحيفة قضائياً»(٧).

وبالاضافة الى ذلك كتب حاكم لواء السامرة تقريراً ذكر فيه انه تم خلال الشهر نفسه تاسيس حزب جديد يتالف معظم اعضائه من القرويين ويتبنى برنامجاً مماثلاً جداً لبرنامج الحزب الوطني.

وفي يافا جرت محاولة غير ناجحة لاثارة الشعب ضد الحكومة لمناسبة موافقة البلدية على مشروع روتنبرغ اليهودي للكهرباء. وقد ادت هذه المحاولة الى وقوف البلدية (التي

يهيمن عليها الوجهاء والتجار) بقوة الى جانب الحكومة والى انهيار الجمعية الإ
المسيحية في يافا مؤقتاً.

وفي نهاية شهر كانون الأول كتب حاكم لواء السامرة تقريراً قال فيه ان الجو ا
قد اصبح اقل توتراً خلال الأشهر القليلة الماضية وان الشعب بدأ يفقد ثقته في زعما
الزعماء فانهم اصبحوا من جهتهم ميالين الى اتخاذ موقف اكثر ودية من الحكومة
احسوا بتضاؤل نفوذهم»(٨).

وفي نفس الوقت الذي كانت فيه سمعة قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية في
بدأ المجلس الاسلامي الاعلى يظهر كقوة سياسية(٩). أما القيادة السياسية الفلسط
كانت حينذاك منهمكة بزيارة الملك حسين بن علي في عمّان وهي زيارة كانت
مشكلتين هامتين مشكلة الخلافة ومشكلة التوفيق المقترح بين الملك حسين والمعاهدة ا
عربية. وحث الفلسطينيون الملك على رفض الانتدابات والمطالبة باستقلال
وفلسطين والاقطار العربية الاخرى ومحاولة تحقيق الوحدة العربية(١٠).

ومهما يكن من أمر فان زيارة الملك حسين لم تستطع تحقيق قدر اوفى من الت
صفوف القوى السياسية العربية في فلسطين. وظهر في هذه الاثناء حزب الفلاحين
في الأوساط الوطنية العربية صيغة صهيونية(١١) خلقتها جهود كالفاريسكي بنوع
وعندما غادر زعماء الحزب الوطني القصر الذي استقبلهم فيه الملك حسين تلقاهم
الشباب والصبيان الصغار بالصراخ والدعوة الى اسقاط الخونة والصهيونيين
يرجمونهم بالحجارة»(١٢).

المطالبة بحكومة وطنية

وفي غضون ذلك كانت الحركة الوطنية تزيد من ضغطها في المطالبة بحكو
«واعطيت لهذه الفكرة الاسبقية حتى بالنسبة لالغاء تصريح بلفور. وبدأ بحث
مجلس الوزراء وتعيين المرشحين له»(١٣).

على ان عجز القيادة التقليدية عن معالجة مطالب الفلسطينيين بأية وسيلة ف
انتقاد «الأساليب العقيمة والدوافع الانانية لدى رجال المدرسة القديمة»(١٤). ولك
المدرسة القديمة كانوا مصممين على ان لا يفقدوا ما لديهم من نفوذ. وبدأ آل
باتخاذ الاجراءات الاحترازية للاحتفاظ بسيطرتهم على اكبر منصبين اسلاميين في

وهما منصب الافتاء ومنصب رئاسة المجلس الاسلامي الأعلى وذلك في حالة توجيه الاحتجاجات ضد جمع الحاج امين الحسيني بين المنصبين(١٥).

وعلى الرغم من استمرار سيطرة القيادة التقليدية فقد افادت التقارير ان عناصر الشباب المتعلم قد بدأت تحرز قدراً من التقدم نحو انتزاع هذه السيطرة. ففي اجتماع للجنة التنفيذية عقد بقصد توجيه الدعوات لحضور مؤتمر عربي جديد، وجه نقد عنيف لضعف الفعالية السياسية وللجنة:

«كان الموضوع المهيمن على المناقشات، كما يبدو، هو الاعراب عن عدم الرضا عن الحزب (القديم) الذي تعرض لسخرية (المثقفين) بسبب تمسك ذلك الحزب بالمصالح العائلية وبسبب عدم كفاءة اعضائه. ولكن اسماعيل الحسيني وصم تلك العناصر المثقفة بالشيوعية ومع ذلك فقد استطاعت ان تنتزع زمام المبادرة»(١٦).

الحزازات العائلية :

ولم تفلح الجهود الرامية لعقد المؤتمر المقترح على الرغم من محاولة الزعيم التونسي عبدالعزيز الثعالبي الذي قدم لزيارة فلسطين توحيد صفوف القادة السياسيين الفلسطينيين. فقد تغلبت على الموقف الخلافات العائلية والمصالح الشخصية(١٧).

«ففي القدس ويافا على السواء اخذ الخلاف والحسد العائلي يساعد المعارضة السياسية على البدء بحملة ضد بلديتي المدينتين بسبب مؤازرتها لسياسة الحكومة»(١٨).

وهكذا تواصل الخلاف بين الفريقين وادى الى ارجاء عقد المؤتمر الى أجل غير مسمى. ولم يكتب النجاح التام لمحاولة اللجنة التنفيذية العربية تلبية شرط جمال الحسيني لعودته الى استئناف مهامه فيها اي شرط توفير الأموال الكافية. أما حزب الفلاحين ـ حزب ليست له قوة تذكر ـ فقد كان يتفاوض للظفر بتأييد الصهيونيين(١٩) كما كان الحزب الوطني عاكفاً على الدعوة لمناصرته في صفوف القرويين(٢٠).

ولقد عجز نشاط جمال الحسيني وجهود المجلس الاسلامي الأعلى عن وضع حد للخلافات الداخلية أو تعزيز مركز اللجنة التنفيذية العربية. ولكن ما نجح في اعادة الحياة للحركة الوطنية هو اقتراح نقل ملكية مناطق واسعة من الاراضي، تشمل قرى بكاملها، من آل سرسق (عائلة لبنانية غير مقيمة في فلسطين) إلى جماعات من اليهود بالاضافة الى

نشاط حزب الفلاحين المعاكس للاتجاه الوطني. وكرد فعل لجهود هذا الحزب الأخير اسس فرع للجمعيات الاسلامية المسيحية في بلدة بيسان. وكتب حاكم لواء حيفا بالوكالة تقريراً عن ذلك اعرب فيه عن اسفه لأن:

«الكولونيل كيش والمستر كالفاريسكي يتوهمان ان مستقبل السياسة يكمن في ايدي اولئك الذين يحاولون خلق الولاء والتبعية عن طريق تقديم الوعود بالمساعدات المالية»(٢١).

وظلت مشكلة بيع الاراضي هي المشكلة الرئيسية، ورأوا ان يكرس المؤتمر المقترح كل جهوده لتأسيس شركة لابتياع الاراضي العربية التي تكون مهددة بالبيع لليهود. وكان بيع خمس قرى في شهر ايلول ١٩٢٤ قد أثار مشاعر الرأي العام وتقرر «بذل كل جهد ممكن للحيلولة دون تحقيق ذلك»(٢٢).

وحفز سفر المندوب السامي الى جنيف اللجنة التنفيذية العربية على تقديم مذكرة شاملة الى عصبة الامم حملت فيها على سياسة الحكومة. ولخصت اللجنة مذكراتها المسهبة بالطلب التالي:

«إقامة حكومة وطنية دستورية في فلسطين يشترك فيها الجانبان العربي واليهودي كل بنسبة عدد سكانه كما كان قبل تطبيق السياسة الصهيونية»(٢٣).

ولكن اقتراح ارسال وفد الى جنيف سقط لعدم توافر الأموال اللازمة لهذا الغرض(٢٤). بيد انه ظهرت في غضون ذلك حملة صحفية قوية تحث على المصالحة الوطنية والتوفيق بين الحزب الوطني واللجنة التنفيذية. واسفرت هذه الحملة عن عقد اجتماع بين مندوبي الفريقين، ولكن الاجتماع عجز عن تحقيق الهدف المرجو. ورفض الحزب الوطني عرضاً تقدم به زعماء الجمعيات الاسلامية المسيحية بانتداب خمسة ممثلين للحزب الوطني لكي ينضموا الى اللجنة التنفيذية وان يسند الى رئيس الحزب الشيخ سليمان التاجي الفاروقي منصب نائب رئيس اللجنة وذلك مقابل حل الحزب(٢٥). ولم يستطع المهتمون بالأمر احراز تقدم نحو التوفيق بين الفريقين المتنازعين إلى أن أيقظ الجانبين وذكرهما بمصلحتها المشتركة قدوم زائر اجنبي كبير.

زيـارة بلفـور

ففي غضون الشهرين الأولين من عام ١٩٢٥ اصبح الموضوعان السياسيان المهيمنان على تفكير الشعب هما احتمال قيام اللورد بلفور بزيارة فلسطين لافتتاح الجامعة العبرية، والميول الصهيونية التي كان يبديها القنصل الفرنسي(٢٦). وظهرت في الصحف مقالات عديدة وعقدت اللجنة التنفيذية اجتماعات عديدة اخرى لبحث ما ينبغي عمله في اثناء زيارة بلفور. وعلى الأثر اعلنت اللجنة يوم وصول بلفور يوم حداد ودعت الى اضراب شامل في البلاد كلها لهذه المناسبة. وبالاضافة الى ذلك دعت إلى مقاطعة رجال الادارة البريطانيين الذين يمثلون التحالف الانغلو ـ صهيوني طيلة المدة التي سيقضيها بلفور في البـلاد. «فالعـرب يرون في اللورد بلفـور تجسيداً للمصلحـة البريـطانية في الصهيـونية ويعتبرونه لا مبتدع هذه السياسة وحسب بل مؤازرها المخلص أيضاً»(٢٧).

وفي اليوم الذي وطئت فيه قدما اللورد بلفور ارض فلسطين اعلن في البلاد اضراب عام شمل المتاجر والمدارس والسيارات الخ وتقيد به المسلمون والمسيحيون في مختلف انحاء البلاد. ورفعت الرايات السود واصدرت صحيفة فلسطين عدداً خاصاً باللغة الانكليزية. والقى خليل السكاكيني (وهو مسيحي) خطاباً وطنياً من فوق منصة الحرم الشريف. وعلى الأثر «اتخذ قرار» بصيغة ليست مهذبة كثيراً، يدعو اللورد بلفور الى مغادرة البلاد التي دخلها خلافاً لرغبات سكانها واهلها. ويبلغ القرار الى المندوب السامي بـواسطة حـاكم اللواء»(٢٨).

وكان رئيس بلدية القدس (راغب النشاشيبي) وثلاثة مـوظفين وبضعـة أفراد من شيـوخ البلاد هم الـوحيدين الـذين امتنعوا عن التقيـد بقرار مقـاطعة بلفـور وحضروا مهرجانات تدشين الجامعة العبرية. وتعرض موقف رئيس البلدية هذا لتعليقات عدائية في الأوساط الوطنية العربية من فلسطين(٢٩).

وكانت زيارة بلفور لدمشق مناسبة رائعة للتضامن العربي إذ قوبل بمظاهرات شعبية واسعة النطاق واضطرت السلطات الفرنسية الى تهريبه من دمشق تحت حراسة مشددة خوفاً على حياته.

على ان تحدي رئيس البلدية لتوجيهات اللجنة التنفيذية بمقاطعة اللورد بلفور لم تزد، ظاهرياً، العلاقات بين اللجنة التنفيذية والحزب الوطني، سوءاً، وعندما زار فلسطين وزير

المستعمرات الجديد ل. س. إمري، استقبل وفداً فلسطينياً يمثل اللجنة التنفيذية والحزب الوطني وحزب الفلاحين. وبعد أن قدم موسى كاظم أعضاء الوفد للوزير البريطاني طلب ان يسمح لرئيس الحزب الوطني بالتحدث باسم الوفد. وكان الموضوع الرئيسي لخطاب الشيخ سليمان التاجي الفاروقي هو رغبة الفلسطينيين بأن يتعاونوا مع البريطانيين بإخلاص على أساس الصداقة والمصلحة المشتركتين[٣١]. وأكد الفاروقي أن الآمال والمطامح العربية لا تتناقض مع المصالح البريطانية بل هي في الواقع ضرورة لا غنى عنها لتحقيق المصلحة والنفوذ البريطانيين في المنطقة:

«ففلسطين هي القلب الذي منه تشع المشاعر على مختلف انحاء العالم العربي بل والعالمين الاسلامي والمسيحي ايضاً. ونحن لا نريد ان نسأل بريطانيا عن الأسباب التي حملتها على اصدار تصريح بلفور بل نقول لها ان التصريح ظالم... وان الطبيعة والتاريخ ستمكناننا من ان نثبت لبريطانيا اننا خير من اي شعب آخر من زاويـة مصالـح انكلترا الخاصة»(٣١).

وتكهن الفاروقي بأن بريطانيا ستصل مستقبلاً الى الاستنتاج بأن السياسة الصهيونية «غير قابلة للتطبيق». ثم دخل في صلب الشكايات والتظلمات العربية الفلسطينية المحددة مثل فرض الضرائب العالية التي بدت لبعض العرب انها اجراءمتعمـد قصد بـه اكراه السكان على بيع أراضيهم والرحيل عن البلاد ومثل حرمان الشعب من المشاركة في وضع التشريعات اللازمة للبلاد، واكراهه على شق طرقات توصل الى المستعمـرات اليهوديـة خدمة لمصالح الاستعمار اليهودي(٣٢). واختتم الفاروقي كلمته مكـرراً المطالبـة باقـامة حكومة وطنية «ممثلة لجميع عناصر البلاد ومسؤولة امام الشعب لان احكام الانتداب تنص على صيانة الحقوق المدنية لسكان البلاد»(٣٣).

من مظاهر واسباب ضعف الحركة الوطنية

ولا شك في ان موافقة اللجنة التنفيذية على ان يتولى واحـد من الحزب المنـافس التحدث باسم الفلسطينيين جميعاً في مناسبة هامة كهذه دليل على تزعزع مركزهـا وعلى رغبتها في اخفاء ضعفها من خلال الظهور امام الرأي العام والحكومة بمظهر الحرص على الوحدة الوطنية. وعندما جاء الى فلسطين الفيلد مارشال اللورد بلومر ليحل محل صموئيل

في منصب المندوب السامي، كان المزاج السياسي الفلسطيني مختلفاً عما كان عليه في صيف عام ١٩٢٠.

«ان الاحزاب العربية المختلفة تود ان تتقدم للمندوب السامي الجديد جبهة متحدة ولكنها تقف موقفاً ودياً وتبدو مقتنعة بان عهد السياسة السلبية الخالصة قد انقضى»(٣٤).

ولقد عزز هذا الموقف الأكثر ودية نحو الحكومة عاملان لعبا دوراً هاماً طيلة عهد بلومر. العامل الأول هو انخفاض الهجرة الصهيونية انخفاضاً حاداً واصابة الصهيونية مؤقتاً بعجز عن التغلب على الصعوبات الناجمة عن ذلك. ففي عام ١٩٢٧ كانت هجرة اليهود من خارج البلاد أكثر منها إليها. أما في عام ١٩٢٨ فقد كانت نسبة الهجرة من البلاد وإليها متساوية.
أما العامل الثاني فهو ازدياد حدة التحزب والتشرذم وهيمنة المنافسات والمصالح الشخصية على مواقف الوجهاء السياسيين الفلسطينيين طيلة هذه الفترة.

وكان الميدان الأكبر للانقسام هو الصراع من اجل السيطرة على المجلس الاسلامي الأعلى بين آل الحسيني وآل النشاشيبي، فقد كان المجلس يجتذب اكبر قدر من اهتمام مسلمي فلسطين بالنظر الى انه يعوضهم، الى حد ما، عن احلامهم في الحكم الذاتي وهو ما رفضت تحقيقه لهم حكومة الانتداب لتحول دون وقوف المؤسسات التمثيلية في وجه تنفيذ سياستها.

وفي خضم المنافسة الشديدة على مقاعد المجلس طغى هذا الصراع على الصراع الوطني ضد الصهيونية، ونتيجة لذلك اخذت مختلف الفئات المتصارعة تلتمس التأييد من الحكومة، وهكذا اصيبت الحركة الوطنية الفلسطينية بضعف بالغ(٣٥). ومع ان قبضة الحاج امين الحسيني على المجلس لم تهتز اهتزازاً جدياً إلا أن شراسة المعارك الانتخابية من جهة وعدم رغبة الحكومة في استعدائه من جهة أخرى لا بد أن تكون قد لعبت دورها في اوائل الثلاثينات في تعزيز مقاومته لفكرة الدعوة الى اي شكل من اشكال المواجهة المباشرة مع الحكومة البريطانية كوسيلة لمحاربة الصهيونية.

ولقد هددت قيادة الحاج امين الوطنية ومكانته المباشرة لدى الفئات الشعبية مكانة الوجهاء المحليين ودورهم الوسيط الأمر الذي مكن «المعتدلين» من احراز النجاح في الانتخابات البلدية التي اجريت عام ١٩٢٧(٣٦) نظراً للدور الكبير الذي تلعبه المصالح

المحلية في هذه الانتخابات.

وكان ضعف المركز الوطني كفيلاً بأن يؤدي إلى اتخاذ موقف عربي معتدل نحو الحكومة. وهكذا نجد جماعة من السياسيين العرب ينتمون الى الحزبين الرئيسيين يدخلون في تموز ١٩٢٦ في مفاوضات مع احد كبار الموظفين البريطانيين في فلسطين غايتها تسهيل اشتراك العرب في الحكم. ولقد اشار هؤلاء السياسيون الى ان الصعوبة الأساسية في ذلك تكمن في ادخال تصريح بلفور في صك الانتداب. وكان الفلسطينيون متلهفين على ان يجدوا طريقة تحول دون ان يصبح هذا الالتزام الدولي سبباً في حرمان العرب من حقوقهم المدنية والدينية والسياسية بما في ذلك اسهامهم في التنظيمات الادارية والتشريعية للبلاد والتمسوا بالاضافة الى ذلك ان يشمل صك الانتداب بياناً تعلن الحكومة البريطانية فيه انها لم تستشر الفلسطينيين عندما وافقت على صك الانتداب وما تضمنته من البنود المتعلقة بالسياسة الصهيونية(٣٧).

ومهما يكن من امر فانه لم يسفر عن هذه العروض شيء، وبعد عامين من ذلك لم تكن لدى اللورد بلومر اية نية في اثارة مسألة اقامة نظام برلماني ديمقراطي قبل انتهاء مدة ولايته في فلسطين(٣٨).

وعلى الرغم من انحسار موجة النشاطات الصهيونية بين عامي ١٩٢٥ و١٩٢٨ كانت المنظمة الصهيونية حريصة على اكتساب المزيد من الاراضي الزراعية واراضي الدولة لكي يستوطن فيها الوافدون اليهود. وكان وزير المستعمرات يرى ان للمنظمة الصهيونية حقوق الافضلية في الاراضي الملائمة للزراعة(٣٩)، وكانت الحكومة الفلسطينية تبدي النشاط اللازم لتدبير ذلك للمنظمة(٤٠). ومن الاسباب الاخرى التي كثيراً ما كانت تؤدي الى الاصطدام بين العرب واليهود والتي ظهرت مرة اخرى في اواخر عام ١٩٢٧، معارضة العمال اليهود في تشغيل العمال العرب في المشروعات اليهودية، فقد جرت مثلاً محاولة لمنع العمال العرب من العمل في قطف البرتقال الذي ابتاعه التجار العرب من البساتين اليهودية في ملبّس الأمر الذي ادى الى وقوع اصطدامات جديدة ونزاع بين العمال العرب والصهيونيين(٤١).

وحدث ان اضيف الى اسباب التذمر والقلق السياسية والاقتصادية عنصر جديد هو العنصر الديني وذلك عندما عقد المجلس الدولي للارساليات التبشيرية اول مؤتمر له في غضون الاسبوعين الأولين من نيسان ١٩٢٨، فقد انهالت الاحتجاجات من مختلف

المقاطعات والمناطق والهيئات ضد هذا المؤتمر التبشيري معبرة عن الخوف من «اعتناق المسلمين للمسيحية على نطاق واسع»(٤٢). ففي مدينة غزة اضطر البوليس الى اطلاق النار على جمهور غاضب فأصيب ثلاثة اشخاص بجروح مختلفة، ووقطعت جميع الاتصالات التلفونية والتلغرافية بغزة لتلافي وقوع ملابسات للحادث في القدس وغيرها من المدن في اثناء مهرجانات موسم النبي موسى».

المؤتمر الفلسطيني السابع

أما المؤتمر العربي الفلسطيني السابع فقد تعذر عقده حتى شهر حزيران ١٩٢٨ واضطرت اللجنة التنفيذية العربية إلى الاذعان لشتى الضغوط التي وجهتها القوى السياسية الأخرى حتى يصبح المؤتمر ممثلاً لجميع القطاعات السياسية فأسفر ذلك عن مزيج عجيب من الحضور يمثلون تناقضات في الرأي لا سابق لها شاملاً ذلك من وصفهم عزت دروزة «بالجواسيس وسماسرة بيع الاراضي لليهود»(٤٣) فكان هذا المؤتمر بذلك اضعف المؤتمرات جميعاً وكاد يتخذ قراراً بالمطالبة بحكومة وطنية في ظل نظام الانتداب القائم لو لم يتصد للمجتمعين نفر من الأعضاء الذين دعوا إلى بديل مقبول الا وهو تبني مقررات المؤتمرات السابقة(٤٤). ومن الطبيعي أن ينعكس تركيب المؤتمر على طريقة تشكيل اللجنة التنفيذية التي وسعت بحيث غدت تضم ٤٨ عضواً حتى تستطيع استيعاب شتى الكتل والجماعات والمناطق والمصالح. ولقد حولت الانقسامات والخصومات الشخصية اللجنة التنفيذية الجديدة إلى هيئة عاجزة لا حول لها ولا قوة.

وقبل نهاية عام ١٩٢٨ كانت هناك علائم تشير إلى أن فترة الركود السياسي قد أخذت تشرف على نهايتها بتجدد البادرة الصهيونية وبالتالي بتجدد اعمال التحريض العربي الفلسطيني واتخاذ الاجراءات المعاكسة. فقد وجهت المنظمة اليهودية الضغط للحصول على قرض بمليوني جنيه استرليني يجمع تحت رعاية عصبة الامم وتضمنه الحكومة البريطانية(٤٥) وذلك لشراء المزيد من اراضي الدولة التي ستخصص للاستعمار اليهودي والهيئات الزراعية، وعقدت المنظمة كذلك ميثاقاً مع المنظمات اليهودية غير الصهيونية في الولايات المتحدة يرمي إلى جمع الاموال وتعزيز بناء الوطن القومي اليهودي في فلسطين(٤٦).

ولقد كتب سايمز الذي أصبح السكرتير العام للحكومة قبل ذلك بعدة أشهر أي منذ شهر نيسان ١٩٢٨ مذكرة تحذيرية إلى اللورد بلومر جاءت في وقتها المناسب وتناول

الكاتب فيها موضوع ضرورة تشكيل مجلس تشريعي يضم ممثلين شعبيين بصرف النظر عن المعارضة اليهودية. وحذر سايمز من النفوذ السياسي الذي تتمتع به «النخبة المثقفة» ورغبة هذه النخبة بأن تكون ممثلة في الحكومة وهي رغبة ليست منبعثة من المصلحة الشخصية وحسب بل كذلك من:

«شعور بالرغبة في الحفاظ على الكيان الوطني. وهم يخشون ان يخلق نظامنا الاداري وقوانيننا ظروفاً عامة متحيزة ضد ما يعتبرونه حقوقهم السياسية وميزاتهم المادية. وهذا الخوف هو العنصر الرئيسي فيما يشبه المشاعر القومية التي تجتاح العرب الفلسطينيين وغيرهم من الشعوب الشرقية في الوقت الحاضر والتي يمكن ان تتحول بسرعة إلى هياج شعبي على يد اية اقلية ساخطة»(٤٧).

والواقع ان مشكلة التمثيل السياسي والتذمرات الاقتصادية لدى العرب هي التي تكمن وراء العوامل التي أدت الى تجدد التوتر والحقد بين الجانبين العربي واليهودي والتي أسفرت عنها حوادث عام ١٩٢٩ الحتمية(٤٨). ومع ذلك فان الشرارة التي الهبت اضطرابات ذلك العام ولدت من مشكلة دينية الا وهي مشكلة البراق أو حائط المبكى.

استفزاز المشاعر الدينية

فالاسباب المباشرة لاضطرابات عام ١٩٢٩ تعود إلى حادث وقع في القدس في الرابع والعشرين من ايلول ١٩٢٨ أي يوم عيد الغفران لدى اليهود واصبح بداية سلسلة من الحوادث التي انتهت باصطدام آب ١٩٢٩.

وكانت الشرارة التي اشعلت ذلك الحادث هي محاولة اليهود وضع ستار يفصل بين الرجال والنساء في اثناء الصلاة عند حائط المبكى وهو من ممتلكات المسلمين المقدسة ويشكل الحد الغربي من الحرم الشريف(٤٩). وامرت الحكومة وفقاً لواجبها في الحفاظ على «الوضع الراهن» بإزالة الستار. وعندما لم يمتثل اليهود للأمر عمد البوليس إلى إزالته بالقوة.

ولكن سرعان ما عمت البلاد موجة من الغضب من نيات اليهود المبيتة بامتلاك المسجد الاقصى. وتألفت على الأثر جمعية لحماية الاماكن الاسلامية المقدسة، وارسلت إلى مسلمي الهند رسائل سرية حول هذا الموضوع(٥٠) وفي غضون الاشهر التالية انشئت في

الاماكن الاسلامية المجاورة لحائط المبكى مبان ومنشات اعتقد اليهود انها اقيمت للتدخل في صلواتهم «وحاولت الحكومة من جهتها تسوية المشكلات المختلفة المتنازع عليها في هذا الموضوع وذلك من خلال عقد اتفاقات بين الطائفتين ولكن هذه المحاولة فشلت لان كلا الجانبين رفض التعاون في هذا الصدد»(٥١).

ولا شك ان دراسة مواقف اطراف النزاع المختلفة ، العرب والصهيونيين والحكومة ، تكشف النقاب عن أن القيادات المختلفة لهذه الأطراف قد افادت من الفرص التي اتاحتها لها تطورات الاحداث .

فالحكومة افادت من تحول العداء المتصاعد للحركة الوطنية العربية الفلسطينية ضد الحكومة إلى حركة صراع بين المسلمين واليهود . أما بالنسبة للصهيونيين فقد جاء حادث ٢٤ ايلول ١٩٢٨ في وقت حرج كان وايزمان قد بدأ خلاله رحلته إلى الولايات المتحدة محاولاً اثارة حماسة اليهود وجمع التبرعات لحركة الوطن القومي اليهودي في فلسطين . ومن المحتمل أن يكون الحادث قد ساعد على التقرب بين العناصر الصهيونية والعناصر غير الصهيونية من اليهود الامريكيين في اثناء النصف الثاني من عام ١٩٢٨.فقد كتب وايزمان وهو في نيويورك إلى شكبورغ يصف هذا التقارب البديع المفيد قائلاً ان حادث حائط المبكى «قد اثار مشاعر الطائفة اليهودية في مختلف انحاء البلاد»(٥٢) . فالحقيقة أن نشوب نزاع ديني في فلسطين يمكن أن يستغل كسلاح إعلامي رئيسي في حملة ناجحة لجمع التبرعات . ولا شك ان ضعف المشاعر الصهيونية لدى اليهود خارج فلسطين كان من أشد اعداء الصهيونية ولكن نشوب نزاع بشأن حائط المبكى كان كفيلاً باثارة اهتمام اليهود وحفزهم على الاقبال على التبرع لاخوانهم في فلسطين ولا يستبعد أن يكون استفزاز الصهيونيين للمشاعر الاسلامية مقصوداً . ولقد لاحظت لجنة بيل أنه حتى عام ١٩٢٩ :

« . . . لم يكن للعنصر الديني القومي المثير سوى أثر ضئيل في نمو العداء العربي ضد الوطن القومي اليهودي . فالقومية في فلسطين وفي أي مكان آخر من العالم الاسلامي كانت ذات طابع سياسي أكثر منه ديني . ولكن ، اذا ارتفع النداء الديني وعم الاعتقاد بان قدوم اليهود إلى البلاد لا يعني فقط سيطرتهم الاقتصادية والسياسية على البلاد بل يعني كذلك اعادة بناء اليهودية القديمة بناء كاملا وغزو الاماكن المقدسة وتدنيسها واعادة بناء الهيكل على انقاضها . فليس من شك بان العداء العربي يصبح عند ئذ أكثر اجماعا وأشد تعصبا ويأسا مما كان في أي وقت مضى »(٥٣) .

يضاف الى ذلك أن تعديات اليهود على أولى القبلتين وثالث الحرمين عند المسلمين كفيل بتأمين تأييد جميع الأوساط الاسلامية في العالم للقضية العربية الفلسطينية وهو ما كان الفلسطينيون يرجون استخدامه لمواجهة التأييد اليهودي والغربي لأعدائهم في الداخل.

ومهما يكن من أمر فقد ظل الوجهاء العرب من سياسيين ورجال دين يعتصمون بضبط النفس تجنباً للاصطدام بالحكومة وهكذا مرّ المؤتمر الاسلامي الذي عقد في اليوم الاول من تشرين الثاني بهدوء* وكذلك ذكرى وعد بلفور في اليوم الثاني من الشهر نفسه.

وقبل ذلك ببضعة أيام ابدى الحاج امين الحسيني استعداده للامتثال لطلب الحكومة بضبط الصحف العربية الفلسطينية على الرغم من اعتقاده بان الفزع الذي تستشعره جميع فئات المسلمين من العدوان اليهودي والدعاية بشأن حائط المبكى هو فزع حقيقي(٥٤).

وهكذا نجد انه قبل ان تنتهي مدة ولاية اللورد بلومر كانت حركة التحريض الوطني قد أخذت طريقها نحو الانتعاش من جديد وكانت اللجنة التنفيذية العربية متلهفة للضغط على السر جون تشانسلور المندوب السامي الجديد ومطالبته باعادة فتح المفاوضات من أجل اقامة مجلس تمثيلي.

وفي اوائل عام ١٩٢٩ قررّت الحكومة الفلسطينية اجراء دراسة أدق للمشكلة الرئيسية بشأن النزاع على حائط المبكى الا وهي مشكلة حقوق المصلين اليهود بوضع مرافق ملحقة بالحائط. وبناء على ذلك طلبت الحكومة من المجلس الاسلامي الاعلى والحاخام الاكبر أن يقدم كل منهما ما لديه من وثائق وبينات عن الاحكام التي تتعلق بوضع مختلف مرافق الصلاة عند الحائط. وقام المجلس الاسلامي الاعلى من جهته بتوجيه:

« رد عاجل على هذا الطلب مقرون جزئياً بوثائق تؤيد قضيته ويعود تاريخها إلى العهد التركي. أما الحاخام الاكبر فعلى الرغم من الطلبات المتكررة بتذكيره بالوثائق المطلوب تقديمها فقد امتنع عن الاستجابة لطلب الحكومة »(٥٥)

وبعد أربعة أشهر من اصدار الحكومة للكتاب الابيض الذي قرر ـ على نحو ارضى المسلمين ـ بقاء الوضع الراهن، شكا الحاج امين الى المندوب السامي من : « ان اليهود يأتون

---

* حضر هذا المؤتمر الاسلامي مندوبون من سوريا ولبنان وشرق الأردن.

بالمقاعد والمناضد بأعداد متزايدة الى الحائط ويدقون المسامير ويعلقون المصابيح عليها . وهذا يشكل اخلالاً بالوضع الراهن الذي كان حكم الكتاب الابيض بشأنه قاطعاً باتاً»(٥٦)

وأعرب الحاج امين عن اعتقاده بان الموقف اصبح خطيراً ومن المحتمل أن يصبح حرجاً(٥٧) بالنظر إلى انتشار «الخوف على نطاق واسع في صفوف الجماهير الاسلامية من أن يؤدي التسليم بأي حق يتعلق بالحائط إلى تعريض حقهم غير المنازع في الحرم الشريف للخطر»(٥٨) وهكذا ارتأت السلطات الاسلامية تخفيض ارتفاع احد الجدران الواقعة في منطقة الحرم الشريف حتى تمكن بذلك مراقبة أية محاولة من اليهود للاخلال بالوضع الراهن . ولكن الحاج امين أمر بدافع من اللياقة والمجاملة وبناء على طلب المندوب السامي بوقف التغييرات الجارية في المنشآت الاسلامية من المنطقة ريثما تبت الدوائر القانونية التابعة للتاج البريطاني في هذا الموضوع الذي احيل عليها .

ازمة اقتصادية وتوتر سياسي

ومع ان علاقات المفتي بالسلطات البريطانية كانت ودية فقد افادت التقارير انه في اثناء الرحلات التي كان يقوم بها الى الخارج لجمع التبرعات لاعادة ترميم الحرم الشريف كان يثير المشاعر لمصلحة القضية العربية في فلسطين . ففي غضون شهر أيار ذكرت هذه التقارير :

«انه قال للملك فؤاد (ملك مصر) انه يسعده ان يضع خدماته في فلسطين تحت تصرف الملك بقصد تحقيق مطامحه في الخلافة وان فلسطين هي البلد الوحيد الواقع تحت الحكم البريطاني والذي يمكن بدون صعوبة إثارة حركات مناوئة للبريطانيين فيه»(٥٩) .

على أن الدعاية ضد البريطانيين لم تكن الشغل الشاغل للحاج امين على الرغم من ان مهمة التحريض ضدهم اصبحت بشكل متصاعد عملية اكثر سهولة بالنظر إلى سوء الحالة الاقتصادية وعودة النشاط تدريجياً إلى حركة الهجرة اليهودية وبيع الاراضي .

وتعبيراً عن المزاج الغاضب الذي كان يسود هذه الفترة قدمت اللجنة التنفيذية العربية خلال شهر حزيران ١٩٢٩ مذكرة شديدة اللهجة تطالب باقامة حكومة برلمانية وتستنكر سياسة الحكومة القائمة على «التشريع بدون تمثيل» يضاف إلى ذلك أن العرب كانوا يعتقدون ان الازمة الاقتصادية كانت نتيجة طبيعية لسياسات الحكومة :

«ان سكان فلسطين لا يستطيعون ان يتحملوا مزيداً من الظلم يضاف إلى المظالم التي

حلت بهم الان نتيجة نظام الادارة الحالي . والواقع أن هذه الادارة زجت البلاد في ازمة اقتصادية خانقة أكرهت عدداً غير قليل من السكان على بيع اراضيهم للاجانب الذين انما يبتاعون الاراضي لاهداف سياسية أي لخلق قومية اجنبية على انقاض القومية العربية»(٦٠).

ومهما يكن من أمر فان النزاع على حائط المبكى ظل مدار الاهتمام والقلق السياسي في فلسطين . وانهالت البرقيات على لندن خلال الاسبوع الأول من شهر آب احتجاجاً على «اعمال العدوان اليهودية على البراق المقدس»(٦١) . وقالت السلطات الدينية الاسلامية ان تلكؤ الحكومة في تطبيق مضمون الكتاب الأبيض شجع العدوان اليهودي على البراق . يضاف إلى ذلك أن الفلسطينيين المسلمين احتجوا بشدة على «محاولة المؤتمر الصهيوني في زوريخ الرامية إلى نشر المفاهيم السياسية الصهيونية تحت ستار الادعاءات الدينية الباطلة بشأن البراق»(٦٢) .

ثورة البراق

والحقيقة أن الحادث المباشر الذي أدى إلى اصطدامات الثالث والعشرين من آب كان تظاهرة قام بها اليهود عند حائط المبكى في الاسبوع السابق . ففي الرابع عشر من آب ١٩٢٩ قامت تظاهرة في تل ابيب لمناسبة ذكرى تدمير هيكل سليمان ، وفي اليوم التالي قام جمهور من الشباب اليهود بقيادة اقلية من المتطرفين الصهيونيين القادمين من تل ابيب و«المتلهفين على خلق الاضطرابات»(٦٣) بمسيرة لم يسبق لها مثيل حتى ذلك الحين عبر شوارع القدس حتى وصلوا إلى قرب حائط المبكى . وهناك رفعوا العلم الصهيوني وبدأوا بانشاد النشيد القومي الصهيوني ـ الهاتكفا ـ وشتموا المسلمين(٦٤) وذلك خلافاً للتعليمات المحددة التي اصدرها المندوب السامي بالوكالة .

وأثار هذا الحادث العرب(٦٥) وحملهم على القيام بتظاهرة مضادة وذلك في اليوم التالي الذي صادف أن كان يوم ذكرى المولد النبوي الشريف ، فبعد صلاة الظهر في الحرم الشريف قامت تظاهرة سار فيها الآلاف بينهم عدد من القرويين الذين قدموا للاحتفاء بذكرى المولد النبوي الشريف . واتجهت المظاهرة نحو حائط المبكى حيث ألقى الشيخ حسن ابو السعود أحد شيوخ المسجد الأقصى ومن أشد المقربين إلى الحاج امين الحسيني خطاباً حماسياً ألهب المشاعر . وسرعان ما حطم المتظاهرون منضدة لليهود كانت موضوعة فوق الرصيف كما احرقوا بعض الاوراق التي تحتوي على نصوص الصلوات اليهودية والموضوعة في ثقوب حائط المبكى .

ولما كان المندوب السامي متغيباً فقد تعين على القائم بأعمال الحكومة ان يبحث عن وسيلة لحمل المسلمين واليهود على السواء على سلوك سبيل التعقل ولكن مهمته كانت صعبة «بسبب تغيب جميع الزعماء اليهود المسؤولين عن البلاد»(٦٦).

وفي السابع عشر من آب نشب قتال بين شاب عربي وشاب يهودي في القدس انتهى باصابة ١١ يهودياً وعربياً بجروح مختلفة :

«ولدى وصول قوة من البوليس ألقت القبض على العربي المتهم ببدء أول حادث دموي ، هاجمها جمهور من اليهود . وأصيب المعتقل العربي وكذلك واحد من افراد البوليس البريطاني بجروح . وكانت جروح رجل البوليس البريطاني خطيرة . ثم قام الجمهور اليهودي بالاعتداء على منازل العرب في المناطق المجاورة واصابوا بعض سكانها بجروح»(٦٧).

وفي غضون الايام الاربعة التالية ألقي القبض على عدد من العرب واليهود داخل القدس وخارجها . وفي العشرين من آب عندما توفي الشاب اليهودي الجريح ، تحولت جنازته الى مظاهرة سياسية ضد الحكومة والعرب على السواء .

وهنا قدرت الحكومة ان الموقف ملتهب ينذر باضطرابات واسعة فاستقدمت جزءاً من المصفحات من شرقي الاردن ووضعتها على اهبة الاستعداد في مدينة الرملة على الطريق العام بين يافا والقدس . وتم في الثاني والعشرين من آب عقد اجتماع بين ثلاثة من الزعماء العرب البارزين وثلاثة آخرين من زعماء اليهود البارزين ايضاً وذلك في منزل المستر لوك وكان الاجتماع ودياً ووافق الجانبان على ضرورة استئنافه في السادس والعشرين من الشهر .

وبينما كان الزعماء العرب البارزون على أهبة الاستعداد للاجتماع بموظفي الحكومة وبحث الموضوع مع اليهودي المقابل ، كان التوتر مهيمنا على القرويين العرب ورجل الشارع العربي بسبب عودة الصهيونيين الى التهديد من جهة وبسبب النزاع على حائط المبكى من جهة أخرى ناهيك بأحداث الاسبوع الأخير من آب ١٩٢٩ بنوع خاص . وقد أقنعت استفزازات اليهود الذين تظاهروا في الخامس عشر من الشهر بصحة الشكوك التي كانت تخامر اذهان القرويين بان اليهود يعتزمون شن هجوم على البراق .

وهكذا تدفق القرويون المسلمون على القدس بأعداد كبيرة يوم الجمعة في الثالث

والعشرين من آب لأداء صلاة الظهر وهم مسلحون بالعصي والهراوات . وعندما اصدر ضابط البوليس البريطاني في أحد أحياء المدينة أمراً بتجريد القرويين من أسلحتهم تلك، سارع رئيسه الى إلغاء هذا الأمر على أساس أن تنفيذ هذا الأمر على نحو فعال يحتاج إلى أكثر من ٧٠ بوليساً بريطانياً وهو أكبر عدد يستطيع حشده لهذه العملية(٦٨).

وكان العرب هم الذين قاموا بانفجار الثالث والعشرين من آب الذي بدأ ظهر ذلك اليوم وذلك بهجوم شنوه على اليهود مسلحين بالعصي والمسدسات وحتى بالسيوف . وعندما هاجمت الجماهير العربية الضواحي اليهودية بعيد الظهر، فتح البوليس نيران بنادقه عليها وحلقت بعد ذلك الطائرات فوق المدينة . وما كادت تحل الساعة الرابعة من بعد ظهر ذلك اليوم حتى كانت السيارات المصفحة القادمة من الرملة قد وصلت إلى المدينة وحشد ٧٠ بوليساً خاصاً للتصدي للموقف. وبعد نصف ساعة عاد الهدوء إلى البلدة القديمة من القدس ولكن اطلاق النار على الضواحي اليهودية ظل مستمراً وكذلك استمرت الغارات العربية على القرويين اليهود في مناطق تقع على بعد بضعة أميال من القدس(٦٩) .

وعندما وصلت انباء اضطرابات القدس إلى نابلس والخليل، قامت الجماهير الهائجة بمظاهرات صاخبة . وفي احدى الهجمات على احدى المدارس اليهودية في الخليل قتل يهودي واحد* وفي اليوم التالي قام العرب في الخليل بهجوم دموي على الحي اليهودي وعلى المنازل اليهودية المعزولة المتفرقة الواقعة بعيداً عن احياء المدينة المزدحمة فقتل أكثر من ٦٠ يهودياً وجرح أكثر من ٥٠ .

مهاجمة مكاتب الحكومة والمستعمرات

وفي اليوم نفسه قام جمهور من العرب بمحاولة عنيدة لانتزاع الاسلحة من احد مراكز البوليس في نابلس فنشبت اضطرابات عنيفة بسبب اطلاق البوليس النار على الجمهور. وفي بيسان شن العرب هجوماً على اليهود. وفي يافا قامت اضطرابات مماثلة تخللها هجوم على عدة مستعمرات يهودية . وفي الخامس والعشرين والسادس والعشرين من آب شن العرب هجوماً على المناطق اليهودية البعيدة نسبياً . وشُنّت كذلك هجمات متفرقة على بعض

* استنجدت السلطات البريطانية في فلسطين بالبحرية البريطانية والقوات البرية في مصر وقد وصلت فلسطين ثلاث بوارج حربية ووحدات مشاة ومصفحات وسرب من الطائرات وذلك قبل مضي اربعة ايام على بدء الاشتباكات .

المستعمرات اليهودية وقد دمرت ست من هذه المستعمرات تدميراً كاملاً. ونشبت اضطرابات في الحي القديم من حيفا رافقتها عدة غارات على حي هادار ها كرمل ضاحية حيفا اليهودية الشهيرة. أما في يافا فقد اطلق ضابط بوليس النار على جمهور من العرب ونجح بذلك في صد هجوم على الحي الواقع بين يافا وتل ابيب:

«في هذا الحي وقع اسوأ حادث هجوم يهودي على العرب، وقتل فيه امام أحد المساجد وستة اشخاص آخرين. وفي السادس والعشرين من آب وقع هجوم يهودي آخر على مسجد عكاشة في القدس وهو مسجد مقدس قديم العهد ينظر إليه المسلمون باحترام بالغ. واصيب المسجد باضرار بالغة وانتهكت قدسية ضرائح الانبياء التي يضمها»(٧٠).

وفي التاسع والعشرين من آب شن العرب هجوماً على الحي اليهودي من صفد حيث سقط نحو ٤٥ يهوديا بين قتيل وجريح، وأضرمت النار في عدة منازل وحوانيت يهودية.

على انه باستثناء عدد آخر ضئيل من الهجمات والحوادث بدأت الحالة تتجه نحو الهدوء من يوم إلى آخر. وقد بلغ مجموع القتلى من اليهود ١٣٣ نسمة وبلغ عدد الجرحى ٣٣٩ بينهم ١٩٨ اصابة بالغة استوجبت ادخال اصحابها الى المستشفيات. أما العرب فقد بلغ عدد قتلاهم ١١٦ نسمة بينما بلغ عدد الجرحى ٢٣٢ جريحاً(٧١).

ولقد برهنت احداث الاسبوع الاخير من آب ١٩٢٩ على انها نقطة التحول في العلاقات العربية البريطانية في فلسطين. فقد بدأت الاضطرابات معادية لليهود لأنه لم تكن لدى المفتي رغبة في الاصطدام بالبريطانيين. ومع أن حوادث الثالث والعشرين من آب في القدس لم تقترن بأية عمليات عدائية ضد الحكومة فانه (يبدو) أن كلا من الحكومة والمجلس الاسلامي الاعلى قد فقد سيطرته على الموقف بعد مرور اقل من ٤٨ ساعة على بدء الهجمات العربية الاولى على الحي اليهودي. وفي اثناء دفاع القوات البريطانية عن حياة اليهود وممتلكاتهم، أطلقت هذه القوات النار على المتظاهرين من العرب منزلة بهم اصابات عديدة. وانعكس أثر ذلك فوراً على مواقف المدن العربية الخالصة مثل نابلس وعكا وجنين وطولكرم وغزة حيث كانت المظاهرات ذات طابع معاد كل المعاداة للبريطانيين. وفي غضون الاجتماعات التي عقدها «الشباب» في مختلف انحاء البلاد بقصد تحديد الشكل الذي ينبغي ان يتخذه تضامنهم مع عرب القدس، نشأ اتجاهان:

الاتجاه الاقوى وهو الذي تبناه وجهاء المسلمين ورجال الدين والذي دعا إلى توجيه

الهجوم نحو العدو والانتقام من الصهيونيين. أما الاتجاه الثاني وهو الأضعف فقد كانت تؤيده العناصر الوطنية اليسارية في يافا وجمعية الشباب المسلم في حيفا. وكان يدعو إلى توجيه المقاومة نحو الانكليز لا نحو اليهود(٧٢).

وبوصول القوات البريطانية في الخامس والعشرين والسادس والعشرين من آب تحول الموقف تحولاً حاداً. فقد عاد الزعماء الصهيونيون الذين كانوا ينتقدون الحكومة إلى تبني الدعوة إلى ضرورة الحفاظ على حسن نية اليهود نحو بريطانيا والادارة الفلسطينية. وبالمقابل وقع زعماء الوجهاء المسلمين الحاج امين الحسيني وراغب النشاشيبي وموسى كاظم الحسيني بياناً تنصلوا فيه من الأعمال التي اقدم عليها المتظاهرون تاركين البدو والفلاحين غير المنظمين وغير المسلحين عرضة لهجمات الطائرات والسيارات المصفحة والقوات البريطانية. والحقت القوات البريطانية الدمار في قرى لفتا ودير ياسين وغيرهما. وقدم للمحاكمة ما يزيد على ١٠٠٠ نسمة - ٩٠ في المائة منهم من العرب - بتهم تتعلق باضطرابات شهر آب ١٩٢٩. وصدر الحكم في مراحل المحاكمة النهائية بإعدام ٢٦ شخصا بينهم ٢٥ عربياً ويهودي واحد(٧٣).

وعلى الرغم من جميع المساعي التي بذلتها الهيئات الوطنية في سبيل الاستعاضة عن احكام الاعدام بالسجن المؤبد فقد صدر قرار رسمي باعدام كل من عطا الزير ومحمد جمجوم وفؤاد حجازي يوم الثلاثاء ١٧ حزيران سنة ١٩٣٠ في سجن عكا. وأبدى الشهداء من رباطة الجأش والتفاني في سبيل الوطن ما جعلهم مخلدين في قلوب ابناء الشعب وما دفع الشاعر الفلسطيني ابراهيم طوقان إلى تخليدهم في قصيدته «الثلاثاء الحمراء».

وبالاضافة إلى ذلك طبقت أحكام قانون العقوبات المشتركة على سكان المدن والقرى التي ادينت بالاشتراك في الهجوم المنظم على اليهود في الخليل وصفد وموتسا وعرطوف وفرضت عليهم غرامات كبيرة(٧٤).

حقيقتان هامتان

ولقد كانت أحداث عام ١٩٢٩ سبباً في زيادة ايضاح وجلاء حقيقتين هامتين امام القرويين وجماهير الفلسطينيين. الحقيقة الاولى ان الصهيونية والوطن القومي اليهودي كانا يعتمدان في النهاية على الحراب البريطانية ومن ثم فمن الضروري محاربة بريطانيا إذا أريد للصراع ضد الصهيونية أن يحقق اهدافه(٧٥). والحقيقة الثانية هي جبن الوجهاء

الفلسطينيين وعدم قدرتهم على قيادة الجماهير في الصراع ضد الصهيونية والسياسة البريطانية في فلسطين.

ووجه تشانسلور المندوب السامي ضربة أخرى في هذا الاتجاه عندما أصدر قبيل عودته من بريطانيا بياناً مشبعاً بالغضب اتهم فيه العرب بارتكاب الفظائع واعلن انه يعتزم، بسبب الأحداث الأخيرة، «تعليق المباحثات الجارية مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية بشأن موضوع التغييرات الدستورية في فلسطين»(٧٦).

وأضيفت إلى اتهامات تشانسلور ادعاءات صهيونية بشأن فظائع عربية ارتكبت في الخليل في الرابع والعشرين من آب. وعندما انكر العرب انه مثل في جثث القتلى من اليهود قدمت اللجنة التنفيذية الصهيونية إلى المندوب السامي طلباً رسمياً بفحص جثث القتلى اليهود في الخليل(٧٧) .. وهنا أصدر المندوب السامي تعليماته إلى مدير الصحة العامة بتشكيل لجنة خاصة مؤلفة من اطباء بريطانيين لفحص تلك الجثث بحضور ممثلين عن العرب واليهود للتأكد مما إذا كان قد مثل فيها أو لم يمثل. وحاول الصهاينة التراجع عن طلبهم الا ان العرب أصروا على اجراء التحقيق.

وقدمت اللجنة الخاصة في الثالث عشر من ايلول تقريراً ذكرت فيه انها لم تعثر على دلائل تثبت تهم وقوع «التمثيل» في الجثث العشرين التي تم نبشها من القبور والتي قدم اربعاً منها ممثلو اليهود انفسهم(٧٨). واعتبر تقرير اللجنة الطبية نصراً سياسياً ومعنويا للعرب الفلسطينيين.

وبهذه المناسبة شن العرب حملة واسعة ضد الاحتفاظ بخدمات نورمان بنتويتش في منصب النائب العام. وكان يؤيد العرب في مطلبهم هذا السر مايكل مكدونيل قاضي القضاة في فلسطين نظراً لتحيز بنتويتش الفاضح. وقد نجحت الحملة جزئياً إذ ابلغ تشانسلور المندوب السامي البريطاني الزعماء الفلسطينيين أن التعليمات قد صدرت إلى النائب العام بأن يعالج جميع القضايا المتعلقة بالعرب بعد التشاور مع المستر درايتون محامي الحكومة العام (٧٩).

وكانت هناك شكاوى أخرى بينها «قسوة البوليس التي وصلت إلى حدود يعتقد انه لم يسمع بمثلها في بلد متمدن»(٨٠) تضاف الى ذلك عمليات القمع التي تتعرض لها الصحف العربية لاسباب تافهة(٨١). وفيما يتعلق بالنقطة الأخيرة:

«لم يطلبوا افضلية في المعاملة بل اكتفوا بطلب احقاق العدل بحيث يستطيعون ممارسة النفوذ على صحافتهم، في ضوء رغبتهم في التعاون مع الحكومة في عملية اعادة النظام»(٨٢).

وكان المندوب السامي متلهفاً على ان تستخدم اللجنة التنفيذية نفوذها للحيلولة دون انتشار اعمال التحريض على مقاطعة اليهود كرد على مقاطعتهم للعرب:

«هنالك في الوقت الحاضر خطر بالغ من أن يلتهب الرأي العام وان يتطور حادث صغير ذو صلة بالمقاطعة إلى اضطرابات على نطاق واسع. وان عليهم ان لا ينسوا ان في البلاد الآن عدداً كبيراً من القوات وان أية اضطرابات قد تؤدي الى سفك الدماء»(٨٣).

والواقع انه لم يكن ثمة داع لكي يلمح تشانسلور الى ان وقوع اية اضطرابات قد يؤدي إلى اصطدام بين العرب والقوات البريطانية، ذلك ان اللجنة التنفيذية كانت قد بدأت بالفعل بالنصح بالاعتدال وكان اعضاؤها يتلهفون على الظفر بمساعدة الحكومة لهم على تعزيز سيطرتهم على الشعب(٨٤). ولكن تشانسلور خلافاً لما كانت تأمله اللجنة التنفيذية العربية من تقديم بعض التنازلات لها كايقاف الهجرة اليهودية مؤقتاً، أمر بتوسيع نطاق الأماكن التي يتناولها قانون العقوبات المشتركة بحيث أصبح هذا القانون يطبق على البلاد بأسرها(٨٥).

وبينما كان يهيمن على البلاد بكاملها مزاج نضالي معاد للحكومة كان الحاج امين يؤكد لتشانسلور في مقابلة خاصة أجراها معه في اليوم الاول من تشرين الاول انه «مما لا شك فيه ان الكثرة الساحقة من الجمهور العربي يكن لبريطانيا شعوراً وديا»(٨٦). وكان تأكيد المفتي هذا يعني ضمناً انه لا يزال يعتقد انه من الممكن اقتصار المعارضة الفلسطينية على مناهضة سياسة بريطانيا الصهيونية والصهيونيين انفسهم، وبذلك يمكن تجنب اصطدام مباشر بين بريطانيا والعرب. وذكرت مصادر البوليس خلال النصف الثاني من شهر ايلول:

«إن شكيب وهاب القائد الثوري السوري عرض خلال حديث أجراه مع المفتي الاكبر، تنظيم عصابات للقيام بحملة ثورية يمكن ان تستمر ما لا يقل عن عام واحد. ولكن المفتي الاكبر قال انه لا يعتبر ذلك ضرورياً في الوقت الحاضر»(٨٧).

وحاول الحاج امين ان يترك في نفس تشانسلور انطباعاً بأنه موال للحكومة عندما قال انه يعتبر نفسه «من بعض الوجوه، موظفاً في الدولة»(٨٨). وبعد اسبوع واحد:

«وقال المفتي انه وعد بتقديم المساعدة فيما يتعلق بحفظ النظام والتعاون مع الحكومة. وكان يتخذ هذا الموقف على الدوام ولا يزال كذلك بل انه سيستمر في اتخاذه حتى ولو لم تصغ الحكومة الى اعتراضاته وشكواه. فهو يعتبر ذلك مسؤوليته لا أمام الحكومة وحسب بل أمام الله والشعب وضميره الشخصي»(٨٩).

وذكر المفتي للمندوب السامي الصعوبات التي ينطوي عليها موقفه الموالي للحكومة والذي غدا موقفاً غير شعبي بشكل خاص بسبب رفض الحكومة الغاء قانون العقوبات المشتركة:

«ففي غضون الايام القليلة الماضية أصبح الاتهام يوجه اليه هو نفسه بانه ضالع مع الحكومة في هذا الموضوع»(٩٠) وفي التاسع عشر من تشرين الاول أوفد الحاج امين الحسيني الى لندن جمال الحسيني سكرتير المجلس الاسلامي الأعلى وذلك لإجراء مباحثات سياسية في وزارة المستعمرات (٩١).

ولقد برهنت الحكومة ووزارة المستعمرات على السواء انهما متنبهتان الى اهمية الحفاظ على موقف الحاج امين الودي بسبب معارضته لقيام مجابهة عربية - بريطانية في فلسطين. واغفل وزير المستعمرات، دفاعاً عن المفتي، اية اشارة إلى انه «من المحتمل ان تكون اضطرابات عام ١٩٢٩ قد اعدت مسبقاً أو قامت على أساس عمل منظم»(٩٢) وذلك في النصوص النهائية للجنة شو للتحقيق.

التيار الشعبي يفرض نفسه

وبحلول الثاني عشر من تشرين الأول أحس تشانسلور انه لا بد له من ابلاغ باسفيلد تخوفه من التطور في مواقف العرب السياسية في اعقاب أحداث عام ١٩٢٩:

«انّ العرب لا يزالون يكنون مشاعر مريرة ضد اليهود ولا يزال فرض المقاطعة مستمراً، اما المحرضون فيعملون سراً متجنبين افتضاح أمرهم. ولدى العرب الآن شعور متصاعد بالعداء للحكومة تعززه دعاية بارعة يقوم بها الزعماء العرب. ولقد قيل لي ان هذا الشعور لم يعد مقتصراً كما كان في السابق على الاوساط السياسية، بل هو يمتد الآن ليشمل الطبقات الادنى من الشعب كما يمتد الى القرويين»(٩٣).

وكان هذا الاتجاه الشعبي الجذري يشكل تهديداً للجنة التنفيذية العربية والقيادة السياسية:

«وفي الثاني عشر من تشرين الاول دعت اللجنة التنفيذية الى عقد اجتماع بكامل عدد الاعضاء للنظر في أمر الدعوة الى اضراب عام احتجاجاً على الانظمة القائمة وغيرها من ادعاءات التمييز والظلم. ويقول الشباب المسلمون ان الاضراب سيتم سواء أقرته اللجنة او لم تقره»(٩٤).

وعلى الرغم من نجاح اللجنة التنفيذية في وقف اعلان الاضراب فقد ابلغ «عوني عبد الهادي» تشانسلور في معرض مقابلة اجراها معه في الرابع عشر من تشرين الاول ان «اعضاء اللجنة التنفيذية ليسوا دائماً اسياد انفسهم بل انهم مضطرون احياناً للخضوع لضغط انصارهم»(٩٥). وكانت اللجنة «تنتهج سياسة تنهض على اساس سياسة القيام بكل ما في وسعها لكسب الرأي العام وتجنب اقصائها»(٩٦). ومهما يكن من أمر فان اللجنة التنفيذية اكدت لتشانسلور أن «المبدأ الذي كان يوجهها يقوم على اساس انه يجب ان لا يقوم خلاف بينها وبين الحكومة البريطانية»(٩٧) لأنها ـ اللجنة ـ تعتقد انه ليس في وسع الشعب الحصول على حقوقه بغير ذلك.

وعلى الرغم من ان اللجنة كانت تنطق باسم الاكثرية الساحقة من الوجهاء وطبقة الملاكين إلا ان هذه الطبقات لم تكن مجمعة على تأييدها. إذ يستفاد من تقرير للبوليس ان بعض المشتركين في اجتماع عقد في مكاتب اللجنة التنفيذية وضم كبار زعماء المسلمين اعربوا علناً عن تعاطفهم مع الثورة:

«فالاعتقاد بأن القيام باضطرابات عامة هو الوسيلة الوحيدة لانقاذ البلاد اصبح الحديث العام لدى جميع طبقات الشعب، كما ان الناس اصبحوا يائسين لا يبالون بالمخاطر. ويقال بالاضافة الى ذلك ان القرويين قد اصبحوا واقعين تحت تأثير الدعاية السياسية والانهيار الاقتصادي وشراء اليهود للاراضي وما يعقب ذلك من طرد الفلاحين العرب منها»(٩٨).

ولم يكن المسؤولون يفترضون ان هذا الموقف العدائي هو ذو طبيعة عابرة، ذلك ان تشانسلور كان يعتقد انه ليس بالامكان تخفيض القوات البريطانية الى ما دون كتيبتين حتى بعد ان تنتهي الأزمة.

وبعد ذلك بنحو اسبوع كرر تشانسلور القول بأنه «يبدو ان السكان المسلمين يقتربون من حالة اليأس بالنظر الى تخلف الحكومة عن تلبية مطالبهم بأي شكل من

الاشكال. وهذا الشعور لا يقتصر على القيادة وحسب بل هو منتشر في صفوف الطبقات الادنى وسكان الارياف ايضاً»(٩٩).

نواة تنظيم مسلح

وهنالك عوامل أخرى زادت من قلق السلطات البريطانية بينها امتداد اعمال التحريض ضد الصهيونية والسياسة البريطانية في فلسطين الى الاقطار المجاورة وتهريب الاسلحة الى فلسطين واحتمال انضمام متطوعين سوريين واردنيين ولبنانيين الى الفلسطينيين في أية ثورات قد تنشب في المستقبل.

وفي غضون الاسبوع الثالث من تشرين الاول أفادت تقارير البوليس انه يجري جمع التبرعات كما انه وقع الاختيار بالفعل على ٤٠٠ عربي لتشكل منهم نواة قوة مسلحة عربية(١٠٠) وبعد ذلك باسبوع أفادت تقارير رجال الاستخبارات انه «تم تشكيل عصابات لمهاجمة الموظفين اليهود والبريطانيين. وستعمل هذه العصابات في منطقتي حيفا ونابلس»(١٠١) وجاء في موجز تقرير قوة الحدود الأردنية المؤرخ في التاسع عشر من تشرين الاول انه «تجري استشارة عصابات مدربة بشأن خير الوسائل لشن حرب عصابات قد تبدأ اعمالها بعد وصول اللجنة من لندن وانهاء تقريرها. ويجري الآن تشكيل لجان في مختلف انحاء فلسطين لتقديم العون لهذه العصابات»(١٠٢)

ولقد أدى مستوى العنف السياسي الجديد الى ظهور الطلاب(١٠٣) كعنصر سياسي جديد والى مولد المؤتمر النسائي العربي الفلسطيني الذي عقد في السادس والعشرين من تشرين الأول ١٩٢٩ وحضر المؤتمر اكثر من ٢٠٠ مندوبة مسلمة ومسيحية ينتمين الى مختلف انحاء البلاد. وكانت معظم المشتركات ينتمين الى الأسر الفلسطينية البارزة وابرزهن زوجات الزعماء السياسيين. وتم انتخاب عقيلة موسى كاظم رئيسة للمؤتمر.

«واعتبرت العديدات من المندوبات اللواتي القين خطباً في المؤتمر ان صك الانتداب كما تطبقه الادارة العامة في فلسطين هو وحده المسؤول عن كل ما جرى من الاحداث كما انهن دعون بحماس الى القيام بحركة قومية عامة لتوحيد جهود جميع المنظمات النسائية في فلسطين»(١٠٤).

ورفضت مقررات المؤتمر تصريح بلفور والهجرة اليهودية ودعت الى إقامة حكومة

وطنية تكون مسؤولة امام مجلس تمثيلي كما حثت على تنمية وتطوير صناعات وطنية(١٠٥).

وبعد يوم واحد دعت اللجنة التنفيذية العربية الى «جمعية عمومية للمؤتمر» في القدس، وكان في عداد المندوبين شيوخ البدو من مختلف انحاء فلسطين بالاضافة الى بعض المندوبين الاردنيين. ويستفاد من تقارير البوليس:

«ان المندوبين أبدوا حماسة وتصميماً بالغين (لانقاذ البلاد) حتى على حساب ارواحهم. ويستدل من الموقف الذي ساد المؤتمر ان الشعب كان في حالة من الهياج المتطرف اقتربت من حدود الثورة. ويقال ان العرب ينتظرون الآن (قرار) اللجنة فاذا لم يكن مرضياً كان الطريق الوحيد امامهم هو الثورة العامة»(١٠٦).

ودعي الشعب الى اضراب عام نفذ بالفعل لمناسبة ذكرى صدور وعد بلفور.

ولا شك ان اشتراك الاردنيين في الجمعية العمومية للمؤتمر كشف عن حقيقة المشاعر السائدة في الاقطار العربية المجاورة. إذ يستفاد من تقرير للمعتمد البريطاني في عمان:

«لقد أبقي شرق الأردن بمنأى عن اضطرابات شهر آب لأنه . . . لم تكن هنالك خطة معدة للعمل. ولكن اذا نظمت في المستقبل اضطرابات اخرى ضد اليهود، فانني أخشى ان لا تلتزم البلاد الهدوء كما فعلت في السابق»(١٠٧).

ارهاب عملاء الانكليز

وجاء في تقرير لدائرة الاستخبارات مؤرخ في الثالث عشر من تشرين الثاني ان لجنة سرية اطلق عليها اسم لجنة المقاطعة قد تشكلت لاغراض الارهاب واغتيال الاشخاص الذين يعتقد انهم يعملون ضد المصالح الوطنية.

وقيل ان هذه التهديدات قد أدت الى نضوب معين المصادر التي منها تستقي دوائر الاستخبارات اخبارها. وتفيد التقارير ان هذه اللجنة الفت «بمعرفة المجلس الاسلامي الاعلى واللجنة التنفيذية العليا وموافقتها كما انهما اشتركتا في تمويل اللجنة»(١٠٨). وقد قتل بالفعل احد العرب الذين كانوا يعملون لحساب الاستخبارات الصهيونية كما أرسل انذار الى احد القضاة البريطانيين. على ان تقريراً قدم فيما بعد، القى بعض الشكوك على الروابط التي تربط اللجنة التنفيذية بلجنة المقاطعة لأنه تبين ان ١١ عضواً من الاعضاء الاربعة

والعشرين الذين منهم كانت تتألف هذه اللجنة كانوا أعضاء في الحزب الشيوعي الفلسطيني(١٠٩).

وهكذا فان الحقبة الواقعة بين عامي ١٩٢٣ و ١٩٣٠ والتي بدأت فيها المعارضة همساً، انتهت بمعارضة عنيفة للشراكة الانغلو صهيونية ارتكزت الى شعبية عميقة ميالة إلى شن صراع مسلح كوسيلة لاحداث تغيير في السياسات البريطانية الموالية للصهيونية في فلسطين. فبعد هذه الحقبة تطور الصراع العربي ضد الصهيونية الى مجابهة بين الفلسطينيين العرب وحكومة الانتداب والصهيونية في آن معاً.

ولا بد هنا من الاشارة الى المواقف الصهيونية من امكانات ايجاد تفاهم عربي - يهودي عام ١٩٢٩. فبعد شهر واحد من اضطرابات آب قال وايزمان لاحد موظفي دائرة الشرق الاوسط:

«ان على الحكومة ان تحاول عقد مؤتمر يضم الصهيونيين والعرب، وليس من الضروري ان يكون الفريق الثاني مؤلفاً من العرب الفلسطينيين وذلك بقصد العمل على توصل الجانبين الى اتفاق ما»(١١٠).

وبعد شهر واحد قام جون فيلبي احد كبار الموظفين البريطانيين في الشرق خلال السنوات الاولى من العشرينات بزيارة الى القدس ودمشق بقصد الاتفاق على «أساس لتفاهم عربي - يهودي في فلسطين» فوجد الوجهاء العرب معتدلين ومعقولين(١١١).

(١) التقرير السياسي لشهر تشرين الاول ١٩٢٣ و.م ٧٣٣ـ٥١
(٢) المصدر نفسه
(٣) للاطلاع على رد اللجنة التنفيذية على عرض المندوب السامي بتشكيل وكالة عربية راجع «وثائق المقاومة الفلسطينية» ص ٧٨ـ٨٢
(٤) التقرير السياسي تشرين الاول ١٩٢٣ ص ٢
(٥) التقرير السياسي لتشرين الثاني ١٩٢٣ و.م. ٧٣٣ـ٥٢
(٦) المصدر نفسه
(٧) المصدر نفسه
(٨) التقرير السياسي لشهر كانون الأول ١٩٢٣ و.م. ٧٣٣ـ٦٣
(٩) المصدر نفسه
(١٠) التقرير السياسي لشهر كانون الثاني ١٩٢٤ و.م. ٧٣٣ـ٦٥
(١١) المصدر نفسه ص ٢
(١٢) المصدر نفسه ص ٤
(١٣) التقرير السياسي لشهر شباط ١٩٢٤ و.م. ٧٣٣ـ٦٦
(١٤) التقرير السياسي لشهر نيسان ١٩٢٤ و.م. ٧٣٣ـ٦٨
(١٥) المصدر نفسه
(١٦) التقرير السياسي لشهر ايار ١٩٢٤ و.م. ٧٣٣ـ٦٩
(١٧) التقرير السياسي لشهر حزيران ١٩٢٤ و.م. ٣٣ـ٧١
(١٨) المصدر نفسه
(١٩) التقرير السياسي لشهر تموز ١٩٢٤ و.م. ٧٣٣ـ٧٢
(٢٠) المصدر نفسه
(٢١) التقرير السياسي لشهر آب ١٩٢٤ و.م. ٧٣٣ـ٧٣
(٢٢) التقرير السياسي لشهر ايلول ١٩٢٤ و.م. ٧٣٣ـ٧٤
(٢٣) راجع «تقرير عن الادارة الفلسطينية» ٥ـ١٠ـ١٩٢٤ و.م. ٧٣٣ـ٧٤ ص ١٣
(٢٤) التقرير السياسي لشهر ايلول ١٩٢٤

(٢٥) راجع التقرير السياسي لشهر كانون الاول ١٩٢٤ و.م. ٧٣٣-٩٢
(٢٦) التقرير السياسي لشهر شباط ١٩٢٥ و.م. ٧٣٣-٩٠
(٢٧) التقرير السياسي لشهر شباط ١٩٢٥ و.م. ٧٣٣-٩٢
(٢٨) المصدر نفسه
(٢٩) المصدر نفسه
(٣٠) ٢١-٤-١٩٢٥ و.م. ٧٣٣-٩٢ ص ١
(٣١) المصدر نفسه ص ٢
(٣٢) المصدر نفسه ص ٤-٦
(٣٣) المصدر نفسه
(٣٤) التقرير السياسي لشهر تموز ١٩٢٥ و.م. ٧٣٣-٩٦
(٣٥) للاطلاع على الآثار السلبية التي تركتها المنافسة على زعامة المجلس الاسلامي الأعلى راجع دروزة ص ٤٩-٥٧
(٣٦) انظر سايمر الى امري ٢٤-٦-٢٧ و.م. ٧٣٣-١٤٢
(٣٧) للاطلاع على المراسلات المتبادلة بين الزعماء الفلسطينيين والمستر ملز راجع دروزة ص ٢٧١-٢٨٠
(٣٨) انظر ملاحظات شكبورغ ١٠-٧-١٩٢٨ و.م. ٧٣٣-١٥٨
(٣٩) شكبورغ الى ادر ٤-١-١٩٢٧ و.م. ٧٣٣-١١٨
(٤٠) بلومر الى امري ٧-١٠-١٩٢٧ و.م. ٧٣٣-١٣٣
(٤١) بلومر الى امري ٢٢-١٠-١٩٢٧ و.م. ٧٣٣-١٤٥
(٤٢) بلومر الى امري ١٣-٤-١٩٢٨ و.م. ٧٣٣-١٥٥
(٤٣) راجع دروزة ص ٥٩
(٤٤) المصدر نفسه
(٤٥) ولسون الى شكبورغ ٢٧-٢-١٩٢٨ و.م. ٧٣٣-١٥٠
(٤٦) راجع The New Palestine - نيويورك - ٢٦-١٠-١٩٢٨
(٤٧) سكرتير الحكومة الى بلومر ١-٤-١٩٢٨ و.م. ٧٣٣-١٥٥
(٤٨) راجع «تقرير لجنة التحقيق في اضطرابات فلسطين في آب ١٩٢٩» الأمر رقم ٣٥٣٠ غلن ١٩٣٠، المعروف بتقرير شو، ص ١٥٠
(٤٩) للاطلاع على الأهمية الدينية للبراق لدى المسلمين راجع مذكرة المجلس

الاسلامي الأعلى «البراق المسلم» ٤-١٠-١٩٢٨ و.م. ٧٣٣-١٦٠

(٥٠) راجع رسالة الحاج امين الحسيني الى مولانا شوكت علي رئيس لجنة الخلافة المركزية في بومباي ١٧-١٠-١٩٢٨ و.م. ٧٣٣-١٧٣

(٥١) تقرير لجنة بيل ص ٦٧

(٥٢) وايزمان الى شكبورغ ٣١-١٠-١٩٢٨ و.م. ٧٣٣-١٦٠

(٥٣) تقرير لجنة بيل ص ٦٦

(٥٤) انظر تقرير الحكومة عن اجتماع الحاج امين مع المندوب السامي ٣٠-١٠-١٩٢٨ و.م. ٧٣٣-١٦٠

(٥٥) تقرير لجنة شو ص ٣٤

(٥٦) «مقابلة بين المندوب السامي والمفتي الأكبر» ٦-٤-١٩٢٩ و.م. ٧٣٣-١٦٣

(٥٧) المصدر نفسه

(٥٨) المصدر نفسه

(٥٩) تشانسلور الى شكبورغ ١٥-٥-١٩٢٩ و.م. ٧٣٣-١٧٣

(٦٠) مذكرة امناء سر اللجنة التنفيذية للمؤتمر الفلسطيني السابع ١٧-٦-١٩٢٩ و.م. ٧٣٣-١٦٧

(٦١) برقية من الشيخ سعيد الخطيب الى العصبة القومية بلندن ٤-٨-١٩٢٩ و.م. ٧٣٣-١٦٣

(٦٢) المصدر نفسه

(٦٣) القائم بأعمال المندوب السامي الى وزير المستعمرات ١٦-٨-١٩٢٩ و.م. ٧٣٣-١٦٣

(٦٤) تقرير شو ص ٥٣

(٦٥) انظر احتجاج محمد المهدي الى المندوب السامي و.م. ٧٣٣-١٧٥

(٦٦) القائم بأعمال الحكومة الى وزير المستعمرات ١٧-٨-١٩٢٩ و.م. ٧٣٣-١٦٣

(٦٧) تقرير شو ص ٥٧

(٦٨) المصدر نفسه ص ٦١

(٦٩) للاطلاع على تفاصيل اوفر لهذه الاحداث انظر المصدر نفسه ص ٦٣-٦٥

(٧٠) المصدر نفسه

(٧١) المصدر نفسه

(٧٢) راجع بيان المجلس المركزي للحزب الشيوعي الفلسطيني «الحرب الدموية في فلسطين والطبقة العاملة»، ايلول ١٩٢٩ و.م. ١٧٥ـ٧٣٣

(٧٣) انظر «تقرير الادارة في فلسطين وشرقي الاردن لعام ١٩٢٩» (كتاب المستعمرات رقم ٤٧ لعام ١٩٣٠) ص ٧

(٧٤) المصدر نفسه ص ٧ـ٨

(٧٥) يشير البيان الشيوعي المشار اليه الى قول احدى الصحف اليهودية بأن يهود فلسطين هم جزء من الامبراطورية البريطانية وهم حماة الموقف البريطاني وما الدماء التي يبذلها اليهود سوى الثمن الذي يتوجب على اليهود دفعه لقاء مساعدة بريطانيا في بناء الوطن القومي اليهودي.

(٧٦) للاطلاع على بيان تشانسلور راجع تقرير شو ص ٦٨

(٧٧) تشانسلور الى باسفيلد ٢١ـ٩ـ١٩٢٩ و.م. ٧٣٣ـ١٧٥

(٧٨) المصدر نفسه من الملحق رقم ٤ الى الملحق رقم ١٢

(٧٩) انظر تشانسلور الى باسفيلد ٥ـ١٠ـ١٩٢٩ و.م. ٧٣٣ـ١٧٥ ملحق رقم ١

(٨٠) المصدر نفسه ص ٤

(٨١) المصدر نفسه ص ٩

(٨٢) المصدر نفسه

(٨٣) المصدر نفسه ص ١١

(٨٤) المصدر نفسه

(٨٥) المصدر نفسه

(٨٦) المصدر نفسه الملحق رقم ٢ ص ١

(٨٧) الوزارة «الحالة في فلسطين» ٢٨ـ١١ـ١٩٢٩ و.م. ٧٣٣ـ١٧٥

(٨٨) المصدر نفسه ص ٣

(٨٩) تشانسلور الى باسفيلد ١٢ـ١٠ـ١٩٢٩ و.م. ٧٣٣ـ١٦٣ ملحق رقم ٢ ص ٣

(٩٠) المصدر نفسه ص ١٠

(٩١) انظر رسالة من المفتي الأكبر الى وزير المستعمرات ١٩ـ١٠ـ١٩٢٩

و.م. ٧٣٣-١٧٨

(٩٢) باسفيلد الى شو ١٩-٩-١٩٢٩ و.م. ٧٣٣-١٧٦

(٩٣) المندوب السامي الى وزير المستعمرات ١٢-١٠-١٩٢٩ و.م. ٧٣٣-١٧٥

(٩٤) المصدر نفسه

(٩٥) تشانسلور الى باسفيلد ١٩-١٠-١٩٢٩ و.م. ٧٣٣-١٦٣

(٩٦) المصدر نفسه ص ٦

(٩٧) المصدر نفسه ص ٥

(٩٨) «الحالة في فلسطين» ٢٨-١١-١٩٢٩

(٩٩) المندوب السامي الى وزير المستعمرات ١٩-١٠-١٩٢٩ و.م. ٧٣٣-١٦٣

(١٠٠) المصدر نفسه

(١٠١) المصدر نفسه

(١٠٢) المصدر نفسه

(١٠٣) المندوب السامي الى وزير المستعمرات ٢٣-١٠-١٩٢٩ و.م. ٧٣٣-١٦٣

(١٠٤) مغنم «المرأة العربية» ص ٧٠

(١٠٥) المصدر نفسه ص ٧٠-٧٧

(١٠٦) «الحالة في فلسطين» ٢٨-١١-١٩٢٩ ص ٦

(١٠٧) المصدر نفسه

(١٠٨) المصدر نفسه ص ٧

(١٠٩) المصدر نفسه ص ٨

(١١٠) ملاحظات دونت في مقر وزارة المستعمرات ٢٣-٩-١٩٢٩ و.م. ٧٣٣-١٧٥

(١١١) انظر رسالة فيلبي الى باسفيلد ١-٩-١٩٢٩ و.م. ٧٣٣-١٧٥

الفصل السابع

ما قبل العاصفة ١٩٣٠-١٩٣٥

في شهر كانون الثاني ١٩٣٠، كتب تشانسلور الى اللورد باسفيلد وزير المستعمرات حول نتائج انفجار ١٩٢٩ قائلا: «ان موجة من المشاعر العربية الوحدوية قد عمت فلسطين والاقطار العربية المجاورة ومن المؤكد ان الحالة السياسية لن تعود مرة اخرى الى ما كانت عليه او بدا انها كانت عليه قبل آب الماضي»(١).

ولا شك في ان الاشارة هنا الى المشاعر الوحدوية العربية دليل على ان تشانسلور كان يدرك التغيير الجذري الوشيك الوقوع في نظرة الفلسطينيين السياسية فلم تعد الاستراتيجية السياسية الفلسطينية مقتصرة على مقاومة الاستعمار اليهودي بل غدت تهدف ايضا الى الاستقلال الوطني والتخلص من الحكم البريطاني.

وكان الفلسطينيون قبل اضطرابات عام ١٩٢٩ قد ذعروا من تجديد التهديد الصهيوني في خضم انعقاد المؤتمر اليهودي في تموز ١٩٢٩ عندما تعهد الصهيونيون وغير الصهيونيين من اليهود بالتبرع بالاموال اللازمة لاقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين. اما الحكومة البريطانية فبدلا من التصدي لحماية العرب من التهديد الصهيوني المتجدد فإنها ألزمت نفسها بتأييد الهجرة اليهودية واستيطان اليهود في الأراضي الفلسطينية. وكان من نتائج موقف الادارة الفلسطينية والاصطدامات بالبوليس خلال صيف ١٩٢٩ تعزيز مركز الثوريين العرب الذين كانوا يدعون الى اللجوء الى العنف في معارضة الانتداب البريطاني باعتبار ذلك وسيلة وحيدة للحيلولة دون سيطرة الصهيونيين على فلسطين.

ومن ابرز الدلائل على الحالة النفسية الفلسطينية الجديدة وعمق الاثر الذي خلقته احداث عام ١٩٢٩ ظهور عصابة مسلحة تعمل في منطقة صفد ـ عكا ـ سمخ. وكانت

فكرة تنظيم عصابات مسلحة لمحاربة الصهيونيين ونظام الانتداب قد بحثت منذ صيف عام ١٩٢٩. وكانت العصابة نفسها تتألف، مبدئيا من ٢٧ شخصا اشتركوا بصورة علنية في ثورة البراق، واضطر افرادها نتيجة لذلك الى الالتجاء الى التلال المحاذية للحدود السورية.

ثورة الكف الاخضر

وكان ظهور عصابة مسلحة تشن الهجوم على الجيش والبوليس البريطانيين بالاضافة الى المستعمرين الصهيونيين امرا جديدا وذا دلالة خاصة على السواء. ومع ان معظم المؤلفات التي بحثت تاريخ فلسطين، بما في ذلك مؤلفات السيدين دروزة والسفري، قد اغفلت هذه الحركة الا ان تشانسلور كتب تقريرا ضافيا عنها(٢). وكان البروفسور آرنولد توينبي قد ذكر بشكل عابر ومختصر في مقالة له عن الوضع في فلسطين عام ١٩٣٠ ان العصابات المذكورة «قد حطمت بسرعة بمساعدة السلطات الفرنسية في المنطقة الخاضعة للانتداب الفرنسي»(٣) الا ان الحقيقة لم تكن كذلك.

فعصابة «الكف الاخضر» تألفت في تشرين الاول ١٩٢٩ بقيادة احمد طافش وشنت خلال الشهر نفسه هجوما على الحي اليهودي من صفد بالتعاون مع انصارها داخل المدينة وفي غضون الشهر التالي تعززت هذه العصابة بعدد من الثوريين الدروز الذين حاربوا الفرنسيين في ثورة الدروز الشهيرة عام ١٩٢٥ والذين سرعان ما اصبحوا العمود الفقري لهذه العصابة الموسعة التي شنت هجوما آخر على صفد في منتصف شهر تشرين الثاني الامر الذي حمل الادارة البريطانية على ارسال تعزيزات من البوليس البريطاني والفلسطيني الى المنطقة. وبعد وقت قصير من وصول التعزيزات الى صفد ظهر رجال «الكف الاخضر» في قضاء عكا حيث بدأوا يعدون كمائن لدوريات البوليس. غير انه بحلول شهر كانون الاول كان ظهور تعزيزات كبيرة من الجيش قد جعل السلطات قادرة على مكافحة الثوار. وقدم الفرنسيون من ناحيتهم «مساعدة قيمة من خلال تسيير دوريات كبيرة من قواتهم على الجانب السوري من الحدود»(٤).

وبرهنت عصابة الكف الاخضر على قدرتها على الحركة والمناورة لانها كانت «تعمل في منطقة كان فيها الكثيرون من القرويين الذين يعطفون عليها»(٥) بيد ان الافتقار الى التنسيق والتعاون بينها وبين القيادة السياسية الفلسطينية جعل امكانات اتساع المقاومة المسلحة

وامتدادها الى مناطق اخرى ولا سيما منطقة نابلس امرا متعذراً. وهكذا فان العمليات العسكرية المشتركة التي شنت ضد «الكف الاخضر» خلال الشهرين الاولين من عام ١٩٣٠ قد سببت انهيارا مؤقتا واعتقال ١٦ شخصا من افرادها الاصليين المؤسسين. وفي ٢٢ شباط من العام نفسه كتب تشانسلور تقريرا ذكر فيه ان «الكف الاخضر» عادت الى التجمع من جديد وأن مزيداً من عمليات القمع العسكرية أخذت توجه الآن ضد فلول الثوار.

وكان حلول فصل الصيف والقاء القبض على زعيم «الكف الاخضر» في شرقي الاردن ثم الجهود المشتركة للبوليس والجيش وفشل تنظيم العصابات المسلحة في اجزاء اخرى من البلاد نظرا لعدم تجاوب القيادة السياسية مع فكرة المقاومة المسلحة هي بعض الاسباب التي يحتمل ان تكون قد أدت في نهاية المطاف الى فشل «الكف الأخضر».

ولقد اقتنعت لجنة شو بأن ابتياع الصهيونيين الأراضي العربية والاستعمار اليهودي كانا في طليعة اسباب تذمر العرب. «ان مخاوف العرب من ان تعني السياسة الصهيونية بشأن الارض تجريدهم من اراضيهم قد اكدت مرارا وتكرارا»(٦). فعندما استولى الصندوق الوطني اليهودي على اراضي وادي الحوارث في مزاد علني تم بناء على قرار من احدى المحاكم وذلك استيفاء لدين مستحق تأكد تشانسلور من ان نشوب الاضطراب اصبح محتما. ذلك ان ابتياع اليهود لمزيد من الاراضي الزراعية لا يمكن ان يتم الا باخراج الزراع العرب من الاراضي التي يشغلونها وبالتالي خلق طبقة من الفلاحين الذين لا يملكون ارضا.

وكررت لجنة شو رأي لجنة هايكرافت بان الفلاحين والقرويين العرب هم اشد وعيا سياسيا من كثيرين من شعوب اوروبا(٧).

على ان القرويين لم يكونوا وحدهم ضحايا الضغط الذي خلقته الهجرة اليهودية فقد افادت لجنة شو ان العرب مقتنعون بان المخططات الصهيونية للهجرة واستيطان الارض لا مفر من ان تسفر عن اخضاع العرب من الوجهة العنصرية اخضاعا تاما وطردهم من اراضيهم ومعاناة عدد كبير منهم من البطالة واحلال اليهود محلهم(٨).

---

* حصل الصهاينة في فترة ١٩٢١-١٩٢٥ على ٢٦٠ الف دونم من ملاكين مقيمين خارج فلسطين كما تمكنوا من الحصول على بعض الحصص من أراضي القرى ذات الملكية الجماعية «المشاع» وقد عملوا على تقسيم هذه الممتلكات وطرد الفلاحين من تلك الأراضي. انظر تقرير شو ص٥١.

وعلى الرغم من حالة الفلاحين ومن التهديد الذي كان يتعرض له العمال من سكان المدن وفشل الانتداب في اقامة مؤسسات ذات حكم ذاتي فان الوجهاء السياسيين ظلوا مصممين على التمسك بمواقفهم التقليدية نحو الحكومة البريطانية. ومن ثم فقد اقدمت اللجنة التنفيذية العربية بتشجيع من وقائع لجنة شو وميول تشانسلور الشخصية واستيلاء حزب العمال على زمام الحكم بقيادة رمزي مكدونالد، على انتخاب وفد عربي للتفاوض مع الحكومة البريطانية بلندن بقصد احداث تغيير في السياسة القائمة قد يحول في المستقبل دون نشوب الاضطرابات وسفك الدماء. وتولى رئاسة الوفد موسى كاظم الحسيني واشترك في عضويته كل من الحاج امين الحسيني وراغب النشاشيبي وعوني عبدالهادي وجمال الحسيني والفرد روك.

وكان ترتيب الوفد يدل على رغبة الوجهاء السياسيين الفلسطينيين في التوصل الى تفاهم مع الحكومة يكفل الحيلولة دون سيطرة الصهيونية على فلسطين وبالتالي يجعل موقفهم السلمي من الحكومة مقبولا لدى الساخطين من الفلسطينيين.

وفي اليوم الثلاثين من آذار ١٩٣٠ وصل الوفد الى لندن حيث استقبله في اليوم التالي رئيس الوزراء واللورد باسفيلد وزير المستعمرات. وفي المباحثات التي اعقبت ذلك طالب الزعماء الفلسطينيون بحظر بيع الاراضي من عناصر عربية الى عناصر غير عربية ووقف الهجرة اليهودية واعادة تأسيس البنك الزراعي (العثماني) واقامة حكومة برلمانية وطنية عملا بالمادة الثانية والعشرين من ميثاق عصبة الامم(٩)، وردت الحكومة البريطانية بانها ملتزمة بتعهد يقضي بادارة شؤون فلسطين طبقا لنصوص صك الانتداب. ولكن مكدونالد وباسفيلد وعدا بان يتخذا قرارهما بشأن بيع الاراضي والهجرة اليهودية بعد ان يكون خبير الاراضي السر جون هوب سمبسون قد درس الوضع وقدم توصياته.

ووصفت الحكومة البريطانية المحادثات التي اجرتها مع الوفد بانها غير نهائية ولا حاسمة. اما الزعماء الفلسطينيون فعلى الرغم من اقتناعهم بفشل مهمتهم فقد رفضوا اعلان اعتقادهم بانه من المستحيل احداث تغيير جذري في السياسة البريطانية بالطرق السلمية بل اعلنوا عوضا عن ذلك انهم يأملون بان توافق الحكومة البريطانية في المستقبل على مطالبهم حرصا على استتباب السلام في فلسطين(١٠).

وكان ايفاد السر جون هوب سمبسون الى فلسطين انعكاسا للنظرة الخطيرة التي تنظر بها الحكومة الى حالة الفلاحين المحرومين من الاراضي والعمال العاطلين عن العمل في فلسطين. وفي غضون تلك الحقبة اجرت لجان مختلفة عددا من الدراسات حول هذا الموضوع وجاء في تقرير وضعه مدير دائرة الاراضي في فلسطين وتناول فيه موضوع «الحالة الاقتصادية للمزارعين العرب» ان اثقل عبئين يتحملهما المزارع العربي هما الضرائب الباهظة والديون للحكومة والمرابين(١١) وكان هذان العاملان متداخليــــن تداخلا وثيقا كان نتيجتهما إكراه المزارعين العرب على بيع أراضيهم للصهيونيين.

اضطهاد الفلاح

وشنت الصحف العربية حملة متواصلة على سياسة الحكومة وتواطئها على تسهيل تنفيذ المخططات الصهيونية لغزو فلسطين وتشريد فلاحيها بالطرق السلمية مستندة في حملتها الى نفس الحقائق التي اوردها مدير الاراضي. ففي جريدة فلسطين الصادرة في الرابع والعشرين من آب ١٩٣٠ ظهر مقال بقلم مزارع من طولكرم اوضح فيه العوامل المتشابكة التي اكرهت الفلاحين الفلسطينيين على بيع اراضيهم لليهود:

«انني أبيع ارضي وممتلكاتي لأن الحكومة تكرهني على دفع ضرائب واعشار في وقت لا املك فيه الوسائل الضرورية لاعالة نفسي واسرتي. وفي مثل هذه الظروف اكون مضطرا للجوء الى شخص غني يقدم لي قرضا اتعهد برده مقرونا بفائدة مالية مقدارها ٥٠٪ بعد شهر واحد او اثنين. . وهنا اضطر الى تجديد الصك مرة تلو المرة مضاعفا بذلك قيمة الدين الاصلية. . الأمر الذي يضطرني في النهاية الى بيع ارضي حتى اسدد ما يستحق علي من ديون لم اتسلم في الحقيقة الا جزءا ضئيلا منها».

وفي غضون شهر تشرين الاول ١٩٣٠ استرعت الصحف الانتباه الى اهمال الادارة العامة للبلاد امر العمال العرب العاطلين عن العمل الذين تجاوزوا ١٢ الفا حسب احصاءات الحكومة(١٢)، في الوقت الذي تنفق فيه مبالغ طائلة على تقديم العون للعمال اليهود، وشكت من تقديم امتيازات للمؤسسات اليهودية والاجنبية لاستغلال موارد الثروة في البلاد.

وقبل ان قدم سمبسون تقريره وتوصياته وجد تشانسلور ان من الضروري ان يتخذ اجراءات فيما يتعلق بالهجرة وبيع الاراضي بحيث يكون لها تأثير مهدىء لدى العرب.

واقترنت هذه الاجراءات باجراء تحقيقات سريعة كشفت النقاب عن ان اليهود ابتاعوا اخيرا مناطق واسعة من الارض وانهم ماضون في ابتياع مزيد من الاراضي بسرعة بالغة(١٣).

وعندما اطلع شكبورغ على ما وضعه تشانسلور من مقترحات تشريعية تكهن بان اتخاذ اجراءات لحماية الفلاحين العرب من شأنه ان يفجر «مزيدا من الهيجان لدى اليهود قد يكون على نطاق مزعج جدا»(١٤). ولم تكن مصالح السكان المحليين في فلسطين توضع في المكان الاول من الاعتبار فقد قال شكبورغ:

«ان علينا ان نأخذ بعين الاعتبار (او لقد قيل لنا على الدوام ان علينا ان نأخذ بعين الاعتبار) لا مصلحة السكان المحليين وحسب بل كذلك مصلحة الاربعة عشر مليون يهودي المنتشرين في مختلف انحاء العالم والذين يعتبرون انفسهم ضمنا فلسطينيين. والنتائج المزعجة لهذا الموقف واضحة ولكنها من صلب سياستنا الصهيونية ولا بد من مواجهتها»(١٥).

تقرير هوب سمبسون

ولقد ظهرت دقة تقدير شكبورغ للحالة بوضوح وجلاء في شهر تشرين الأول ١٩٣٠ وذلك في اعقاب نشر تقرير السر جون هوب سمبسون(١٦) والبيان السياسي لحكومة صاحب الجلالة البريطاني بشأن فلسطين والذي اصبح يعرف فيما بعد بكتاب باسفيلد الابيض(١٧) الذي بني على أسس وقائع تقرير سمبسون وتوصياته.

ويستفاد من تقرير سمبسون ان مساحة الاراضي القابلة للزراعة في فلسطين - باستثناء اراضي قضاء بئر السبع - لم تكن تزيد على ٦٥٤٤٠٠٠ دونم اي اقل بكثير من تقديرات الصهيونيين التي جعلت هذه المساحة ١٦٠٠٠٠٠٠ دونم واقل كذلك من الرقم الذي سجله مدير دائرة الاراضي والبالغ ١٠٥٩٢٠٠٠ دونم(١٨). ومهما يكن من امر فقد استخلص سمبسون من التقدير الذي وضعه لمساحة الاراضي الصالحة للزراعة ما يلي:

١ - اذا قسمت جميع الاراضي الصالحة للزراعة في فلسطين على القطاع الزراعي من السكان العرب فلن تنال الأسرة الواحدة من الاراضي ما يكفيها لكي تعيش عيشة كريمة لائقة.

٢ - الى ان يقوم اليهود بمزيد من تطوير الاراضي واعمال الري ويتبنى العرب اساليب اكثر

تقدما في الحراثة «ليس هنالك متسع لزيادة مستوطن اضافي واحد اذا اريد لمستوى حياة الفلاحين ان يبقى كما هو حاليا». اما بشأن اراضي الدولة فليس فيها، بالمثل، متسع للمستوطنين اليهود الى ان تتم عمليات التطوير(١٩).

وبالاضافة الى ذلك أعرب سمبسون عن اعتقاده أن البطالة في صفوف العرب خطيرة ومتفشية على نطاق واسع وأنه من الخطأ السماح للمهاجرين اليهود بملء مراكز العمل الشاغرة في فلسطين فيالحالات التي يكون فيها العاطلون عن العمل من العرب قادرين على ملء تلك الشواغر.

كتاب باسفيلد الأبيض

ومع الاستمرار في التقيد بنظرية «الالتزام المزدوج» في ظل الانتداب ومبدأ «الطاقة الاستيعابية الاقتصادية» للاسترشاد بهما من حيث تحديد عدد اليهود المسموح بهجرتهم الى البلاد، تبنى كتاب باسفيلد الأبيض بصورة عامة، تقديرات سمبسون ووعد بتنفيذ توصياته. وبالاضافة الى ذلك ورد في الكتاب الأبيض أنه حان الوقت لإنشاء مجلس تشريعي وفقا للخطوط التي رسمها كتاب تشرشل الأبيض.

أما رد فعل الصهيونيين ضد تقرير سمبسون والكتاب الأبيض لعام ١٩٣٠ فقد كان ملتهباً وطاغياً. فقد احتج وايزمان واصفاً «الكتاب الأبيض» بأنه لا ينسجم مع نصوص صك الانتداب وأبلغ باسفيلد أنه استقال من رئاسته المزدوجة أي رئاسة المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية كلتيهما. وقام الصهيونيون بمظاهرات في عدد من الأقطار الغربية وتحيز الى جانبهم وساندهم بصورة سافرة عدد من كبار الزعماء السياسيين البريطانيين. ومن الجدير بالذكر ان النقاش العلني الذي أعقب ذلك جاء دليلاً واضحاً على مدى القوة السياسية الهائلة التي يستطيع الصهيونيون حشدها في انكلترا(٢٠).

ولم تهدأ حدة هياج الصهيونيين حول هذا الموضوع إلا بعد أن أعلن في شهر تشرين الثاني ان الوكالة اليهودية قد دعيت لبحث أمر «الكتاب الأبيض» مع حكومة صاحب الجلالةالبريطانية وذلك تمهيداً للعودة الى انتهاج سياسة بريطانية موالية للصهيونية في فلسطين.

ومع أن الزعماء الفلسطينيين لم يكونوا راضين كل الرضا عن الكتاب الأبيض

فإنهم أحسوا بشيء من الاطمئنان لما بدا ضمناً أنه يمكن ان يصبح موقفاً جديداً للحكومة البريطانية بشأن هجرة اليهود واستيطانهم في الأراضي العربية، وتولد لديهم أمل بإمكان حدوث مزيد من التغييرات المرضية في المستقبل.

وهكذا أعلنت اللجنة التنفيذية العربية عشية ذكرى وعد بلفور أنه لأول مرة ستمر هذه الذكرى دون ان يرافقها إضراب عام في البلاد[٢١]. غير أنه مما يسترعي الانتباه أن اللجنة العليا للطلاب تولت هي هذه المرة إعلان الاضراب العام لمناسبة هذه الذكرى المشؤومة[٢٢].

ومن الدلائل الأخرى على النظرة المتساهلة للوجهاء الفلسطينيين موقف جمال الحسيني أثناء الأحاديث التي دارت بينه وبين المسؤولين في وزارة المستعمرات خلال شهر كانون الأول ١٩٣٠. ففي معرض هذه الأحاديث وافق جمال الحسيني الذي كان حينذاك في لندن كممثل شخصي للمفتي على عقد مؤتمر مع ممثلي اليهود حول مائدة مستديرة شرط أن يقتصر الأمر على ممثلي اليهود الفلسطينيين وأن يستبعد وايزمان وغيره من الصهيونيين غير الفلسطينيين. وقال الحسيني ان أية مفاوضات مع وايزمان تعني «الموافقة على الصهيونية» وهو ما لا يقبله الفلسطينيون تحت أي ظرف من الظروف[٢٣].

وعندما تلقت اللجنة التنفيذية العربية انباء عن المحادثات الرسمية التي دارت بين الحكومة البريطانية والصهيونيين بشأن «الكتاب الأبيض» سارعت الى إصدار بيان عام أعربت فيه عن مخاوفها من احتمال إعادة النظر في ذلك الكتاب لمصلحة الصهيونيين[٢٤]. وحتى قبل أن تعرف أنباء تلك المحادثات كان الفزع قد عمّ العرب بسبب منح الحكومة لليهود إذناً بإدخال ١٥٠٠ مهاجر. ولكن هذه الدلائل السلبية لم تمنع جمال الحسيني عند عودته الى فلسطين من ان «يجوب البلاد وهو يتحدث بحماس عن الضيافة والاحترام اللذين عامله بهما موظفو وزارة المستعمرات الذين يكنون، كما قال، عطفاً على القضية العربية»[٢٥].

كتاب مكدونالد الاسود

وفي اوائل شهر كانون الثاني ١٩٣١ ابلغ باسفيلد تشانسلور انه بالنظر إلى ضرورة التوصل إلى صيغة تفاهم مع المنظمات اليهودية بعد تلك المعارضة القوية التي لقيها الكتاب

الابيض من تلك المنظمات فانه:

«يبدو ان الحكومة لا تجد مفراً من كتابة ونشر أو السماح بنشر نص رسالة موجهة إلى الدكتور وايزمان تحدد سياستنا في فلسطين بعبارات أكثر دقة من تلك العبارات الواردة في الكتاب الابيض وتلقى من اليهود قبولاً أكثر مما تلقاه هذه العبارات بحيث يصبح مضمون الرسالة هو التفسير الرسمي للامور التي تثيرها»(٢٦).

وقبل وقت قصير من نشر نص رسالة مكدونالد الى وايزمان تكهن باسفال بأنه من المحتمل ان يكون لهذه الرسالة أثر يزيد من المتاعب التي يلقاها تشانسلور من العرب وان هذه النتيجة لا مفر منها « لاسباب سياسية ودولية»(٢٧) منبثقة من الضغط الصهيوني.

وأكد مكدونالد في رسالته الى وايزمان ان حكومة صاحب الجلالة البريطانية تعتزم التقيد بنصوص صك الانتداب الذي تعتبره التزاماً منها نحو اليهودية العالمية لا نحو يهود فلسطين فقط كما تعتزم التقيد بسياسة الوطن القومي اليهودي من خلال السماح بمزيد من الهجرة اليهودية واستيطان الاراضي فضلاً عن التجاوز عن ممارسة السياسة الصهيونية من حيث الاصرار على ان تشتغل الايدي العاملة اليهودية وحدها في المشروعات اليهودية. واعتبر وايزمان رسالة مكدونالد هذه عاملاً حاسماً « مكننا من احراز المكاسب الضخمة التي تحققت في السنوات التالية»(٢٨).

ومن الطبيعي ان العرب قرأوا كتاب مكدونالد «الاسود» بغضب واستياء ورأوا فيه برهاناً على ما يتمتع به اليهود من نفوذ حاسم في البرلمان الانكليزي والحكومة الانكليزية وبالتالي استخلصوا عقم السياسة المبنية على الأمل في أن تلتزم بريطانيا بأي حد من العدل.

وصدم الوجهاء السياسيون بكتاب مكدونالد ولم يترددوا في ابلاغ تشانسلور خلال أول مقابلة اجروها معه بعد نشر «الكتاب الاسود» ان مركزهم أمام الجماهير قد أصبح «مزعزعاً وقلقاً». وفي نهاية تلك المقابلة سلم الزعماء إلى تشانسلور مذكرة احتجاج اعلنوا فيها فقدان ثقتهم بحكومة صاحب الجلالة البريطانية واعتراضهم بقوة على ما اعتبروه تكريساً لسياسة مقاطعة اليهود للأيدي العاملة العربية. وقالوا انهم الآن ينظرون في أمر مقاطعة اليهود «عملاً بمبدأ المقابلة بالمثل»(٢٩).

وقالت اللجنة التنفيذية العربية في بيانها الموجه الى الرأي العام الفلسطيني انها ستناشد العالمين العربي والاسلامي تقديم المساعدة بعد ان فقد الفلسطينيون أي أمل او ثقة

ببريطانيا[٣٠]، ودعت اللجنة التنفيذية الى الكفاح «القانوني والفعال» في سبيل استعادة حقوق الفلسطينيين المهضومة. وفي الثالث من آذار ١٩٣١، كتبت وكالة انباء رويتر ان استياء العرب من رسالة مكدونالد اخذ يقترب من نقطة الانفجار. وكانت اللجنة قد قررت في اليوم السابق وتحت ضغط الرأي العام مقاطعة المنتجات اليهودية وتشجيع الصناعات الوطنية والسلع المحلية.

وعند هذه النقطة قرر وايزمان زيارة فلسطين، للعمل في الظاهر، على رأب الصدع بين العرب واليهود. ولكن عندما وصل الزعيم الصهيوني الى فلسطين قاطعته اللجنة التنفيذية وراقبت بحذر كل تحركاته، واصدرت بياناً نشرته في الصحف واعلنت استنكارها لموقف أي انسان يجرؤ على تحدي الرأي العام في أي عمل ينطوي على الاعتراف بالصهيونية وتصريح بلفور والانتداب. واتهمت اللجنة وايزمان كذلك بانه يعتزم رشوة بعض العرب في محاولة منه لاستغلالهم في اغراض الدعاية وجمع التبرعات[٣١]. ولم تكن اللجنة التنفيذية في ذلك بعيدة عن الصواب، ذلك ان وايزمان ابلغ تشانسلور انه يعتقد بان بامكانه رشوة معظم الزعماء العرب[٣٢].

وايزمان يقترح ترحيل الفلسطينيين الى شرق الاردن

اما تشانسلور فقد نظر الى فكرة ايجاد حلف عربي يهودي عن طريق الرشوة نظرة عدم ارتياح، واقترح، عوضاً عن ذلك، عقد اجتماع في لندن يحضره ممثلو الجانبين بالاضافة الى ممثلي الحكومة البريطانية. ولكن وايزمان لم يقتنع بذلك ووجه انظار المندوب السامي الى موضوع كان يثير اهتمامه، ذلك هو «استصلاح أراضٍ في شرقي الاردن لاستيطان العرب الفلسطينيين»[٣٣].

والواقع ان رسالة مكدونالد كانت بمثابة لطمة قوية لا للزعامة العربية التقليدية وحسب بل كذلك لسياساتها المتساهلة الداعية للتفاهم. فقد ذكر المسؤولون في الادارة المحلية بمنطقة نابلس ان المتطرفين العرب استخدموا تلك الرسالة كوسيلة لاستعادة مكانتهم السياسية[٣٤] ولم يكن من الصعب التكهن بنتائج رسالة مكدونالد فقد أدت هذه الرسالة الى انتهاج استراتيجية جديدة تقوم على أساس تحالف وتعاون اوثق مع العالمين العربي والاسلامي*وذلك بغية تحقيق «الاستقلال الفلسطيني ضمن اطار الوحدة العربية».

---

* في عام ١٩٣٠ اظهر مسلمو الهند وسيلان وبورما تضامنهم مع كفاح عرب فلسطين واعلنوا يوم ١٦

ولقد فتح ذلك الطريق أمام قوتين سياسيتين كانتا قد بدأتا بالفعل اكتساب قدر اكبر من الأهمية وعنصر المبادرة ونعني بهما قوة الحاج امين الحسيني وقوة التيار المتطرف من القوميين العرب.

وفي شهر ايار ١٩٣١ بدأت السلطات البريطانية في فلسطين بتلقي معلومات سرية تتعلق بمخطط ثوري معين يكون مسرحه الاقطار العربية والاسلامية ويرمي الى انقاذ الاقطار العربية ولا سيما فلسطين وسوريا من الحكم الاجنبي(٣٥). ودلت التقارير الاولية على ان الامير شكيب أرسلان الشخصية الدرزية اللبنانية البارزة كان قائد هذه الحركة وكان على اتصال بجميع كبار زعماء القوميين العرب في سوريا والعراق ولبنان ومصر وفلسطين ومختلف الحكام في شبه الجزيرة العربية بكاملها فضلاً عن الاقطار الاسلامية. ودلت تلك المعلومات ايضاً على ان الحاج امين الحسيني ومولانا شوكت علي الزعيم الاسلامي الهندي مشتركان في هذا «المخطط». ويقوم المخطط نفسه على تنظيم عصابات مسلحة في شرق الاردن ووادي سرحان وصحراء سيناء للعمل في كل من سوريا وفلسطين في وقت واحد(٣٦).

أما الاقطار المجاورة فيقتصر دورها على توفير المساعدات المادية وتقديم القوات والمتطوعين من مختلف الاقطار العربية والتعاون على تجديد الثورة السورية تدريجاً.

وبعد شهر واحد دلت التقارير على ان وجود انقسام في صفوف العرب الفلسطينيين من جهة وعدم انسجام العناصر الاسلامية المختلفة من جهة أخرى قد لعب دوره في عرقلة وضع هذا المخطط موضع التنفيذ في وقت مبكر. وافادت هذه التقارير ايضاً ان الامير شكيب كان على اتصال وثيق جداً بموسكو التي كانت تعتبر فلسطين القاعدة الاساسية للنشاطات السوفيتية في المنطقة. وكان لهذا الاتصال دلالته الهامة لأن الكومنترن، المنظمة الشيوعية الدولية، نجح في خضم احداث عام ١٩٢٩، في تحقيق نوع من الوحدة بين الشيوعيين العرب واليهود في فلسطين(٣٧).

وهناك عاملان ساعدا على تصديق تقارير البوليس السابقة الذكر بشأن هذا المخطط الثوري الواسع، اولهما هو الخوف من ان تتحول حملات التحريض ضد الايطاليين، وهي حملات متواصلة تولدت من الفظائع في طرابلس الغرب، الى حركة مناوئة

= أيار من كل عام يوماً للتضامن مع شعب فلسطين. أنظر «وثائق المقاومة الفلسطينية» ص١٧٦.

للاوروبيين(٣٨). أما العامل الثاني فهو اعتقاد البوليس، وهو اعتقاد كانت تشاطره اياه الادارة البريطانية في فلسطين، بان حادث قتل ثلاثة يهود في «اهافا ياجور» في الحادي عشر من نيسان ١٩٣١ «قد ارتكبه اعضاء عصابة ارهابية تعمل بتوجيه منظمة سياسية»(٣٩).

اضراب ضد تسليح الحكومة لليهود

وفي غضون فصل الصيف من عام ١٩٣١ كانت حملات التحريض موجهة ضد البريطانيين والصهيونيين على السواء. ففي المناطق العربية الخالصة، ولا سيما في منطقة نابلس، كان السخط والعداء العربي للحكم البريطاني ظاهراً جلياً. وكان زمام المبادرة في ايدي المناضلين الشباب من القوميين العرب. ووصف احد كبار موظفي وزارة المستعمرات الحالة بالعبارات التالية:

«ان العلائق بين المعتدلين الذين كانوا حتى الآن مهيمنين على اللجنة التنفيذية وبين المتطرفين، يسودها من وقت بعيد غموض ووضع مائع غير حاسم، ولكن ثمة الآن دلائل على ان العناصر المعتدلة قد اكرهت على تقديم بعض التنازلات للمتطرفين حتى تستطيع الحفاظ على قيادة ربما اصبحت الآن مزعزعة»(٤٠).

وشملت هذه التنازلات رفض اللجنة التنفيذية العربية الموافقة على مشروع الانماء والتطوير الحكومي بالنظر الى انه مبني على اساس صك الانتداب وكتاب مكدونالد الذي رفضه العرب بالاجماع(٤١). وقد اسفرت حملة صحفية عن اعلان الاضراب ضد تسليح الحكومة للمستعمرات اليهودية(٤٢).

وهنا عمدت حكومة الانتداب الى الانتقام بأن أوقفت الصحف العربية المتهمة بالتحريض والإثارة عن الصدور وقمعت بالجيش الإضراب في نابلس وأحبطت إضراباً لسائقي سيارات الأجرة أعلن خلال شهر آب. أضف الى ذلك أنها ألقت القبض على عدد من المشتركين في أعمال العنف.

الاستقلال ضمن الوحدة العربية

وفي الثامن عشر من ايلول عقد في فلسطين مؤتمران. ضم الاول الصحافيين العرب الذين اجتمعوا في يافا لاعلان استنكار سياسة القمع التي اتبعها البريطانيون في فلسطين و «المستوحاة من مبادىء الاستعمار والصهيونية والمطبقة منذ الاحتلال البريطاني»(٤٣)، واعلن

المؤتمر استياءه بنوع خاص من تعطيل الصحف العربية باوامر ادارية ومن القيود المختلفة المفروضة على حرية الصحافة.

أما المؤتمر الثاني الذي عقد في اليوم نفسه فقد كان ذا دلالة أكبر وأثر ابعد. فقد دعا مناضلو نابلس الى مؤتمر للاحتجاج ضد تسلح المستعمرات اليهودية وقمع المظاهرات التي قاموا بها في شهر آب واستعراض الحالة السائدة في فلسطين. وحضر المؤتمر شباب مناضلون توافدوا من مختلف انحاء فلسطين واعلنوا استنكارهم للمواقف التي يتبناها الوجهاء السياسيون واللجنة التنفيذية العربية نحو الحكومة. وتقرر في هذا المؤتمر ان تتركز مطالب الحركة الوطنية على «الاستقلال ضمن الوحدة العربية»(٤٤) وشن حملة من الدعاية في العالمين العربي والاسلامي واشار المؤتمر على الفلسطينيين بأن يشجعوا الصناعات الوطنية ويقاطعوا جميع المواد المستوردة باعتبار الرسوم الجمركية على هذه المواد تشكل جزءاً كبيراً من دخل الحكومة الذي يجري انفاقه على قمع الفلسطينيين. ودُعي بعد ذلك الى عقد مؤتمر للشباب الفلسطيني لاقرار هذه المبادىء والعمل على وضعها موضع التنفيذ.

المؤتمر الاسلامي

على ان اكبر هذه المؤتمرات جميعاً كان المؤتمر الاسلامي العام الذي عقد في القدس في شهر كانون الاول ١٩٣١(٤٥). وكان المأمول ان يوجه المؤتمر الاسلامي انظار الرأي العام الاسلامي إلى المشكلة الفلسطينية التي نشأت بعد ثورة البراق عام ١٩٢٩. وكان الحاج امين الحسيني يعاونه مولانا شوكت علي لولب هذه الحركة وروحها. وكان المفتي يرى في هذا المؤتمر ما يعزز موقف الفلسطينيين في وجه الصهيونية والانتداب ويكرس زعامته السياسية على فلسطين ومكانته في العالم الاسلامي. وهكذا تألفت لجنة تحضيرية برئاسة المفتي وجهت الدعوات الى الزعماء السياسيين المسلمين وكبار رجال الدين الاسلامي في مختلف انحاء العالم وعُين موعد لانعقاد المؤتمر يصادف مناسبة دينية بارزة (الاسراء والمعراج).

ولا شك ان عقد مؤتمر اسلامي في القدس ليكون بمثابة مظاهرة للاعلان عن تضامن المسلمين في شتى انحاء الأرض مع الفلسطينيين العرب، قد أثار غيظ الصهيونيين وحفيظتهم كما ان ما أضفاه المؤتمر على الحاج امين من مزيد من المكانة والنفوذ قد اثار حفيظة خصومه السياسيين الفلسطينيين ايضاً. وفي الوقت الذي كان الحماس للمؤتمر يزداد تصاعداً أخذ خصوم الحاج امين من السياسيين الفلسطينيين بقيادة آل النشاشيبي الذين

نظموا انفسهم في حزب خاص بهم يبذلون اقصى الجهود السياسية لاحباطه وذلك من خلال عقد مؤتمر آخر منافس له اسموه مؤتمر «الأمة الاسلامية»(٤٦).

ووسط استعدادات ملؤها البهجة والاستبشار افتتح الحاج امين المؤتمر الاسلامي بخشوع وذلك بحضور الشخصيات السياسية البارزة(٤٧) في العالمين العربي والاسلامي والتي قدمت من ٢٢ قطراً مختلفاً. وأكد في خطابه اهمية فلسطين للاسلام والمسلمين. وبعد اسبوعين من البحث والدراسة قرر المؤتمر انتخاب لجنة تنفيذية* واقامة فروع لها في مختلف انحاء العالم الاسلامي. واعلن المؤتمر قدسية المسجد الاقصى والاماكن المجاورة له بما في ذلك البراق، كما اعلن اهمية فلسطين بالنسبة للعالم الاسلامي وشجب الصهيونية والسياسة البريطانية في فلسطين. واقترح، فضلاً عن ذلك، انشاء جامعة اسلامية تسمى جامعة المسجد الاقصى وانشاء شركة أراضٍ اسلامية لانقاذ الأراضي العربية والحيلولة دون سقوطها في ايدي الصهيونيين. وفي غضون الجلسة الاخيرة للمؤتمر اعلن الاعضاء شجب الاستعمار الغربي (بما في ذلك الاستعمار البريطاني) في جميع البلاد الاسلامية. وأثار عدم الاهتمام الذي قابل به البريطانيون مطالب المؤتمر، السخط والاستياء.

على ان الحماسة والنشاط اللذين خلقهما المؤتمر كانا الى حد ما مظهرين خادعين. ذلك ان الفلسطينيين لم يجنوا فيما بعد من انعقاد المؤتمر أية فوائد ملموسة، فقد انتكست اللجنة التنفيذية بسبب ما هيمن على اعضائها من الاهمال والانانية وتحولت الى هيئة فخرية غير فعالة. وفشلت الرحلة التي قام بها الحاج امين لجمع التبرعات للجامعة ولشركة الاراضي وذلك بسبب النفوذ البريطاني لدى اغنياء المسلمين كما يرى السيد عزت دروزة(٤٨).

الميثاق القومي العربي

وكان المؤتمر الاسلامي يضم عدداً كبيراً من الاعضاء البارزين السابقين في جمعية «العربية» الفتاة وجمعية «العهد» (١٩٠٨ - ١٩١٨) واقطاب نظام حكم فيصل السابق في دمشق المعروفين بالاستقلاليين (اعضاء حزب الاستقلال). وكان هؤلاء يحملون وجهات نظر قومية عربية اكثر منها اسلامية ومن ثم فقد انتهزوا فرصة انعقاد المؤتمر ليبحثوا شؤون الوطن العربي وليضعوا خطة للعمل المنسق. وقبل يوم أو يومين من انتهاء المؤتمر الاسلامي

---

* ضمت سعيد ثابت وسعيد الجزائري وشكري القوتلي وضياء الدين الطباطبائي وعبدالرحمن عزام وعبدالعزيز الثعالبي ومحمد إقبال ومحمد حسين آل كاشف الغطاء ومحمد رشيد رضا ومحمد علي علوبة ومحمد العربي بنونه ورياض الصلح.

اجتمع نحو ٥٠ عضواً منهم في منزل عوني عبد الهادي ووضعوا «الميثاق القومي العربي»*.

وأوضح المؤتمرون في هذه الوثيقة البارزة العواقب السياسية الوخيمة لانقسام العالم العربي وتشرذمه وقرروا مكافحة الاستعمار والنضال في سبيل استقلال جميع الاقطار العربية وتوحيدها. وانبثقت من هذا الاجتماع لجنة تنفيذية اختير معظم اعضائها من الفلسطينيين (عوني عبدالهادي وعزت دروزة وصبحي الخضرا «فلسطين» وعجاج نويهض وأسعد داغر «لبنان» وخيرالدين الزركلي «سوريا») مهمتها نشر «الميثاق القومي» وتعميمه والاعداد لمؤتمر عام يضم مندوبين من جميع الأقطار العربية وذلك للبحث عن الوسائل والخطط اللازمة لتنفيذ الميثاق على مستوى شعبي في البلاد العربية كلها. وقد عبر عن رأي الصهيونيين في هذا الصدد الدكتور برودتسكي ضابط الاتصال مع الحكومة البريطانية في لندن في حديث له مع كبار المسؤولين في وزارة المستعمرات قال فيه ان الحركة الصهيونية تعتبر فكرة الوحدة الاسلامية فاشلة ولكن الصهيونية تشعر بقلق شديد إزاء حركة الوحدة العربية(٤٩).

وسرعان ما بدأت اللجنة التنفيذية باجراء الاتصالات اللازمة وكانت حريصة بنوع خاص على الظفر بتأييد الملك فيصل ومساندته فقد كان صديقاً قديماً لاعضائها وهو الآن - في ذلك الحين - رئيس دولة عربية مجاورة «مستقلة». ورحب فيصل اول الأمر بفكرة عقد مؤتمر قومي عربي في بغداد ووعد بأن لا تتدخل الحكومة في الأمر. ولكنه نكث فيما بعد بعهده بعد ان نصحه المندوب السامي بان لا يورط العراق في المشكلات العربية(٥٠). وهكذا انهارت الفكرة وعاد دعاتها خائبين مغتمين ولا سيما الفلسطينيون منهم.

ومهما يكن من أمر فان المؤتمر الاسلامي وجه ضربة قاضية للجنة التنفيذية العربية لأنه أدى إلى تبادل الاتهامات بين حزبي النشاشيبي والحسيني. وجاء تشكيل حزب آل النشاشيبي بمثابة خطوة اخرى نحو تفكيك جبهة سياسية كان الانحلال قد بدأ يدب في صفوفها حتى قبل ذلك.

---

* جاء جاء نص الميثاق على الوجه التالي:

المادة الاولى: ان البلاد العربية وحدة تامة لا تتجزأ وكل ما يطرأ عليها من انواع التجزئة لا تقره الأمة ولا تعترف به.

المادة الثانية. توجه الجهود في كل قطر من الاقطار العربية الى جهة واحدة هي استقلالها التام كاملة موحدة ومقاومة كل فكرة ترمي الى الاقتصار على العمل للسياسات المحلية والاقليمية.

المادة الثالثة: لما كان الاستعمار بجميع اشكاله وصيغه يتنافى كل التنافي مع كرامة الامة العربية وغايتها العظمى فان الأمة العربية ترفضه وتقاومه بكل قواها.

أما المؤتمر العربي القومي و «الميثاق القومي» الصادر في الثالث عشر من كانون الاول ١٩٣١ فقد رفع من مكانة الاستقلاليين الفلسطينيين ودفعهم نحو مستوى جديد من النشاط والكفاح. وظهرت آثار هذا الموقف الجديد من البريطانيين خلال المهرجانات التي عمت البلاد لمناسبة الذكرى السنوية لانتصار صلاح الدين على الصليبيين في معركة حطين والخطب المعادية للسياسة البريطانية التي القيت في تلك المناسبة: وانسجاماً مع هذا التطور كتب صبحي الخضرا مقالا نارياً في صحيفة الجامعة العربية عزا فيه إلى السياسات البريطانية كل مآسي الفلسطينيين والعرب. وظهرت في الصحيفة نفسها عدة مقالات لعزت دروزة حث فيها العرب على محاربة السياسات البريطانية والاتحاد في وجه المخاطر وتجديد حملتهم الرامية الى الظفر بالحرية والاستقلال.

حزب الاستقلال العربي

كان التحريض ضد البريطانيين بمثابة تمهيد لتأسيس حزب الاستقلال العربي الذي كان عزت دروزة وصبحي الخضرا من اعضائه المؤسسين. وكان الاستقلاليون قد عقدوا قبل تأسيس حزبهم في آب ١٩٣٢ عدة محادثات مع المفتي حثوه فيها على ضرورة معارضة السياسة البريطانية والانتداب. ولكن الحاج امين امتنع حينذاك لاسباب تتعلق بمركزه الرسمي ومصالحه الشخصية، عن الارتباط بخط سياسي مناهض للسياسة البريطانية بصورة سافرة. وكان زعماء حزب (الاستقلال) الفلسطيني من الاعضاء القدماء البارزين في الحركة الاستقلالية القديمة ١٩١٩-١٩٢٥.

وعزا الاستقلاليون في بيانهم الأول(٥١) اسباب الفوضى المحزنة التي تسود صفوف الحركة الوطنية الى الانانية والمصلحة الذاتية التي تهيمن على الوجهاء السياسيين الخاضعين للحكام الاستعماريين* وعاهد مؤسسو الحزب انفسهم على الكفاح ضد الاستعمار وجهاً لوجه ومحاربة الهجرة اليهودية وبيع الأراضي ومحاولة اقامة حكم عربي برلماني والعمل على تحقيق الوحدة العربية الكاملة.

وأتبعوا حملتهم على الوجاهة السياسية الدعوة الى الغاء الالقاب العثمانية الاقطاعية باشا وبك وافندي. وكانت اجتماعاتهم العامة ومواثيقهم تهدف الى العمل على نشر مبادىء

* اتهمت صحيفة العرب الاستقلالية بعض اعضاء اللجنة التنفيذية بأنهم سماسرة اراضي لليهود. راجع «العرب» ١٩٣٢/٩/١٧.

الحزب وشعاراته وكسب اكبر قدر ممكن من تأييد الفلسطينيين ومشاركتهم في الحياة السياسية.

وفي عام ١٩٣٢ عقد في يافا مؤتمر للشباب الفلسطيني لبحث الطرق والوسائل الكفيلة بتجنيد الشباب العربي لخدمة الحركة الوطنية العربية في فلسطين وقرر تبني مبادىء «الميثاق القومي» واقامة فروع له في المدن والقرى وتشجيع الصناعات الوطنية وتنظيم حركة كشفية وطنية تضم عدداً كبيراً من الشباب العرب ذوي الأجسام السليمة(٥٢).

وجرت مساع للاستفادة من نشاط المرأة الفلسطينية أيضاً. ففي مذكرة طويلة للجنة الانتدابات الدائمة، قدمت اللجنة التنفيذية للمؤتمر النسائي العربي الاول شكاوى الفلسطينيين ولا سيما الفلاحون منهم واشارت الى عجز سلطة الانتداب عن حمايتهم من ترك أراضيهم* ودعت الى إلغاء تصريح بلفور وصك الانتداب وتشكيل حكومة وطنية مسؤولة امام مجلس تمثيلي منتخب وذلك تمهيداً للوصول الى الاستقلال التام ضمن اتحاد فيدرالي عربي(٥٣).

وعقدت مؤتمرات خاصة بشأن الضرائب في ربيع عام ١٩٣٢ قدمت خلالها مذكرات احتجاج ضد السياسات الضريبية للحكومة(٥٤). فقد شكل صندوق الامة (العربي) تعاونية عربية لاستصلاح الاراضي وانقاذ الاراضي العربية المعرضة للسقوط في أيدي المشترين الصهيونيين(٥٥).

وكانت مواقف الصهيونيين العنيدة وعجز الحكومة عن تنفيذ وعودها بشأن اقامة مؤسسات للحكم الذاتي كالمجلس التشريعي مثلاً تسهم في تعزيز نفوذ الاستقلاليين.

ففي ايلول ١٩٣٢ تمكن الاستقلاليون من اقناع اللجنة التنفيذية العربية بالموافقة على قرار يعلن انه يحظر على أي عربي ان يقبل تعيينه عضواً في هيئة او مجلس حكوميين او التعاون بأي شكل مع الحكومة. ومهما يكن من أمر فقد كتب واكهوب يقول «ان المفتي وعدداً من اعضاء حزب آل النشاشيبي الذين يؤيدونني سيتخذون، على الأرجح، اجراءات لعرقلة تنفيذ هذا القرار»(٥٦).

---

* في شتاء ١٩٣٢ ابلغ المندوب السامي وزير المستعمرات ان فقراء الفلاحين يضطرون لشراء الطحين وانهم فقدوا نصف ماشيتهم بسبب المجاعة وان شعوراً باليأس يطغى على عرب فلسطين ٣٢/٣/٥ و٠٢ ٢١٥/٧٣٣.

وعلى الرغم من التحريض الذي مارسه الاستقلاليون ضد بريطانيا فقد ظل الحاج امين يتعاون مع الحكومة على نحو ملحوظ .

«لقد استجاب المفتي بالتأكيد الى مدى الثقة التي وضعت فيه ، ومن المرضي جداً للحكومة انه وبعض اعضاء حزب آل النشاشيبي الاكثر اعتدالاً يعملون الآن معاً مع الحكومة»(٥٧) .

وبعد اسبوعين كتب واكهوب يقول ان عوني عبد الهادي الزعيم الاستقلالي البارز استقال من مجلس المواصلات الأمر الذي ضايق الاعضاء الآخرين في المجالس الحكومية . وعندئذ كتب واكهوب الى وزير المستعمرات ينصحه بالبدء في إنشاء مجلس تشريعي ويقول انه ما لم يتم ذلك فان «المتطرفين العرب سيظفرون بالسيطرة التامة ويصبح التعاون اشد صعوبة وبالتالي مستحيلاً»(٥٨) .

اجتماعات ومواقف

واوضح الاستقلاليون خطهم السياسي الجديد بجلاء تام في رد هام ومسهب على خطاب القاه المندوب السامي أمام لجنة الانتداب الفلسطينية بجنيف . وفي هذا الرد كرروا رفضهم لتصريح بلفور والانتداب وفضحوا الدعائم الأساسية للحلف القائم بين الصهيونية والاستعمار البريطاني .

وأكدوا ان ثلث ميزانية البلاد مخصص لشؤون الدفاع والامن بسبب محاولة سلطة الانتداب بناء وطن قومي اجنبي خلافاً لادارة الفلسطينيين . واضطر الفلسطينيون ، نتيجة لهذه السياسة ، الى تحمل اعباء ثقيلة من مختلف انواع الضرائب واصبح الفلاح بنوع خاص في حالة يائسة «وبالاضافة الى ذلك ، امتنعت الحكومة عامدة عن الوفاء بالتزاماتها نحو العرب ، اصحاب البلاد الشرعيين ، في المجالات الحيوية كالتعليم والتشريعات اللازمة لتنظيم شؤون الاراضي والهجرة(٥٩) .

ولقد حملت بادرة الاستقلاليين هذه وزيادة الهجرة اليهودية اللجنة التنفيذية العربية على دعوة عدد من الزعماء السياسيين بمن فيهم زعماء حزب الاستقلال وحزب مؤتمر الشباب الى الاجتماع في الرابع والعشرين من شباط ١٩٣٣ برئاسة موسى كاظم الحسيني . وفي غضون المباحثات التي جرت في هذا الاجتماع شن الشباب القومي العربي حملات عديدة على الزعماء اللامبالين ودمغ سماسرة بيع الاراضي بالخيانة . وعرضت آراء مختلفة بينها ما

ينطوي على الاعتقاد بأن العصيان المدني ومقاطعة البضائع البريطانية تشكل اقوى سلاح لاكراه الحكومة على الاصغاء الى شكاياتهم(٦٠). واقنع موسى كاظم الحسيني المجتمعين، خلافاً لرأي الاكثرية الساحقة من الحضور، بانتخاب وفد لمقابلة المندوب السامي في اليوم نفسه. وابلغ الوفد المندوب السامي ضرورة حماية السكان العرب من انتزاع ملكية اراضيهم وطردهم منها* وذلك بإصدار قوانين لحظر بيع الاراضي والهجرة اليهودية. غير ان جواب واكهوب لم يكن مشجعاً الامر الذي حمل الزعماء العرب اخيراً على تقرير الدعوة الى اجتماع عام يعقد في يافا في السادس والعشرين من اذار وذلك لوضع اسس عدم التعاون مع الحكومة.

وحضر اجتماع يافا ما يتراوح بين ٥٠٠ و٦٠٠ نسمة من مختلف الطبقات والاحزاب بينهم اعضاء اللجنة التنفيذية العربية والحاج امين الحسيني ومعظم رؤساء بلديات المدن الرئيسية في فلسطين. وبحثت في الاجتماع سياسة عدم التعاون، واقترح الاستقلاليون مقاطعة الحكومة اجتماعياً وسياسياً والامتناع عن دفع الضرائب المباشرة كالاعشار والويركو (ضريبة الأرض) وضريبة العقارات كما بحثت مقاطعة البضائع البريطانية واليهودية. بيد ان:

«النزاع الحزبي بين انصار المفتي وخصومه هيمن على الاجتماع.. وكان من الواضح ان الهم الأول لخصوم المفتي انما كان وضع الحاج امين في مركز حرج من حيث الاصرار على استقالته(٦١) من منصب رئاسة المجلس الاسلامي الاعلى باعتبار ذلك الخطوة الاولى من سياسة عدم التعاون». ولم تكن الخصومة التقليدية بين آل الحسيني وآل النشاشيبي هي العقبة الوحيدة في وجه سياسة عدم التعاون، فقد كان الملاكون من الحضور يخشون مغبة الامتناع عن دفع الضرائب. وهكذا اقر المؤتمر مبدأ عدم التعاون على أن يقتصر ذلك على ميدان مقاطعة استقبالات الحكومة وعضوية المجالس الحكومية على الصعيدين السياسي والاجتماعي ومقاطعة البضائع البريطانية والصهيونية على الصعيد الاقتصادي. أما عدم التعاون على الصعيد الاخطر أي صعيد الامتناع عن دفع الضرائب فقد سادت بشأنه وجهة نظر طبقة الملاكين** واحيلت المشكلة على لجنة متفرعة من اللجنة التنفيذية العربية تضم

---

* قبل يومين من انعقاد المؤتمر جرت محاولة لطرد الفلاحين العرب من اراض اشتراها اليهود تقع بالقرب من طولكرم مما ادى الى اشتباكات اسفرت عن مقتل خفير يهودي.

** اشارت جريدة «فلسطين» الى ان الذين ينادون بعدم دفع الضرائب هم الذين لا تترتب عليهم =

مندوباً واحداً من كل حزب وذلك لدراسة شتى الملابسات والاساليب التي تفضي الى تنفيذ فكرة عدم التعاون. وكان قد اتخذ قرار مماثل قبل ذلك بعشرة اعوام وانتهى بموت الفكرة كلياً. ولوحظ ان المؤتمر كان يسيطر عليه انصار المفتي. أما راغب النشاشيبي فلم يحضره كما ان انصاره انسحبوا قبل وصول الاجتماع الى نهايته. وجاءت تهدئة سياسة عدم التعاون انعكاساً لعلاقات الحاج امين الودية بالمندوب السامي وللمصالح الاساسية لبعض السياسيين من انصاره.

وعلى الرغم من موقف القيادة الفاتر، فقد كان الرأي العام، يتجه نحو عداء اشد للسلطات. فعندما زار وزير المستعمرات فلسطين في نيسان ١٩٣٣، دعت اللجنة التنفيذية الى مقاطعته وادعت انه قادم «لتعزيز دعائم الاستعمارين البريطاني والصهيوني»(٦٢)وتمهيد الطريق امام طرد العرب واستقدام المزيد من المهاجرين اليهود الى البلاد على أثر تسلم هتلر والحزب النازي زمام الحكم في المانيا(٦٣).

بيد ان اللجنة التي اقترح تشكيلها لدراسة مشكلة عدم التعاون لم تظهر الى الوجود وكتب المندوب السامي يقول ان الزعماء كانوا متخوفين من العواقب القانونية وان من المؤكد ان لا يشترك انصار آل النشاشيبي في هذه اللجنة بل ان الاستقلاليين انفسهم لم يكونوا متحمسين. وكان طرد اليهود عرب وادي الحوارث بمساعدة قوات الحكومة هو المحور الذي دارت حوله سياسة التحريض العربي ضد الهجرة اليهودية وسياسة الحكومة طيلة صيف عام ١٩٣٣. وفي العاشر من آب وضعت دائرة التحقيقات الجنائية تقريراً سياسياً جاء فيه أن الزعماء السياسيين يعكفون على بحث الوسائل التي تكفل استصلاح الاراضي وانقاذها وان الوفود تزور وادي القباني لتحذير الناس من بيع اراضيهم لليهود.

تعاظم الهجرة الصهيونية

كان تدفق سيل الهجرة الصهيونية من شرعية وغير شرعية قد أثار فزع السكان العرب* كما ان قرارات المؤتمر الصهيوني المعقود في براغ والذي دعا الى فتح ابواب فلسطين

= ضرائب كما أن الذين يدعون لمقاطعة الحفلات الحكومية هم الذين لا توجه اليهم دعوات لحضور هذه الحفلات.

* في رسالة بعث بها الى وزير المستعمرات افاد واكهوب بان السيطرة على الهجرة اليهودية الى فلسطين مفقودة تماماً منذ صيف ١٩٣٢، واكهوب الى كنليف ليستر ٥-٨-١٩٣٣و.م.

امام هجرة غير محدودة بالنظر الى ما يعانيه يهود المانيا من اضطهاد النازيين قد زادت الطين بلة وصبت الزيت على النار المشتعلة(٦٤) بل ان اللجنة التنفيذية العربية نفسها قد اقتنعت بضرورة اتخاذ موقف اشد صلابة وقررت خلال اجتماع عقد في اوائل شهر ايلول القيام بمظاهرة عامة في القدس في اليوم الثالث عشر من الشهر وذلك دون طلب اذن من الحكومة. وتقرر ان تضرب المدن العربية الأخرى في ذلك اليوم نفسه.

وحاولت الحكومة في أول الأمر ان تقنع الزعماء بعدم اللجوء الى هذا التحدي لسلطتها، فاستجاب راغب النشاشيبي لهذا الطلب(٦٥) ولكنها طلبت فيها بعد ان لا تتجاوز مسيرة المظاهرة حدود البلدة القديمة. وسار في طليعة المظاهرة زعماء العديد من الفئات السياسية الأمر الذي أوحى بقيام وضع من الوحدة والتصميم لم يسبق له مثيل. وفي النهاية اصطدم المتظاهرون بالبوليس واتخذت السلطات اجراءات قانونية ضد عدد من الزعماء العرب. وفي اعقاب المظاهرة اجتمع اعضاء اللجنة التنفيذية في منزل موسى كاظم الحسيني وقرروا القيام بمظاهرة اخرى في يافا بعد اربعة اسابيع. وفي مذكرة للمندوب السامي مؤرخة في الثلاثين من ايلول، اتهم عدد من الوطنيين العرب من نابلس حكومة فلسطين بالعمل على القضاء على عرب فلسطين واحلال اليهود محلهم كما هددوا باللجوء الى اجراءات للدفاع عن النفس ضد السيل المتدفق من المهاجرين اليهود.

وفي الثامن من تشرين الثاني قررت اللجنة التنفيذية القيام بمظاهرة اخرى في القدس في الثالث عشر من الشهر وذلك تحدياً لاوامر المندوب السامي. وقبل ان تنتهي صلاة الجمعة كانت الحوانيت قد اغلقت ابوابها كما كان عشرات من المسيحيين ونحو ٥٠ امرأة ينتظرون خارج أبواب الحرم الشريف للانضمام الى المظاهرة ساعة انطلاقتها. وكان اشتراك عدة ألوف في المظاهرة بمثابة كشف للنقاب عن مدى العداء الذي يكنه العرب للبوليس. وقد جرح في هذه المظاهرة خمسة من أفراد البوليس وستة من المتظاهرين.

وجهاً لوجه امام بريطانيا

لقد عبرت عن المشاعر السائدة والاستراتيجية الجديدة مقالة ظهرت في صحيفة الجامعة العربية بعددها الصادر في السابع عشر من تشرين الاول وجاء فيها:

«اركلوا هؤلاء الصهيونيين بأقدامكم وقفوا وجهاً لوجه امام بريطانيا العظمى..

فالصهيونية ليست سوى مشروع اجرامي تشجعه بريطانيا وتحميه بحراب جنودها، وهي تهدف الى قمع العرب واخضاعهم لارادتها».

ومع ان اكثر الاستقلاليين، دعاة الاستراتيجية الجديدة، لم يكشفوا عن اتجاهات يسارية، إلا ان التحريض الذي كانوا يمارسونه ضد «القيادة اللامبالية» دفع بعض عناصر الحزب نحو تبني المفهوم اليساري للوطنية، ففي حملة عنيفة شنها عزت دروزة على النفعيين من الفلسطينيين وضمنها مقالاً نشره في صحيفة العرب الصادرة في ٢١ حزيران ١٩٣٣، قال:

«ان القضية الوطنية هي في الحقيقة قضية السواد الاعظم من الشعب لانه هو الذي تقع عليه اعباء وشرور الاستعمار والصهيونية في بلادنا في الدرجة الاولى.. ونحن اذ نحصر طبقات الشعب في بلادنا نعرف بالبداهة من أي منها السمسار وبائع الأرض، ومن أي منها ذلك الذي يستمد جاهه ونفوذه ومركزه من السلطات الاستعمارية مقابل ما يمنحه لها من الولاء والطواعية والتطوع.. ثم من اي منها الذين تواروا تحت اطباق الثرى او ظلمات السجون في سبيل بلادهم، ومن أي منها الذين يشردون في كل يوم عن اراضيهم تنفيذاً لجريمة السمسرة وبيع الأراضي التي يرتكبها السماسرة والملاك.

«إن الذي يستطيع أن يترك الدار تنعي من بناها هو الغني السري الذي يكون له من المال ما يساعده على الانتقال... اما الذين لا يملكون ارضاً وليسوا بأصحاب ثروة فهم الذين يبقون في الميدان وهم الذين يسقطون في المعركة ضحايا الظلم واللؤم».

وفي الوقت الذي كانت فيه حملة الاستقلاليين الجذرية تزداد قوة كان مركز الزعامة التقليدية يزداد تزعزعاً. وقبل يومين من مظاهرة يافا، اوضح الوجهاء لواكهوب «المأزق» الذي يجدون انفسهم فيه فقالوا:

«لم يسبق لنا قط أن لجأنا حتى الى المظاهرات السلمية ولكننا نجد الآن انفسنا مدفوعين اليها بواسطة الشعب نفسه. ولقد كنا نأمل، ونحن نواجه هذا المأزق، أن تقوم الحكومة بمساعدتنا بدل ان تكرهنا على قيادة الشعب الى اضطرابات اشد خطورة»(٦٦). وبعد ثلاثة أيام بعث الزعماء العرب الى واكهوب يقولون: «كان الزعماء في الماضي قادرين على تهدئة الشعب ولكنهم الآن فقدوا نفوذهم لديه»(٦٧).

انتفاضة ١٩٣٣

وكان تصاعد التحريض ضد الحكومة يشير الى انفجار وشيك كما ان الاعدادات الشاقة التي اتخذتها منظمات الشباب الفلسطينية لمظاهرة يافا اشارت الى الزمان والمكان اللذين يتوقع ان يحدث فيهما الاصطدام مع الحكومة. وتجمعت في المرفأ العربي وفود المناضلين السياسيين القادمين من شتى المدن الفلسطينية ووفد عن نساء القدس (كن اشد جرأة واقداماً من رجالهن في وجه المندوب السامي)(٦٨) بالاضافة الى وفود خاصة من سوريا وشرقي الاردن.

وفي اليوم المحدد للمظاهرة احتشد اكثر من سبعة الاف متظاهر غاضب مسلحين بالعصي والهراوات. وفي غضون الاصطدامات التي تلت ذلك قتل واحد من افراد البوليس وجرح ٢٥ فردا. اما المتظاهرون فقد قتل منهم ١٢ شخصاً وجرح ٧٨ والقي القبض على عشرات من افراد الشعب بينهم عدد من زعماء المناضلين الشباب.

وعند سماع انباء ما سماه العرب فيها بعد مجزرة يافا التهبت مشاعر الرأي العام الفلسطيني واعلن الاضراب العام في البلاد. ونشبت اضطرابات ومظاهرات عفوية اصطدمت بافراد البوليس في كل من حيفا ونابلس مساء اليوم نفسه. وفي اليوم التالي اقيمت الحواجز والمتاريس في شوارع حيفا وهوجمت محطة سكة الحديد فاطلق البوليس النار على الجماهير واصاب العشرات منهم بجروح. وهنا فرضت السلطات منع التجول على مدينة حيفا واقفل ميناؤها ثلاثة ايام على الرغم من أن حاكم اللواء الشمالي كان مقتنعاً بان وجهاء حيفا «بذلوا اقصى ما في وسعهم للمساعدة على الحيلولة دون تفاقم الحالة»(٦٩).

أما صفد والناصرة وطولكرم فقد احتلتها قوات بريطانية منذ الساعات الأولى من اليوم الثامن والعشرين من تشرين الأول ولكن ذلك لم يحل دون قيام المظاهرات والقاء الحجارة على تلك القوات. وأما في عكا فقد استخدم الشيخ اسعد الشقيري نفوذه للحيلولة دون وقوع مظاهرة كان من المقرر القيام بها. وفي نابلس بلغ التوتر مداه ولكن دون ان تقع اصطدامات واسعة بفضل المساعي التي بذلها رئيس البلدية واستحق بسببها ثناء شخصياً من حاكم اللواء. وأما في وادي الحوارث فقد حال دون نشوب الاضطرابات «وصول طائرات سلاح الجو الملكي في الوقت المناسب»(٧٠).

وانتظرت القدس انباء مظاهرات يافا بقلق بالغ ووصل اليها بالسيارات عدد من شباب نابلس المتقدين حماسة وزاروا الزعماء الذين كانوا قد عادوا من يافا. وفي صباح اليوم

التالي اخذت المخازن تقفل ابوابها وتجمعت حشود من المتظاهرين الذين هاجموا البوليس بالحجارة ، وفي اثناء الليل بدأ القناصة نشاطهم في منطقة جبل المكبر المجاورة وكان هذا النشاط «موجهاً نحو معسكر البوليس البريطاني ونحو منزل رئيس البلدية»(٧١).

وفي التاسع والعشرين من تشرين الاول قذفت الجماهير العربية القنابل اليدوية على افراد البوليس. وفي أحد اماكن الاصطدام هذه فتح البوليس النار على الجماهير فأوقع بها اصابات فادحة(٧٢). وزداد التوتر بتزايد عدد الوفيات بين المصابين واستؤنف خلال الليل اطلاق النار على القوات البريطانية ومكاتب الحكومة. وظلت المخازن العربية مقفلة الابواب « وساد الاعتقاد بان الاضراب مستمر بنفوذ آل الحسيني وبتأييد قوي من المجلس الاسلامي الاعلى وذلك احتجاجاً على استمرار اعتقال جمال الحسيني»(٧٣) . واعيدت الرقابة على الصحف فامتنعت الصحف العربية احتجاجاً على ذلك عن الصدور . وظل الاضراب العام مستمراً حتى الثالث من تشرين الثاني عندما دعت اللجنة التنفيذية العربية إلى فكّه.

ولم يتردد واكهوب في ابلاغ كنليف ـ ليستر ان انتفاضة تشرين الاول ١٩٣٣ كانت «ذات طابع معاد للبريطانيين وللحكومة . . . اذ لم تقع اعتداءات على اليهود»(٧٤) . وعزا المندوب السامي الاسباب المباشرة لتلك الانتفاضة الى الرغبة الجامحة في الاحتجاج على الهجرة اليهودية :

« وسيكون من الخطأ ، على كل حال ، تصور ان الهجرة واقامة الوطن القومي اليهودي هي السبب الوحيد للاضطرابات . فثمة شعور قومي أصيل وحقيقي آخذ في النمو باستمرار،وهو في فلسطين أشد منه في أيّ مكان آخر وهو ينطوي على شعور أشد مرارة نحو الحكومة البريطانية ولكنه فوق ذلك ينعكس في اجزاء اخرى من العالم العربي ايضاً»(٧٥).

وكان رد الفعل لانتفاضة عام ١٩٣٣ في الاقطار العربية المجاورة قوياً إلى حد يلفت النظر. فقد غدت فلسطين محور الاهتمام العربي ومركز استقطاب المشاعر القومية العربية(٧٦).

وعلى أثر انتفاضة ١٩٣٣ اضطر واكهوب أمام ما عاناه العرب من وحشية البوليس الى تعيين لجنة تحقيق للنظر في هذه الاتهامات . فألفت لجنة موريسون ـ تراستد التي قصرت تحقيقاتها على رواية الوقائع والتطورات التي جرت خلال اسبوع الاضطرابات في مدن

فلسطين الرئيسية . ويستفاد من تقرير اللجنة ان أحد رجال البوليس قد قتل كما قتل ٢٦ مواطناً عربياً في حين بلغ عدد الاصابات في مدن فلسطين الرئيسية بين افراد البوليس ٥٦ اصابة وبين العرب ١٨٧ اصابة(٧٧).

والحقيقة ان احداث عام ١٩٣٣ كشفت النقاب عن وجود تصميم متصاعد لدى الفلسطينيين، فقد شغلت هذه الأحداث أسبوعاً لم يسبق له مثيل من حيث قوة الاضطرابات والاصطدامات مع قوات الحكومة في مختلف انحاء فلسطين مما دل على عمق المشاعر العربية ضد سياسة الوطن القومي اليهودي . ثم انها برهنت كذلك على أن العرب مصممون على اللجوء الى العنف(٧٨) للحيلولة دون تنفيذ مضمون صك الانتداب وان هدفهم الحقيقي انما هو الاستقلال الوطني.

مصالح بريطانيا وسياستها

وكانت نظرة الحكومة البريطانية إلى هذه الحالة المتدهورة مقترنة هي الأخرى بالقلق اذ لم تعد المصالح الاستعمارية البريطانية في فلسطين مقصورة على الدفاع عن قناة السويس بل امتدت إلى الدفاع كذلك عن خط انابيب الموصل ـ حيفا ومرفأ حيفا وطريق الخطوط الجوية الامبراطورية الى الهند عبر غزة ، كل ذلك جعل من فلسطين حلقة هامة في الاستراتيجية الاستعمارية وشبكة مواصلات الامبراطورية(٧٩).

ومهما يكن من أمر فان تعزيز الاتجاه الثوري داخل الحركة الوطنية الفلسطينية افضى إلى تعزيز الروابط والتعاون بين الصهيونيين والبريطانيين. وهكذا اتجهت الحكومة نحو التجاوب مع مطالب الصهيونيين « بارجاء مشكلة اقامة مجلس تشريعي إلى موعد غير محدد»(٨٠) . وفي مقابل ذلك طمأن بن غوريون الزعيم الصهيوني الواسع النفوذ، واكهوب على ان :

« . . . اليهود يريدون أن تصبح فلسطين جزءاً صغيراً من الامبراطورية البريطانية ففي ذلك وحده تكمن سلامتها»(٨١).

وعلى الرغم من أن الوضع كان متفجراً فان واكهوب لم يكن منزعجاً إلى القدر الذي كان متوقعاً وذلك لاسباب رئيسية ثلاثة :

« اولاً، لأن طابع الاضطرابات كان سياسياً . ثانياً ، لأن الفلاحين لم يشتركوا في

الاضطرابات . وثالثاً ، لأن الزعماء لم يظهروا قدرة على التنظيم»(٨٢) .

زعامة الحاج امين الحسيني

وقدّر واكهوب ، وبحق ، أن الحاج امين الحسيني هو القوة الفلسطينية الوحيدة القادرة على تغيير الموقف . وكان واكهوب مطمئناً إلى صداقة الحاج أمين رغم وطنيته بالنظر إلى :

«الاتفاق الذي عقدته الحكومة في العام الماضي مع المجلس الاسلامي الاعلى وإلى علاقاتي الشخصية الممتازة (في ذلك الحين) مع المفتي وغيره من اعضاء المجلس الاسلامي الاعلى »(٨٣) .

وكان الاتفاق موضوع البحث اتفاقاً مؤقتاً منحت الحكومة بموجبه للمجلس الاسلامي الاعلى حق السيطرة الكاملة على اموال « الاوقاف» وذلك مكافأة للمفتي على ممارسة « سلطته الواسعة على الفلاحين للحيلولة دون انقيادهم للمتطرفين»(٨٤) . وعندما نجح الحاج امين في كبح جماح المظاهرات العربية التي قامت في منتصف كانون الثاني ١٩٣٤ ضد السياسة البريطانية(٨٥) وافق وزير المستعمرات على تحويل الاتفاق المؤقت المذكور إلى اتفاق دائم يخول بموجبه المفتي صلاحية الاشراف التام على اموال الوقف وذلك عرفاناً منه لموقف المفتي السابق الذكر(٨٦) .

ولا شك ان نجاح الحاج امين في الوصول إلى مستوى الصدارة ضمن صفوف الحركة الوطنية في فلسطين مع الاحتفاظ بعلاقات ودية مع المندوب السامي وموقف متساهل نسبياً تجاه البريطانيين في وقت اخذ التناقض فيه بين الطرفين يزداد حدة ، ينم عن مهارة سياسية كبيرة . وليس من الممكن تفسير ذلك إلا في ضوء الحالة القائمة داخل المعسكر السياسي الفلسطيني العربي في ذلك الحين. كان خصوم الحاج امين الرئيسيون هم آل النشاشيبي الذين كانوا أشد منه موالاة للبريطانيين ومن ثم كانت اتهاماتهم له بأنه يعمل طبقاً لتعليمات واكهوب(٨٧) غير ذات أثر ـ ومن الناحية الأخرى لم تكن الكتل الوطنية العربية الاكثر تطرفاً لتشكل تحدياً له او خطراً حقيقياً عليه . ذلك ان حزب «الاستقلال» لم يعد قوة منظمة فعالة بعد منتصف عام ١٩٣٣ . ويعود ذلك في الدرجة الاولى إلى الجهود التي بذلها الحاج امين لاضعاف مكانتهم في الحركة الوطنية(٨٨) . ويقول السيد اميل الغوري أحد اعوان الحاج امين المثقفين ان المفتي كان قد اقام تعاوناً وتحالفاً مع العديدين من الاستقلاليين البارزين في

اعقاب تدهور الحزب عام ١٩٢٣ (٨٩).

وفي اعقاب انتفاضة عام ١٩٣٣ حافظ المفتي على موقفه الودي من البريطانيين دون ان يعلق آمالاً كبيرة على امكان احداث أي تغيير بارز في السياسة البريطانية . وكان واكهوب مقتنعاً بان الحاج امين رجل معتدل راغب في مساعدة الحكومة على حفظ النظام :

« انني واثق من ان المفتي يحبني ويحترمني ويحرص على تقديم العون لي . . . وهو يدرك حماقة الاصطدام والتظاهر غير القانونيين بالسلطة ولكنه يخشى أن تؤدي الانتقادات التي يوجهها اليه خصومه الكثيرون ويتهمونه فيها بانه موال جداً للبريطانيين الى الانتقاص من نفوذه في البلاد . وعلى كل حال فالحقيقة هي ان نفوذه الذي يضع ثقله الى جانب الاعتدال هو ذو قيمة مؤكدة . ولو وضع هذا الثقل في الجانب الآخر فانني واثق من ان نشوب اضطرابات واسعة يصبح أمراً لا مفر منه»(٩٠).

ولا بد من القول بان احترام الحاج أمين للسلطة واعتباره التظاهر والاعمال غير القانونية حماقة انما هو انعكاس لخوفه من القوة العسكرية البريطانية من جهة وادراكه من جهة اخرى أن العرب لا يستطيعون الانتصار في أي اصطدام مباشر ببريطانيا . غير انه من الناحية الاخرى لا يستطيع ، بوصفه زعيماً للحركة الوطنية في فلسطين ، ان يلتزم الصمت والهدوء وهو يرى الهجرة الصهيونية يزداد نطاقها وتتعاظم اخطارها.

فشل المحاولات لتطوير القدرة الذاتية العربية

وفي عام ١٩٣٤ تمت تقوية البنك العربي الذي أسس عام ١٩٣٠ بحيث أصبح مؤسسة عربية رئيسية في المجالات المالية والسياسية والوطنية على السواء. وبدأ كذلك تأسيس بنك زراعي عربي برأسمال مقداره ٦٠٠٠٠ جنيه فلسطيني وذلك لتطوير الاراضي العربية واستصلاحها . وبدأ صندوق الأمة (العربي) حملة لجمع الاشتراكات وابتياع الأراضي التي تكون مهددة بالبيع إلى اليهود . وبدأ المجلس الاسلامي الاعلى كذلك بشن حملة دعاية فعالة ضد بيع الاراضي لليهود . وكان مسرح هذه الحملة هو المساجد والصحف العربية . وكان صغار الملاكين من أصحاب الاراضي يشجَّعون على تسجيل اراضيهم وقفاً على ورثتهم للحيلولة دون بيعها في المستقبل إلى اليهود.

وفي مجال ذكر المحاولات العربية لتطوير القدرات الذاتية والتطوير المالي والصناعي لا بد من الاشارة إلى الصعاب التي اعترضت هذه الجهود . فلقد اتبعت حكومة الانتداب

سياسة اعطاء امتيازات استثمار ينابيع الثروة في البلاد لليهود والأجانب «فاعطي امتياز الميت لشركة البوتاس الفلسطينية المحدودة واعطي امتياز شركة توليد الكهرباء من مياه نهر الأردن لشركة الكهرباء الفلسطينية المحدودة واعطي امتياز الملح لشركة الملح المحدودة وجيمها شركات يهودية. أضف الى ذلك استحالة قيام صناعات ناشئة وبرأس مال صغير لتزاحم الصناعة الصهيونية المؤسسة برأس مال كبير وتتمتع باقتصاديات من الحجم الكبير والدعاية التجارية القوية. كما أن الحكومة البريطانية كانت تمنح الصناعات الصهيونية حماية جمركية قوية وتكبد المستهلك العربي نفقات تشجيع صناعة عدوه الصهيوني.

وقد ترتب على خنق فرص نمو طبقة وسطى وطنية منتجة (لا مجرد وكيلة لمنتجات اجنبية) نتائج سياسية هامة ظهرت جلية اثناء ثورة فلسطين الكبرى ١٩٣٦ وتمثلت في ضعف مشاركة البورجوازية الوطنية في مرحلة النضال من أجل التحرر الوطني.

على ان من بين المشكلات التي كانت معالجتها أشد صعوبة، الحيلولة دون مواصلة الهجرة اليهودية غير المشروعة والتي كانت في تزايد مستمر بسبب ازدياد اضطهاد النازيين لليهود الالمان. ولقد تعهد مؤتمر الشباب العربي بتنظيم وحدات كشفية «لجنة حراسة السواحل والحدود» تراقب السواحل وتمنع رسو الزوارق التي تقل المهاجرين اليهود المهربين تحت جنح الظلام. ولكن الحكومة حاربت جهود لجان الحراسة هذه ومنعتها من القيام بمهمتها.

واتخذ العرب خطوات أخرى للدفاع والتنظيم الذاتيين مدفوعين الى ذلك بمحاولات الهستدروت لمنع اصحاب الاعمال اليهود من تشغيل الايدي العاملة العربية وذلك بارهاب اصحاب العمل والعمال على السواء[٩١]. وهكذا تألفت في كل من القدس ويافا وحيفا حاميات عمالية عربية لمواجهة عمليات الارهاب والعدوان التي يشنها العمال اليهود. وتبع ذلك ظهور لجان عمالية عربية ظهرت على المسرح السياسي لأول مرة لمناسبة حلول ذكرى وعد بلفور عندما اضرب عمال المواصلات اضراباً شاملاً في طول البلاد وعرضها[٩٢].

ولم يكن تحقيق المطلب الوطني العربي الثالث وهو اقامة مؤسسات للحكم الذاتي، ممكناً بدون تعاون البريطانيين. وقال الحاج امين لواكهوب ان العرب «يتطلعون إلى برلمان ذي صلاحيات كاملة لا مجرد مجلس تشريعي ذي سلطات محدودة»[٩٣]. والواقع ان العرب كانوا راغبين في قبول مجلس تشريعي يمثل مختلف فئات البلاد حسب نسبة عدد سكان كل

منهاء . ولكن تبين ان المعارضة الصهيونية للمجلس التشريعي كانت من القوة بحيث تعذر التغلب عليها ولم يجر احراز أي تقدم ملموس في هذا الاتجاه قبل النصف الثاني من عام ١٩٣٥(٩٤).

الأحزاب العربية

فبدلاً من ان يقيم المندوب السامي مؤسسة للحكم الذاتي تستقطب اهتمام الفلسطينيين حول المشكلات الاساسية موضوع البحث وتنمي وعي العرب وتزيد من تصميمهم على مكافحة الوطن القومي اليهودي ، عمد إلى استخدام متنفس جانبي من خلال اعلان الانتخابات على مستوى محلي . وكان لهذه الجرعة من المشاركة الديمقراطية غير الهامة اثرها في زيادة حدة الانقسامات والمنافسات العائلية كما كان متوقعاً . ولكن هزيمة راغب النشاشيبي في انتخابات بلدية القدس عام ١٩٣٤ اخل من الناحية الاخرى بالتوازن القائم حينذاك بين آل الحسيني وآل النشاشيبي ، ذلك التوازن الذي ظل قائماً منذ عام ١٩٢٠ ، فازداد نتيجة ذلك تركز القوة في ايدي الحاج أمين . ومن ناحية اخرى كانت المرارة التي خلفتها الانتخابات البلدية ووفاة موسى كاظم الحسيني على أثر اعتداء البوليس عليه اثناء المظاهرات بمثابة رصاصة الرحمة التي قضت على اللجنة التنفيذية العربية التي كانت تحتضر منذ وقت غير قصير . وهكذا انصرف كل فريق الى تأليف حزبه السياسي الخاص.

وكان أول حزب يظهر إلى الوجود بعد تلك المعركة الانتخابية هو حزب الدفاع الوطني الذي تألف في شهر كانون الأول ١٩٣٤ برئاسة راغب النشاشيبي . وبعد ذلك بأربعة أشهر ظهر حزب ثان هو الحزب العربي الفلسطيني برئاسة جمال الحسيني اليد اليمنى للحاج امين . ولوحظ ان حزب الدفاع الوطني كان يضم عدداً من الوجهاء ورؤساء البلديات الذين عاهدوا أنفسهم على :

«محاولة تحقيق الاستقلال لفلسطين مع تأمين سيادة العرب التامة عليها وعدم الاعتراف بأي التزام دولي يقصد به ان ينتهي بأية سيطرة أو نفوذ أجنبيين»(٩٥).

أما الحزب العربي الفلسطيني الذي كان حزباً شعبياً ذا فروع عديدة في مختلف انحاء

---

* كان الحاج امين ينادي بضرورة انتخاب النواب مباشرة من الشعب بينما كان راغب النشاشيبي يطالب بمجلس تشريعي معين.

البلاد فقد كان أشد صراحة في الاعلان عن تصميمه على مكافحة الصهيونية والانتداب في وقت واحد(٩٦) . وخلافاً لمنافسه ، حزب النشاشيبي ، كان هذا الحزب ينادي بالوحدة العربية ويبذل اعضاؤه جهوداً عملية للحيلولة دون بيع الاراضي لليهود.

وبعد شهر آخر التأم عقد المؤتمر الثاني للشباب العربي وخصصت ابحاث المؤتمر لادخال التحسينات الاجتماعية والاقتصادية وحشد الجيل العربي الناشيء في النوادي الرياضية ومنظمات الشباب مكرسين أنفسهم لمكافحة الصهيونية مكافحة عملية شديدة(٩٧). ومع ان هذا الحزب لم يكن معادياً من الوجهة السياسية لأي من الحزبين السابقين إلا أن حصيلة مؤتمره الثاني كانت تثبيت مؤتمر الشباب حزبا سياسياً ثالثاً مع ظهور زعيمه يعقوب الغصين بوصفه من الشخصيات السياسية البارزة في فلسطين . وقبل بداية عام ١٩٣٥ تأسس بعده حزبان آخران هما حزب الاصلاح بزعامة الدكتور حسين فخري الخالدي وحزب الكتلة الوطنية بزعامة عبد اللطيف صلاح وهو محام بارز معروف من نابلس. وكانت أهداف كلا هذين الحزبين مقاربة لأهداف الحزب العربي الفلسطيني.

ولقد كانت البواعث الأنانية وراء تعدد الاحزاب العربية واضحة امام انظار الفلسطينيين جميعاً واثارت خصوماتهم سخرية الرأي العام كله « والاعتقاد الذي يسود القرى ان الزعماء لا يعملون إلا لأنفسهم»(٩٨) .

معارك بسبب استيلاء اليهود على الاراضي

وبينما كان السياسيون والوجهاء منصرفين إلى الاهتمام بمصالحهم الشخصية والعائلية الخاصة مضيفين بذلك عوامل جديدة الى الانقسامات الداخلية ، كانت الكثرة الساحقة من الشعب تزداد مرارة ويأساً . فقد احدثت الزيادة الضخمة في الهجرة اليهودية ضغوطاً اضافية على المؤسسات الصهيونية لابتياع المزيد من الاراضي لتوطين المهاجرين الجدد من اليهود . ففي عام ١٩٣٣ بلغ عدد صفقات بيع الاراضي ٦٧٣ صفقة معظمها تناولت اراضي باعها العرب لليهود وبلغ عدد الصفقات التي لم تزد مساحة أرض الصفقة الواحدة منها على ١٠٠ دونم ، ٦٠٦ صفقات . وفي العام التالي ازداد عدد الصفقات المعقودة فوصل إلى ١١٧٨ صفقة بينها ما لا يقل عن ١١١٦ صفقة تقل مساحة الأرض المبيعة في كل منها عن ١٠٠ دونم(٩٩) . اما البائعون فقد باتوا دون أرض على الاطلاق أو بأرض تدر عليهم دخلاً ينفقون منه على المقوّمات الأساسية للحياة. وهكذا أصبح العرب الذين لا يملكون أرضاً مشكلة سياسية كبيرة متصاعدة يوماً بعد يوم وذلك

نظراً لازدياد عددهم المضطرد من جهة ونظراً للمخاوف التي ولدها ذلك في صفوف الفلاحين من جهة أخرى . ولم يعد تنفيذ اوامر اخلاء الاراضي المبيعة ممكناً بدون استخدام قوات كبيرة من افراد البوليس على الرغم من صدور تلك الاوامر عن المحاكم الرسمية . وبدأ الفلاحون العرب يظهرون مزيداً من التصميم على مقاومة اوامر الاخلاء . وفي غضون كانون الثاني ١٩٣٥ تصدى الحراثون في اراضي وادي الحوارث المبيعة لليهود ـ وهم عرب الزبيدات ـ لعملية تسليم الأرض لليهود ونشبت معركة بين الفلاحين و ٤٣ بوليساً بين بريطاني وفلسطيني انتهت بقتل واحد من العرب ، وأصيب سبعة من افراد البوليس البريطاني وخمسة من افراد البوليس الفلسطيني بجروح من جراء قذفهم بالحجارة .

وكان على الحاج أمين، وهو يواجه واقعاً متزايد الدقة والحراجة، ان يتخذ موقفاً عاماً أشد عداء للصهيونية، وفي الوقت الذي كان يحاول فيه أن يتجنب التورط في المهاترات المتبادلة بين الاحزاب الجديدة فانه لم يتردد في الاشتراك في الجهود العامة المبذولة لتجنيد القوى الاسلامية الدينية في الكفاح ضد الصهيونية. وفي الخامس والعشرين من كانون الثاني عقد الحاج امين بوصفه رئيس المجلس الاسلامي الأعلى اجتماعاً في القدس حضره نحو خمسمائة نسمة معظمهم من القضاة والعلماء وذلك للبحث بصورة رئيسية في مشكلات بيع الاراضي لليهود واعمال السمسرة والهجرة اليهودية، ولكن المفتي اكتفى على كل حال بالتهديد بفرض عقوبات دينية على اولئك الذين يبيعون اراضيهم لليهود أو يمارسون اعمال السمسرة على بيع الاراضي لهم، دون أن يدعو الى اساليب اشد عنفاً لمحاربة الصهيونية(١٠٠).

واستمر المفتي متمسكاً، في علاقاته بالبريطانيين، بالتزام المواقف الودية، وفي معرض الرد على الاتهامات التي وجهها حزب آل النشاشيبي الى المفتي بأنه يتآمر مع الايطاليين كتب واكهوب تقريراً جاء فيه :

«لم ألحظ تغييراً في موقف الحاج أمين من الحكومة ـ فان موقفه الآن كما كان طيلة العامين الماضيين هو بالتأكيد موقف ودي ولا سيما بالنسبة لي شخصياً كما تعرفون ذلك. (على ان) ما يقض على المفتي مضجعه هو الخوف من ان يفقد نفوذه بسبب هذا الموقف، ولكنني لا اجد دلائل تشير الى تضاؤل نفوذه او انتهاجه موقفاً عدائياً من الحكومة»(١٠١).

القسام يدعو للجهاد

والواقع ان المفتي طلب من رئيس دائرة التحقيقات الجنائية تزويده بعدد من أفراد البوليس لحمايته واستحصل على معطف واق من الرصاص إذ كان يخشى المغتالين المأجورين.

ولم يكن المعطف الواقي من الرصاص هو كل ما اتخذه الحاج أمين من أسباب الدفاع عن نفسه في وجه المتطرفين. فقد افاد السيد أميل الغوري في مقابلة مع المؤلف انه تم في اعقاب حوادث تشرين الاول ـ تشرين الثاني ١٩٣٣ تشكيل منظمة أخرى بقيادة شاب ثائر هو عبدالقادر الحسيني نجل موسى كاظم الحسيني ومن اعوان المفتي، وذلك تحت اسم «منظمة الجهاد المقدس». وبالاضافة الى ذلك كان الحاج أمين على اتصال بالشيخ عزالدين القسّام.

وكان الشيخ القسّام السوري المولد قد هاجر الى حيفا عام ١٩٢١ بعد انهيار الثورة السورية ضد الاحتلال الفرنسي والتي كان فيها قائداً بارزاً. ولم يجد الشيخ القسام، بفضل ما يتمتع به من ثقافة دينية واسعة وبراعة في الخطابة، صعوبة في الانضمام الى جهاز التعليم في المدرسة الاسلامية بحيفا، ثم انضم بعد ذلك الى جمعية الشبان المسلمين(١٠٢) التي تولى في عام ١٩٢٦ رئاستها. ووقف القسّام بوصفه مسلماً تقياً ورجلاً وطنياً، ضد الصهيونية والحكم البريطاني. وفي عام ١٩٢٩ اخذ يتجول في قرى شمالي فلسطين بوصفه موظفاً في المحكمة الشرعية بحيفا واستطاع بفضل اتصالاته هذه بالفلاحين في القرى وبالمصلين في مسجد الاستقلال بحيفا ان يجند بعض العناصر الثورية التي نظمها في خلايا سرية لا يتجاوز عدد افراد الخلية الواحدة منها خمسة افراد.* ثم اخذ ينشر بينهم الدعوة الى الثورة ضد العبودية وضد الاجانب الكفار يهوداً كانوا أو بريطانيين. وفي عام ١٩٣٢ انضم الى فرع حزب «الاستقلال» في حيفا، وبعد حوادث عام ١٩٣٣ بدأ يجمع التبرعات لابتياع كميات صغيرة من الأسلحة استعداداً للقيام بثورة ضد الحكومة التي اعتبرها الحامية الحقيقية للصهيونية في فلسطين. وحافظ القسّام في اتصالاته واستعداداته على السرية التامة.

---

* تجدر بنا الاشارة الى ان ثوار فلسطين في مطلع الثلاثينات كانوا من تلامذة القسام واعضاء في تنظيماته السرية ولكنهم لم يوافقوا استاذهم في ما ذهب اليه من ضرورة المزيد من التحضير والاستعداد قبل اعلان الثورة.

وكان معقل القسام هو الحي القديم من حيفا حيث يقطن فقراء الفلاحين الذين نزحوا من قراهم إلى المدينة واضطروا الى أن يعيشوا في ذلك المستوى المنخفض من الحياة بسبب الهجرة اليهودية. وابدى القسّام اهتماماً حقيقياً أصيلاً بتحسين احوال معيشتهم وبدأ يكافح الأمية في صفوفهم من خلال اعطاء دروس ليلية. وسرعان ما أصبح فلاحو المنطقة الشمالية يكنون له ابلغ الاحترام والمودة بفضل زياراته المتكررة لهم وما يتسم به من اصالة في الخلق والتقوى.

وبحلول عام ١٩٣٥ كان القسّام قد نظم خمس لجان لتحقيق الاهداف التاليـة: الدعوة أو الدعاية، التدريب العسكري، التموين، الاستخبارات، العلاقات الخارجية. وليس من المستبعد ان يكون القسّام قد اقام بالفعل علاقـات بالايـطاليين الـذين ازداد اهتمامهم بشؤون فلسطين بعد حملتهم على الحبشة وما أعقب ذلك من توتر في علاقاتهم بالبريطانيين بسبب تلك الحملة(١٠٣). ولم يكن الدافع لإمكانية هذا الاتصال السري بـالايطاليـين سوى الضـرورة العملية لاقـامة تعـاون مع العنـاصـر والجهـات المعـاديـة للبريطانيين. ذلك ان الايطاليين كانوا مكروهين في فلسطين بسبب اضطهادهم للشعب الليبي الشقيق.

ومع ان القسّام جنّد نحو ٢٠٠ ونظم نحو ٨٠٠ من الانصار فانه لم يقم اتصالات فعلية بالفلاحين والعمال ـ الذين عليهم كان اعتماده ـ في جنـوب فلسطين واوسـطها. ويستفاد مما كتبه صبحي ياسين ـ من اتباع القسّام ـ ان الشيخ ارسل بالفعل احد اتباعه، محمود سالم، الى المفتي طالباً منه اعلان الثورة في الجنوب في نفس الوقت الذي يعلنها هو في الشمال. وقيل ان الحاج أمين اجاب انه يؤثر التوصل الى حل سياسي على اللجوء الى ثورة مسلحة(١٠٤).

ثـــورة القسّـــام

على أن توالي الحوادث في عام ١٩٣٥ اجبر القسّام واتباعه من المجاهدين على البدء بثورة مسلحة ضد البريطانيين والصهيونيين خلال شهر تشرين الثاني من ذلك العام.

وقبل نهاية ١٩٣٥ كتب واكهوب الى وزارة المستعمرات يقول ان خمس القرويين العرب قد اصبحوا بالفعل دون أراضٍ يمتلكونها كما ان عدد العمال العاطلين في المدن آخذ في الازدياد ناهيك بتصاعد الاستياء من الحكومة يوماً بعد يوم(١٠٥).

وبالاضافة الى ذلك كله لم تكن هنالك اية تطورات تدعو الى الأمل، فقد ضرب مجموع المهاجرين اليهود عام ١٩٣٥ رقماً قياسياً مقداره ٦٠,٠٠٠ مهاجر كما ان زيادة عدد العاطلين عن العمل حمل واكهوب على استنتاج ان هذا الرقم «يتجاوز الطاقة الاستيعابية للبلاد»(١٠٦).

ثمّ ان الاستفزازات الصهيونية كالتدريب العسكري السافر ومهاجمة الفاشيين اليهود من اتباع جابوتنسكي للقرى العربية أثار غضب الرأي العام العربي(١٠٧). وجاء اكتشاف شحنة كبيرة من الاسلحة المهربة للصهيونيين مؤيداً لأسوأ المخاوف التي يعانيها الفلسطينيون. ولما لم يكن هنالك أمل بأن تستجيب الحكومة لمطالب العرب بشأن الهجرة وبيع الاراضي والحكومة الذاتية البرلمانية اصبح من الواضح ان البديل الوحيد الذي بقي امام العرب للحيلولة دون اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين هو اللجوء الى الثورة المسلحة.

وبينما كان السياسيون الفلسطينيون يكشفون عن مواقفهم المتساهلة الهزيلة نحو الحكومة * غادر القسّام يرافقه ٢٥ رجلاً من انصاره المسلحين حيفا في الثاني عشر من تشرين الثاني قاصدين الى ضواحي جنين لدعوة الفلاحين في تلك المنطقة لحمل السلاح في وجه البريطانيين والصهيونيين. ولكنهم قبل ان يتمكنوا من تعميم دعوتهم ومفاجأة السلطات باحتلال حيفا وقع صدام عرضي بينهم وبين البوليس نبه السلطات الى وجود عصابة مسلحة وسارعت قوات الجيش والبوليس الى ضرب نطاق حول المنطقة وعزلها.

بيد ان القسّام ، مدفوعاً بإيمانه وحماسته وإخلاصه، رفض الاستسلام وحث اتباعه على القتال والاستشهاد في سبيل الله والوطن. وفي التاسع عشر من تشرين الثاني خاض المجاهدون معركة مواجهة مع القوات البريطانية في غابة يعبد بمنطقة جنين استشهد فيها القسّام واثنان من اتباعه وأسر خمسة آخرون واختفى الباقون في الجبال.

أثر استشهاد القسّام :

ولقد كان لاستشهاد القسّام البطولي أثر عميق في فلسطين كلها. وسرعان ما أصبح

---

* رفضت لجنة ضمت ممثلين عن جميع الاحزاب العربية اعلان الاضراب لمناسبة ذكرى وعد بلفور الأمر الذي أدى الى انتقادات عنيفة ضد الزعماء.

رمزاً للتضحية والفداء، وشيع جثمانه في حيفا بتظاهرة وطنية كبرى نادت بسقوط الانكليز والوطن القومي اليهودي ورجموا في اثنائها افراد البوليس بالحجارة اما الزعماء السياسيون* فقد تخلفوا عن السير في الجنازة. وكانت برقيات التعزية التي ارسلوها فاترة إذ لم يفتهم التنبه إلى أن ثورة القسّام كانت بمثابة دليل على عقم أساليبهم كما أن تضحيته وتجرده فضحت نفعيتهم وأنانيتهم.

ومهما يكن من أمر فان الزعماء الفلسطينيين وجدوا انفسهم بعد ذلك مكرهين على انتهاج سياسة اقل تقرباً من البريطانيين. ففي مقابلة اجراها مع واكهوب ممثلو الأحزاب الفلسطينية الخمسة بعد ستة ايام فقط من استشهاد القسّام، قدم له هؤلاء الزعماء مذكرة جاء فيها:

«أنهم اذا لم يتلقوا عن مذكرتهم جواباً يمكن اعتباره بصورة عامة مرضياً فانهم سيفقدون كل ما يملكونه من نفوذ على أتباعهم. وعندئذ تسود الآراء المتطرفة غير المسؤولة وتتدهور الحالة سريعاً»(١٠٨).

وابلغ واكهوب ج. هـ. توماس وزير المستعمرات الجديد في رسالته التي ارفق بها نص المذكرة المشار اليها ان الزعماء العرب «محقون في القول بأنهم بدون ذلك - بدون تلبية مطالبهم - سيفقدون ما يملكونه من نفوذ وتختفي بالتالي امكانات تهدئة الحالة الحاضرة بالوسائل المعتدلة التي اقترحها»(١٠٩).

وهكذا القت ثورة القسّام ظلاً كبيراً على المسرح السياسي الفلسطيني وأصبحت كل محاولة لاقامة تقارب بين الفلسطينيين والسلطات الحكومية مكتوباً عليها الفشل. وبعد أقل من شهر من اصطدام الجيش بالقسام اصبحت دائرة التحقيقات الجنائية تعرب عن قلقها من تطور الاحداث، وعم الحقد على الحكومة قرى فلسطين كلها. واصبح الرأي العام ينظر الى القسام واتباعه نظرة تقدير بالغ ويعتبرهم ابطالا وشهداء. وبدأت الاحاديث تدور على افواه الشعب بأن الوطنيين المصريين لم يتمكنوا من الحصول على تنازلات من البريطانيين إلا بعد ان لجأوا الى وسائل أشد مما اتبعوه في أي وقت مضى. وعلاوة على ذلك ظهرت كتل سياسية من الشبان بقيادات ثورية جديدة اخذت تحل محل القيادات السياسية القديمة التي ساءت سمعتها.

---

* باستثناء قادة حزب الاستقلال رشيد الحاج ابراهيم وصبحي الخضرا وعادل واكرم زعيتر.

وظهرت التشكيلات الجديدة في المدن الكبيرة بقيادة عناصر الشباب فكان أكرم زعيتر ابرز افراد كتلة نابلس وحمدي الحسيني وميشيل متري رئيس جمعية العمال العرب في يافا أبرز افراد كتلة يافا وفي قلقيلية تشكلت جديلة من الشباب الثوري وفي طولكرم تولى سليم عبدالرحمن وقادة الكشافة العرب زعامة كتلة جديدة اخرى. اما في حيفا فتولى عاطف نور الله حركة مماثلة . وكان يساند هذه الكتل عزت دروزة وعجاج نويهض من زعماء حزب الاستقلال.

ويستفاد من تقارير دائرة التحقيقات الجنائية ان هذه الكتل مجتمعة تعتزم :

أ ـ توجيه اعمال التحريض السياسي ضد السلطات البريطانية لا ضد الصهيونية وحدها وكان هذا واضحاً من خلال كتاباتهم وخطبهم.

ب ـ إجبار زعماء الأحزاب على أن يتبنوا في مؤتمر نابلس المقرر عقده في الخامس عشر من كانون الثاني قرارات قوية كعدم التعاون والامتناع عن دفع الضرائب والقيام بالمظاهرات الخ . .

جـ ـ اثارة اعمال التحريض والهاب المشاعر خلال الفترة المتبقية على موعد انعقاد المؤتمر في الخامس عشر من كانون الثاني.

د ـ وفي النهاية إثارة الاضطرابات(١٢٠).

وهكذا اصبح الشكل الذي ستتطور اليه الامور واضحاً وغدت المجابهة بين البريطانيين والفلسطينيين العرب مسألة وقت فقط.

هوامش الفصل السابع

(١) تشانسلور الى باسفيلد ١٧ـ٨ ١٩٣٠ و . م . و . م ٧٣٣ـ ١٨٢
(٢) تشانسلور الى باسفيلد ٢٢ـ ٢ـ ١٩٣٠
(٣) ارنولد توينبي «Survey of International Affairs 1930» (لندن) ١٩٣١ ص٢٨٢
(٤) تشانسلور الى باسفيلد ٢٢ـ ٢ـ ١٩٣٠ ص٨
(٥) المصدر نفسه ص٩
(٦) تقرير لجنة شو ص ١١٣
(٧) المصدر نفسه ص١٢٩
(٨) المصدر نفسه ص٩٨
(٩) للاطلاع على تقرير الوفد راجع «وثائق المقاومة . . » ص١٨١ـ١٨٨
(١٠) المصدر نفسه ص١٨٧
(١١) انظر تشانسلور الى باسفيلد ١٧ـ ٤ـ ١٩٣٠و . م ٧٣٣ـ ١٨٥
(١٢) تشانسلور الى باسفيلد ١٨ـ ٧ـ ١٩٣١ مرفق (أ) و . م . ٧٣٣ـ ٢٠٢
(١٣) انظر ملاحظات شكبورغ ١٨ـ ٦ـ ١٩٣٠ و . م . ٧٣٣ـ ١٨٥
(١٤) المصدر نفسه
(١٥) المصدر نفسه
(١٦) «فلسطين: تقرير عن الهجرة واستيطان الاراضي وتطويرها» بقلم السيرجون هوب ـ سمبسون الأمر الحكومي ٣٦٨٦ ، ١٩٣٠
(١٧) فلسطين: تصريح عن سياسة حكومة صاحب الجلالة في المملكة المتحدة الامر الحكومي ٣٦٩٢، ١٩٣٠ (الكتاب الابيض)
(١٨) راجع تقرير بيل ص٧١
(١٩) المصدر نفسه
(٢٠) المصدر نفسه ص٧٤
(٢١) راجع تشانسلور الى باسفيلد ٤ـ ١١ـ ١٩٣٠ و . م . ٧٣٣ـ ١٨٢
(٢٢) «وثائق المقاومة الفلسطينية» ص١٨٩ـ ١٩٠
(٢٣) ملاحظة من شكبورغ الى ولسون ١٥ـ ١٢ـ ١٩٣٠ و . م . ٧٣٣ـ ١٧٨
(٢٤) «وثائق المقاومة الفلسطينية» ص١٩٠

(٢٥) تشانسلور الى شكبورغ ١٦ـ ١ـ ١٩٣١ و. م. ٧٣٣ـ ١٧٨
(٢٦) باسفيلد الى تشانسلور ٩ـ ١ـ ١٩٣١ و. م. ٧٣٣ـ ١٩٧
(٢٧) ٦ـ ٢ـ ١٩٣١ و. م. ٧٣٣ـ ١٩٧
(٢٨) وايزمان ص٤١٥
(٢٩) تشانسلور الى باسفيلد ١٧ـ ٢ـ ١٩٣١ و. م. ٧٣٣ـ ١٩٧
(٣٠) «وثائق المقاومة الفلسطينية» ص٢٢٨ـ ٢٣٤
(٣١) المصدر نفسه ص ٢٣٢
(٣٢) راجع «مقابلة بين وايزمان والمندوب السامي في ٢٠ـ ٣ـ ١٩٣١» و. م. ٧٣٣ـ ٢٠٣
(٣٣) المصدر نفسه ص٥
(٣٤) تشانسلور الى باسفيلد ٢١ـ ٣ـ ١٩٣١، مرفق و. م. ٧٣٣ـ ١٩٧
(٣٥) انظر تقرير البوليس الفلسطيني «الحركة الاسلامية العربية الثورية» ٢١ـ ٥ـ١٩٣١ و.م. ٧٣٣ـ ٢٠٤
(٣٦) المصدر نفسه
(٣٧) راجع لاكير ص٨٦ـ ٩٥
(٣٨) القائم باعمال الحكومة الى باسفيلد ٣٠ـ ٥ـ١٩٣١
(٣٩) المصدر نفسه
(٤٠) و. ج وليامز «التحريض العربي» ٣ـ ٩ـ١٩٣١ و.م. ٧٣٣ـ ٢٠٤
(٤١) «وثائق المقاومة الفلسطينية» ص٢٣٦ـ ٢٣٧
(٤٢) المصدر نفسه ص ٢٣٧ـ٢٤٣
(٤٣) المصدر نفسه ص٢٤٥
(٤٤) المصدر نفسه ص ٢٤٣ـ ٢٤٤
(٤٥) انظر هـ. أ ر. غيب «المؤتمر الاسلامي المنعقد في القدس في كانون الاول ١٩٣١» Survey of International Affairs, 1934 تحرير أ. ج تـوينبي (لندن) ١٩٣٥ ص٩٩ـ ١٠٨
(٤٦) انظر دروزة ص٨١
(٤٧) للاطلاع على اسماء هذه الشخصيات انظر المصدر نفسه ص٨٣
(٤٨) دروزة ص٨٦

(٤٩) ٩ - ٩ - ١٩٣٢ و . م . ٧٣٣ - ٢١٥

(٥٠) دروزة ص٨٨-٨٩

(٥١) للاطلاع على بيان تشكيل حزب الاستقلال العربي وبواعثه انظر «وثائق المقاومة الفلسطينية» ص٢٦١- ٢٦٥

(٥٢) عيسى السفري ص١٩٤- ١٩٦

(٥٣) ٢٨-١-١٩٣٢ و. م. ٧٣٣- ٢٢١

(٥٤) «وثائق المقاومة الفلسطينية» ص٢٥٧-٢٦١

(٥٥) المصدر نفسه ص٢٦٨-٢٦٩

(٥٦) واكهوب الى كنليف ليستر١٦- ٩- ١٩٣٢ و . م. ٧٣٣- ٢١٩

(٥٧) المصدر نفسه

(٥٨) الوزارة «فلسطين : المجلس التشريعي» مذكرة وزير المستعمرات ٣- ١١- ١٩٣٢ و. م. ٧٣٣- ٢١٩

(٥٩) انظر «وثائق المقاومة الفلسطينية» ص٢٨٤- ٢٩٨

(٦٠) «ملخص الاستخبارات اليومية» رقم ٣٩-٣٣، ٢٥-٢-١٩٣٣ و. م. ٧٣٣-٢٣٤

(٦١) واكهوب الى كنليف ليستر مرفق ٣، ١- ٢- ١٩٣٣ و. م. ٧٣٣- ٢٣٤

(٦٢) راجع فلسطين ٢٤ - ٤ - ١٩٣٣

(٦٣) راجع واكهوب الى كنليف - ليستر ١٢ - ٤- ١٩٣٣ و.م. ٧٣٣-٢٤٦.

(٦٤) مذكرة من المجلس الاسلامي الاعلى الى المندوب السامي ٥ - ٩ - ١٩٣٣ ، و . م - ٧٣٣ - ٢٣٩

(٦٥) انظر واكهوب الى كنليف ليستر٢٣-١٠-١٩٣٣ و. م. ٧٣٣- ٢٣٩

(٦٦) مقابلة بين واكهوب واللجنة التنفيذية في ٢٥- ١٠- ١٩٣٣ و. م. ٧٣٣- ٢٣٩

(٦٧) مقابلة بين واكهوب وعدد من الزعماء العرب ٢٨- ١٠-١٩٣٣ و. م. ٧٣٣- ٢٣٩

(٦٨) راجع واكهوب الى كنليف - ليستر ٢٠ - ١١ - ١٩٣٣ مرفق (أ) و . م ٧٣٣ - ٢٣٩

(٦٩) انظر واكهوب الى كنليف - ليستر ٢٤ - ١١ - ١٩٣٣ و . م . ٧٣٣ - ٢٣٩ ص ٦

(٧٠) المصدر نفسه ص١٣

(٧١) كامبل الى السكرتير الاول للحكومة «ملخص احداث منطقة القدس بين ٢٧ تشرين الاول و٤ تشرين الثاني ١٩٣٣» ٦- ١١- ١٩٣٣ و. م. ٧٣٣- ٢٣٩ ص٢

(٧٢) المصدر نفسه ص٤

(٧٣) المصدر نفسه
(٧٤) واكهوب الى كنليف ـ ليستر ٦ ـ ١١ ـ ١٩٣٣ المصدر نفسه
(٧٥) المصدر نفسه
(٧٦) القنصل مكاريث (دمشق) الى السير جون سيمون ١ـ ١١ـ١٩٣٣ و. م. ٧٣٣ـ ٢٣٩
(٧٧) ٤ـ١ـ١٩٣٤ و. م. ٧٣٣ـ ٢٣٩ ص٣٦
(٧٨) واكهوب الى كنليف ـ ليستر ١٠ ـ ١١ ـ ١٩٣٣ و . م . ٧٣٣ ـ ٢٣٩
(٧٩) راجع كتاب المعهد الملكي للشؤون الدولية «المصالح السياسية والاستراتيجية للمملكة المتحدة» (لندن) ١٩٣٩ ص١٤٢ـ ١٤٤
(٨٠) واكهوب الى كنليف ـ ليستر ١٦ـ٨ـ١٩٣٤ و. م. ٧٣٣ـ ٢٦٥
(٨١) المصدر نفسه
(٨٢) الوزارة «الحالة في فلسطين» ١٨ـ١٢ـ١٩٣٣ و. م. ٧٣٣ـ ٢٥٧
(٨٣) المصدر نفسه
(٨٤) واكهوب الى كنليف ـ ليستر ٥ ـ ٢ ١٩٣٤ و . م ٧٣٣ ـ ٢٥٤
(٨٥) واكهوب الى كنليف ـ ليستر ٥ ـ ٢ ـ ١٩٣٤ المرفق ١ و٢ و٣ و . م . ٧٣٣ ـ ٢٥٨
(٨٦) الوزارة «فلسطين» ٢٨ـ٣ـ١٩٣٤ و. م. ٧٣٣ـ ٢٥٧
(٨٧) واكهوب الى كنليف ـ ليستر ٥ ـ ١ ـ ١٩٣٤ و . م . ٧٣٣ ـ ٢٥٨
(٨٨) انظر دروزة ص١٠٩ـ١١٠
(٨٩) مقابلة مع اميل الغوري في بيروت آب ١٩٦٧
(٩٠) ٥ـ١ـ١٩٣٤ و. م. ٧٣٣ـ٢٥٨ ص٣ـ٤
(٩١) القائم باعمال الحكومة الى كنليف ـ ليستر ١٢ ـ ٩ ـ ١٩٣٤ و . م . ٧٣٣ ـ ٢٥٧
(٩٢) القائم باعمال الحكومة الى كنليف ـ ليستر ٣ ـ١١ ـ ١٩٣٤ المصدر نفسه
(٩٣) واكهوب الى كنليف ـ ليستر ٢٥ ـ ٨ ـ ١٩٣٤ مرفق (أ) و . م . ٧٣٣ ـ ٢٦٥
(٩٤) الوزارة «فلسطين المجلس التشريعي» ١٤ـ ١١ـ ١٩٣٤ و. م. ٧٣٣ـ ٢٦٥
(٩٥) مغنم ص٢٣٧
(٩٦) «وثائق المقاومة الفلسطينية» ص٣٥٩ـ ٣٦٨
(٩٧) راجع عيسى السفري ص١٩٦ـ٢٠١
(٩٨) فلسطين ٣ـ ٧ـ ١٩٣٥

(٩٩) واكهوب الى كنليف ـ ليستر٦ ـ ٣ ـ ١٩٣٥ و . م . ٧٣٣ ـ ٢٧٢

(١٠٠) للاطلاع على تفاصيل مؤتمر العلماء راجع واكهوب الى كنليف ـ ليستر ٤ ـ ٣ ـ ١٩٣٥ و . م . ٧٣٣ ـ ٢٧٨

(١٠١) واكهوب الى كنليف ـ ليستر نيسان ١٩٣٥ المصدر نفسه

(١٠٢) للاطلاع على دستور جمعية الشبان المسلمين راجع «وثائق المقاومة الفلسطينية» ص ١٠١ ـ ١١١ .

(١٠٣) راجع ناجي علوش «المقاومة العربية في فلسطين» «١٩١٧ ـ ١٩٤٨» (بيروت ١٩٦٧) ص١٠٢ . ان الرواية هنا مجرد احتمال لم تتوافر ادلته التاريخية الثابتة على ما نعلم

(١٠٤) صبحي ياسين الثورة العربية الكبرى في فلسطين ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ (دمشق ١٩٥٩) ص٢١

(١٠٥) ٧ـ١٢ـ١٣٩٥ و. م. ٧٣٣ـ ٢٩٤

(١٠٦) المصدر نفسه

(١٠٧) فلسطين ٢٧ـ ٨ـ ١٩٣٥

(١٠٨) واكهوب الى توماس ٧ـ١٢ـ١٩٣٥ و. م. ٧٣٣ـ ٢٩٤

(١٠٩) المصدر نفسه

(١١٠) انظر رايس الى السكرتير الاول للحكومة ١٤ـ١٢ـ ١٩٣٥ و. م. ٧٣٣ـ ٢٩٧

الفصل الثامن

الثورة الفلسطينية الكبرى ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩

كان تجمع الغيوم وتلبدها في خريف عام ١٩٣٥ نذيراً بالعاصفة الكاسحة التي هبت في عام ١٩٣٦. وكان عدد الفلاحين العرب الذين لا يملكون ارضاً وعدد العاطلين عن العمل في المدن الكبيرة، في تزايد مطرد. واخذ العرب يزدادون اقتناعاً بأنه إذا لم توضع قيود على الهجرة اليهودية فسيصبحون قريباً اقلية في بلادهم نفسها، وانه إذا لم تفرض قيود على بيع الاراضي فسيقتلع الفلاحون العرب من جذورهم ويطردون من بلادهم. وزاد الطين بلة الأزمة الاقتصادية التي اجتاحت البلاد في عام ١٩٣٥. وهكذا كانت ثورة القسّام، على الرغم من فشلها، نبراساً أضاء للفلسطينيين العرب الطريق الوحيد الذي بقي امامهم ليسلكوه في مقاومة استيلاء الصهيونيين على البلاد. وكان الكثيرون من اتباع القسّام ومريديه لا يزالون مستعدين لحمل السلاح لمقاومة الوطن القومي اليهودي والحكم البريطاني في اول فرصة تسنح لهم.

وشجع النضال الوطني في مصر وسوريا ضد الحكم الأجنبي، العناصر الوطنية الثورية على انتهاج اساليب مماثلة للوصول الى نفس الأهداف في فلسطين. وجاءت ازمة البحر الابيض المتوسط التي اثارها الايطاليون بحملتهم على الحبشة لكي تنعش الآمال بنشوب حرب اوروبية كان الاعتقاد السائد بأنها وشيكة الوقوع. وكان العرب يرون فيها فرصتهم لتحقيق اهدافهم السياسية والوطنية التي طال ارتقابهم لها. ولفت انتباه العرب الى امكانات نشوب نزاع مسلح بينهم وبين اليهود والبريطانيين معاً، ما اكتشف من أمر قيام اليهود بتهريب السلاح على نطاق واسع.

وبعد شهر واحد من ثورة القسّام وتنبه السلطات البريطانية الى الحالة الخطيرة التي

يجتازها الرأي العام العربي في فلسطين خوّل المندوب السامي صلاحية اصدار بيان يتناول إنشاء مجلس تشريعي، وتبع ذلك بعد قليل اقتراح بتحديد نطاق بيع الاراضي. ولكن الزعماء اليهود رفضوا المشروع رفضاً باتاً مؤكدين في الوقت نفسه «رغبتهم بالتعاون مع الحكومة في جميع الأمور باستثناء إقامة المجلس التشريعي، وتصميمهم على ذلك»(١).

أما الزعماء العرب فقد استقبلوا المقترحات بالتحفظ لكن حتى جمال الحسيني الذي كان شديد الانتقاد للمشروع لم يتردد في ان يؤكد لواكهوب «بأن لا شيء مما قاله ينبغي اعتباره رفضاً للمقترحات»(٢). وكانت اعتراضات العرب على طريقة تركيب المجلس التشريعي وعلى صلاحياته، بصرف النظر عن المشروع نفسه وعن مقترحات الحد من بيع الاراضي، قد تركت أثراً مهدئاً على العرب. أما التحريض ضد الحكومة فقد ظل مستمراً وان اتخذ اشكالاً أقل عنفاً، وجمعت مبالغ من التبرعات في مصر وغيرها لتعزيز صمود العناصر الوطنية الموالية للمفتي وحزب الاستقلال.

وكان للجهود الصهيونية اثرها في مقاومة مقترحات الحكومة لإنشاء المجلس التشريعي وبالتالي احداث تغيير في سياسة الحكومة.

ففي شهر آذار كشف النقاب عن وجود «شك كبير في جميع قطاعات البرلمان البريطاني بشأن ما إذا كان من المرغوب فيه المباشرة بتطبيق تلك المقترحات»(٣).

ومن الطبيعي ان يكون لمناقشات مجلس العموم الأثر الذي تركته في نفوس العرب. فقد ذكرتهم بالجهود التي سبقت نشر «الكتاب الأسود» وقدمت المبررات للدعوة التي كان المتطرفون ينادون بها الا وهي مقاطعة التفاوض مع الحكومة مقاطعة تامة.

ومع ذلك فعلى الرغم من النكسة التي احدثتها مناقشات مجلس العموم والموقف العدائي الذي ولدته لدى الرأي العام العربي فان حزب الدفاع الوطني ابدى تلهفاً على قبول مقترحات المجلس التشريعي. ففي التاسع والعشرين من آذار اعلن الحزب رسمياً موافقته على المقترحات، وبعد يومين حث راغب النشاشيبي زعماء الاحزاب الآخرين على اقتفاء اثر حزبه. ولكن جمال الحسيني رفض الاستجابة لهذا النداء واعلن ان تحديد مواقف الحزب في المشكلات الرئيسية يعود إلى لجنته التنفيذية.

وفي اليوم الثاني من نيسان ١٩٣٦ استدعى المندوب السامي زعماء الاحزاب العربية وابلغهم ان وزير المستعمرات قد وجه الدعوات الى الاحزاب العربية الخمسة لارسال وفد

الى لندن لطرح وجهات نظرها امامه. وبعد مداولات قصيرة وافق الزعماء العرب بالاجماع على قبول دعوة الوزير البريطاني. ولكن الحزب العربي اصدر بعد ٢٢ يوماً بياناً اعلن فيه رفضه لمقترحات إنشاء مجلس تشريعي لان تلك المقترحات لا تنسجم مع طموح البلاد الى الاستقلال التام والوحدة العربية(٤). وكان ذلك البيان ذكياً قصد به احراج جميع الاحزاب الأخرى التي قبلت المقترحات. ومع ذلك فان اعتراض الحزب على المجلس التشريعي لم يقترن بالانسحاب من عضوية الوفد. وجاءت الخلافات حول هذه العضوية لتؤخر بدورها سفر الزعماء العرب ريثما يتوصلون الى اتفاق بشأن هذاالموضوع، ولكن تطور الأحداث كان مفاجأة لهم.

الشـــرارة :

كان التوتر بين العرب واليهود يزداد حدة باطراد منذ خريف عام ١٩٣٥ وذلك نتيجة اعتراض الصهيونيين على إنشاء مؤسسات للحكم الذاتي فضلاً عن استمرار الهجرة اليهودية وبيع الاراضي على نطاق واسع. وفي شباط ١٩٣٦ تعاقدت الحكومة مع احد المقاولين اليهود على بناء ثلاث مدارس في يافا، ورفض ذلك المقاول تشغيل عامل عربي واحد. وهنا تألفت حامية من العمال العرب لتطويق موقع احدى المدارس المراد بناؤها ومنع العمال اليهود من الوصول اليه فكان ذلك بمثابة الشرارة الأولى لانفجار كان لا بد من وقوعه.

ولقد كانت هذه الحادثة التي اشعلت الشرارة الأولى للثورة حادثة بسيطة نسبياً ولكنها كانت بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير. ففي الخامس عشر من نيسان قتل رجل يهودي وأصيب يهوديان بجروح خطيرة وذلك في أثناء تحركات للعصابات العربية على الطريق العامة الواقعة بين نابلس وطولكرم. وفي الليلة التالية قتل عربيان في الطريق العام الى الشمال من مستعمرة ملبس، ومن الطبيعي ان يكون العرب قد اعتبروا ذلك بمثابة انتقام لمقتل اليهودي، وعندما شيعت جنازة هذا اليهودي في السابع عشر من نيسان تحولت الى تظاهرة صاخبة حاولت التوجه نحو مدينة يافا ولكن البوليس حال دون ذلك فرجمته الجماهير اليهودية بالحجارة(٥) وتبعت ذلك سلسلة من الهجمات على تجار الخضر العرب عند اطراف تل أبيب. وفي اليوم التاسع عشر من نيسان كانت الشائعات ومقتل المزيد من العرب قد عمت البلاد فاصطدم العرب واليهود عند حدود يافا ـ تل ابيب وأصيب عدد من كلا الجانبين بجروح.

اعلان الاضراب العام

وهنا اعلنت الحكومة منع التجول في يافا وتل ابيب واعلنت حالة الطوارىء في البلاد كلها .

وفي غضون الاشتباكات التي وقعت في التاسع عشر من نيسان أصيب عشرات العرب بجروح وأحرق الكثير من المنازل العربية . أما رد الفعل العربي لهذه الحوادث فقد كان عفوياً عنيفاً في جميع مناطق البلاد. وفي العشرين من نيسان شكلت في نابلس لجنة قومية عربية قررت إعلان الاضراب العام في البلاد كلها على أن يستمر الاضراب الى ان تعلن الحكومة موافقتها على المطالب التي قدمت اليها في شهر تشرين الأول السابق.

وفي اليوم التالي شكلت لجان قومية مماثلة بقيادة الاستقلاليين والشباب المناضلين في كل من حيفا ويافا وغزة اعلنت جميعها التمسك بالمطالب السابقة الذكر ومواصلة الاضراب الذي اعلنته لجنة نابلس . واعترف واكهوب في تقرير قدمه لوزير المستعمرات «ان الاضراب بدأ بصورة مستقلة وعفوية في انحاء مختلفة من البلاد واعلنته لجان وجماعات مختلفة»(٦) .

أما الاحزاب العربية فقد سارعت إلى التجاوب مع هذه الحركة فارتبطت الكتلة الوطنية ومؤتمر الشباب على التوالي باللجنتين القوميتين في نابلس ويافا .

أما الحزب العربي فقد حرص على ان لا يفقد زمام المبادرة كما فعل في تشرين الثاني ١٩٣٥ ومن ثم فقد سارع إلى اعلان تأييده للاضراب العام اعتباراً من الحادي والعشرين من نيسان .

«وكان المعتدلون ممثلين بحزب الدفاع الوطني بزعامة راغب النشاشيبي وفئات التجار الذين هم أشد الفئات تعرضاً للخسارة، ميالين لتحديد مدة معينة للاضراب وان كانوا يعترفون بضرورة القيام ببعض البادرات الوطنية القوية»(٧) .

وفي الحادي والعشرين من نيسان اجتمع واكهوب بعدد من زعماء الاحزاب وطلب اليهم استخدام نفوذهم لكبح جماح الفوضى والاخلال بالنظام وتسمية ممثليهم في وفد يتوجه إلى لندن للاجتماع بوزير المستعمرات في الرابع من ايار .

---

* في تلك اللحظة ظهر فرحان السعدي، احد اعوان القسّام، وقتل ٣ يهود كاشارة لاندلاع حرب العصابات ضد الصهيونيين والحكومة .

طلب وقف الهجرة

قال الزعماء العرب لواكهوب انهم راغبون بالفعل في مساعدته على اعادة النظام «ولكنه سيسهل مهمتهم إذا اوقفت الهجرة على الفور»(٨) وذلك كخطوة اولية موقتة تعتبر تمهيداً لاجراء المزيد من المفاوضات. وشكا جمال الحسيني من «موقف البوليس الذي اعطى للشعب انطباعاً بان العدو الحقيقي هو البريطانيون»(٩) واضاف زعيم الحزب العربي ان الوفد لا يعتزم، بسبب الظروف الراهنة، ان يتوجه إلى لندن قبل ان يعود السلام إلى البلاد.

وكان الشعور المناهض للبريطانيين الظاهرة البارزة في دعوة اللجان القومية الى الاضراب العام. ففي بيان اللجنة القومية بحيفا مثلاً نسبت جذور الشر كلها إلى السياسة الغاشمة للحكومة البريطانية(١٠).

وكان زعماء الاحزاب الخمسة حرصاء على ركوب موجة المشاعر الشعبية الغامرة فأصدروا، بدافع من ذلك، في الثاني والعشرين من نيسان بياناً اعلنوا فيه ارجاء سفر الوفد الى لندن، وطلبوا من «الشعب الكريم مواصلة اضرابه الحالي معتصماً بالصبر والهدوء والتصميم حتى اشعار آخر على ان يستثنى من الاضراب مؤقتاً المطاحن والأفران وعيادات الاطباء والمستوصفات والصيدليات ووسائل المواصلات والمقاهي وذلك حتى اشعار آخر(١١).

وبعد يومين اجتمعت اللجنة القومية في القدس وشكلت جهازاً خاصاً للاشراف على الاضراب .وشكلت بالاضافة الى ذلك لجان لرعاية شؤون المحتاجين(١٢) وجمع التبرعات وتصدير الصناعات والمنتجات الوطنية وشؤون النقليات والخدمات القانونية والطبابة حتى يتمكن الشعب من مواصلة الاضراب العام وتحمل المتاعب والمشاق الناجمة عن ذلك. وفي اليوم نفسه انضم اصحاب السيارات الخاصة والعامة وسيارات الشحن في فلسطين إلى اصحاب المتاجر والطلاب والعمال عامة وعمال مرفأ يافا خاصة في المشاركة بالاضراب العام.

تشكيل اللجنة العربية العليا

وفي الخامس والعشرين من نيسان عقد اجتماع ضم جميع الاحزاب العربية وشكلت لجنة عليا عرفت فيها بعد باللجنة العربية العليا. ووافق الحاج امين، بعد تردد، على قبول

رئاسة تلك اللجنة . وعزا اسباب تردده الى خشيته من ان لا يتعاون معه زعماء الاحزاب السياسية الاخرى . ولكن السبب الحقيقي لهذا التردد كان على الارجح هو عدم رغبته في ان يصطدم اصطداماً مباشراً بالبريطانيين . أما اعضاء اللجنة العليا الاخرون فكانوا عوني عبد الهادي (سكرتير اللجنة) ، احمد حلمي -باشا- (امين الصندوق) ، راغب النشاشيبي ، جمال الحسيني ، عبد اللطيف صلاح ، الدكتور حسين الخالدي ، يعقوب الغصين ، يعقوب فراج ، الفرد روك . ووسط موجة من الحماس اعلنت اللجنة العليا ان الزعماء اصبحوا الان بمثابة لجنة «لمواصلة الاضراب العام الى ان تغير الحكومة البريطانية سياستها الحاضرة تغييراً جوهرياً يبدأ بمنع الهجرة اليهودية»(١٣) واكدوا كذلك تمسكهم بالمطالب الوطنية الثلاثة «للميثاق الوطني» وهي منع الهجرة ومنع بيع الأراضي وتأليف حكومة وطنية مسؤولة أمام مجلس تمثيلي .

واناطت اللجنة العليا امر تنسيق نشاطات مختلف اللجان القومية بعوني عبد الهادي الذي كان يجري مع هذه اللجان يومياً اتصالات تلفونية . وسرعان ما انتهج سياسة ترمي الى «توريط» الملوك العرب والاستعانة بهم . ووجهت اللجنة الى المندوب السامي مذكرة ركزت على المخططات اليهودية الرامية إلى تحويل فلسطين العربية الى ارض اسرائيل وجعلها دولة تضم جميع يهود العالم . وقالت المذكرة ان استمرار السياسة البريطانية الحالية سيقود الى استئصال العرب من فلسطين(١٤) . وزاد من حدة المرارة لدى العرب خطاب القاه وايزمان في تل ابيب في الثالث والعشرين من نيسان وقال فيه ان الصراع العربي-الصهيوني هو صراع بين قوى الصحراء والخراب من جهة وقوى الحضارة والعمران من جهة أخرى(١٥) .

وقبل نهاية شهر نيسان كان العمل والتجارة عند العرب قد بلغا عملياً حالة من التوقف التام وادت الاصطدامات العنيفة بين المتظاهرين العرب والبوليس الى قيام اعمال عنف في القدس .

مؤتمر اللجان القومية

وقبيل انعقاد مؤتمر اللجان القومية العام ، عقد اجتماع للنساء العربيات في القدس صدر عنه نداء حث اللجنة العربية العليا واللجان القومية على مقاطعة الحكومة والامتناع عن الدخول معها في مفاوضات قبل ان تتحقق المطالب العربية . وصدر في بلدة جنين بيان

آخر مماثل اعلن انه لا يحق لأي حزب أو لجنة ان تتفاوض مع الحكومة أو تتخذ أية خطوة حاسمة دون اجراء استشارات مسبقة ضمن مؤتمر وطني. وفي الثامن من أيار عقد في القدس مؤتمر لجميع اللجان القومية. وهيمن على المؤتمر الثوريون العرب الأمر الذي جعل المؤتمر لا يكتفي بمواصلة الاضراب وحسب بل يتجاوز ذلك الى تبني مبدأ «لا ضرائب بدون تمثيل». واعلن ان هدف النضال الفلسطيني هو «استقلال فلسطين ضمن اطار الوحدة العربية»(١٦) وطالبت لجنة المواصلات العربية بان ينضم موظفو الحكومة (العرب) الى الاضراب، غير انه لم يتخذ اي قرار بهذا الشأن.

وسرعان ما تبين ان النساء والطلاب يلعبون دوراً رئيسيا في رفع الروح المعنوية لدى الشعب وفي مشاركة العاملين في حقل الاغاثة والاسعافات الطبية والقيام بالتظاهرات ايضاً(١٧).

وبعد يومين من المؤتمر عقدت لجان الطلبة مؤتمراً في يافا قررت فيه تأييد المطالب الوطنية ومقاطعة البضائع البريطانية والصهيونية والانسحاب من الحركة الكشفية التابعة لبادن باول البريطاني. وفي اليوم نفسه القيت عدة قنابل بالقرب من دوائر الحكومة، وفي اليوم التالي القيت قنبلة خارج مركز البوليس العام. وبدأت تظهر بالفعل دلائل تشير الى امتداد الانتفاضة الى المناطق الريفية من فلسطين. وعقدت اللجنة الوطنية الريفية مؤتمراً لها في نابلس تقرر فيه تشكيل لجان قومية في جميع القرى العربية من فلسطين وتبني الدعوة الى الامتناع عن دفع الضرائب وشجب إقامة مراكز للبوليس في بعض القرى على نفقة القرويين.

وفي اليوم نفسه بعث واكهوب بتقرير إلى وزارة المستعمرات قال فيه «ان جميع سكان القرى والمدن متحدون»، وتكهن واكهوب في نفس هذا التقرير بان كل اسبوع قادم سيحمل معه بعد الآن مزيداً من مظاهر المقاومة للسلطات. واضاف واكهوب يقول «فعلى الرغم من القاء القبض على اكثر من ٦٦٠ رجلا فان عمليات اطلاق النار والقاء القنابل وتخريب السكك الحديدية مستمرة وستزداد حدتها»(١٨).

وعند هذه النقطة منح واكهوب صلاحية لعب الورقة الوحيدة المتبقية بين يديه وهي تعيين لجنة تحقيق ملكية للنظر في اسباب الثورة على أن تبدأ عملها بعد عودة استتباب النظام في البلاد. ولكنه سرعان ما اكتشف أن السياسيين ورؤساء البلديات والزعماء غير السياسيين لم تعد لديهم «بسبب قوة الرأي العام في جميع انحاء البلاد» قدرة على الأمر بوقف الاضراب(١٩).



الشهيد الشيخ عز الدين القسام

وبرهنت تكهنات واكهوب على انها صادقة دقيقة فقد عمت التظاهرات المدن الكبيرة وخرجت الجماهير وهي تهتف بشعارات متصاعدة الحدة ضد بريطانيا والصهيونية(٢٠). وزادت حوادث الاصطدام بالبوليس من حدة شعور العرب بالمرارة نحو الحكومة، ونظم الشباب العرب الحرس الوطني في محاولة لتقوية الروح المعنوية لدى الشعب والدفاع عن المخازن والسكان خلال اضراب طويل الأمد.

ثورة الريف الفلسطيني

أما التعبير عن السخط في الارياف فقد اتخذ شكلين : عدم دفع الضرائب والعنف . وكتب الفايس مارشال بيرس بهذا الصدد يقول :

«أعلن الناس في الاجتماعات القروية التي عقدت في المناطق الشمالية انضمامهم الى حركة الاضراب . وفي الثامن عشر من أيار عقد اجتماع كبير في قرية ابو غوش الواقعة بين القدس ويافا حضره عدة الوف من الناس قادمين من القرى المجاورة . الشعور العام هو ان الوقت قد حان لحل المشكلة اليهودية مرة واحدة والى الابد . وغدا من الضروري مواصلة النضال ضد الحكومة إلى ان يتم تحقيق الاهداف السياسية»(٢١) .

وفي نفس هذا اليوم الثامن عشر من ايار اعلنت الحكومة برنامجاً جديداً للهجرة يسمح بموجبه باستقبال ٤٥٠٠ مهاجر خلال الاشهر الستة التالية الامر الذي زاد من حدة المرارة لدى الرأي العام العربي وحمل الفلسطينيين على ان يتعاهدوا على ابداء مزيد من التحدي للبريطانيين . وفي اليوم نفسه أيضاً اعلن في مجلس العموم انه تقرر تعيين لجنة ملكية للتحقيق في اسباب القلق والاضطراب في فلسطين ، ولكن اللجنة لن تبدأ اعمالها قبل أن يتوقف الاضراب وتعود الحالة الطبيعية الى البلاد . بيد ان هذا الاعلان لم يترك الاثر الذي توخاه اصحابه منه واستمر العرب في تمسكهم بمواصلة الاضراب إلى أن تعلن الحكومة وقف الهجرة اليهودية .

وهنا بدأت التعزيزات العسكرية بالتدفق على فلسطين من مصر ومالطا . وفي الثالث والعشرين من ايار تم القاء القبض على ٦١ مناضلا عربيا من المشرفين على تنظيم الاضراب . ولم تكد انباء ذلك تنتشر حتى هرع المتظاهرون الى الشوارع حيث اطلق البوليس النار فقتل اربعة اشخاص وجرح سبعة . وتوجه عدد من القرويين المسلحين الى طولكرم بالقرب من قرية بلعا حيث جرح اربعة أشخاص بينهم امرأة كانت تحمل الماء للمقاتلين . وعند هذا الحد تحول الاضراب السلمي في لواء السامرة الى ثورة كاملة سافرة .

وكان لتصعيد الكفاح المسلح اثره في زيادة الضغط على الهيئات العربية التي لم تكن حتى ذلك الحين قد انضمت الى الاضراب مثل البلديات ومثل موظفي الحكومة وعمال مرفأ حيفا العرب . ولقد هددت السلطات العمال بفقدان اعمالهم فقداناً تاماً اذا انضموا الى الاضراب فقد كان عمال مرفأ حيفا يتألفون من عناصر عربية ويهودية على السواء وبالتالي

كان من السهل ان يستعاض عن العمال العرب بعمال يهود على الفور بحيث يستمر ذلك بصورة دائمة . أما فيما يتعلق بعمال البلديات فقد كان امرهم منوطا برؤساء البلديات الذين لم يتخذوا من الحكومة موقفاً عدائياً يبلغ المدى الذي ذهبت اليه القطاعات الاخرى . واخيراً وافق رؤساء البلديات تحت الضغط الشديد على عقد اجتماع يبحثون فيه الحالة ويتخذون موقفاً مشتركاً منسقاً من الحكومة ولكن الحكومة سارعت الى الغاء الاجتماع . بيد انهم عادوا فاجتمعوا بصورة سرية في الحادي والثلاثين من ايار . ونتيجة لهذا الاجتماع التزم بالاضراب نصفهم * .

أما بالنسبة لموظفي الحكومة فان اللجنة العربية العليا لم تطلب منهم ان ينضموا الى الاضراب على الرغم من الضغط الشعبي على اللجنة كي تفعل ذلك. ولكن كبار الموظفين والقضاة العرب ارسلوا على كل حال إلى الحكومة مذكرة عنيفة اللهجة اوصوا فيها بوقف الهجرة وقالوا «ان القضاء على الاضراب لا يمكن ان يتم بالقوة بل بازالة اسبابه»(٢٢) .

أما مسؤولية فشل دعوة موظفي الحكومة إلى الاضراب الأمر الذي كان سيفضي إلى شل الادارة الحكومية العامة حتماً فلا بد ان تلقى على عاتق رجال الهيئة العربية العليا الذين لم يصلوا إلى هذا المستوى من الروح النضالية . ومن بين اعضاء اللجنة العشرة لم يلق القبض إلا على واحد فقط هو عوني عبد الهادي الذي زج به في «معسكر للاعتقال» في قرية صرفند بالنظر إلى ما اسماه واكهوب بقدراته وكفاءاته التنظيمية ، كما لاقى خليفته في المنصب عزت دروزة المصير نفسه . اما الحاج امين فعلى الرغم من رئاسته للجنة العربية العليا التي كانت ظاهرياً تتولى قيادة العرب في اضرابهم المناهض للحكومة وعصيانهم المدني المتمثل في الامتناع عن دفع الضرائب ، فان واكهوب كان يبدي الكثير من التقدير والامتنان لمواقفه المعتدلة . وفي السابع من حزيران كتب واكهوب تقريراً نقل فيه هذه المشاعر إلى أورمسبي غور وزير المستعمرات الجديد فقال :

«ان الحقيقة التي تسترعي الانتباه ، ان النداء الديني لم يرفع طيلة الاسابيع الستة الماضية وان صلوات ايام الجمعة وخطبها اقترنت بدرجة من الاعتدال تفوق بكثير ما كنت أتوقعه في وقت بلغت فيه حدة المشاعر عمقاً كبيراً ، والفضل في ذلك يعود في الدرجة الاولى إلى المفتي»(٢٣) .

---

* اعفي عمال الكهرباء والتنظيفات من الالتزام بالاضراب .

وبعد خمسة أيام منحت تأشيرات سفر إلى انكلترا لكل من جمال الحسيني وشبلي الجمل والدكتور عزت طنوس وعبد اللطيف صلاح وزود الثلاثة الأول برسالة من واكهوب لتقديمهم إلى السرجون مافي من وزارة المستعمرات. وكان هؤلاء الزعماء راغبين في اجراء مفاوضات تكون نتيجتها مقبولة لدى الحكومة البريطانية والعرب الفلسطينيين على السواء. وفي اثناء احدى المقابلات التي اجروها في وزارة المستعمرات «اعترفوا بأنهم اصبحوا إلى حد كبير مرتهنين لدى الشعب واشاروا إلى تهديدات تلقاها جمال الحسيني وعوني عبد الهادي بأن لا يبديا أي تساهل»(٢٤).

التعسف البريطاني يزيد الثورة التهاباً

وكانت السلطات البريطانية مقتنعة بان الاضراب يتمتع «بعطف العرب الكامل». وأعربت هذه السلطات عن اعتقادها بعدم وجود أية دلائل على طروء (وهن على عزيمة الشعب العربي وروحه)(٢٥) وبأن العصابات المسلحة كانت تلقى التأييد والمساندة من القرويين. واستخلص بيرس ومعه القادة العسكريون من ذلك أنه:

«من الواضح ان الوسيلة الوحيدة لاستعادة زمام المبادرة من الثوار هي اتخاذ اجراءات ضد القرى التي ينطلق منها الثوار والمخربون .. ومن ثم فانني بدأت بالتعاون مع مفتشي البوليس في تفتيش القرى. وكانت اعمال التفتيش تجري، في الظاهر، بحجة البحث عن السلاح وعن الأشخاص المطلوبين ولكن الحقيقة هي ان الاجراءات التي كان البوليس يتبعها والتي كانت تسير على نفس خطوط الاجراءات التركية القديمة، انما هي اجراءات تأديبية شديدة»(٢٦).

بيد ان هذه الاجراءات التأديبية لم تكن بغيضة لدى البوليس الفلسطيني وحسب بل تركت أثرها أيضاً في التقريب بين القرويين والثوار وزيادة تلاحمهم. فإن رئيس بلدية نابلس الموالي للحكومة، أبلغ واكهوب مثلاً أنه «في غضون عمليات التفتيش التي جرت أخيراً في القرى اتلفت الممتلكات وسرقت الحلي ومزقت نسخ القرآن الكريم الامر الذي زاد من حدة هياج الفلاحين»(٢٧).

وبعد يومين من ذلك استقبل واكهوب وفداً من العلماء الذين قدموا اليه عرائض والقوا كلمات عنيفة حول الموضوع نفسه. وابلغوا المندوب السامي، بالاضافة الى ذلك، ان العرب يدركون انهم «حين يهاجمون قوات صاحب الجلالة البريطانية انما يقدمون على

الانتحار، ولكن الانسان اليائس، كما تعرفون فخامتكم، كثيرا ما يقدم على الانتحار»(٢٨) ومضى وفد العلماء يقول ان هذه الانتفاضات العربيـة هو باختصار «ابلاغ صوت العرب الى انكلترا عله يقنع الشعب البريطاني بمساعدته فـي النظر في أمر حالتهم الميئسة»(٢٩) فهم يؤثرون الاقدام على الانتحار أو تعريض اجسامهم لرصاص القوات البريطانية على ترك اليهود ليسيطروا على فلسطين.

وعلى الرغم من ان المقاومة المسلحة كانت في الدرجة الأولى ثورة فلاحين إلا انها لم تكن مقصورة على قطاع الفلاحين. فقبل ان تدخل القوات البريطانية نابلس في اواخر شهر ايار نصبت المتاريس في الشوارع الرئيسية وفي الازقة الضيقة من هذه المدينة العربية العريقة. وتعرض معسكر القوات البريـطانية والقلعـة لاطلاق نيـران كثيفة عليهـا من المنحدرات السحيقة والجبال المحيطة بالمدينة. وجرت حـالة مماثلـة في طولكـرم وقريـة عقربة. أما في ضواحي القدس فقد كانت سيارات الركاب الكبيرة اليهودية والسيارات المدرعة التي تعمل دوريات في المنطقة تتعرض لغارات الثوار أيضـا. وفي غزة وضعت المتاريس وسط الشوارع وهبت في اعقاب اصطدام وقع مع البوليس في الخامس والعشرين من ايار، انتفاضة اضطرت معها السلطات إلى ارسال السيارات المدرعة والدبابات لرفع المتاريس التي سدّت الشوارع.

وكانت هنالك عمليات ناشطة للقناصة العرب في جميع المدن والقرى تقريباً وكان هدف هذه العمليات هو مراكز البوليس والجيش.

هدم يافا القديمة

على ان اشد الحالات خطورة كانت تلك التي نشأت في البلدة القديمة بيافا التي كانت كما ذكر واكهوب في احد تقاريره «تشكل قلعة لا تجرؤ القوات الحكومية على دخولها»(٣٠) إذ كانت هذه البلدة القديمة تشكل ملجأ للثوار بفضل ازقتها الضيقة وشبكة طرقاتها المربكة ومنازلها القديمة اللاصق بعضها ببعض. وكانت القوات البريطانية والمنشآت العسكرية تتعرض باستمرار لاطلاق النيران من ذلك الحي الاستراتيجي الذي كان يسيطر على المدينة دون ان تستطيع سيارات الجيش أو البوليس الدخول اليه. وهنا طلب العسكريون فتح شارع عريض عبر التلة التي تقوم فوقها البلدة القديمة حتى يستطيع الجيش السيطرة عليها. وكان ذلك يعني هدم عدد كبير من المنازل وإزالة جانب كبير من الحي الواسع. وبعد

تلكؤ من السلطات المدنية اصدرت الادارة الحكومية منشوراً صادراً عن مطبعة الحكومة وزع على سكان البلدة القديمة وجاء فيه ان السلطات وجدت من الضروري ، لاسباب صحية وتخطيطية ، هدم عدد من المنازل في الحي .

ولقد احدث ذلك قدراً كبيراً من المرارة في النفوس واضطر الكثيرون من سكان المنازل المهدومة الى السكن في اكواخ رثة اقاموها في ضواحي المدينة .

على ان الاجراءات التأديبية التي اتخذها العسكريون وتعديل انظمة الطوارىء بحيث يصبح في الامكان اصدار احكام بأعدام اولئك الذين يطلقون النار ثم القاء القبض بصورة جماعية على المناضلين الوطنيين العرب ، كل ذلك قد زاد من تصميم الشعب على مواصلة الاضراب وامتداد المقاومة المسلحة إلى مختلف انحاء البلاد . أما مفاوضات جمال الحسيني في لندن فلم تؤد إلى أي صيغة تصلح أساسا لانهاء الاضراب وذهبت ادراج الرياح أيضا جهود الامير عبد الله لدى اللجنة العربية العليا في هذا الاتجاه . واصبحت مذكرات الاحتجاج ضد الحكومة وقوة العسكريين تزداد حدة يوماً بعد يوم . أما العلماء فقد ساءهم هدم اجزاء من بعض المساجد وبذلك أخذ موقفهم المعتدل من الحكومة يتخذ في شهر تموز شكلاً أشد تطرفاً وتحدياً .

تنظيمات الكفاح المسلح

بيد ان الاضراب العام وان ترك انطباعاً عميقاً فقد بدأ يظهر وكأنما هو عمل ثانوي عندما بدأت العصابات المسلحة ممارسة النشاط في أنحاء متفرقة من البلاد ، ثم أخذت العمليات تتخذ تدريجياً ابعاداً اكثر ثورية . ففي تقرير شهر حزيران ذكر بيرس :

«ان العصابات المسلحة التي كانت في السابق تتألف من زمر يتراوح عدد الواحدة منها بين ١٥ رجلاً و٢٠ قد اصبحت تتواجد بزمر يتراوح عدد الواحدة منها بين ٥٠ رجلاً و٧٠ وهي ليست عصابات للنهب ، بل هي تمارس ما تعتقد انه حرب وطنية تدافع بها عن بلادها في وجه الظلم والتهديد بالسيطرة اليهودية» .

خطة سياسية لتطويق الثورة

وحاولت السلطات العسكرية مواجهة تصعيد عمليات الثورة بنسف منازل المشتبه بهم وتطويق الثوار وفرض غرامات جماعية على القرى التي عرفت بأنها تقدم مساعدات فعالة

للثورة . ومهما يكن من أمر فان السلطات العسكرية كانت تتوقع مزيداً من اعمال المقاومة المسلحة وذلك بالنظر للجهود المتصاعدة في تهريب الاسلحة الى داخل فلسطين وبالنظر إلى ان الفلاحين كانوا يستعجلون اعمال الحصاد حتى يتفرغوا للثورة(٣١).

وكان الثوار يعتمدون داخل المدن والقرى على اللجان المحلية لتزويدهم بالطعام والرجال والمأوى والمعلومات. وكانت تشكيلاتهم العسكرية التي تعمل على صعيد محلي تنقسم الى ثلاث فئات . فالفئة الأولى تتألف من مجاهدين متفرغين معتصمين بالجبال كانوا يشكلون عمود الثورة الفقري ويجابهون قوات الجيش البريطاني ويقومون بنسف خطوط البترول والمنشآت الاخرى. أما الفئة الثانية فتتألف من فدائيي المدن الذين يمارسون حياتهم المدنية المعتادة ولكنهم ينجزون مهام عسكرية محددة بناء على طلب قيادتهم . وكانت هذه العمليات الاخيرة ذات أثر فعال بنوع خاص في تصفية العرب المشتبه بأنهم يتعاونون مع السلطات البريطانية فضلا عن القيام باغتيال الضباط البريطانيين الذين يغالون في تعذيب القرويين والمعتقلين . اما الفئة الثالثة وهي كبرى الفئات عددا فهي الانصار او تشكيلات الرديف الذين كانت أكثريتهم الساحقة تتألف من الفلاحين العاديين الذين يهبون إلى حمل السلاح ونجدة المجاهدين عندما تنشب معركة في منطقتهم .

وفي غضون شهر تموز كتبت الاستخبارات العسكري البريطانية تقول انه تجري اعادة تنظيم الثوار على أيدي ضباط سابقين من سوريا وشرق الاردن الأمر الذي ظهر اثره من خلال ما لوحظ من تحسن كبير في عملياتهم العسكرية الاخيرة .وكانت تشكيلات الثورة منقسمة الى اربع جبهات يتولى رئاسة كل منها قائد منطقة يهيمن على تشكيلات يتألف كل منها من عدد يتراوح بين ١٥٠ مجاهداً و٢٠٠ ويرئس كل تشكيل قائد فصيل .

وفي الوقت الذي كان واكهوب واورمسبي غور يأملان فيه بأن تفلح الاجراءات القمعية في سحق الثورة، كانا يبحثان أيضاً عن وسيلة لفك الاضراب العام واضعاف العصابات المسلحة بطرق سياسية سلمية ولتهدئة خواطر العرب المأجورين حتى يعملوا على حمل الفلسطينيين على حل الاضراب العام ووقف المقاومة المسلحة(٣٢). وقد اجريت بالفعل اتصالات لهذا الغرض مع المملكة العربية السعودية ونوري السعيد وزير خارجية العراق. وفي حوالي منتصف شهر تموز شجعت الحكومة «الامير عبد الله امير شرقي الاردن على محاولة التوسط لدى الهيئة العربية العليا لمصلحة تحقيق السلام»(٣٣).

وفي السابع من آب دعا الأمير عبدالله اللجنة العربية العليا الى عمان حيث أبلغه

أعضاؤها أنهم عاجزون عن وقف الاضراب ما لم تقرر الحكومة وقف الهجرة اليهودية وبعد اسبوعين وصل الى فلسطين نوري السعيد وحل ضيفاً على الحكومة ثم عرض خدماته كوسيط غير رسمي بين الحكومة واللجنة العربية العليا. ولما لم يكن في وسع وزير الخارجية العراقي أن يقدم أية ضمانات باسم حكومته فقد انقطعت المفاوضات. وفي بيان صادر في الثلاثين من آب أعلنت اللجنة العربية العليا بأنها في الوقت الذي تثق فيه بصدق وساطة حكومة العراق وأصحاب الجلالة والسمو ملوك وأمراء العرب فإن الشعب الفلسطيني سيواصل إضرابه العام بنفس القوة والإيمان اللذين أبداهما حتى الآن[٣٤].

ولم يكن فشل مهمة نوري السعيد هو النكسة الوحيدة التي تعرضت لها الآمال البريطانية بوقف الاضراب العام والثورة. ففي غضون شهر آب كتب واكهوب الى اورمسبي غور يقول إن المواصلات لا تزال تتعرض باستمرار للتخريب الشديد كما ان التجارة مشلولة في كل مكان.

وفي الوقت الذي وصل فيه نوري السعيد الى فلسطين دخلها أيضاً الضابط السوري فوزي القاوقجي على رأس عصابة مسلحة واعلن نفسه قائداً عاماً للثورة العربية في سوريا الجنوبية (فلسطين)*. وبعد تسلم القاوقجي قيادة الثورة بقليل كتب بيرس يقول:

«لقد طرأ تحسن على تكتيك الثوار وظهرت على العصابات دلائل تشير إلى وجود قيادة وتنظيم فعالين فيها. فهي الآن مزودة تزويداً جيداً بالأسلحة والذخائر كما ان امتداد عملياتها الى مناطق خارج المناطق التي اعتادت النضال المسلح من قبل، يدل على ان عدد أفراد هذه العصابات قد ازداد ازدياداً كبيراً»[٣٥].

ودخل بعد ذلك ضباط ثوريون عرب آخرون مثل سعيد العاص الذي استشهد في تشرين الأول (١٩٣٦) والشيخ محمد الأشمر وكانا قد وصلا خلال الأسبوع الأول من أيلول نتيجة مساعي المفتي كما يرجح[٣٦].

---

* بدأ القاوقجي حياته ضابطا في الجيش التركي اثناء الحرب ثم عمل مع الفرنسيين بعد الحرب فحصل على وسام من اعلى الأوسمة الفرنسية لخدماته في المخابرات. وقد انضم فيما بعد إلى ثورة سوريا عام ١٩٢٥ وحكم عليه بالموت إلا أنه هرب الى الحجاز حيث عمل مستشارا للملك ابن سعود ثم ما لبث ان التحق بالجيش العراقي واستقال عام ١٩٣٦ وتوجه الى فلسطين.

وعلى الرغم من تزايد قوة الثوار واستمرار سكان المدن في اضرابهم العام كان القادة السياسيون الفلسطينيون متلهفين على التوصل الى تسوية مع الحكومة. ففي غضون النصف الثاني من آب كتب عوني عبدالهادي رسالة الى واكهوب يقول فيها ما يستفاد منه ان الزعماء العرب قد يكونون الآن على استعداد للدعوة إلى حل الاضراب ووقف الثورة إذا اطمأنوا الى إعادة النظام سيعقبه وقف الهجرة وقفاً تاماً(٣٧) وهو ما ينسجم الى حد كبير مع الحل الذي تبناه واكهوب واورمسبي غور قبل ذلك ببضعة اسابيع فقط بل تبناه ايضا كثيرون من الموظفين البريطانيين ومعظم المقيمين البريطانيين في فلسطين ممن كانوا يراقبون عن كثب «نمو الروح الوطنية العربية»(٣٨). ولقد حذر واكهوب المرة تلو المرة من ان البديل الذي تبناه العسكريون وهو انتهاج وسائل متطرفة جذرية لوضع حد للاضطرابات، ستضطر الجيش الى زيادة قواته زيادة كبيرة، وان هذه الاجراءات ستترك في نفوس السكان العرب مرارة وسخطاً يجعلانهم على استعداد للعودة الى الثورة في أي وقت من المستقبل(٣٩).

وعلى الرغم من اقتناع اورمسبي غور بأن توصيات واكهوب تعتبر خير سبل العمل فإنه وجد نفسه عاجزاً عن التصرف وفقاً لما يعتقد. ففي التاسع عشر من حزيران ١٩٣٦، بحث مجلس العموم الحالة في فلسطين وأكد النواب الذين تعاقبوا على الحديث، الأهمية الاستراتيجية الكبيرة لفلسطين في أوقات الحرب والسلم على السواء. وكان النواب المتحدثون يربطون بين سلامة المصالح البريطانية وبين نجاح الصهيونية في فلسطين. وبلغت الحملة الصهيونية ضد التوقيف الموقت للهجرة اليهودية حداً بالغاً من الفعالية الأمر الذي حمل الحكومة على تغيير موقفها. وفي مقابلة مع اورمسبي غور ألمح وايزمان وبن غوريون الى انه إذا انتهجت بريطانيا سياسة ترضية نحو العرب فإن الصهيونيين قد يحدثون انقلاباً في تحالفاتهم ويساعدون على إقصاء بريطانيا عن المنطقة «ولكنهم رفضوا حتى الآن باستمرار كل هذه الأنواع من العروض»(٤٠).

وفي اجتماع لمجلس الوزراء كرس لبحث آخر التطورات في حالة فلسطين:

«لاحظ وزير المستعمرات ان الحكومة تواجه حالة خطيرة جداً سواء كان ذلك في فلسطين أو الشرق الأدنى أو داخل الوطن. فنتيجة لأحداث الأيام القليلة الماضية أصبح العالم اليهودي بأسره في موجة من الهياج. وأخذ المستر لويد جورج وغيره يبدون قلقاً متزايداً كما ان المستر اتلي أبدى رغبته في عقد دورة خاصة للبرلمان»(٤١).

وفي نهاية الاجتماع قرر مجلس الوزراء ضرورة « اتخاذ اجراء شديد لسحق المقاومة العربية . ولتحقيق ذلك ينبغي تعزيز القوات البريطانية في فلسطين بفرقة كاملة ترسل من بريطانيا ، كما قرر ضرورة فرض الحكم العسكري العرفي في الوقت الملائم اما في فلسطين كلها أو في اجزاء مختارة منها»(٤٢).

وبعد ذلك بخمسة أيام اصدرت وزارة المستعمرات بياناً عنيفاً تحدثت فيه عما اسمته «التحدي المباشر لسلطة الحكومة البريطانية في فلسطين». وأكد بيان الوزارة ان الحكومة البريطانية قامت بمحاولات عديدة للتوصل إلى تسوية معقولة ولكن محاولاتها ذهبت كلها ادراج الرياح . ومضى البيان يقول ان صبر الحكومة قد نفد الآن ولا بد من اعادة النظام إلى البلاد دون تأخير . ومن ثم فقد تقرر ارسال فرقة اضافية من الجيش إلى فلسطين على ان يتولى اللفتانت جنرال ديل القيادة العسكرية العليا في البلاد.

وبعد ثلاثة أيام من هذا البيان العنيف استقبل واكهوب الحاج امين الحسيني وراغب النشاشيبي وعوني عبد الهادي كلا على انفراد قبل ان تجتمع اللجنة العربية العليا لبحث الموقف البريطاني الاخير. ويستفاد من تقرير لواكهوب ان الزعماء العرب ابدوا استعدادهم «للحث على وقف الاضطرابات وحل الاضراب دون أي شرط مسبق اذا طلب منهم ذلك الملوك العرب»(٤٣).

اجهاض الثورة ووقف الاضراب

وفي اليوم التالي نشرت اللجنة العربية العليا بياناً أشارت فيه إلى فقدان العرب للثقة في جدوى لجان التحقيق ونفت ادعاءات الحكومة بان الملوك والقادة العرب قد عرضوا وساطتهم بناء على طلب من الزعماء الفلسطينيين. ومما له دلالته أن البيان اضاف يقول ان احترام العرب لملوكهم هو أمر معروف ولا يمكن بالتالي ان يخطر ببال الفلسطينيين ان يتصرفوا تصرفاً لا ينسجم مع هذا التقليد بنوع خاص . واكد البيان ان توسط الملوك العرب هو أحسن حل للمشكلة(٤٤). وأصدر القاوقجي هو الآخر بياناً مماثلاً(٤٥) «على الرغم من ان عدداً كبيراً من السكان على استعداد تام لمواصلة القتال ولا سيما اذا استمر تدفق المساعدات عليهم من وراء الحدود بالرجال والسلاح»(٤٦).

ومع ذلك وعلى الرغم من هذه البيانات المتساهلة فقد أخذت القوات البريطانية

إلى فلسطين في الثاني والعشرين من ايلول فارتفع عدد هذه القوات في البلاد إلى أكثر من ٢٠٠٠٠ جندي وسرعان ما بدأ اتخاذ اجراءات واسعة لسحق الثوار. وشهد الاسبوع الاخير من ايلول والايام العشرة الاولى من تشرين الاول اشد المعارك التي نشبت بين القوات البريطانية والثوار العرب خلال ثورة عام ١٩٣٦.

وفي اواخر شهر ايلول توجه وفد من اللجنة العربية العليا للاجتماع بالملك ابن سعود. وفي التاسع والعشرين من الشهر نفسه توجه عوني عبد الهادي الى شرقي الأردن لمقابلة الأمير عبدالله. ونتيجة لهذه الاتصالات وطبقاً لاستشارات مسبقة مع الحكومة البريطانية وجهّ الملك ابن سعود والملك غازي والأمير عبدالله في العاشر من تشرين الاول نداء مشتركاً دعوا فيه الى حل الاضراب ووقف الثورة و «الاعتماد على النيات الطيبة لصديقتنا بريطانيا العظمى التي اعلنت انها ستحقق العدالة»(٤٧)!!

وفي اليوم التالي نشرت اللجنة العربية العليا نداءات الملوك والحكام العرب واعلنت انها بعد ان حصلت على موافقة اللجان القومية قررت ان تدعو الأمة العربية الكريمة في فلسطين للعودة الى الهدوء ووضع حد للاضراب و «الاضطرابات».

وسرعان ما توقف الاضراب والثورة بالفعل، وسمح للعصابات بأن تحل نفسها بنفسها كما سمح للثوار القادمين من الدول العربية المجاورة باجتياز الحدود تدريجياً والعودة الى الاقطار العربية التي جاءوا منها. واخذ الجو العام يتجه نحو الهدوء.

وكانت حصيلة الثورة طبقاً للأرقام الرسمية مقتل ١٦ رجل بوليس و ٢٢ جندياً فقط وإصابة ١٠٤ من رجال البوليس و ١٤٨ عسكرياً بجروح(٤٨). يضاف الى ذلك مقتل ٨٠ يهودياً وجرح نحو ٣٠٨ اشخاص منهم. أما فيما يتعلق بالعرب فان الاحصاءات الرسمية تشير الى مقتل ١٤٥ رجلاً واصابة ٨٠٤ اشخاص بجروح ولكن هذه الاحصاءات مبنية على الوفيات المؤكدة والجرحى الذين عولجوا بالمستشفيات. أما لجنة بيل فقد قدرت القتلى العرب بنحو ١٠٠٠ قتيل معظمهم قتل في اثناء المعارك(٤٩). وأعلنت الوكالة اليهودية ان ٨٠٠٠٠ شجرة من الحمضيات و ٦٢٠٠٠ شجرة أثمار اخرى و ٦٤٠٠٠ شجرة من اشجار الغابات و ١٦٥٠٠ دونم من المحصولات الزراعية التابعة كلها لليهود قد أتلفها العرب.

بيد ان عجز بريطانيا عن وقف الهجرة اليهودية أو عدم رغبتها في ذلك عزز اعتقاد

العرب بأن بريطانيا مرتبطة ارتباطا مصيريا بسياسة موالية للصهيونية في فلسطين بحيث لا يمكن تغيير هذه السياسة إلا بتحقيق الاستقلال للبلاد.

وكانت الاجراءات التأديبية وتفتيش القرى والاعتقالات الجماعية وكذلك فرض الغرامات على شكل عقوبات جماعية فضلاً عن هدم البيوت والمجازر مما كانت السلطات البريطانية تسميه مراوغة «بالتجاوزات»(٥٠)، كل ذلك قد زاد من استياء العرب من الحكومة. ويستفاد من تقرير وضعه أو. ويليامز من وزارة المستعمرات ان هذه الاجراءات «قد أثارت قدراً كبيراً من المشاعر المريرة التي لم تخل، كما اظن، من الازدراء لحكومة صاحب الجلالة البريطانية»(٥١).

قيادة هزيلة

أما الاسباب التي حملت اللجنة العربية العليا على الدعوة إلى حل الاضراب ووقف الثورة فتتصل، على الارجح، بتقديرها لمدى خطورة ما تطورت اليه الحالة العسكرية بعد وصول الفرقة البريطانية الجديدة. اضف إلى ذلك انتشار البطالة بسبب الثورة واقتراب موسم الحمضيات الذي يمس مصالح الكثيرين من الوجهاء السياسيين الأمر الذي جعل استمرار الاضراب محل خلاف وجدال كما أظهرت ذلك معارضة مقاطعة لجنة بيل بعد ذلك بوقت قصير.

وفي نفس الوقت الذي غادرت فيه لجنة التحقيق الملكية بريطانيا إلى فلسطين في الخامس من تشرين الثاني، أعلن وزير المستعمرات في مجلس العموم قرار الحكومة بأن الهجرة لن تتوقف خلال الفترة التي ستقضيها اللجنة الملكية في التحقيق.

وفي اليوم التالي نددت اللجنة العربية العليا بعبارات قاسية ببيان وزير المستعمرات الذي اعتبرته دليلاً على سوء النية ومناقضاً لما كانت اللجنة تنتظره وتأمل تحقيقه. ونتيجة لهذا الموقف قررت اللجنة العربية عدم التعاون مع اللجنة الملكية وطلبت من جميع العرب الفلسطينيين ان يتقيدوا بقرارها هذا.

على ان قرار مقاطعة لجنة بيل هذا قد كشف النقاب عن مواطن الضعف في الحركة الوطنية الفلسطينية. فعلى الرغم من ان اللجان القومية كانت ميالة الى الوقوف موقفاً قوياً صلباً فان حزب آل النشاشيبي أعرب عن استيائه من انتهاج الاساليب «المتطرفة» كما حصل عند اتخاذ قرار مقاطعة اللجنة. وتصدى الأمير عبدالله للحالة فطالب بإلغاء قرار المقاطعة

كما هدد الملك ابن سعود بقطع جميع علاقاته باللجنة العربية العليا إذا رفضت المثول امام اللجنة الملكية(٥٢).

ولقد شجع موقف الحكام العرب حزب الدفاع (حزب آل النشاشيبي) على الاسفار عن معارضته لقرار مقاطعة لجنة بيل . ففي اواخر شهر كانون الأول انتقدت جريدة فلسطين التي كانت حينذاك قد اصبحت الجريدة الناطقة باسم الحزب المذكور قرار المقاطعة(٥٣). وبعد بضعة ايام أعلن حسن صدقي الدجاني وهو من زعماء حزب الدفاع البارزين اعتزامه المثول أمام اللجنة الملكية . وكان حزب الدفاع المنشق المذكور يستمد جرأته من مخاوف الطبقات الموسرة في البلاد من ان تؤدي المواقف الجديدة المتطرفة للمفتي من جهة وتزايد نفوذ المتطرفين من جهة اخرى إلى مجابهة مسلحة كاملة مع البريطانيين . ولا شك ان مثل هذه المجابهة كانت ستلحق بهم خسائر فادحة كما انه اذا ما قدر للثورة المتوقعة ان تحقق اهدافها في الاستقلال التام فان الحاج امين سيصبح ، دون شك ، سيد البلاد دون منازع .

وهكذا الفت اللجنة العربية نفسها تواجه الانشقاق داخل صفوفها والضغط من الحكام العرب فاضطرت مرة اخرى إلى الاستسلام فألغت في السادس من كانون الثاني ١٩٣٧(٥٤) قرار المقاطعة وقدم اعضاء اللجنة شهاداتهم أمام اللجنة الملكية . وقدمت بيانات العرب امام اللجنة في غضون بضعة ايام فقط وعلى نحو غير مؤثر بالنسبة لذهنية المحاكم السياسية الغربية خلافاً لما فعل اليهود والبريطانيون .

وأكد القادة العرب في البيانات التي القوها أمام اللجنة الملكية ان فلسطين مشمولة في الاراضي التي تناولتها مراسلات مكماهون والملك حسين وانكروا شرعية تصريح بلفور وقالوا انه لم يسبق لهم ان اقروا حق الدول الاجنبية بانتداب بريطانيا لحكم فلسطين مما يجعل منح هذا الانتداب غير منسجم مع مبدأ حق تقرير المصير الذي تبنته عصبة الأمم .

وطالبت اللجنة العربية العليا بالغاء الانتداب وبإقامة حكم وطني مستقل . وقالت اللجنة الملكية في تقريرها ان الاسباب الكامنة وراء ثورة عام ١٩٣٦ تعود الى رغبة العرب في الظفر بالاستقلال الوطني من جهة وخوفهم من إقامة وطن قومي يهودي في بلادهم من جهة أخرى . واوردت اسباباً أخرى بينها حصول الاقطار العربية المجاورة على الاستقلال الوطني في حين لم يتيسر للفلسطينيين ذلك مع انهم ليسوا أقل من اخوانهم وجيرانهم جدارة بالاستقلال . وقالت اللجنة ان الطابع المتطرف للقومية اليهودية(٥٥) قد زاد من مخاوف

العرب من السيطرة اليهودية عليهم.

الصهيونية تعارض استقلال فلسطين

أما الصهيونيون فقد كانوا ، خلافاً للعرب ، يعارضون الاستقلال في هذه المرحلة «لأن اقامة فلسطين مستقلة في الظروف الراهنة يعني اقامة دولة عربية»(٥٦). وقالت اللجنة الملكية في تقريرها ايضاً ان القومية اليهودية لا تملك «رفض التحالف مع الحكومة البريطانية فهي وحدها التي تستطيع حمايتها من عداء العالم العربي»(٥٧).

وفي التاسع والعشرين من كانون الأول كتب واكهوب يقول ان الحالة في فلسطين مشبعة بالتوتر السياسي وانه:

«من القناعات العامة لدى العرب واليهود على السواء انه اذا لم يكن تقرير اللجنة الملكية وقرار حكومة صاحب الجلالة البريطانية بشأنه مرضياً للعرب فان الاضطرابات ستنشب من جديد»(٥٨).

ونشرت صحيفة الدفاع مقالاً انعكس عليه مدى استياء العرب من بريطانيا إذ ورد فيه «ان عرب فلسطين ينظرون الى الحكومة بعين ملؤها الكراهية». فمسؤولية المشكلات كلها يلقيها العرب «على الحكومة أولاً ثم على اليهود» واشار المقال الى ان الحاجة قد تدعو الى مزيد من التضحيات حتى يمكن انقاذ فلسطين من «جنون الاستعمار»(٥٩).

واخذت مظاهر الاستياء والعداء تظهر ببطء ولكن بشكل مؤكد، من خلال علاقات الحاج امين الحسيني بالحكومة . فبحلول نهاية الاضراب كان البريطانيون يشعرون بالقلق من مساندة المفتي له مساندة قوية وتقديمه المساعدات المالية التي كان رجاله يجمعونها من داخل فلسطين ومن الاقطار العربية المجاورة لتأمين نفقات العصابات المسلحة ودفع أثمان الأسلحة(٦٠). وهنا قرر كل من المندوب السامي ووزير المستعمرات إزاحة المفتي عن المسرح السياسي. ولكن واكهوب حذر اورمسبي غور على كل حال من المبالغة بالدور الذي يقوم به الحاج أمين:

« . . . انه سيكون ذروة الحماقة ان نتصور ان ازاحة المفتي أو اللجنة تحول دون خطر قيام اضطرابات جديدة أو حتى تقلل من احتمالات قيامها الى حد بعيد. وعلينا ان نقارن صلابة القرويين الذين قاومونا ستة اشهر وهم يتلقون اجوراً ضئيلة ولا يقدمون على النهب

بضعف او فقدان السجايا القيادية العظيمة لدى اعضاء اللجنة العشرة . وعلينا كذلك ان نتذكر مخاوف العرب الحقيقية من الصهيونية وبغضهم العميق لها»(٦١).

وأشار المندوب السامي بحق الى ان الخوف من سيطرة يهودية وشيكة ، أمر يحس به جميع الناس كبارا وصغارا سواء بسواء وان هذا الخوف هو مصدر الاضطرابات وأن الهيئات التي نظمت الاضراب والثورة «انبثقت الى الوجود محلياً وتلقائياً»(٦٢). ولما كانت العصابات لم ترم سلاحها بعد، ولما كانت اللجان القومية لا تزال على اتصال وثيق بالشعب وبالثوار، فقد كان البريطانيون يقدرون ان الثورة ستتجدد على نطاق خطير بعد ان تقدم اللجنة الملكية تقريرها وتوصياتها.

ولما كان اليهود على علم بالفرص التي اتاحتها لهم حالة البلاد المتفجرة فقد اخذوا يضغطون على الحكومة البريطانية للحصول على مزيد من التنازلات . ففي غضون الاسبوع الاول من كانون الثاني ابلغ الدكتور برودتسكي وزارة المستعمرات ان العرب يجمعون التبرعات استعداداً للقيام باضطرابات جديدة ، واقترح اتخاذ موقف اشد تجاه المفتي وانصاره . واضاف يقول انه على الرغم من ان اليهود «يقدرون الخطوة التي اتخذها المندوب السامي حين اصدر تفويضاً بتشكيل فرقة من البوليس اليهودي ، فانهم يريدون قوة يهودية اكبر تمكنهم من الصمود امام أية اضطرابات قد تنشب في المستقبل»(٦٣).

ومع ان واكهوب كان يتوقع تجدد الاضطرابات اثر نشر تقرير لجنة بيل إلا انه انتهز فرصة الفترة التي سبقت اعلان التقرير لكي يحاول اقناع اعضاء اللجنة العربية العليا بالتزام جانب الاعتدال . وكان يتلهف بنوع خاص على إعادة النظام وهيبة القانون والحيلولة دون استمرار حملة الاغتيالات السياسية التي تجددت في اعقاب مغادرة اللجنة الملكية للبلاد.

وكان أعضاء اللجنة من جانبهم راغبين في إبداء موقف يتسم بالود نحو واكهوب ولكن لم يكن في وسعهم، لأسباب تتعلق بالمناخ السياسي السائد لدى الرأي العام، ان يوافقوا على حضور أي فلسطيني احتفالات عيد تتويج ملك بريطانيا. وفي إحدى المقابلات التي أجراها واكهوب مع الحاج أمين وعوني عبدالهادي قال الزعيمان العربيان إنه كلما كانت عودة العلاقات الودية بين العرب والبريطانيين أسرع كان ذلك خيراً للعرب(٦٤).

وعزا واكهوب موقف المفتي الاكثر اعتدالا إلى نفوذ ابن سعود ونفوذ الزعماء العرب المعتدلين خارج فلسطين :

«ولكنني أخشى ان يضغط نفوذ الشباب المحليين واعضاء حزب الاستقلال في ظروف معينة ، ضد قيام تعاون مُرض مع الحكومة وضد النصح بالاعتدال وهو ما يقدمه الآن المفتي وما يمارسه الشيوخ والقضاة الشرعيون في الوقت الحاضر»(٦٥).

الفلاحون بلا أرض والعمال دون عمل

لم يكن نفوذ الشباب والاستقلاليين هو العنصر النضالي الوحيد ضد الاعتدال . فبالاضافة الى فقراء عرب فلسطين الذين لا يملكون ارضاً والذين يبلغون حسب تقديرات الحكومة نحو ربع السكان القرويين(٦٦) كانت هنالك عناصر العرب العاطلين عن العمل والذين قال واكهوب انهم «مشكلة خطيرة جداً ليست مؤقتة ولا محلية»(٦٧). فهذه المشكلة كانت تثار «في كل مدينة وقرية»(٦٨) زارها واكهوب، وكانت تهدد بالانفجار في كلا الحقلين السياسي والاقتصادي على السواء . وزاد لهيب الاستياء العربي وقوداً التمييز الذي كانت تمارسه الحكومة ضد العمال العرب لمصلحة اليهود . «ففي بناء كثير من الطرقات العامة كان العرب يتلقون من الأجر أكثر بقليل من نصف ما كان يتلقاه اليهود عن الانتاج المماثل»(٦٩).

وكان اعلان الحكومة عن السماح لدفعة جديدة من العمال اليهود بالهجرة الى فلسطين وانتشار الشائعات عن توصية لجنة بيل بتقسيم البلاد موضع احتجاجات العرب . وبالنظر الى نمو المشاعر الوطنية لدى كلا الجانبين لم يكن لدى واكهوب إلا القليل من الامل في صيانة الامن دون اعداد كبيرة من الحرس الدائم « ما لم يجر انتهاج سياسة جديدة كالتقسيم»(٧٠) وزاد من حدة التوتر، الاضراب عن الطعام الذي اعلنه ١٨٠ سياسياً معتقلاً في الجليل الأمر الذي أدى الى تصعيد التوتر بعد الاعلان عن الاضراب في كل من عكا وحيفا للتضامن مع المعتقلين والاعراب عن التعاطف معهم .

وفي غضون ذلك كان الحاج امين يحث الحكومة على اطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين ويحتج على إصدار لوائح الهجرة الجديدة ولكنه كان يفعل ذلك «بطريقة ودية»، ويعرض التعاون على إسكان القاطنين في أكواخ حيفا في أراضي الوقف(٧١).

على انه كلما كانت الشائعات بشأن توصيات لجنة بيل تزداد انتشاراً وقوة كان الحاج امين يزداد تحولا من الاعتدال الى التطرف والتحدي . ففي الثاني والعشرين من حزيران وصل المفتي واربعة من اقرب اعوانه الضباط الى دمشق حيث استقبل جميع زعماء الحركة

الوطنية البارزين من صحافيين وسياسيين سوريين ولبنانيين بل وبعض العراقيين أيضاً. كما استقبل قنصل المملكة العربية السعودية. ويستفاد من تقرير لقنصل بريطانيا في دمشق، وهو في العادة من ذوي الاطلاع الحسن على مجرى الأمور، ان مباحثات الحاج امين تركزت على موضوعين متداخلين، الأول هو «استعراض عام للوضع السياسي العام في البلاد العربية(٧٢) بما في ذلك الدمج الفوري لحزب الاستقلال الفلسطيني بالكتلة الوطنية السورية ... بجميع ما في الأمر من جوانب»(٧٣). والموضوع الثاني هو مشروع تقسيم فلسطين الوشيك الصدور. واعترض الحاج امين على مشروع التقسيم كما ان اكثرية السياسيين كانوا ضد الموافقة على تنصيب عبدالله ملكاً على الدولة العربية المقترحة. وتقرر بعد ذلك عقد مؤتمر عربي عام للبحث في مستقبل فلسطين. والى جانب السياسيين والصحافيين السوريين عقد الحاج امين اكثر من اجتماع خاص مطوّل مع عدد من المقاتلين من سوريين وفلسطينيين مثل الشيخ محمد الاشمر والشيخ عطية وغيرهما من الشخصيات المشهورة بنشاطها النضالي. وبالاضافة الى ذلك فهم ان المفتي قال في مناسبات عديدة انه «سيعلن الحرب على البريطانيين في الثامن من تموز»(٧٤) أي على أثر اعلان تقرير اللجنة الملكية.

خطة بريطانيا لاقامة دولة صهيونية

قبل بضعة أيام من موعد اصدار التقرير استقال من اللجنة العربية العليا راغب النشاشيبي ويعقوب فراج وذلك بحجة ان المفتي يتصرف دون استشارة بقية اعضاء اللجنة. واستنكر العضوان المستقيلان كذلك عمليات الارهاب التي جرت اخيراً (محاولة اغتيال فخري النشاشيبي) واشارا الى ان المفتي هو المسؤول عنها. والحقيقة هي ان بقاءهما عضوين في اللجنة العربية العليا كان سيحد من حرية تصرفهما عندما تعلن الحكومة مشروع التقسيم. فقد غدا من المعروف حينذاك ان حزب الدفاع الوطني ـ حزب النشاشيبي ـ يعتزم بالتعاون مع الأمير عبدالله الموافقة على مشروع التقسيم المقترح(٧٥) وضم الدولة العربية الجديدة الى شرقي الاردن وتنصيب عبدالله ملكاً عليهما. وكان حزب الدفاع يأمل بأن يتمكن بمساعدة الحكومة البريطانية من تولي القيادة السياسية بعد ان تقرر الحكومة إقصاء الحاج امين عن المسرح. وحالما بلغت اسماع المفتي انباء استقالة النشاشيبي وفراج عاد الى القدس، وتكهنت السلطات العسكرية البريطانية بانه سيحاول اللجوء الى ارهاب المعارضة من خلال الاغتيال السياسي(٧٦).

وفي السابع من تموز نشر تقرير اللجنة الملكية مرفقاً باعلان رسمي بأن الحكومة

البريطانية قد وافقت من حيث المبدأ على مضمونه.

واوصى التقرير بالتخلي على الانتداب وتقسيم البلاد الى ثلاثة اقسام : دولة عربية تضم تلك الاجزاء التي تقطنها اكثرية ساحقة من العرب ودولة يهودية تضم الاجزاء التي تقطنها اكثرية من اليهود ومناطق معينة تضم تلك الاجزاء ذات الأهمية الاستراتيجية او الدينية الخاصة وهذه ينبغي ان تبقى تحت الانتداب البريطاني. ولما كانت الدولة اليهودية المقترحة ستضم خير ما في فلسطين من اراض اوصى التقرير بأن تتلقى الدولة العربية منها مساعدة مالية سنوية(٧٧).

واحتج الصهيونيون على الحدود التي رسمها المشروع واعتبروهاغير مرضية ولكن وايزمان وافق عليها. وفي مقابلة له مع اورمسبي غور وعد «بأن يبذل كل ما في وسعه لحمل المؤتمر الصهيوني على الموافقة على التقسيم»(٧٨) ومساعدة البريطانيين على اجلاء العرب عن منطقة الجليل ونقلهم الى شرقي الأردن. وقال وايزمان ان الفرنسيين أيضاً يعطفون على فكرة «التقسيم واقامة دولة يهودية باعتبارها قلعة للديمقراطية الغربية تبنى في الطرف الشرقي من البحر الأبيض المتوسط»(٧٩).

العرب يرفضون التقسيم

بيد ان الاكثرية الساحقة من العرب الفلسطينيين استقبلوا التقرير بالاستياء الشديد لانهم عارضوا خلق دولة يهودية فوق ارض عربية(٨٠). ولم يستطع حزب الدفاع ان يصدر بياناً صريحاً يعلن موافقته على المشروع بعد ان لمس رد الفعل الشديد لدى العرب عليه.

وفي الثاني من تموز اعلنت اللجنة العربية العليا رفضها لمشروع التقسيم وناشدت الحكام العرب وكذلك العالمين العربي والاسلامي اللذين اليهما تنتمي فلسطين بالتضامن مع الفلسطينيين(٨١). وأبلغت اللجنة رفضها التقسيم الى عصبة الأمم وقالت ان اللجنة الملكية نفسها قد أكدت ما سبق للجنة العربية العليا ان كررته مراراً من ان الانتداب غير قابل للتنفيذ. وطلبت اللجنة العربية العليا من عصبة الأمم الغاء الانتداب البريطاني لتحل محله دولة فلسطينية مستقلة ترتبط مع بريطانيا بمعاهدة تضمن لها مصالحها المعقولة كما تضمن مصالح الاقلية اليهودية(٨٢).

وقدمت إلى السلطات عرائض الاحتجاج من مختلف انحاء فلسطين ولكن اشد ردود

الفعل هذه جاءت من منطقة الجليل التي شملتها الدولة اليهودية والتي استقبل فيها القرار «بصدمة اقترنت بعد التصديق»(٨٣) . وجاء في تقرير رسمي بهذا الصدد :

«لقد كان الاتحاد الذي ابداه المسيحيون والمسلمون والفلاحون وملاكو الأرض فيما يتعلق برفض الاقتراح اشد ، على الأرجح ، مما أبدوه في أي وقت مضى . فقد كان الشعور العام لدى سكان هذه المنطقة انهم ذهبوا ضحية الخيانة وأنهم سيجبرون على التخلي عن أراضيهم والهلاك في مكان ما من الصحراء»(٨٤) .

ونتيجة لذلك تشكلت لجنة قومية محلية جديدة ذات قواعد شعبية واسعة . وكان ممثلو المناطق القروية في هذه اللجان يشكلون اكثرية الثلثين .

محاولة القبض على المفتي

كان البريطانيون يدركون مدى المضاعفات المنطقية المتوقعة لمعارضة العرب للتقسيم فحاولوا في السابع من تموز أن يلقوا القبض على الحاج أمين الحسيني «للحيلولة بينه وبين اصدار مزيد من النداءات وتقديم المساندة الى اولئك الذين قد يرغبون في احداث الاضطرابات»(٨٥) . ولكنهم فشلوا في ذلك .

وبعد ان تمكن الحاج امين من تفادي القبض عليه في اللحظة الأخيرة ، اعتصم بالحرم الشريف حيث أخذ يجري منه اتصالات بزعماء الثوار والمناضلين السياسيين . ولما الفى واكهوب نفسه عاجزاً عن القاء القبض عليه داخل الحرم الشريف لجأ الى اتخاذ اجراءات تقضي بهيمنة الحكومة على ادارة المحاكم الشرعية وأموال الوقف وذلك بغية شل سلطته(٨٦) .

مؤتمر بلودان

وعلى غرار المؤتمرات الصهيونية ، طلبت اللجنة العربية العليا اذناً بعقد مؤتمر عربي عام في فلسطين لدراسة الاوضاع السائدة فيها واتخاذ الاجراءات الضرورية لحماية حقوق العرب الفلسطينيين ولكن الادارة العامة رفضت اعطاء الاذن المطلوب بحجة ان عقد المؤتمر سيثير الهياج لدى الشعب . عندئذ تولت «لجنة الدفاع عن فلسطين» في دمشق الدعوة الى عقد المؤتمر في بلودان المصيف السوري المعروف . وهكذا اجتمع في الثامن من ايلول ٤١١

مندوباً* جاءوا من مصر والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين وانتخبوا ناجي السويدي من رؤساء الوزارات السابقين في العراق، رئيساً للمؤتمر كما انتخبوا كلاً من محمد علي علوبة وشكيب ارسلان والاسقف حريكة نواباً للرئيس وعزت دروزة سكرتيراً. وأكد المؤتمر ان فلسطين جزء من الوطن العربي وان للعرب الحق في الدفاع عنها بل من واجبهم ان يفعلوا ذلك. واعتبر المؤتمرون الدولة اليهودية تهديداً خطيراً للعالم العربي وقاعدة أجنبية دخيلة فيه. (٨٧).

وطالب المؤتمر بالغاء تصريح بلفور والانتداب وعقد معاهدة انغلو- فلسطينية تعترف بريطانيا بموجبها باستقلال فلسطين وتوقف الهجرة اليهودية(٨٨). وإذا اصرت بريطانيا على تنفيذ التقسيم تعلن الدول العربية كلها مقاطعة البضائع البريطانية واليهودية.

وابرق القنصل البريطاني في دمشق تقريره عن المؤتمر فقال «خلافاً لما كان متوقعاً لم يكن الشعور العام في المؤتمر مناهضاً بشدة لبريطانيا بينما كان الموقف ضد الصهيونية عنيفاً»(٨٩) ولقد فرض هذا الاعتدال اولئك السياسيون الذين يحرصون على الحفاظ على عدم الاصطدام ببريطانيا وفي طليعتهم ناجي السويدي رئيس المؤتمر** بيد ان نحو ١٠٠ عضو من الوطنيين السوريين والفلسطينيين من اعضاء المؤتمر ابدوا خيبة أملهم بما وصفوه مقررات المؤتمر التافهة ومن ثم عقدوا في الثاني عشر من ايلول مؤتمراً سرياً لبحث أمر اتخاذ اجراءات اشد فعالية لمكافحة المقترحات البريطانية للتقسيم:

«وكان الاسلوب الذي لقي أشد العطف هو مواصلة الاعتداء على الشخصيات العربية الصديقة للسلطات البريطانية وعلى اليهود وذلك تمهيداً للقيام فيما بعد بعمليات اشد مواجهة ضد سلطات الانتداب اذا تبين انه من الضروري انتهاج هذا الطريق الخطر»(٩٠).

وفي الوقت نفسه كان المناضلون الفلسطينيون يجرون اتصالاً مع الثوار السوريين الذين كانت لهم مراكز قيادية في ثورة عام ١٩٣٦ واتخذت الترتيبات اللازمة لقيام ٣٠ ثائراً على الفور بالاتجاه نحو نقطة تجمع تقع في مكان ما بين بيسان وجنين ونابلس(٩١). وفهم انه

---

* لم يكن بين هؤلاء المشتركين اي مندوب حكومي رسمي. اماتوزيعهم على الأقطار فكان على الوجه التالي: ١٦٠ من سوريا و ١٢٨ من فلسطين و٦٥ من لبنان و٣٩ من شرقي الأردن و١٢ من العراق و٦ من مصر وواحد من السعودية.

** نفاه الانكليز فيما بعد الى روديسيا حيث قضى نحبه.

بدأ حشد الاسلحة والذخائر حول مدينة نابلس تحت اشراف المفتي نفسه .

أمـا البريطانيون فقد كانوا يقدرون بالطبع ان اعمال العنف ستنفجر قريباً في فلسطين ومـن ثم اتخذوا اجراءين لحصر ردود الفعل العربية وقمعها . ففي ايلول ١٩٣٧ اجتمع مجلس عصبة الامم للموافقة على توصية قدمتها لجنة الانتدابات الدائمة ، وتقضي هذه التوصية بقبول مبدأ التقسيم في فلسطين . ولكن انتوني ايدن وزير خارجية بريطانيا طلب الموافقة على ايفاد لجنة الى فلسطين لاعداد التفاصيل المتعلقة بالتقسيم بدلاً من ان يطلب الموافقة على البدء بتنفيذه الأمر الذي فهم منه ضمنا ان الحكومة البريطانية لم تصمم نهائياً على تنفيذ المشروع وذلك يعود بشكل رئيسي لعنف ردود الفعل العربية على ما ذكر ايدن في مذكرة لمجلس الوزراء البريطاني(٩٢) .

وفي نفس الوقت بدأ اتخاذ اجراءات عسكرية جديدة لسحق الثورة الموشكة على التجدد . وفي الثاني عشر من ايلول عين اللفتنانت جنرال ويفل خلفاً لديل في القيادة العامة للجيش البريطاني في فلسطين .

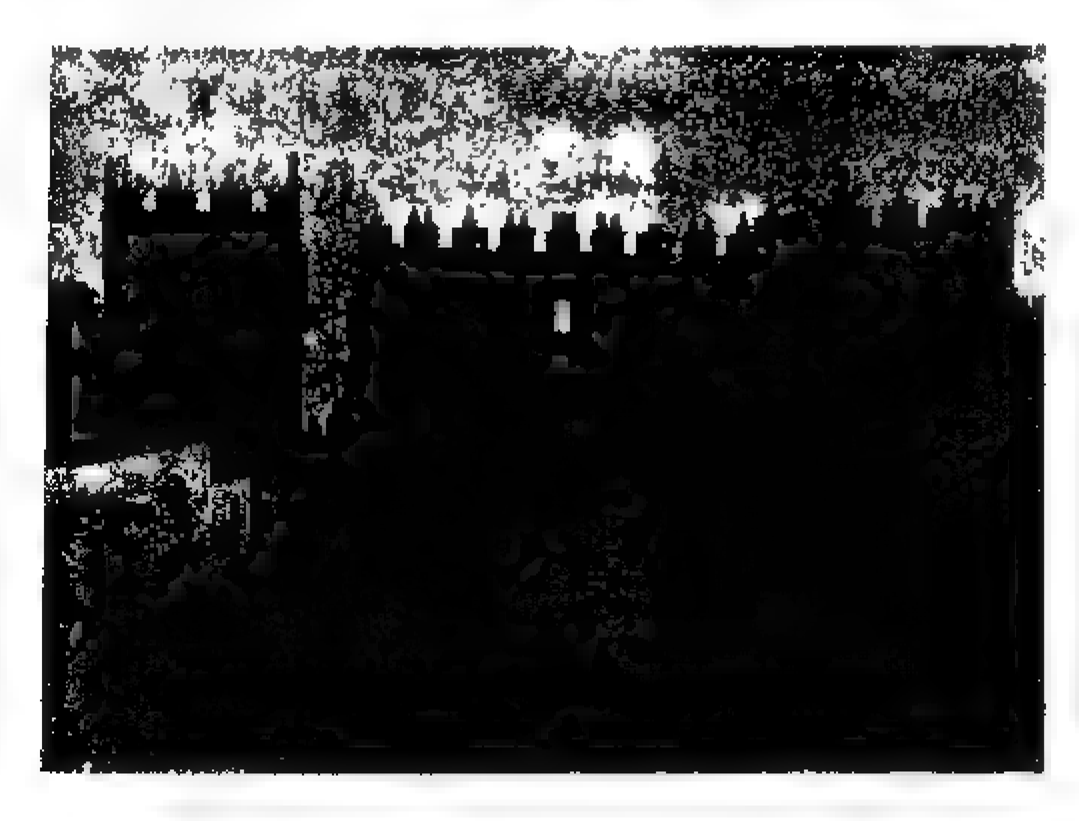
بداية المرحلة الثانية من الثورة الكبرى

لقد سنحت الفرصة لاتخاذ إجراءات ضد القيادة السياسية للمرحلة الجديدة من الثورة عندما تم في الناصرة اغتيال اندروز حاكم لواء الجليل وحرسه . فعلى الرغم من أن اللجنة العربية العليا وجميع اللجان القومية استنكرت علناً هذا الحادث فقد أعلنت السلطات هذه اللجان كلها غير شرعية وأقصي المفتي عن جميع مناصبه سواء في رئاسة المجلس الاسلامي الأعلى او في رئاسة لجنة الأوقاف . ثم اعتقلت السلطات بعض أعضاء اللجنة العربية العليا ونفتهم الى جزر شيلي كما ألقت القبض على مئات من المناضلين والثوار المشتبه بهم . أما المفتي فقد كان آمناً على نفسه داخل الحرم الشريف كما أن جمال الحسيني تفادى الاعتقال وفر الى خارج البلاد . وحظرت السلطات كذلك على الصحف المحلية ذكر شيء عن أحداث اليوم الأول من تشرين الأول او التعليق عليها(٩٣) .

وفي اليوم الثاني من تشرين الاول اضربت القدس احتجاجا على اعتقال الزعماء ، وفي اليومين التاليين امتد الاضراب الى اجزاء اخرى كثيرة من البلاد . وبعد يومين من ذلك اصدر المفتي بياناً دعا السكان العرب فيه إلى العودة إلى اعمالهم وإنهاء الإضراب . واعقبت ذلك فترة من الهدوء . وفي الرابع عشر من تشرين الاول استطاع المفتي ، على

الرغم من الاحتياطات التي كان البوليس قد اتخذها، الهروب الى لبنان .

وفي ليلة ١٤/١٥ من تشرين الاول قطع حبل الهدوء المخيم فجأة، وجرت غارتان على سـ ـ ـارات الركاب اليهودية في ضواحي القدس، وتعرضت المستعمرات اليهودية الى اطلاق النار بصورة متقطعة واتلف جانب من خط انابيب نفط العراق وذلك في بقعة تقع الى الغرب مباشرة من نهر الأردن واشتعلت النار في النفط المتدفق كما قطعت خطوط التليفون ودمرت بعض خطوط السكك الحديدية ،فخرج احد قطر الركاب عن خطه ،كما اطلقت نيران كثيفة على قاطرة حديدية تنقل القوات البريطانية وذلك في بقعة تقع في الجبال الجنوبية الغربية من القدس. واطلقت النار كذلك بغزارة على احدى دوريات البوليس، بالقرب من الخليل(٩٤). وعندئذ فرض منع التجول على مدينة القدس فوراً. وفي مساء اليوم التالي اخترق فريق كبير من الثوار العرب مرافق مطار اللد واحرق المكاتب الخشبية التابعة للمطار احراقاً تاماً بما في ذلك مكاتب الجمارك وجوازات السفر ومنشآت اللاسلكي، ففرضت السلطات على مدينة اللد منع التجول لمدة ثلاث وعشرين ساعة في اليوم الواحد طيلة اربعة أيام متوالية، كما هدم منزلان فضلا عن فرض غرامة جماعية مقدارها ٥٠٠٠ جنيه فلسطيني. وهكذا كانت المرحلة الثانية من الثورة قد بدأت. وسرعان ما اعلنت حالة الطوارىء واقيمت مراكز للبوليس على نفقة السكان في قرى عديدة مختلفة. ومنذ شهر تشرين الثاني ١٩٣٧ اصبحت قوات الحكومة التي تدخل القرى تتعرض «لاطلاق النار كما كان بعض القرويين يحاولون المقاومة ويقذفونها بالحجارة بينما تتولى القوات الرد باطلاق النار»(٩٥).



اللجنة المركزية للجهاد

لقد حملت الاجراءات التأديبية القوية التي اتخذت في خضم اعمال العنف والتي تجددت في منتصف شهر تشرين الاول بعض زعماء القرى على حجب مساعداتهم عن عصابات الثوار التي تمّ تنظيمها حديثاً وبذلك قطعت خطوط الاتصال بين افراد هذه العصابات والقوى المساندة لهم في قراهم الاصلية والتي كانت المصدر الاساسي لتموينهم وتزويدهم بالمعلومات وتغطية عملياتهم . وهنا رأى الثوار، الذين كان عددهم يتزايد باطراد، في هذا الاتجاه الجديد لبعض وجهاء القرى نحو التعاون مع الحكومة تهديدا لهم ، وسرعان ما استعادوا زمام المبادرة من خلال بث الذعر في نفوس العناصر المتعاونة مع الحكومة .

وعلى الرغم من اجراءات الحكومة القمعية كان الثوار يجتذبون مزيداً من المتطوعين(١٠٠) واتضح ان تنظيم الثورة المتجددة أشد احكاماً من تنظيم ثورة عام ١٩٣٦ . فقد بدأ بتشكيل لجنة مركزية اطلق عليها اسم «اللجنة المركزية للجهاد» واتخذت مقرها في دمشق وتولى ادارتها عملياً عزت دروزة بتوجيه من المفتي الذي بقي مقيماً في لبنان . وكان مقر رئاسة الثوار مسؤولاً عن اجراء التنسيق والتعاون بين تشكيلات الثوار التي كانت تتمتع الى حد كبير بالاستقلال ويتولى رئاسة كل منها قائد محلي يساعده عدد من رؤساء الفصائل . وكان يتولى قيادة هذه التشكيلات قادة فلسطينيون يرتبطون بأوثق الصلات بالفلاحين وبالقرى التي تقع ضمن مناطق عملياتهم . وكان ابرز زعماء المرحلة الثانية من الثورة عبد الرحيم الحاج محمد وعارف عبد الرازق (نابلس) وعبد القادر الحسيني (القدس) ثم يوسف ابو درة (الجليل) . وكانت تطلق على كثير من التشكيلات الجديدة اسماء ابطال العرب في مطلع الدعوة الاسلامية . اما الاتصالات بين القيادة العليا ومختلف التشكيلات فقد كانت تتم بواسطة الرسل والزيارات التي يقوم بها من وقت الى آخر زعماء الثورة إلى دمشق . وكان الفضل في استمرار السلطة المزعزعة لمقر الرئاسة يعود الى المساعدات المالية والطبية والاسلحة التي تقدمها الى جماعات الثوار* أما «المكتب القومي العربي» في دمشق

اتهم البعض الثورة بالاعتماد ماليا على ايطاليا إلا أن الدلائل التي توافرت للحكومة البريطانية كانت تشير الى بطلان هذا الادعاء (انظر مذكرة وزارة المستعمرات بعنوان «ايطاليا وفلسطين» شباط ١٩٢٨ و.



الشهيد القائد
عبد القادر الحسيني



الشهيد القائد
عبد الرحيم الحاج محمد

فقد كان يعمل كجهاز لنشر الدعاية للثورة.

على ان الثوار لم يكونوا يعتمدون كلياً ولا حتى بصورة رئيسية على المساعدات التي يتلقونها من دمشق التي كانت تجبي التبرعات من مختلف انحاء العالمين العربي والاسلامي، ذلك انهم كانوا يسيطرون على عدد كبير من القرى. وكانوا يقيمون في مقر رئاساتهم الواقعة في الجبال محاكم ثورية ومراكز إدارية ودوائر استخبارات. ولما كانت الادارة الحكومية المدنية قد انهارت فكثيراً ما كان القرويون يلجأون الى هذه المحاكم لحل مشكلاتهم الخاصة كما ان الثوار كانوا بدورهم يجبون الضرائب من السكان ويفرضون على كل قرية تزويدهم بعدد مناسب من المقاتلين.

واستطاع قادة الثوار المعتصمون بالجبال ان يقيموا كذلك اتصالات بالمناضلين داخل المدن. وكان هؤلاء المناضلون يعملون على بث الذعر في نفوس العرب المتعاونين مع السلطات البريطانية وذلك من خلال عمليات التهديد والاغتيال. وكان هنالك عدد من المثقفين الفلسطينيين يعملون مستشارين لدى قيادات الثوار واثبتوا الفائدة من وجودهم

= م.٧٣٣٠/٣٧٤) كما أنه، نتيجة للمحادثات البريطانية الايطالية في آذار ونيسان ١٩٣٨، تعهدت ايطاليا بعدم خلق متاعب لبريطانيا في فلسطين (انظر شكبورغ الى مكمايكل ١٩٣٨/٤/٧ و. م. ٣٧٤/٧٣٣).

بنوع خاص عند تشكيل المحاكم الثورية.

ولقد استطاعت الثورة ان تجتذب، بالاضافة الى الفلاحين ومناضلي المدن، قطاعات من الشباب العربي ذوي المشاعر الحماسية المندفعة نحو الوحدة العربية(١٠١). واستطاع هؤلاء ان ينظموا انفسهم في عصابات صغيرة تعمل على حدود فلسطين. وكانوا يرتدون البسة عسكرية تماثل تلك التي كان يرتديها جيش الملك فيصل عام ١٩١٨. ولم يكن هؤلاء ليتلقوا اجوراً او رواتب ولكنهم كانوا يحصلون على كميات وفيرة من الاسلحة عندما يجتازون الحدود الى داخل فلسطين(١٠٢).

الثورة تشتد رغم تعسف الانكليز

حمل نمو قوة الثوار ونشاطهم على هذا النحو الدراماتيكي المسؤولين على احداث تغيير في القيادة العسكرية البريطانية. واتخذ السير هارولد مكمايكل المندوب السامي الجديد واللفتنانت جنرال هايننغ القائد العسكري العام الجديد عدداً من الاجراءات لانتزاع زمام المبادرة من الثوار. فقد اقيمت مثلاً اسلاك شائكة حاجزة على طول الحدود الشمالية والشمالية الشرقية من فلسطين وانشئت حصون ومراكز للبوليس في وادي الأردن لعزل الثوار وقطع طرق تموينهم عبر نهر الأردن. وبالنظر الى تفاقم الاضطرابات التي وصلت الى حدود الثورة(١٠٣)، بدأ المندوب السامي بالتفكير في قيام الحكومة بتسليح اليهود واستخدامهم في العمليات العسكرية لا في مجرد العمليات الدفاعية كما كانت الحال حتى ذلك الحين(١٠٤).

وشن الجنرال هايننغ في اعقاب وصوله عدداً من الحملات التي اسهم فيها بدور فعال سلاح الجو الملكي وبعض الوحدات المدرعة. ولكن هذه العمليات اثبتت فشلها(١٠٥). ولما لم تعد العصابات المسلحة تتصدى في هذه المرحلة للمعارك مباشرة فقد ارتأى هايننغ واعوانه اللجوء إلى «احتلال عدد من قرى منطقتي الجليل والسامرة مدة طويلة وذلك بقصد حرمان العصابات من قواعدها»(١٠٦).

وكانت نتيجة ذلك تناقص الحوادث في المناطق المحتلة وزيادة أعمال التخريب في الطرقات العامة والسكك الحديدية وخطوط التليفون وخط أنابيب البترول وزيادة الهجمات على الدوريات العسكرية والمستعمرات اليهودية المعزولة.

وكان تعزيز الجهود العسكرية ضد الثوار مصحوباً باجراءات تعسفية عاتية

ضد المدنيين أيضاً. فكانت السلطات تعتقل المواطنين بالجملة وتفرض منع التحول لفترات طويلة جداً وتهدم البيوت وتجبي الغرامات الجماعية المشتركة الأمر الذي زاد من بغض الشعب وحقده على الحكم البريطاني. أما المدن فقد اخذ زمامها هي الأخرى يفلت من أيدي السلطات بتوالي الاضرابات والتظاهرات واعمال الانتقام اليهودية ومنع التجول مما أصبح جزءا من حياة الناس اليومية. واعتبر هايننغ نجاح محاكم الثورة وانظمتها في جباية الضرائب ظاهرة من ظواهر العداء الذي يكنه سكان الريف الفلسطيني للحكومة ومنطلقاً «لخلق جبهة أشد وحدة».

وعند هذه النقطة التي كانت الثورة فيها قد ازدادت حدة، حاول جمال الحسيني ان يثير المطالب الوطنية العربية الفلسطينية من جديد على نحو قصد به ان يلقى تجاوباً لدى الحكومة البريطانية التي كانت تعاني الضغط والمتاعب. ففي رسالة خاصة إلى مالكولم مكدونالد عرض الحسيني بديلاً للتقسيم فقال:

«اننا على استعداد للموافقة على بقاء السكان الحاليين من اليهود في فلسطين مع منحهم حقوقاً كاملة ومساوية لحقوق المواطنين الاخرين واشراكهم بنسبة عدد سكانهم في جميع المؤسسات الحكومية مع منح اليهود في الأماكن التي يقطنونها وحدهم حكماً ذاتيا»(١٠٧).

ولكن هذه البادرة لم تلق أي تجاوب لان الصهيونيين كانوا مصممين على اقامة دولة يهودية ولان البريطانيين كانوا لا يقلون عنهم تصميماً على سحق الثورة قبل البدء بأية مفاوضات مع العرب.

بريطانيا تواجه شعبا ثائراً

على ان زمام المبادرة بقي في ايدي الثوار في الارياف والمناضلين في المدن. وادت اعمال التخريب والقاء القنابل إلى نشوب حرب شوارع في القدس ويافا وحيفا. ففي السادس من تموز انفجرت قنبلة موقوتة وضعها المتطرفون اليهود(١٠٨) في سوق الخضر بحيفا فقتلت ٢٣ شخصاً وجرحت ٧٩ معظمهم من العرب. واعلن الاضراب العام في جميع المدن العربية الرئيسية واستمر في حيفا نفسها أكثر من اسبوع ولولا تدخل الاسطول البريطاني لتطور الاضراب إلى انتفاضة خطيرة. وتبع ذلك انفجار عدد اخر من القنابل فازدادت العلاقات العربية اليهودية سوءاً وادت إلى قيام العرب بسلسلة من الغارات على

المستعمرات اليهودية . وجاء تنظيم المفارز الليلية المؤلفة من عناصر يهودية بقيادة الكابتن وينغيت وقيامها بغارات معاكسة ضد الثوار فضلا عن حماية خط انابيب البترول(١٠٩) ليمثل قمة الالتحام البريطاني الصهيوني في هذه المرحلة.

وفي السابع من تموز ١٩٣٨ كتب مكمايكل تقريراً أشار فيه إلى حدوث «بعض الامتداد والتكثيف في عمليات العصابات في المناطق الشمالية والوسطى من البلاد . ويبدو ان عدد الثوار اخذ في الازدياد كما ان تنظيمهم اخذ في التحسن»(١١٠) أما هايننغ فقد كتب يقول ان قواته تواجه شعباً ثائراً ، فحتى حين يكون عدد الثوار قليلاً نجد من الصعب علينا أن نسيطر على المناطق الريفية لان القرويين :

«ينتهزون كل فرصة للقيام باعمال القناصة واعمال التخريب الصغيرة ووضع الالغام في الطرقات العامة . . وهذا الشكل من المقاومة يصعب معالجته لانه من الصعب جداً أن نعثر على هدف نضربه . وبالاضافة إلى ذلك فان عواطف السكان هي مع العصابات لا مع الحكومة البريطانية»(١١١) .

وفي غضون صيف عام ١٩٣٨ بلغت الثورة ذروتها . وبناء على طلب اللجنة المركزية للجهاد عقد مجلس أعلى ضم كبار قادة الثوار وذلك لتعزيز التعاون والتنسيق بينهم . وقرر المجلس المنعقد مواصلة الكفاح وتصعيده إلى أن تستجيب بريطانيا للمطالب العربية . واصبح الثوار في ذروة قوتهم يشكلون السلطة العليا في معظم المناطق الريفية من فلسطين حيث كانت لديهم اجهزتهم الشرعية والادارية(١١٢) ، وانسجاماً مع جذورهم الطبقية وعواطفهم القومية اصدر الثوار أمراً بوقف سداد جميع الديون اعتباراً من اليوم الاول من ايلول ١٩٣٨ وانذروا جباة الديون وسماسرة الاراضي بعدم الذهاب إلى القرى . واصدر الثوار أمراً آخر إلى المقاتلين منعوا بموجبه المتعهدين من التعهد ببناء الطرقات العامة ومراكز البوليس .

ولقد أدى نمو قوة الثوار إلى هروب أغنياء الفلسطينيين وسماسرة الاراضي والوجهاء الموالين للحكومة من البلاد باعداد كبيرة . وفي غضون صيف ١٩٣٨ اضطر سكان المدن إلى ارتداء الكوفية والعقال بدلاً من الطربوش وذلك لتغطية تسلل الثوار القرويين والحيلولة بذلك دون تمكن أفراد البوليس والجيش من تمييزهم .

الثوار اسياد الموقف

بحلول نهاية شهر آب وعلى الرغم من الاجراءات التأديبية الشديدة ضد الجماهير المساندة للثورة(١١٣) كانت الادارة الحكومية المدنية في المدن الرئيسية قد انهارت انهياراً يكاد يكون تاماً وذلك بسبب الغارات المنظمة على المكاتب الحكومية وبسبب ما يشتبه به من تواطؤ البوليس العربي. واعرب هايننغ عن اعتقاده بان تزايد عدد الغارات في المدن والدمار الذي أصيبت به ممتلكات الحكومة وطرقاتها كان:

«من اعراض ما اصبح الان روحا ثورية عميقة الجذور اجتاحت السكان العرب قاطبة وحفزتهم اليها الدعوة الى حرب مقدسة. ولقد بلغت سيطرة عصابات الثوار على جماهير الشعب ... حدا لم يعد معه مما يجانب الصواب ان يقال ان كل عربي في البلاد هو عدو كامن للحكومة مهما بلغت عواطفه الشخصية الخاصة من الاعتدال(١١٤)».

وبالنظر إلى هذه التطورات حث هايننغ ومكدونالد على ارسال فرقة ثانية في شهر تشرين الاول مما أدى إلى دعوة الاحتياطي البريطاني للخدمة(١١٥) وقبل وصول التعزيزات المطلوبة «كانت الادارة المدنية للبلاد غير موجودة عملياً»(١١٦).

واستطاع الثوار ان يستولوا فجأة على مدن كثيرة. وفي بعض الحالات تمكنوا من التسلل إلى بعض المدن الرئيسية ويسيطروا على شؤونها وذلك بقصد تحويل الوضع إلى ثورة شاملة حتى يكرهوا السلطات البريطانية على الارتداد الكامل عن سياستها بشأن التقسيم والهجرة اليهودية بنوع خاص. وعندما بدأ موسم الحمضيات لم يحدث ذلك أثراً لدى الثوار ولم يحولهم عن أهدافهم اذ لم تكن لهم أو لقادتهم علاقة مباشرة بتجارة الحمضيات.

ومن ناحية أخرى، قرر مالكولم مكدونالد وزير المستعمرات ومجلس الوزراء البريطاني، بدافع من تدهور الحالة في اوروبا نتيجة للسياسة الالمانية التوسعية، اتخاذ الاجراءات اللازمة لاحتواء الثورة واقناع العرب بالتفاهم مع بريطانيا. فاقترح الوزير اصدار بيان يعلن فيه زيادة القوات العسكرية وقوات البوليس البريطانيين في فلسطين على ان يقترن ذلك بكشف النقاب عن اعتزامه دعوة ممثلين عن كل من عرب فلسطين والوكالة اليهودية لبحث توصيات تقرير لجنة تقسيم فلسطين (لجنة ودهد) في شهر تشرين الاول. وكان يعتزم ان يوضح بجلاء انه لا مجال لان يكون أي من الزعماء المنفيين في عداد الوفد الممثل لعرب فلسطين في المباحثات المقترحة(١١٧). ولكن مكمايكل سارع الى نصح وزير

المستعمرات بان لا يتضمن البيان شروطاً كهذه:

«لانه اذا استبعد المفتي واعوانه لا يبقى من يستطيع تمثيل العرب سوى قادة الثوار في الجبال. وان مجرد ذكر اسم (المعتدلين) أصبح عبارة مشينة»(١١٨).

ولما كانت حكومة فلسطين ضد التفاوض مع المفتي فقد اقترح مكمايكل ان يدخل الى المسرح حكام البلاد العربية المجاورة الاكثر ميلاً للتعاون. واقترح مكمايكل فيما بعد ايضاً اجراء مفاوضات مع رؤساء البلديات العرب في فلسطين(١١٩).

وبتفاقم الازمة الاوروبية حذر مكمايكل من ان الحكومة قد تضطر إلى تحويل وجهة التعزيزات العسكرية المطلوبة وانه «قد يكون من الضروري الاسراع في تنظيم قوة دفاع يهودية متطوعة بالاضافة إلى القوة القائمة وعددها ٦٥٠٠ مسلح في خدمة الحكومة على الرغم من كل الاعتراضات»(١٢٠). ولما كان من المحتمل ان تصبح مصر مسرحاً هاماً للحرب بالاضافة إلى الأهمية الخاصة للعراق، فقد كانت الحكومة البريطانية متلهفة على إعادة العلاقات الودية مع العرب(١٢١) وفي الوقت نفسه فإنه اذا قدر للحرب ان تنشب فان صداقة وتأييد الولايات المتحدة التي يشكل اليهود «قوة كبيرة فيها»(١٢٢) يصبح أمراً جوهريا، وقد أدى موقف الحكومة الاميركية الصهيوني الى موجة عارمة من السخط ضد اميركا بحيث دعت جريدة فلسطين الى مقاطعة جميع المؤسسات الاميركية في فلسطين.

ومهما يكن من أمر فان المصالح الاستراتيجية البريطانية كانت تتطلب تحقيق المصالحة مع العرب الفلسطينيين والاقطار المجاورة ووضع حد للثورة. واقترح مكدونالد وقف الهجرة اذا ما اندلعت نيران الحرب.

وكان من رأي هايننغ ومكمايكل ان ارجاء تنفيذ التقسيم ووقف الهجرة وقفاً تاماً هو الأمل الوحيد لإحلال السلام في فلسطين. وحذر هايننغ من ان ذلك لا يعني وقف الثورة العربية على الفور. واضاف يقول ان المرحلة الثانية من الثورة أصبحت أقل اعتماداً على المساعدة الخارجية مما كانت عليه المرحلة الأولى عام ١٩٣٦ وليس هناك من «يملك نفوذاً لدى الثوار الذين هم ذوو ذهنية وطنية»(١٢٣).

وكان هنالك عدد من السياسيين العرب الذين يشاطرون بريطانيا قلقها من استمرار اعمال العنف في فلسطين في وقت يبدو فيه نشوب حرب في اوروبا وشيك الوقوع. ففي شهر تشرين الاول كان توفيق السويدي وزير الخارجية العراقية حينذاك يتردد على وزارة

المستعمرات ، وظهرت انباء تشير إلى ان الوزارة تبحث أمر وقف الهجرة اليهودية مؤقتاً . وهكذا ساد لدى كلا الجانبين العربي واليهودي شعور بان الحكومة توشك ان تقدم تنازلات كبيرة للعرب .

بريطانيا تضطر الى اعادة احتلال البلاد

كانت سياسة التهدئة والترضية التي انتهجها تشمبرلين نحو هتلر قد افلحت في الحيلولة دون نشوب حرب بين الدول الاوروبية . وقبل ان يعود مكمايكل الى فلسطين في الرابع من تشرين الاول كانت قد وضعت في لندن خطوط سياسية ترمي الى وضع حد عاجل للثورة وحمل العرب على التزام الهدوء في اثناء الحرب المتوقع نشوبها مع المانيا .

وفي غضون شهر تشرين الاول تدفق الثوار على القدس ، وبحلول السابع عشر من الشهر نفسه تمكن الثوار من طرد البوليس من البلدة القديمة والسيطرة عليها سيطرة تامة . وفي اليوم التالي أعلن انتقال ادارة لواء القدس من السلطات المدنية إلى السلطات العسكرية . وبعد أربعة أيام امتد الحكم العسكري ليشمل بقية البلاد وبدأت حملة اعادة الحكم البريطاني اليها على نحو كاد عمليا أن يكون احتلال البلاد عسكرياً من جديد* .

وهكذا بدأ هاينينغ اعادة اقامة السلطة البريطانية في المدن مستخدماً فرقتين عسكريتين بريطانيتين وعدداً من اسراب الطائرات والبوليس البريطاني وحرس الحدود الاردني بالاضافة إلى قوة يهودية مساعدة مؤلفة من ستة آلاف جندي ، وبعد أن قام بتنسيق جهود هذه القوى كلها تصدى لتفتيش جميع قرى لوائي الجليل والسامرة تقريباً . وتمكن هاينينغ بفضل هذه الحملة من البدء بحملة عامة لنزع السلاح من السكان مشجعاً العناصر المعادية للمفتي على تزويده بالمعلومات وتعريفه بأشخاص الثوار .

ولقد أدى الضغط المتصاعد على الثوار إلى الكشف عن ضعف تنظيماتهم الداخلية والعواقب الخطيرة لفقدان قيادة سياسية قادرة على تجنيد الجماهير وحشدها ناهيك بفقدان قيادة عسكرية فعالة قادرة على مواجهة تحدي تفوق القوة العسكرية البريطانية الساحق ، وكانت الفوضى الناشئة من اساءة استعمال وسائل جمع التبرعات والضرائب من أقوى أسباب تشويه سمعة الثوار ونفوذهم . تضاف الى ذلك المبالغة بالاغتيالات السياسية دون مبرر مما

---

* استخدم احد المؤرخين البريطانيين هذا التعبير لوصف الموقف حينذاك . راجع س . ل . موات «بريطانيا بين الحربين ١٩١٨-١٩٤٠» (لندن) ١٩٦٨ . ص ٦٢٤ .

شجع العناصر العربية الموالية للحكومة على تحدي الثوار علناً.

وفي التاسع من تشرين الثاني صار نشر تقرير لجنة التقسيم(١٢٤) مرفقاً ببيان لسياسة الحكومة. والغى البيان مشروع لجنة بيل للتقسيم باعتباره مشروعا غير عملي واعلن، بناء على ذلك، أن الحكومة قررت التخلي عن التقسيم والاستمرار في ممارسة سلطات الانتداب القوية وافصح عن رغبة الحكومة في محاولة التوصل إلى حل للمشكلة عن طريق عقد مؤتمر للزعماء العرب واليهود يدعى اليه ممثلون عن الدول العربية المستقلة. ولم تكن الغاية من المؤتمر المقترح إقامة تفاهم عربي يهودي بقدر ما كانت فرض حل بريطاني يرتضيه كلا الجانبين ويمتص الثورة الفلسطينية العربية الناشبة في جبال فلسطين(١٢٥).

رحب العرب الفلسطينيون بالتخلي عن التقسيم وشجعهم على ذلك أيضاً دعوة ممثلين عن الدول العربية المستقلة إلى مؤتمر لندن. غير انهم من الناحية الاخرى اصيبوا بالفزع من استبعاد موضوعي الهجرة اليهودية وبيع الاراضي من ابحاث المؤتمر. وكان اليهود يريدون سحق الثورة أولاً وقبل أي شيء آخر يحدوهم الأمل أن انعدام الوحدة بين عرب فلسطين سيحول، بعد سحق الثورة، بينهم وبين ارسال وفد إلى المؤتمر. فقد كانوا يخشون أن يقر مؤتمر لندن المقترح تنازلات للعرب من حيث الهجرة وبيع الاراضي مقابل وضع حد عاجل للثورة.

واعتبرت القيادة الصهيونية مشاركة الدول العربية بالمؤتمر سابقة غير مرغوب فيها واعلنت عن رغبتها في ان «تشترك الولايات المتحدة في المؤتمر بصورة فعالة»(١٢٦).

ولقد اتضح منذ البداية بجلاء ان العراق والمملكة العربية السعودية «مستعدتان لاستخدام نفوذهما لدى زعماء فلسطين لوضع نهاية للثورة وتهيئة اسباب النجاح للمؤتمر»(١٢٧). وعندما أصبح اعتراض البريطانيين على اشتراك المفتي بالوفد الفلسطيني معروفاً، كتب مكمايكل يقول ان الاكثرية الساحقة من العرب الفلسطينيين اصيبوا بخيبة الأمل(١٢٨)، ولكن الجناح المناوىء للمفتي أبدى ما يشير إلى انتعاش الحياة فيه. وبعد أقل من اسبوع واحد من نشر البيان السياسي للحكومة البريطانية، نشر فخري النشاشيبي رسالة موجهة إلى المندوب السامي ادعى فيها انه يكتب الرسالة بالنيابة عن عدد كبير من المعتدلين. وتحدى في رسالته المزعومة زعامة المفتي مدعياً ان مصالح العناصر المعتدلة المعارضة للمفتي تشكل ٧٥ في المائة من مصالح البلاد وان اتباعها يشكلون اكثر من نصف السكان الفلسطينيين(١٢٩). غير ان راغب النشاشيبي الذي كان حينذاك متغيبا عن البلاد

في مصر أصدر على الفور بيانا تنصل فيه من المسؤولية عن وجهات النظر التي ابداها نسيبه في الرسالة السابقة الذكر. وكتب مكمايكل يقول «اظن انه اكثر من مرجح ان يكون فخري قد كتب رسالته مدفوعاً من السياسيين اليهود المحليين»(١٣٠).

خصوم المفتي يعززون مكانته

وسرعان ما اتضح ان جميع الجهود التي بذلت للحط من سمعة المفتي قد ولدت عكس النتائج المرجوة منها. ففي التاسع والعشرين من تشرين الثاني كتب مكمايكل إلى مكدونالد يقول انه تلقى اكثر من ١٨٠ برقية يعرب اصحابها عن الثقة بالمفتي واللجنة العربية العليا:

«وكثير منها تحمل اسماء عدد كبير من الموقعين. وقد جاءت هذه البرقيات من مختلف انحاء فلسطين وهي تضم تواقيع اشخاص ينتمون إلى مختلف فئات الشعب بدءاً برؤساء البلديات ورجال الدين مسيحيين ومسلمين وانتهاء باصحاب المتاجر والحوانيت»(١٣١).

وهكذا لم يكن لدى حزب آل النشاشيبي من الثقل ما يكفي للحلول محل المفتي. وفي الثالث والعشرين من تشرين الثاني اعلن مكدونالد في مجلس العموم أن الوفد العربي الفلسطيني سيمثل جميع الفئات الكبيرة من سكان البلاد العرب. وفي اوائل كانون الاول أعلن انه سيطلق سراح الزعماء العرب المنفيين في جزر سيشل دون قيد أو شرط حتى يصبح في الامكان أشراكهم في الوفد الذي سيمثل العرب الفلسطينيين في مؤتمر لندن المقترح. وبعد أن وصل هؤلاء الزعماء إلى القاهرة أعلن البريطانيون انه لا مانع لديهم من أن تجري مشاورات بين اولئك الزعماء والمفتي قبل أن تعلن اسماء الوفد العربي الفلسطيني المزمع ارساله الى لندن. وهكذا توجه الزعماء العائدون برفقة جمال الحسيني إلى بيروت للتشاور مع المفتي بحيث لا يتم الوصول الى أي اتفاق في لندن لا يقترن بموافقته.

واتفق الزعماء العرب على ان يقدم الوفد العربي الفلسطيني المطالب المدرجة في «الميثاق الوطني» لعرب فلسطين بما في ذلك المطالبة بدولة عربية فلسطينية مستقلة ذات اكثرية عربية على أن لا يجلس العرب والصهيونيون معاً، كما أن الحوادث اللاحقة بينت أن الزعماء قد اتفقوا على انه «من الضروري زيادة حدة الارهاب لا التخفيف منها سواء كان ذلك قبل المباحثات أو في اثنائها.. وابلاغ الرأي العام العالمي عما سيحدث اذا لم تلب المطالب العربية»(١٣٢). ووافق الزعماء العرب كذلك على ان يتولى جمال الحسيني رئاسة

الوفد بوصفه ممثل المفتي وان يضم الوفد في عضويته حسين فخري الخالدي والفرد روك وموسى العلمي وعوني عبد الهادي وامين التميمي ويعقوب الغصين وان يتولى سكرتيريته جورج انطونيوس وفؤاد سابا.

وكانت اللجنة العربية العليا قد اتصلت قبل ذلك براغب النشاشيبي ودعته إلى مرافقة الوفد إلى لندن فلم يعط حينذاك جوابه. ولكن ادارة الحكومة الفلسطينية شجعته وكذلك حثه توفيق ابو الهدى رئيس وزراء الامير عبد الله على تسمية وفد منافس يضم ممثلين عن حزب الدفاع الوطني وهو ما انجزه بالفعل(١٣٣). ومع ان المفتي رفض أول الأمر البحث في حل وسط لهذا الموضوع إلا انه عاد فوافق، بعد ان اقنعه زعماء البلاد العربية بذلك، على ضم راغب النشاشيبي ويعقوب فراج، وهما عضوان سابقان في اللجنة العربية العليا، إلى عضوية الوفد.

وقبل ان يفتتح مؤتمر المائدة المستديرة في لندن في السابع من شباط ١٩٣٩، كانت الحالة في فلسطين قد بدأت تشير إلى تجدد الاضطرابات.

فظائع الانكليز ووحشيتهم

كانت حملة هاينيغ ضد الثوار المعتصمين بالجبال والقرى قد نقلت الثورة الى داخل المدن حيث ازدادت اعمال التخريب وتفجير القنابل حدة. وفي اواخر شهر كانون الاول كان عدد من زعماء الثوار البارزين قد اجتمعوا في دمشق لبحث الخطط القادمة ونيل قسط من الراحة وتهيئة المؤن والذخائر. وعاد هؤلاء الزعماء الى فلسطين في كانون الثاني وتمكنوا من تكثيف غاراتهم على الموظفين البريطانيين واليهود وممتلكاتهم كما بدأوا بجباية الضرائب من المدن. وعندئذ فرضت قيود شديدة على وسائل النقل والمواصلات العربية واضرب سكان القدس في شهر كانون الثاني ١٩٣٩ احتجاجاً على إقامة مركز للبوليس داخل الحرم الشريف. وكثرت احتجاجات العرب على وحشية القوات البريطانية وشراستها* وعكفت مكاتب الدعاية الفلسطينية في كل من دمشق ولندن (المركز العربي) على توزيع الكتب والمنشورات والصور الفوتوغرافية حول هذه الفظائع(١٣٤).

---

* وصف مطران القدس الانكليكاني جورج فرنسيس بعض فظائع القوات البريطانية في رسالة بعث بها الى اورمسبي غور في ١٩٣٨/٤/٦ (و.م. ٣٧٠/٧٣٣) كما رفعت لجنة السيدات العربيات في القدس مذكرة الى المندوب السامي حول وحشية القوات البريطانية فيها الكثير من الشواهد التي تبرهن على شراسة الاستعمار. راجع مكمايكل الى مكدونالد ١٩٣٩/١/٣١ و.م. ٤٠٦/٧٣٣.

على انه في غضون شهر شباط ١٩٣٩ اصبحت لندن مركز الثقل والجاذبية بعد ان بدأ الناس بمتابعة انباء المؤتمر باهتمام وأمل خصوصاً وان الدول العربية «المستقلة» شاركت في المؤتمر وهي مصر والعراق والسعودية وشرق الاردن واليمن وكانت وجهة النظر آنذاك ان مشاركة هذه الدول في مباحثات مستقبل فلسطين يحمي عروبتها.

ولما كان العرب قد رفضوا الاجتماع بالصهيونيين فقد افتتح تشمبرلين المفاوضات مع الوفود العربية صباح اليوم السابع من شباط ١٩٣٩ كما افتتح المفاوضات مع الوفد الصهيوني بعد ظهر ذلك اليوم نفسه. وفي التاسع من شباط قدم جمال الحسيني المطالب العربية التي كانت تدعو الى الاعتراف فوراً بحق العرب بالاستقلال والى التخلي عن الوطن القومي اليهودي ووقف الهجرة اليهودية وبيع الأراضي بالاضافة الى إبطال الانتداب والاستعاضة عنه بمعاهدة تحالف مع دولة فلسطين العربية المستقلة.

أما وايزمان فقد طالب من الناحية الاخرى بالحفاظ على الوضع الراهن أي استمرار تنفيذ صك الانتداب وتصريح بلفور واعلن رفض الصهيونيين ان يكون لهم وضع الاقلية في فلسطين.

واخذ الصهيونيون يقدمون البراهين والحجج «لاثبات الفائدة التي تعود على بريطانيا من وجود حليف لها مخلص نشيط تقدمي ـ اي الصهيونيين ـ في هذا الجزء من العالم»(١٣٥) بعد ان أحسوا ان بريطانيا توشك على التخلي عن سياسة الوطن القومي اليهودي بالنظر الى «الضرورة الاستراتيجية لتحالف بريطانيا مع العرب ومصادقتها لهم في الشرق الادنى»(١٣٦). وبدأ الصهيونيون في الوقت نفسه بالتطلع شيئاً فشيئاً نحو الولايات المتحدة كما بدأ العرب «يعتبرون الولايات المتحدة عدواً لهم»(١٣٧).

محادثات المائدة المستديرة في لندن

وفي غضون المحادثات قدمت الحكومة اقتراحات تنطوي على انهاء الانتداب وعقد مؤتمر حول مائدة مستديرة في فصل الخريف يوضع خلاله دستور دولة فلسطين تحت الحماية البريطانية على ان تتمتع الاقلية اليهودية فيها بحماية تقترن بضمانات معينة.

وطالب العرب بأن يبدأ تنفيذ هذه المقترحات على الفور اذ كانوا يخشون ان يهيىء التأخير المقترح فرصة لليهود يضغطون من خلالها على الحكومة لكي تتخلى عن هذا المشروع المقبول لدى العرب. ومن الطبيعي ان يكون اليهود قد رفضوا هذه المقترحات غاضبين

فسحبتها الحكومة البريطانية بحجة انه «اسيء فهمها».

وفي اواخر شهر شباط نشرت صحيفة الاهرام القاهرية نبأ جاء فيه ان فلسطين ستصبح نتيجة مؤتمر لندن، دولة مستقلة ترتبط مع بريطانيا بمعاهدة على غرار المعاهدة الانغلو- عراقية. وعلى الاثر قامت في فلسطين ابتهاجاً بذلك تظاهرات عفوية حيا خلالها المتظاهرون كلاً من تشمبرلين والحاج امين، واضيئت المشاعل في بعض القرى وامر زعماء الثورة في لواء الجليل «بوقف العمليات العسكرية مؤقتاً»(١٣٨) ورأى الفلاح العربي في استقلال فلسطين ضماناً له ضد الجلاء عن اراضيه والخضوع لليهود. وكتب مكمايكل بهذا الصدد يقول «ان ما يريده الفلاح هو فرض قيود دقيقة على الهجرة وبيع الاراضي والحصول على بعض الضمانات التي تحول دون ان يتمكن اليهود في أي وقت من الاوقات من السيطرة السياسية أو الاقتصادية عليه»(١٣٩).

ولقد قابل ابتهاج العرب بالاقتراح الجديد معارضة يهودية عنيفة: «ففي صباح اليوم السابع والعشرين من شباط وقعت سلسلة من انفجار القنابل في مختلف انحاء البلاد في وقت واحد. وقتل في هذه الانفجارات ٣٨ عربيا وجرح ٤٤»(١٤٠) واصبح المعتدلون الصهيونيون متصلبين بقدر تصلب المتطرفين.

وبمضي الوقت على المؤتمر اصبح من الواضح انه من المتعذر الوصول الى اتفاق لان العرب يريدون الاستقلال وهم يشكلون الأكثرية (أكثرية ثلثي سكان البلاد) بينما كان اليهود يعارضون الاستقلال ما داموا أقلية. أما المحاولات التي بذلت لانجاح المؤتمر من خلال الحصول على بعض التنازلات من المفتي فقد باءت جميعها بالفشل.

كتاب مكدونالد الابيض

وكان الفشل في الوصول إلى حل يتفق عليه الجانبان قد مهد الطريق أمام البريطانيين لكي يعلنوا وحدهم الحل الذي يرتأونه للقضية. وهكذا اصدرت الحكومة البريطانية عام ١٩٣٩ بياناً تناول سياستها في فلسطين واعلنت فيه بشكل «حاسم» انه ليس من سياستها ان تصبح فلسطين دولة يهودية. ولكنها بالمثل «لا تستطيع ان توافق على ان مراسلات مكماهون تشكل أساساً عادلاً للمطالبة بأن تتحول فلسطين الى دولة عربية». ان ما تريد حكومة صاحب الجلالة البريطانية ان يقام «في النهاية» هو دولة فلسطينية مستقلة «يقتسم فيها شعبا فلسطين، العرب واليهود، السلطة الحكومية على نحو يصون المصالح الحيوية

لكليهما . . . . ان هدف صاحب الجلالة البريطانية هو ان تقيم في غضون عشرة أعوام دولة فلسطينية مستقلة ترتبط ببريطانيا بمعاهدة تصون على نحو مرض جميع المصالح التجارية والاستراتيجية لكلا البلدين» . واصدرت الحكومة البريطانية ايضاً تصريحاً قالت فيه ان الفترة الانتقالية من حكم الانتداب ستخصص لتنمية الحكم الذاتي شيئاً فشيئاً . أما الهجرة اليهودية في غضون الاعوام الخمسة القادمة فستبلغ ٧٥٠٠٠ نسمة تحظر بعدها الا بموافقة العرب . وفي بعض المناطق من فلسطين يحظر بيع أراضي العرب في حين يكون نطاق البيع في مناطق اخرى مقيداً .

واستقبل الصهيونيون الكتاب الابيض بالاستياء والعداء(١٤١) وتعاهدوا على مقاومته حتى النهاية . ولم يعد في وسع الصهيونيين بعد عام ١٩٣٩ ان يعتبروا الحكومة البريطانية حامية لمخططاتهم الرامية الى اقامة دولة يهودية في فلسطين فاضطروا الى الالتفات الى الولايات المتحدة لتولي هذا الدور .

على ان العرب بدورهم لم يستقبلوا الكتاب الابيض لعام ١٩٣٩ بالرضا على الرغم من مقاومة الصهيونيين له . فالأمير عبد الله وحزب الدفاع هما وحدهما اللذان وافقا على السياسة البريطانية الجديدة(١٤٢) . أما زعماء الثوار فقد كانوا ينظرون الى الكتاب الابيض بمنظار مختلف . إذ لما كان الكتاب الجديد لا يعدهم بالعفو العام ولا يبدي ميلاً للمصالحة مع المفتي فقد اعلنوا على الفور رفضهم للمقترحات البريطانية الجديدة ووعدوا بان تصدر اللجنة العربية العليا في وقت لاحق بياناً مسهباً مدعوماً بالحجج والبينات . ولكن قبل ان يصدر البيان المشار اليه توافرت لدى المصادر البريطانية «اسباب قوية تدعوها الى الاعتقاد بأن اعضاء اللجنة غير مجمعين على موقفهم»(١٤٣) . فهنالك بعض الاعضاء الميالين للتعاون مع سياسة الحكومة باعتبارها خير الوسائل للحصول على مزيد من التنازلات .

الاستقلال أقدس حقوق الشعوب

ومع ذلك فعلى الرغم من الخلافات داخل اللجنة العربية العليا فانها رحبت باعتراف بريطانيا بحقوق العرب من حيث المبدأ ولكنها اعربت عن اسفها لتخلف بريطانيا عن منح الفلسطينيين استقلالهم الذي هو «أقدس حقوق الشعوب وأثمن مطامحها»(١٤٤) . وحتى هذا الاستقلال المؤجل فإنه خاضع لحق اليهود في نقضه ويتوقف تنفيذه على تعاونهم . وأشارت اللجنة الى ان العرب ، فضلاً عن ذلك كله ، لا يثقون بنيات الحكومة البريطانية .

«فما دامت السلطة ليست في أيدي سكان البلاد، فليس هنالك ما يحول دون استخدام الوسائل التي درج الاستعمار على انتهاجها»(١٤٥) .

واختتمت اللجنة بيانها برفض الكتاب الابيض بوصفه لا يحقق مطالب العرب التي تتلخص في ان «تظفر فلسطين باستقلالها ضمن اتحاد فيدرالي عربي وتبقى عربية الى الابد»(١٤٦) .

ومع ان العرب الفلسطينيين «كانت قد انهكتهم الاضطرابات واصبحوا متلهفين على السلام» فإن كثرتهم الساحقة لم تكن لتثق بنيات الحكومة . ونتيجة للدعاية التي كان الثوار يبثونها ازداد تصلبهم ضد الكتاب الابيض(١٤٧) واصبح ذلك واضحاً في النصف الثاني من أيار ١٩٣٩ . ومن ثم بذلت جهود جبارة لمواصلة الثورة :

«ووردت تقارير من جميع انحاء فلسطين تجمع على تأييد انباء اعادة تسليح العصابات باشراف القادة الذين غادروا البلاد اخيراً وبدأوا يتجولون فيها بحرية أكبر. وكان من الأدلة الاخرى على ذلك وقوع عدة حوادث في غضون الايام العشرة الماضية»(١٤٨) .

أما في الاوساط الصهيونية فقد كتب المندوب السامي يقول ان سياسة العنف قد اخذت تكتسب المزيد من الانصار ولا سيما في صفوف الشباب(١٤٩) . وهكذا بدا لبعض الوقت ان كل واحد من الاطراف الفلسطينية الثلاثة كان يعد العدة لمحاربة الطرفين الآخرين .

وتضافرت عوامل انعدام الثقة بنيات الحكومة والارهاب اليهودي(١٥٠) والهجرة غير المشروعة بالاضافة الى عوامل طارئة مؤقتة اخرى على تعزيز جهود زعماء الثورة الرامية الى بعث الحياة من جديد في الثورة(١٥١) . ومع ذلك وحتى قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية غدا من الواضح تماماً انه بعد سنوات من الثورة اصبحت قوة العرب وقدرتهم على مقاومة بريطانيا والصهيونية بقوة السلاح مضعضعة ومستنفذة .

وسرعان ما اخذ زعماء الثورة يختفون من المسرح واحداً اثر الآخر فمنهم من استشهد ومنهم من اضطر الى الفرار . وفي الخامس والعشرين من آذار قتل في معركة مع القوات البريطانية أخلص قادة الثورة وأكثرهم احتراماً وإكباراً ألا إنه عبدالرحيم الحاج محمد. واعلن الاضراب العام في جميع انحاء فلسطين للاعراب عن مشاعر الحزن والاسى على

وفاته . وفي الثالث عشر من نيسان غادر عارف عبد الرازق فلسطين فجأة وسلم نفسه مع ١٢ رجلاً من اتباعه الى السلطات الفرنسية عند الحدود السورية وهم في حالة يرثى لها من التعب والانهاك والجوع . وفي الرابع والعشرين من تموز أسرت قوات الجيش الاردني يوسف ابو درة بالقرب من نهر الاردن .

ان التعب من القتال والضغط العسكري المتواصل والامل في ان تتحقق بعض جوانب الكتاب الابيض بالاضافة الى معاناة العجز في الاسلحة والذخائر(١٥٢) كل ذلك قد اسهم في عرقلة استمرار الثورة . ثم ان اقتراب العالم من حافة الحرب العالمية الثانية حمل الفرنسيين على قمع مقر رئاسة الثوار في دمشق والقضاء عليه . ولم تكد تعلن الحرب العامة حتى أخذت الثورة تسير نحو الاضمحلال وأصبح في وسع مكمايكل أن يقول في أحد تقاريره «ان المجتمع العربي كمجموع قد أعلن تأييده للحكومة في الحرب مع ألمانيا، على نحو لا ينقصه الجزم»(١٥٣).

ومن الطبيعي ان يحجب نشوب الحرب انباء السياسات والاضطرابات المحلية وبذلك لاقت ثورة فلسطين الكبرى نهايتها بهدوء يكاد يكون مفجعاً .

هوامش الفصل الثامن

(١) الوزارة «فلسطين: المجلس التشريعي» ١٠-١-١٩٣٦ و. م. ٧٣٣-٢٩٣

(٢) المندوب السامي الى وزير المستعمرات ٢٢-٢-١٩٣٦ و. م . ٧٣٣ - ٢٩٣

(٣) توماس الى واكهوب ٢٥-٣-١٩٣٦ و. م ٧٣٣-٢٩٣

(٤) فلسطين ١٥-٤-١٩٣٦

(٥) المندوب السامي الى وزير المستعمرات ١٩-٤-١٩٣٦ و. م ٧٣٣-٣١٠

(٦) «ملاحظات المندوب السامي على تقرير الجنرال ديل» حول احداث فلسطين بين ١٥ ايلول و٣٠ تشرين الاول ١٩٣٦ و. م. ٧٣٣-٣١٧

(٧) نائب مارشال الجو بيرس الى وزارة الطيران ١٥-١٠-١٩٣٦ و. م. ٧٣٣-٣١٧ ص١٥

(٨) واكهوب الى توماس ٢٣-٤-١٩٣٦ و. م . ٧٣٣ - ٣١٠

(٩) المصدر نفسه

(١٠) واكهوب الى توماس ٢٤-٤-١٩٣٦ (مرفق ب) و. م. ٧٣٣-٣١٠

(١١) «وثائق المقاومة الفلسطينية» ص ٣٧٧ - ٣٧٨

(١٢) راجع فلسطين ٢٧-٤-١٩٣٦

(١٣) «وثائق المقاومة الفلسطينية» ص٣٧٨-٣٧٩

(١٤) واكهوب الى توماس ٢٩-٤-١٩٣٦ الملحق س و. م. ٧٣٣-٢٩٧

(١٥) المصدر نفسه

(١٦) فلسطين ٩-٥-١٩٣٦

(١٧) «وثائق المقاومة الفلسطينية» ص٣٨١-٣٨٥

(١٨) و. م. ٧٣٣-٢٩٧

(١٩) ١٤-٥-١٩٣٦ و. م. ٧٣٣-٢٩٧

(٢٠) فلسطين ١٦-٥-١٩٣٦

(٢١) بيرس الى وزارة الطيران ص٢٩

(٢٢) واكهوب الى اورمسبي غور ٨-٧-١٩٣٦ و. م. ٧٣٣-٣١٣

(٢٣) و. م. ٧٣٣-٢٩٧

(٢٤) «وقائع مقابلة» ٢٣-٦-١٩٣٦ م. ٧٣٣-٣٢١

(٢٥) المندوب السامي الى وزير المستعمرات ١٦ـ ٦ـ ١٩٣٦ و. م. ٧٣٣ـ ٢٩٧
(٢٦) بيرس الى وزارة الطيران ص٣٤
(٢٧) واكهوب الى اورمسبي غور ٦ـ٦ـ١٩٣٦ و. م. ٧٣٣ـ ٣١٠
(٢٨) المصدر نفسه
(٢٩) المصدر نفسه
(٣٠) ١٦ـ ٦ـ ١٩٣٦ و م ٧٣٣ـ ٣٩٧
(٣١) بيرس الى وزارة الطيران ص٥٩
(٣٢) وزير المستعمرات الى المندوب السامي ٧ـ ٧ـ ١٩٣٦ و. م. ٧٣٣ـ ٣١٤
(٣٣) بيرس الى وزارة الطيران ص ٦٦
(٣٤) دروزة ص١٤٠
(٣٥) بيرس الى وزارة الطيران ص٩٤
(٣٦) واكهوب الى اورمسبي غور ٢٢ـ ٨ـ ١٩٣٦
(٣٧) المصدر نفسه
(٣٨) المصدر نفسه
(٣٩) واكهوب الى اورمسبي غور ٢٦ـ ٨ـ ١٩٣٦ و. م. ٧٣٣ـ ٣١٤
(٤٠) ٣١ـ ٨ـ ١٩٣٦ و. م. ٧٣٣ـ ٢٩٧
(٤١) الوزارة «الحالة في فلسطين» ٢ـ ٩ـ ١٩٣٦ و. م. ٧٣٣ـ ٢٩٧
(٤٢) المصدر نفسه ١٠ـ ٩ـ ١٩٣٦ و. م. ٧٣٣ـ ٣١٤
(٤٣) ١٠ـ ٩ـ ١٩٣٦ و. م. ٧٣٣ـ ٣١٤
(٤٤) «وثائق المقاومة الفلسطينية» ص٤٣٩ـ ٤٤١
(٤٥) المصدر نفسه ص ٤٤٢ـ٤٤٧
(٤٦) واكهوب الى اورمسبي غور ١٢ـ ٩ـ ١٩٣٦ و. م. ٧٣٣ـ ٣١١
(٤٧) تقرير لجنة بيل ص١٠١
(٤٨) واكهوب الى اورمسبي غور ٢٠ـ ١١ـ ١٩٣٦ و. م. ٧٣٣ـ ٣١١
(٤٩) تقرير لجنة بيل ص ١٠٥
(٥٠) للاطلاع على هذه التجاوزات انظر واكهوب الى اورمسبي غور ١٦ـ ١١ـ ١٩٣٦ و. م. ٧٣٣ـ ٢٨٧
(٥١) ١٤ـ ١٢ـ ١٩٣٦ و. م. ٧٣٣ـ ٢٨٧

(٥٢) دروزة ص١٥٢-١٥٣
(٥٣) جريدة فلسطين ٢٤ - ١٢ - ١٩٣٦
(٥٤) تقرير لجنة بيل ص١٠٣
(٥٥) المصدر نفسه ص١١٢
(٥٦) المصدر نفسه ص١٢٠
(٥٧) المصدر نفسه
(٥٨) الوزارة «الحالة في فلسطين» ١-١-١٩٣٧ و. م ٧٣٣-٢٩٧
(٥٩) جريدة الدفاع ٢١ - ١٢ - ١٩٣٦
(٦٠) راس الى مودي ٢٧-١٢-١٩٣٦ و. م. ٧٣٣-٣١١
(٦١) ١٧-١٠-١٩٣٦ و. م. ٧٣٣-٣١٧
(٦٢) المصدر نفسه
(٦٣) «وثائق محادثة مع برودتسكي ٦-١-١٩٣٧» و. م. ٧٣٣-٣٢٨
(٦٤) واكهوب الى اورمسبي غور ١٣-٢-١٩٣٧ و. م. ٧٣٣-٣١١
(٦٥) واكهوب الى اورمسبي غور ٨-٤-١٩٣٧ و. م. ٧٣٣-٣١١
(٦٦) المصدر نفسه ص ٢
(٦٧) المصدر نفسه
(٦٨) المصدر نفسه ص٣
(٦٩) المصدر نفسه ص٤
(٧٠) واكهوب الى اورمسبي غور ١٥ - ٥ - ١٩٣٧ و . م . ٧٣٣ - ٣٣٢
(٧١) ٢٠-٥-١٩٣٧ المصدر نفسه
(٧٢) مكاريت الى واكهوب ٥ - ٧ - ١٩٣٧ و . م . ٧٣٣ - ٣٢٦
(٧٣) المصدر نفسه
(٧٤) المصدر نفسه
(٧٥) الوزارة «تقرير اللجنة الملكية لفلسطين» ١٩-٧-١٩٣٧ و. م ٧٣٣-٣٣٢
(٧٦) قيادة فلسطين وشرقي الاردن الى وزارة الحربية ٥-٧-١٩٣٧ و. م. ٧٣٣-٣٣٢
(٧٧) للاطلاع على تفاصيل خطة بيل للتقسيم راجع تقرير لجنة بيل ص ٣٨٠ - ٣٨٦
(٧٨) ملاحظة بقلم اورمسبي غور ١٩-٧-١٩٣٧ و. م. ٧٣٣-٣٢٨
(٧٩) ٢٣-٨-١٩٣٧ و. م. ٧٣٣-٣٥٣

(٨٠) اعترف واكهوب ان معارضة العرب للتقسيم والصهيونية تحظى بالاجماع ٢١ـ ١٢ـ ١٩٣٧ و. م. ٧٣٣ـ ٣٣٢

(٨١) من اجل الاطلاع على تفاصيل تضامن العرب والمسلمين مع عرب فلسطين حول التقسيم راجع دروزة ص١٦٥ـ ١٦٨

(٨٢) ١٣ـ ٩ـ ١٩٣٧ و. م. ٧٣٣ـ ٢٣٣

(٨٣) «مقتطفات من التقرير الاداري الشهري لمنطقة الجليل لشهر تموز ١٩٣٧» و. م. ٧٣٣ـ ٣٣٢

(٨٤) المصدر نفسه

(٨٥) واكهوب الى باركنسون ١٩ـ ٧ـ ١٩٣٧ و. م. ٧٣٣ـ ٣٣٢

(٨٦) واكهوب الى اورمسبي غور ٢ـ ٩ـ ١٩٣٧ و. م. ٧٣٣ـ ٣٢٦

(٨٧) انظر دروزة ص ١٨٣ـ٢١٥

(٨٨) سكوت الى ايدن ١٧ ـ ٩ ـ ١٩٣٧ و . م . ٧٣٣ ـ ٣٥٣

(٨٩) ١١ـ ٩ـ ١٩٣٧ و. م. ٧٣٣ـ ٣٥٣

(٩٠) مكاريث الى ايدن ١٤ـ ٩ـ ١٩٣٧ و. م. ٧٣٣ـ ٣٥٣

(٩١) المصدر نفسه

٩٢) الوزارة «فلسطين» ١٩ـ ١١ـ ١٩٣٧ و. م. ٧٣٣ـ ٣٥٤

(٩٣) انظر تشرشل الى اورمسبي غور ١٤ـ ١٠ـ ١٩٣٧ و. م. ٧٣٣ـ ٣٣٢

(٩٤) ٣٣ـ ١٠ـ ١٩٣٧ المصدر نفسه

(٩٥)٥ـ ١١ـ ١٩٣٧ المصدر نفسه

(٩٦) بترشيل الى اورمسبي غور ٢١ـ ١١ـ ١٩٣٧ و. م. ٧٣٣ـ ٣٥٤

(٩٧) الوزارة ٩ـ ١٢ ١٩٣٧ المصدر نفسه

(٩٨) ١٨ـ ١٢ـ ١٩٣٧ و. م. ٧٣٣ـ ٣٢٨

(٩٩) واكهوب الى اورمسبي غور ٢٣ـ ١١ـ ١٩٣٧ و. م. ٧٣٣ـ ٣٣٢

(١٠٠) الوزارة «فلسطين» ١ ـ ١٢ ـ ١٩٣٧ و . م . ٧٣٣ ـ ٣٥٤

(١٠١) مكاريث الى ايدن ٢١ ـ ١ ـ ١٩٣٨ و . م . ٧٣٣ ـ ٣٦٨

(١٠٢) المصدر نفسه

(١٠٣) المندوب السامي الى وزير المستعمرات ٢٥ـ ٥ـ ١٩٣٨ و. م. ٧٣٣ـ ٣٦٧

(١٠٤) المصدر نفسه

(١٠٥) هاينتغ الى وزير المستعمرات تقارير عمليات القوات البريطانية في فلسطين وشرقي الاردن من ١ نيسان الى ١٨ ايار ١٩٣٨ ٤ـ٧ـ١٩٣٨ و. م. ٧٣٣ـ ٣٧٩ ص٧

(١٠٦) المصدر نفسه ص٤

(١٠٧) ١٧ـ ٥ـ١٩٣٨ و. م. ٧٣٣ـ ٣٧٠

(١٠٨) المندوب السامي الى وزير المستعمرات ٧ـ٧ـ ١٩٣٨ و. م. ٧٣٣ـ ٣٦٧

(١٠٩) هاينتغ الى وزير الحربية ص٦

(١١٠) المندوب السامي الى وزير المستعمرات ١٧ـ ٧ـ ١٩٣٨

(١١١) هاينتغ الى وزير الحربية ص٨

(١١٢) راجع بيان لسعد الدين البشير ٢٠ـ ٩ـ ١٩٣٨ و. م. ٧٣٣ـ ٣٧٢

(١١٣) على اثر اغتيال احد الموظفين البريطانيين (موفات) قامت القوات البريطانية بنسف ٩٦ منزلا في جنين. انظر مكمايكل الى مكدونالد ٢١ـ ١ـ ١٩٣٩ و. م. ٧٣٣ـ ٣٩٨

(١١٤) هاينتغ الى وزير الحربية «تقرير عن عمليات القوات البريطانية وشرقي الاردن من اول اب الى ٣١ تشرين الاول ١٩٣٨» ٣٠ـ١١ـ ١٩٣٨ و. م. ٧٣٣ـ ٣٧٩

(١١٥) المصدر نفسه ص٣

(١١٦) المصدر نفسه ص ٥

(١١٧) وزير المستعمرات الى المندوب السامي ١ـ ٩ـ ١٩٣٨ و. م. ٧٣٣ـ ٣٨٦

(١١٨) المندوب السامي الى وزير المستعمرات ٢ـ ٩ـ ١٩٣٨ و. م. ٧٣٣ـ ٣٦٧

(١١٩) المندوب السامي الى وزير المستعمرات ٢٤ـ ٩ـ ١٩٣٨ و. م. ٧٧٣ـ ٣٧٢

(١٢٠) ٢٢ـ ٩ـ ١٩٣٨ و. م. ٧٣٣ـ ٣٦٧

(١٢١) وزير المستعمرات الى المندوب السامي ٢٤ـ ٩ـ ١٩٣٨

(١٢٢) المصدر نفسه

(١٢٣) المندوب السامي الى وزير المستعمرات ٢٥ـ ٩ـ ١٩٣٨ و. م. ٧٣٣ـ ٣٦٧

(١٢٤) تقرير لجنة التقسيم، الامر الحكومي رقم ٤٨٥٤، تشرين الاول ١٩٣٨

(١٢٥) المندوب السامي الى وزير المستعمرات ٢ـ ١١ـ ١٩٣٨ و. م. ٧٣٣ـ ٣٨٦

(١٢٦) مكمايكل الى مكدونالد ٢٩ـ ١٢ـ ١٩٣٨ و. م. ٧٣٣ـ ٣٩٨

(١٢٧) بيترسون ـ بغداد ـ الى وزارة الخارجية ٣١ ـ ١٠ ـ ١٩٣٨ و . م . ٧٣٣ ـ ٣٨٦

(١٢٨) ١٠ـ ١١ـ ١٩٣٨ و. م. ٧٣٣ـ ٣٨٦

(١٢٩) مكمايكل الى مكدونالد ١٩ - ١١ - ١٩٣٨ مرقم ١ و. م. ٧٣٣ - ٣٨٦.
(١٣٠) المصدر نفسه
(١٣١) و. م. ٧٣٣- ٣٨٦
(١٣٢) مكمايكل الى مكدونالد ٢٧- ٢- ١٩٣٩ و. م. ٧٣٣- ٣٩٨ ص ٥
(١٣٣) المصدر نفسه
(١٣٤) انظر نسخة من المجموعة المصورة لاعمال النسف البريطانية في كتاب «فلسطين الشهيدة» مكمايكل الى مكدونالد ٢٧- ١٢- ١٩٣٨ و. م. ٧٣٣- ٤١٢
(١٣٥) مكمايكل الى مكدونالد ٢٤- ٣- ١٩٣٩ و. م. ٧٣٣- ٣٩٨ ص ٥
(١٣٦) المصدر نفسه
(١٣٧) المصدر نفسه ص٢
(١٣٨) المصدر نفسه ص ٣
(١٣٩) المصدر نفسه ص ٤
(١٤٠) المصدر نفسه ص٨
(١٤١) اعتبر وايزمن الكتاب الابيض لعام ١٩٣٩ بمثابة خيانة وحكم بالموت انظر وايزمان ص ٤٩٩- ٥٠٣
(١٤٢) مكمايكل الى مكدونالد ٣١- ٥- ١٩٣٩ و. م. ٧٣٣- ٤٠٦
(١٤٣) قائد الجناح ريتشي «تقدير الوضع في فلسطين» ٣١- ٥- ١٩٣٩ و. م. ٧٣٣- ٤٠٦ ص ١
(١٤٤) ٣٠ - ٥- ١٩٣٩ و. م. ٧٣٣- ٤٠٨ ص٣
(١٤٥) المصدر نفسه ص٥
(١٤٦) المصدر نفسه ص ٩
(١٤٧) تقرير ريتشي ص ٢
(١٤٨) المصدر نفسه ص٣
(١٤٩) المندوب السامي الى وزير المستعمرات ٢- ٦- ١٩٣٩ و. م. ٧٣٣- ٣٩٨
(١٥٠) مكمايكل الى مكدونالد ١- ٩- ١٩٣٩ و. م. ٧٣٣- ٣٩٨ ص ٩- ١٠
(١٥١) المصدر نفسه ص ٨
(١٥٢) اتهم دروزة بعض الحكام العرب بالتراجع عن وعودهم بدعم الثورة بالسلاح والعتاد. دروزة ص ٢٤٨
(١٥٣) المندوب السامي الى وزير المستعمرات ٢٣- ١٠- ١٩٣٩ و. م. ٧٣٣- ٣٩٨

تقويــــم

يتضح مما تقدم ان الفلسطينيين العرب قد قاوموا الصهيونية والهجرة اليهـودية في اواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين لاسباب وعوامل كثيرة أبرزها العاملان الاقتصادي والسياسي . فعلى الصعيد الاقتصادي أدت الطبيعة الاستيطانية للهجرة إلى تهديد الفلاح العربي بالاجلاء وبانقطاع مورد عيشه، أما بالنسبة للحرفيين والمتعلمين والتجار في المدن فان المنافسة اليهودية كانت على أشدها . وعلى الصعيد السياسي جاء الغـزو الصهيوني مع بداية اليقظة القومية للعرب وبالتالي فقد نظر عرب فلسطين إلى الصهيونية على أساس انها خطر قومي يتهدد كيانهم الاقتصادي والاجتماعي والسياسي . ومن هنا شاركت مختلف الطبقات ، وبوسائل مختلفة متباينة الاندفاع والقوة ، بالتعبير عن معارضتها للصهيونية والهجرة اليهودية .

فلقد امتنع معظم الملاكين الفلسطينيين عن بيع أراضيهم للصهيونيين . (ومن هنا اضطر هؤلاء لشراء الاراضي من الملاكين الأغراب من العائلات اللبنـانية الاقـطاعية أو العاملة في التجارة). وقام الوجهاء بمحاولات عدة لاقناع حكام استانبول بضرورة معارضة الهجرة الصهيونية ، كما قام المثقفون من أبناء الطبقـة الوسـطى بالتحـريض الاعلامي والكتابي ضد الصهيونية ،ولجأوا إلى تشكيل جمعيات أدبية وسياسية لتحقيق البعث القومي للعرب ،كما عملت هذه الجمعيات على التحريض من اجل الظفر بحق تقرير المصير والحكم الذاتي والاستقلال . أما فلاحو فلسطين فكثيراً ما كانوا يلجـأون إلى العنف كردة فعـل لاقدام الصهاينة على طردهم من الاراضي التي كانت مصدر رزقهم الوحيد.

وكان نشوب الحرب العالمية الاولى فرصة تاريخية لتحقيق الاستقلال العربي والوحدة

القومية، فقام العرب بثورتهم ضد الاتراك وقدموا في سبيل ذلك التضحيات الجسام. بيد ان الحرب العالمية الاولى تمخضت عن قيام تحالف رسمي قومي، يحظى بموافقة دولية استعمارية ملزمة، بين الصهيونية والامبريالية البريطانية تجسد في تصريح بلفور الذي تضمن وعداً رسمياً باقامة وطن قومي لليهود في فلسطين على حساب شعب فلسطين ومستقبله. وبدلاً من ان تسفر هزيمة تركيا عن تحقيق الاستقلال العربي المنشود فقد أسفرت عن انتقال زمام حكم البلاد من تركيا إلى بريطانيا التي كانت ملتزمة ارادياً وطوعياً، باقامة وطن قومي لليهود في فلسطين.

ولقد رأينا كيف هب عرب فلسطين لمعارضة تصريح بلفور والانتداب البريطاني بجميع الوسائل المتيسرة لهم، الا ان قيادة الوجهاء والملاكين تمسكت بالدور التقليدي الوسيط الذي كانت تلعبه بين الحاكم والمحكوم كوسيلة للحفاظ على مصالحها ومواقعها الطبقية. ومع ازدياد وضوح طبيعة التحالف الوثيق بين الصهيونية والاستعمار البريطاني ازدادت قناعة الشعب الفلسطيني بان عليه ان يختار أحد بديلين: الثورة أو الاستسلام. ووقف الجيل القديم من الوجهاء السياسيين وكبار الملاكين موقفاً أقرب إلى الاستسلام لان مصالح هذه الطبقة كانت تعتمد على حسن نية الحكومة. أما الجيل الجديد من أبناء الطبقة الوسطى في المدن والطبقات الدنيا من سكان الريف والمدن الذين كانوا أشد احساساً بالظلم الصهيوني وبعواقب السياسة الاستعمارية البريطانية فقد كانوا أمضى عزيمة وأشد تصميماً في مقاومة ما اعتبروه غزواً اجنبياً يهدف إلى استعبادهم واجلائهم عن بلادهم.

وعلى الرغم من تخطي الشعب الفلسطيني لقيادته السياسية فقد استطاعت طبقة الوجهاء الحفاظ على مواقعها القيادية بسبب ضعف البنيان الطبقي العام للطبقة الوسطى ذات الطابع التجاري (الكومبرادوري) وبسبب المزاحمة الصهيونية الخانقة التي حالت دون نمو هذه الطبقة وتطورها، كما ان تخلف الجماهير الفلاحية وسيادة العلاقات العائلية - العشائرية وسطوة المفاهيم الدينية حالت دون نشوء تنظيمات وقيادات فلاحية تحل محل زعامات العائلات الفلسطينية الكبرى. على ان ذلك لا يعني ان الثقافة الاسلامية وروح الجهاد لم يلعبا دوراً في الحض على التضحية في مقاومة السياسة البريطانية والهجرة الصهيونية في فلسطين، كما انه لا يعني ان زعامة الحاج امين الدينية والمؤسسات الدينية التي كان يشرف عليها من أوقاف ومحاكم شرعية لم تسخر في النتيجة لخدمة الثورة الكبرى ١٩٣٦ - ١٩٣٩. أضف الى ذلك كله ان الصهيونية كانت عدواً قومياً وطبقياً للعرب اذ سيطر

اليهود على القطاعات التجارية والصناعية والمالية الأمر الذي حال دون ظهور بعض الإفرازات الاجتماعية والاقتصادية بين العرب وساعد على إبقاء الزعامة السياسية بيد العائلات الكبيرة وطبقة الوجهاء.

وعلى الرغم من وجود زعامة مهادنة ضيقة الافق فان شدة ضغط السياسة الاستعمارية الصهيونية وحرمان سكان البلاد من موارد رزقهم (فلاحون بلا ارض وعمال بدون عمل) ومن حقوقهم السياسية في الوقت الذي كانت فيه شعوب المنطقة تتمتع ببعض مظاهر الحكم الذاتي والحقوق الدستورية ، كل ذلك أدى إلى أطول اضراب مدني عرفه التاريخ (٦ أشهر) وإلى ثورات عارمة ضد أعتى الامبراطوريات على مرّ العصور وإلى صمود بطولي جدير بالاعجاب. ان الشعب العربي الفلسطيني لم يسجل على نفسه، رغم كل الضغوط ورغم تخاذل معظم الزعامات السياسية، سابقة استسلام أو رضوخ للأمر الواقع لا أمام الصهيونية ولا أمام الاستعمار البريطاني . ومن هنا كانت هزيمة العرب في فلسطين وليدة القهر لا وليدة التخاذل.

لقد قدم الشعب العربي الفلسطيني آلاف الضحايا والشهداء في ثورته الكبرى ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ حتى اضطرت بريطانيا إلى الاستعانة بالاساطيل وسلاح الطيران والى استخدام خيرة قادتها العسكريين واستدعاء الاحتياطي عام ١٩٣٨ ، وتمكن الثوار من احتلال بعض المدن الرئيسية . بيد ان التحليل العلمي الهادىء يدلنا على أن الفشل الذي منيت به الثورة الفلسطينية في اواخر الثلاثينات كان حتمياً لأسباب كثيرة أهمها:

توازن القوة:

أولا : كان توازن القوة بين عرب فلسطين واعدائهم مفقوداً ، ذلك انه كان من المستحيل على شعب فلسطين الفقير المتخلف الضئيل العدد مواجهة تحالف الامبراطورية البريطانية وقوتها العسكرية الجبارة مع الصهيونية العالمية ذات النفوذ السياسي والمالي بالاضافة الى قوة المستوطنين اليهود الذين كانوا يتمتعون بالتنظيم الشامل والتسليح الحديث والقيادة الواعية.

ثانيا : ان فقدان التوازن في المجابهة مع الاستعمار والصهيونية في فلسطين كان مرتبطاً بالاوضاع العربية . فقد رأينا أن النظرة الاستراتيجية الكامنة وراء تبني السياسيين الاستعماريين للفكرة الصهيونية كانت مرتبطة أشد الارتباط بالرغبة في السيطرة على

المنطقة والحيلولة دون قيام دولة موحدة مستقلة قوية تهدد مصالح الدول الكبرى. كذلك فان التجزئة العربية جاءت ضمن خطة برزت معالمها في اتفاقية سايكس - بيكو ووعد بلفور ومؤتمر السلام في باريس . ان العلاقة بين الدولة الصهيونية والتجزئة العربية علاقة عضوية فالتجزئة هي التي مكنت الاستعمار والصهيونية من استفراد شعب فلسطين وقهره كما ان قيام الدولة الصهيونية كقاعدة أمامية للاستعمار ساعدت الدول الغربية في الحفاظ على التجزئة والضعف العربي . ولاشك في أن وجود حكومات عميلة تابعة للاستعمار في الدويلات المحيطة بفلسطين كان عاملاً هاماً من عوامل اجهاض ثورات شعب فلسطين.

ثالثا: ان قيادة الشعب الفلسطيني لم تكن في مستوى الأحداث، فقد اتصفت بضيق الأفق ومحدودية الطموح والمهادنة ولم تستطع مواجهة الحقائق المترتبة على تبني بريطانيا للصهيونية تبنياً كاملاً فاحجمت عن محاربة بريطانيا الى أن تمكنت الصهيونية - بفضل اضطهاد النازيين لليهود - من استقدام أعداد كبيرة من اليهود بحيث اصبح الوطن القومي اليهودي حقيقة قائمة عشية اندلاع الثورة الكبرى. كذلك فان القيادة السياسية الفلسطينية كانت تغذي النزعات العشائرية والقبلية وتعارض تعبئة الجماهير وتنظيمها تنظيماً ثورياً يتناسب مع المهمات المترتبة على طبيعة المجابهة مع الصهيونية والاستعمار كما ان القيادات لم تربط بين معارك الجماهير اليومية وبين ترقية احوالها وتقدمها الحضاري.

رابعاً: كان من نتيجة تخلف القيادة وتخلف المجتمع غياب النظرية الثورية وغياب تنظيمات جماهيرية واسعة ثابتة ولم تكن هناك معادلة تضع العمل العسكري الثوري في خدمة استراتيجية ثورية سياسية تحقق التحرر والاستقلال.

خامساً: ان الوضع الدولي في الفترة الواقعة ما بين الحربين لم يكن مواتياً لانتصار حركات التحرر الوطني في العالم فالدول الاستعمارية كانت تهيمن على العلاقات الدولية كما ان الظاهرة الاستعمارية لم تكن قد بلغت مرحلة الانحسار . أما الدولة الرئيسية الوحيدة المعادية للاستعمار (الاتحاد السوفياتي) فقد كانت في مرحلة الدفاع عن النفس ضمن استراتيجية ستالين « بناء الاشتراكية في بلد واحد» (علاوة على استحالة اقدام زعامة الوجاهات الفلسطينية على التعاون مع البلشفيك) . أضف الى هذا كله ان الصهيونية كانت تحظى بتأييد اجماعي من الدول الغربية

الاستعمارية بينما كان العرب في مواقع الصراع مع الدول الاستعمارية بما في ذلك ايطاليا التي كانت تضطهد عرب ليبيا.

ومع ذلك كله فقد وجدت بريطانيا لزاماً عليها مهادنة عرب فلسطين عام ١٩٣٩ نظراً لمقاومتهم العنيدة وللظروف الدولية السائدة عشية الحرب العالمية الثانية.

ملحق وثائقي

مراسلات حسين مكماهون

وثيقة رقم ١

من الشريف حسين الى السير هنري مكماهون.

مكة في ٢٨ رمضان سنة ١٣٣٣ (١٤ يوليو- تموز سنة ١٩١٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

لصاحب السعادة والرفعة نائب جلالة الملك بمصر ، سلمه الله

اقدم لجنابكم العزيز احسن تحياتي الودية واحتراماتي ، وارجو ان تعملوا كل ما في وسعكم لتنفيذ المذكرة المرسلة اليكم طيه، المتضمنة الشروط المقترحة المتعلقة بـالقضية العربية.

واود بهذه المناسبة ان اصرح لحضرتكم ولحكومتكم انه ليس هناك حاجة لأن تشغلوا افكاركم بآراء الشعب هنا ، لأنه باجمعه ميال الى حكومتكم بحكم المصالح المشتركة.

ثم يجب ان لا تتعبوا انفسكم بارسال الطيارات او رجال الحرب ، لالقاء المناشير ، واذاعة الشائعات ، كما كنتم تفعلون من قبل ، لأن القضية قد تقررت الآن.

واني لارجوكم هنا ان تفسحوا المجال امام الحكومة المصرية ، لترسل الهدايا المعروفة من الحنطة للاراضي المقدسة «مكة والمدينة» التي اوقف ارسالها منذ العام الماضي.

واود ان الفت نظركم الى ان ارسال هدايا هذا العام ، والعام الفائت ، سيكون له اثر فعال في توطيد مصالحنا المشتركة واعتقد ان هذا يكفي لاقناع رجل ذكي مثلك ، اطال الله بقاءكم.

حاشية ـ ارجو ان لا تزعجوا انفسكم بارسال اي رسالة ، قبل ان تروا نتائج اعمالنا هنا ، خلا الجواب على مذكرتنا وما تتضمنه .

ونرجو ان يكون هذا الجواب بواسطة رسولنا كما نرجو ان تعطوه بطاقة منكم ليسهل عليه الوصول اليكم عندما نجد حاجة لذلك.

والرسول موثوق به.

المذكرة

لما كان العرب باجمعهم دون استثناء ـ قد قرروا في الاعوام الاخيرة ان يعيشوا وان يفوزوا بحريتهم المطلقة ، وان يتسلموا مقاليد الحكم نظريا وعمليا بايديهم . ولما كان هؤلاء قد شعروا وتأكدوا انه من مصلحة حكومة بريطانيا العظمى ان تساعدهم وتعاونهم للوصول الى امانيهم المشروعة، وهي الأماني المؤسسة على بقاء شرفهم ، وكرامتهم وحياتهم

ولما كان من مصلحة العرب ان يفضلوا مساعدة حكومة بريطانيا عن اية حكومة اخرى بالنظر لمركزها الجغرافي، ومصالحهم الاقتصادية وموقفهم من حكومة بريطانيا .

انه بالنظر لهذه الاسباب كلها يرى الشعب العربي انه من المناسب أن يسأل الحكومة البريطانية اذا كانت ترى من المناسب ان تصادق بواسطة مندوبيها او ممثليها على الاقتراحات الاساسية الآتية:

اولا : ان تعترف انكلترا باستقلال البلاد العربية من مرسين ـ ادنه ، حتى الخليج الفارسي شمالا ، ومن بلاد فارس حتى خليج البصرة شرقا، ومن المحيط الهندي للجزيرة جنوبا يستثنى من ذلك عدن التي تبقى كما هي ـ ومن البحر الأحمر ، والبحر المتوسط حتى سينا غربا.

على ان توافق انكلترا ايضا على اعلان خليفة عربي على المسلمين .

ثانيا : تعترف حكومة الشريف العربية بافضلية انكلترا في كل مشروع اقتصادي في البلاد العربية، اذا كانت شروط تلك المشاريع متساوية.

ثالثا: تتعاون الحكومتان الانكليزية والعربية في مجابهة كل قوة تهاجم احد الفريقين وذلك حفظا لاستقلال البلاد العربية ، وتأمينا لافضلية انكلترا الاقتصادية فيها . . على ان يكون هذا التعاون في كل شيء ، في القوة العسكرية ، والبحرية والجوية . . .

رابعا: اذا تعدى احد الفريقين على بلد ما ونشب بينه وبينها عراك وقتال ، فعلى الفريق الآخر ان يلزم الحياد . على ان هذا الفريق المعتدي اذا رغب في اشتراك الفريق الآخر معه ففي وسع الفريقين ان يجتمعا معا وان يتفقا على الشروط.

خامسا: مدة الاتفاق في المادتين الثالثة والرابعة من هذه المعاهدة خمس عشر سنة . واذا شاء احد الفريقين تجديدها عليه ان يطلع الفريق الآخر على رغبته قبل انتهاء مدة الاتفاقية بعام*.

هذا ولما كان الشعب العربي باجمعه قد اتفق «والحمد لله» على بلوغ الغاية وتحقيق الفكرة مهما كلفه الأمر ، فهو يرجو الحكومة البريطانية ان تجيبه سلبا او ايجابيا في خلال ثلاثين يوما من وصول هذا الاقتراح. واذا انقضت هذه المدة ولم يتلق من الحكومة جوابا فانه يحفظ لنفسه حرية العمل كما يشاء.

وفوق هذا فاننا نحن عائلة الشريف نعتبر انفسنا ـ اذ لم يصل الجواب ـ احرارا في القول والعمل من كل التصريحات ، والوعود السابقة التي قدمناها بواسطة علي افندي.

* ورد في هذا البند نص بالانكليزية يلغي الامتيازات الاجنبية في البلاد

وثيقة رقم ٢

مذكرة السير هنري مكماهون الأولى الى الشريف حسين.

القاهرة في ١٩ شوال سنة ١٣٣٣ (٣٠ أغسطس ـ آب ١٩١٥)

الى السيد الحسيب النسيب سلالة الاشراف وتاج الفخار وفرع الشجرة المحمدية والدوحة القرشية الاحمدية صاحب المقام الرفيع والمكانة السامية السيد ابن السيد والشريف ابن الشريف السيد الجليل المبجل دولة الشريف حسين سيد الجميع امير مكة المكرمة قبلة العالمين ومحط رحال المؤمنين الطائعين عمت بركته الناس اجمعين.

بعد رفع رسوم وافر التحيات العاطرة والتسليمات القلبية الخالصة من كل شائبة نعرض ان لنا الشرف بتقديم واجب الشكر لاظهاركم عاطفة الاخلاص وشرف الشعور والاحساسات نحو الانكليز. وقد يسرنا علاوة على ذلك ان نعلم ان سيادتكم ورجالكم على رأي واحد وان مصالح العرب هي نفس مصالح الانكليز والعكس بالعكس. ولهذه المناسبة فنحن نؤكد لكم اقوال فخامة اللورد كتشنر التي وصلت الى سيادتكم عن يد علي افندي وهي التي كان موضحا بها رغبتنا في استقلال بلاد العرب وسكانها مع استصوابنا للخلافة العربية عند اعلانها.

وانا نصرح هنا مرة اخرى ان جلالة ملك بريطانيا العظمى يرحب باسترداد الخلافة الى يد عربي صميم من فروع تلك الدوحة النبوية المباركة.

واما من خصوص مسألة الحدود والتخوم فالمفاوضة فيها تظهر انها سابقة لاوانها ـ وتصرف الاوقات سدى في مثل هذه التفاصيل في حالة ان الحرب دائرة رحاها ولان الاتراك

ايضا لا يزالون محتلين لأغلب تلك الجهات احتلالا فعليا وعلى الاخص ما علمناه وهو مما يدهش ويحزن ان فريقا من العرب القاطنين في تلك الجهات نفسها قد غفل واهمل هذه الفرصة الثمينة التي ليس اعظم منها ـ وبدل اقدام ذلك الفريق على مساعدتنا نراه قد مد يد المساعدة الى الالمان ـ نعم مد يد المساعدة لذلك السلاب النهاب الجديد وهو الالمان وذلك الظالم العسوف وهو الاتراك.

مع ذلك فانا على كمال الاستعداد لان نرسل الى ساحة دولة السيد الجليل وللبلاد العربية المقدسة والعرب الكرام من الحبوب والصدقات المقررة من البلاد المصرية وستصل بمجرد اشارة من سيادتكم وفي المكان الذي تعينونه . وقد عملنا الترتيبات اللازمة لمساعدة رسولكم في جميع سفراته الينا ونحن على الدوام معكم قلبا وقالبا مستنشقين رائحة مودتكم الزكية ومستوثقين بعرى محبتكم الخالصة سائلين الله سبحانه وتعالى دوام حسن العلائق بيننا.

وفي الختام ارفع الى تلك السدة العليا كامل تحياتي وسلامي وفائق احترامي.

المخلص
(السير آرثر مكماهون
نائب جلالة الملك

تحريرا في ١٩ شوال ١٣٣٣
الموافق ٣٠ أغسطس ١٩١٥

وثيقة رقم ٣

من الشريف حسين الى السير هنري مكماهون.

مكة في ٢٩ شوال سنة ١٣٣٣ (٩ سبتمبر - ايلول سنة ١٩١٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

لصاحب السعادة والرفعة نائب جلالة الملك بمصر ، سلمه الله

بمزيد من السرور والغبطة تلقيت كتابكم المؤرخ في ١٩ شوال وطالعته بكل احترام واعتبار رغم شعوري بغموضه وبرودته وتردده فيما يتعلق بنقطتنا الاساسية . اعني نقطة الحدود.

وارى من الضروري ان اؤكد لسعادتكم اخلاصنا نحو بريطانيا العظمى واعتقادنا بضرورة تفضيلها على الجميع في كل الشئون وفي اي شكل ، وفي اية ظروف ويجب ان اؤكد لكم ايضا ان مصالح اتباع ديانتنا كلها تتطلب الحدود التي ذكرتها لكم.

ويعذرني فخامة المندوب اذا قلت بصراحة ان «البرودة» و «التردد» اللذين ضمنهما كتابه فيما يتعلق بالحدود وقوله ان البحث في هذه الشئون انما هو اضاعة للوقت ، وان تلك الاراضي لا تزال بيد الحكومة التي تحكمها . . . ويعذرني فخامته اذا قلت ان هذا كله يدل على عدم الرضا ، او على النفور او على شيء من هذا القبيل.

فان هذه الحدود المطلوبة ليست لرجل واحد تتمكن من إرضائه، ومفاوضته بعد الحرب بل هي مطالب شعب يعتقد ان حياته في هذه الحدود وهو متفق باجمعه على هذا الاعتقاد.

وهذا ما جعل الشعب يعتقد انه من الضروري البحث في هذه النقطة قبل كل شيء مع الدولة التي يثقون بها كل الثقة ويعلقون عليها كل الآمال وهي بريطانيا العظمى .

واذا اجمع هؤلاء على ذلك فانما يجمعون عليه في سبيل الصالح المشترك ، وهم يرون انه من الضروري جدا ان يتم تنظيم الاراضي المجزأة ليعرفوا على اي اساس يؤسسون حياتهم كي لا تعارضهم انكلترا او احدى حليفاتها في هذا الموضوع مما يؤدي الى نتيجة معاكسة ، الأمر الذي حرمه الله .

وفوق هذا فان العرب لم يطلبوا ـ في تلك الحدود ـ مناطق يقطنها شعب اجنبي بل هي عبارة عن كلمات والقاب يطلقونها عليها .

اما الخلافة فان الله يرضى عنها ، وييسر الناس بها .

وانا على ثقة يا صاحب الفخامة ، انكم لا تشكون قط باني لست انا شخصيا الذي يطلب تلك الحدود التي يقطنها عرب مثلنا ، بل هي مقترحات شعب باسره ، يعتقد بانها ضرورية لتأمين حياته الاقتصادية .

او ليس هذا صحيحا يا فخامة الوزير؟

وبالاختصار فاننا ثابتون في اخلاصنا نصرح بكل تأكيد بتفضيلنا لكم على الجميع اكنتم راضين عنا ـ كما قيل ـ أو غاضبين .

اما ما يتعلق في قولكم بان قسما من شعبنا لا يزال يبذل جهده في سبيل تأمين مصالح الاتراك ، فلا اظن ان هذا يبرر «البرودة» و «التردد» اللذين شعرت بهما في كتابكم فيما يتعلق بموضوع الحدود ، الموضوع الذي لا اعتقد ان رجلا مثلكم ثاقب الرأي ينكر انه ضروري لحياتنا الادبية والمادية .

وانا حتى الساعة لا ازال انفذ ما تأمر به الديانة الاسلامية في كل عمل اقوم به ، وأراه مفيدا وصالحا لبقية المملكة ، واني سأستمر في هذا الى ان يأمر الله في غير ذلك .

وأود هنا يا صاحب الفخامة أن أؤكد لكم بصراحة ان كل الشعب ـ ومن جملته هؤلاء الذين تقولون انهم يعملون لصالح تركيا والمانيا ـ ينتظر بفارغ الصبر نتائج هذه المفاوضات المتوقفة على موافقتكم او رفضكم قضية الحدود ، وقضية المحافظة على ديانتهم ، وحمايتهم من كل اذى او خطر .

وكل ما تجده الحكومة البريطانية موافقا لسياستها ، في هذا الموضوع ، فما عليها الا ان تعلمنا به وان تدلنا على الطريق التي يجب ان نسلكها .

ولذلك نرى ان من واجبنا ان نؤكد لكم اننا سنطلب اليكم في اول فرصة بعد انتهاء الحرب ما تدعه الان لفرنسا في بيروت وسواحلها .

ولست أرى هنا لأن ألفت نظركم إلى أن خطتنا هي آمن على مصالح انكلترا من خطة انكلترا على مصالحنا ، ونعتقد أن وجود هؤلاء الجيران في المستقبل سيقلق أفكارنا كما يقلق أفكارها .

وفوق هذا فان الشعب البيروتي لا يرضى قط بهذا الابتعاد والانزواء وقد يضطرونا لاتخاذ تدابير جديدة قد يكون من شأنها خلق متاعب جديدة ، تفوق في صعوبتها المتاعب الحاضرة .

وعلى هذا لا يمكن السماح لفرنسا بالاستيلاء على قطعة صغيرة من تلك المنطقة .

وانا اصرح بهذا رغم اني اعتقد واؤمن بالتعهدات التي قطعتموها في كتابكم .

ويستطيع معالي الوزير ، وحكومته ان يثقا كل الثقة باننا لا نزال عند قولنا وعزيمتنا وتعهداتنا التي عرفها مستر ستورس منذ عامين .

ونحن ننتظر اليوم الفرصة السانحة التي تناسب موقفنا ،وخاصة فيما يتعلق بالحركة التي اضحت قريبة والتي يدفعها الى القدر بسرعة ووضوح ، لنكون حجة ـ نحن والذين يرون رأينا ـ في الوقوف ضد تركيا ، ودون ان نتعرض للوم والنقد .

واعتقد ان قولكم «بأن بريطانيا لا تحثكم ولا تدفعكم للاسراع في حركتكم مخافة ان يؤدي هذا التسرع الى تصديع نجاحكم» لا يحتاج الى ايضاح . . الا فيما يتعلق بمطالبكم بالاسلحة والذخائر عند الحاجة .

اعتقد الان ان في هذا الكفاية . . .

وثيقة رقم ٤

مذكرة السير هنري مكماهون الثانية الى الشريف حسين .
القاهرة في ١٥ ذي الحجة سنة ١٣٣٣ (٢٤اكتوبر- تشرين الاول ١٩١٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

الى فرع الدوحة المحمدية وسلالة النسل النبوي الحسيب النسيب دولة صاحب المقام الرفيع الامير المعظم السيد الشريف بن الشريف امير مكة المكرمة صاحب السدة العلياء جعله الله حرزاً منيعاً للاسلام والمسلمين بعونه تعالى امين وهو دولة الأمير الجليل الشريف حسين بن علي اعلى الله مقامه .

قد تلقيت بيد الاحتفاء والسرور رقيمكم الكريم المؤرخ بتاريخ ٢٩ شوال سنة ١٣٣٣ وبه من عباراتكم الودية المحضة واخلاصكم ما اورثني رضاء وسروراً .

اني متأسف انكم استنتجتم من عبارة كتابي السابق اني قابلت مسألة الحدود والتخوم بالتردد والفتور ، فان ذلك لم يكن القصد من كتابي قط ولكني رأيت حينئذ ان الفرصة لم تكن قد حانت بعد للبحث في ذلك الموضوع بصورة نهائية .

ومع ذلك فقد ادركت من كتابكم الاخير انكم تعتبرون هذه المسألة من المسائل الهامة الحيوية المستعجلة ، فلذا فاني قد اسرعت في ابلاغ حكومة بريطانيا العظمى مضمون كتابكم ، واني بكمال السرور ابلغكم بالنيابة عنها التصريحات الاتية التي لا اشك في انكم تنزلونها منزلة الرضى والقبول .

ان ولايتي مرسين واسكندرونة واجزاء من بلاد الشام الواقعة في الجهة الغربية

لولايات دمشق الشام وحمص وحماة وحلب لا يمكن ان يقال انها عربية محضة . وعليه يجب ان تستثنى من الحدود المطلوبة .

مع هذا التعديل وبدون تعرض للمعاهدات المعقودة بيننا وبين بعض رؤساء الحرب نحن نقبل تلك الحدود .

واما من خصوص الاقاليم التي تضمها تلك الحدود حيث بريطانيا العظمى مطلقة التصرف بدون ان تمس مصالح حليفتها فرنسا فاني مفوض من قبل حكومة بريطانيا العظمى ان اقدم المواثيق الاتية واجيب على كتابكم بما يأتي :

١ ـ انه مع مراعاة التعديلات المذكورة اعلاه فبريطانيا العظمى مستعدة بان تعترف باستقلال العرب وتؤيد ذلك الاستقلال في جميع الاقاليم الداخلة في الحدود التي يطلبها دولة شريف مكة .

٢ ـ ان بريطانيا العظمى تضمن الاماكن المقدسة من كل اعتداء خارجي وتعترف بوجوب منع التعدي عليها .

٣ ـ وعندما تسمح الظروف تمد بريطانيا العظمى العرب بنصائحها وتساعدهم على ايجاد هيئات حاكمة ملائمة لتلك الاقاليم المختلفة .

٤ ـ هذا وان المفهوم ان العرب قد قرروا طلب نصائح وارشادات بريطانيا العظمى وحدها وان المستشارين والموظفين الأوروبيين اللازمين لتشكيل هيئة إدارية قويمة يكونون من الانكليز .

٥ ـ اما من خصوص ولايتي بغداد والبصرة فان العرب تعترف ان مركز ومصالح بريطانيا العظمى الموطدة هناك تستلزم اتخاذ تدابير ادارية مخصوصة لوقاية هذه الاقاليم من الاعتداء الأجنبي وزيادة خير سكانها وحماية مصالحنا الاقتصادية المتبادلة .

واني متيقن ان هذا التصريح يؤكد لدولتكم بدون اقل ارتياب ميل بريطانيا العظمى نحو رغائب اصحابها العرب وتنتهي بعقد محالفة دائمة ثابتة معهم ويكون من نتائجها المستعجلة طرد الاتراك من بلاد العرب وتحرير الشعوب العربية من نير الاتراك الذي اثقل كاهلهم السنين الطوال .

ولقد اقتصرت في كتابي هذا على المسائل الحيوية ذات الأهمية الكبرى وإن كان هناك مسائل في خطاباتكم لم تذكر هنا فسنعود الى البحث فيها في وقت مناسب في المستقبل .

ولقد تلقيت بمزيد السرور والرضى خبر وصول الكسوة الشريفة وما معها من الصدقات بالسلامة وأنها بفضل إرشاداتكم السامية وتدابيركم المحكمة قد أنزلت الى البر بلا تعب ولا ضرر رغماً عن الأخطار والمصاعب التي سببتها هذه الحرب المحزنة، ونرجو الحق سبحانه وتعالى أن يعجل بالصلح الدائم والحرية لأهل العالم.

إني مرسل خطابي هذا مع رسولكم النبيل الأمين الشيخ محمد بن عارف بن عريفان وسيعرض على مسامعكم بعض المسائل المفيدة التي هي من الدرجة الثانية من الأهمية ولم أذكرها في كتابي هذا.

وفي الختام أبث دولة الشريف ذا الحسب المنيف والأمير الجليل كامل تحيتي وخالص مودتي وأعرب عن محبتي له ولجميع أفراد أسرته الكريمة راجياً من ذي الجلال أن يوفقنا جميعاً لما فيه خير العالم وصالح الشعوب. إن بيده مفاتيح الأمر والغيب يحركها كيف يشاء ونسأله تعالى حسن الختام والسلام.

تحريرا في يوم الاثنين ١٥ذي الحجة ١٣٣٣

نائب جلالة الملك

(السير ارثر مكماهون)

وثيقة رقم ٥

مذكرة الشريف حسين الثالثة الى السير هنري مكماهون

مكة في ٢٤ ذي الحجة سنة ١٣٣٣ (٥نوفمبر- تشرين الثاني ١٩١٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

الى معالي الشهم الهمام ذو الأصالة والرياسة الوزير الخطير وفقه الله لمرضاته . بملء الايناس تلقينا مرسومكم الموقر الصادر واحليناه محل التبجيل وعلى مؤداه نجيب الشهامة

اولا- تسهيلاً للوفاق وخدمة للاسلامية فرارا مما يكلفها المشاق والاحن ولما لحكومة بريطانيا العظمى من الصفات والمزايا الممتازة لدينا نترك الالحاح في ادخال ولايات مرسين واضنه في اقسام المملكة العربية واما ولايتي حلب وبيروت وسواحلها فهي ولايات عربية محضة ولا فرق بين العربي المسيحي والمسلم فانهما ابنا جد واحد ، ولتقوم فيهم منا معاشر المسلمين ما سلكه امير المؤمنين عمر بن الخطاب من احكام الدين الاسلامي ومن تبعه من الخلفاء بأن يعاملوا المسيحيين كمعاملاتهم لانفسهم بقوله «لهم ما لنا وعليهم ما علينا» علاوة على امتيازاتهم المذهبية وبما تراه المصلحة العامة وتحكم به .

ثانيا- حيث ان الولايات العراقية هي من اجزاء المملكة العربية المحضة ، بل هي مقر حكوماتها على عهد علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ثم على عهد عموم الخلفاء من بعده ، وبها قامت مدنية العرب واول ما اختطوه من المدن والامصار واستفحلت دولهم فلها

لدى العرب اقصاهم وادناهم القيمة الثمينة والاثار التي لا تنسى ، فلا يمكننا ارضاء الأمة العربية وارضاخها لترك ذلك الشرف . ولكن تسهيلاً للوفاق سيا والمحاذير التي اشرتم اليها في المادة الخامسة من تعميمكم آنف الذكر محفوظيها وصيانتها من طبقة وضرورة ما نحن فيه وحيازة ما نريد التوصل اليه ، فان اهم ما في هذا هي صيانة تلك الحقوق الممزوجة بحقوقنا بصورة كانها الجوهر الفرد يمكنا الرضا بترك الجهات التي هي الآن تحت الاشغال البريطاني الى مدة يسيرة ، البحث فيا يقبل عن قدرها دون ان يلحق حقوق الجانبين مضرة او خلل . سيا العربية بالنسبة لامر مرافقها ومنابعها الاقتصادية الحياتية ،وان يدفع للمملكة العربية في مدة الاشغال المقدار المناسب من المال لضرورة ترتكبه كل مملكة حديثة الوجود . مع احترامنا لوفاقاتكم المشار عليها مع مشايخ تلك الجهات وبالاخص ما كان منها جوهريا .

ثالثا ـ رغبتكم في الاسراع بالحركة نرى فيه من الفوائد بقدر ما نرى فيه من المحاذير ، اوله خشية لوم الاسلامية كما سبق الجاهل عن حقائق الحالة بأنا شققنا عصاها وابدنا قواها ، الثاني المقام تركيا معاضدتها جميع معاني قوى جرمانيا لجهلنا عما اذا حصل وهن احدى دول الائتلاف واوجبها على صلح دول الاتفاق ، فكيف تكون خطة بريطانيا العظمى وحلفائها لئلا تكن الأمة العربية امام تركيا وحلفائها معا اذ لا يهمنا ما اذا كنا والعثمانية رأسا لرأس . وعلى هذا فضروري ملاحظة هذه الأوجه ولا سيا عقد صلح اشتركنا في حربه بصورة غير رسمية يخول للمتصالحين البحث فيه عن شؤوننا .

رابعاـ ان الامة العربية تعتقد يقينا ان العثمانية عند وضع اوزار الحرب سيوجهون كل اعمالهم فيما يغضب العرب ويغتصب حقوقهم المادية والمعنوية وذهاب شعارهم واحسابهم واخضاعهم بكل معاني الاخضاع مع بقائها تحت النفوذ الالماني فهم عازمون على حربهم حتى لا يبقى لنا باقية وما يرى فينا الان من التأني فقد سبق بيان علته .

خامساً ـ متى علمت العرب ان حكومة بريطانيا حلفائهم لا يتركونهم عند الصلح على حالهم امام تركيا وجرمانيا وانهم يدافعون عنهم ويعاضدونهم ويدافعون عنهم الدفاع الفعلي فالدخول في الحرب من الساعة لا شك انه مما يوافق المصالح العربية .

سادساً ـ افادتنا السابقة الصادرة بتاريخ ٢٩ شوال ١٣٣٣ تغني عن اعادة القول في المادة الثالثة والرابعة من مرسومكم هذا الموقر في خصوصات الهيئات الحاكمة والمشاورين والموظفين سيما وقد صرحتم يا حضرة الشهم بانكم لا تتدخلون في الأمور الداخلية .

سابعاً ـ وصول الجواب الصريح القطعي في أقرب زمن على ما ذكر أعلاه من الطلبات إذ أنا تسعملنا كلما يقربنا اليكم من التساهل الجدي الذي لا يراد به حقيقة جوهرية فانا نعلم ان نصيبنا من هذه الحروب إما سعادة تضمن للعرب الحياة التي تناسب تاريخهم او الاضمحلال في سبيلها. ولولا ما رأيتم ورأيت ما في عزمهم لاخترت العزلة في شواهق السراة، ولكن ابو علي يا عزيزي ـ أعزم الباري بمرضاته أبى إلا ان يقودني الى هذه المواقف.

ودم غانما سالما بما تحبه وتريده.

وحرر في ٢٧ من ذي الحجة ١٣٣٣

وثيقة رقم ٦

مذكرة السير هنري مكماهون الثالثة الى الشريف حسين .

القاهرة في ٩ صفر سنة ١٣٣٤ (ديسمبر ـ كانون الأول ١٩١٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

الى صاحب الاصالة والرفعة وشرف المحتد سلالة بيت النبوة والحسب الطاهر والنسب الفاخر دولة الشريف المعظم السيد حسين بن علي امير مكة المكرمة قبلة الاسلام والمسلمين . ادامه الله في رفعة وعلاء .

وبعد ، فقد وصلني كتابكم الكريم بتاريخ ٢٤ ذي الحجة ١٣٣٣ وسرني ما رأيت فيه من قبولكم اخراج ولايتي مرسين واضنه من حدود البلاد العربية .

وقد تلقيت ايضا بمزيد السرور والرضا تأكيداتكم ان العرب عازمون على السير بموجب تعاليم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره من السادة الخلفاء الاولين ـ التعاليم التي تضمن حقوق كل الأديان وامتيازاتها على السواء .

هذا ، وفي قولكم ان العرب مستعدون ان يحترموا ويعترفوا بجميع معاهداتنا مع رؤساء العرب الآخرين يعلم منه طبعا ان هذا يشمل جميع البلاد الداخلة في حدود المملكة العربية لان حكومة بريطانيا لا تستطيع ان تنقض اتفاقات قد ابرمت بينها وبين اولئك الرؤساء .

اما بشأن ولايتي حلب وبيروت فحكومة بريطانيا العظمى قد فهمت كل ما ذكرتم

بشأنها ودونت ذلك عندها بعناية تامة ـ ولكن لما كانت مصالح حليفتها فرنسا داخلة فيهما فالمسألة تحتاج الى نظر دقيق ـ وسنخابركم بهذا الشأن مرة اخرى في الوقت المناسب .

ان حكومة بريطانيا العظمى كما سبقت فاخبرتكم مستعدة لان تعطي كل الضمانات والمساعدات التي في وسعها الى المملكة العربية ولكن مصالحها في ولاية بغداد تتطلب ادارة ودية ثابتة كما رسمتم ، على ان صيانة هذه المصالح كما يجب تستلزم نظرا ادق واتم مما تسمح به الحالة الحاضرة والسرعة التي تجري بها هذه المفاوضات .

واننا نستصوب تماما رغبتكم في اتخاذ الحذر ولسنا نريد ان ندفعكم الى عمل سريع ربما يعرقل نجاح اغراضكم ولكنا في الوقت نفسه نرى من الضروري جدا ان تبذلوا مجهوداتكم في جمع كلمة الشعوب العربية الى غايتنا المشتركة وان تحثوهم على ان لا يمدوا يد المساعدة الى اعدائنا بأي وجه كان . فانهم على نجاح هذه المجهودات وعلى التدابير الفعلية التي يمكن للعرب ان يتخذوها لاسعاف غرضنا عندما يجيء وقت العمل تتوقف قوة الاتفاق بيننا وثباته .

وفي هذه الأحوال فان حكومة بريطانيا العظمى قد فوضت لي ان ابلغ دولتكم ان تكونوا على ثقة من أن بريطانيا العظمى لا تنوي إبرام أي صلح كان إلا إذا كان ضمن شروطه الأساسية حرية الشعوب العربية وخلاصها من سلطة الألمان والأتراك .

هذا وعربون على صدق نيتنا ولاجل مساعدتكم في مجهوداتكم في غايتنا المشتركة فاني مرسل مع رسولكم مبلغ عشرين الف جنيه .

واقدم في الختام عاطر التحيات القلبية وخالص التسليمات الودية مع مراسم الاجلال والتعظيم المشمولين بروابط الالفة والمحبة الصرفة لمقام دولتكم السامي ولافراد اسرتكم المكرمة .

مع فائق الاحترام

تحريرا في ٨ صفر ١٣٣٣

المخلص

نائب جلالة الملك بمصر

(السير ارثر هنري مكماهون)

وثيقة رقم ٧

مذكرة الشريف حسين الرابعة الى السير هنري مكماهون

مكة في ٢٥ صفر ١٣٣٤ (١ يناير ـ كانون الثاني ١٩١٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

معالي الوزير الخطير الشهم الهمام

بانامل الابجال والتوقير تلقينا رقيمكم ٩ ظفر الجاري برفق حاملهم وعلمت مضمونيها وادخلا علينا من الانشراح والارتياح ما لا مزيد لازالتها ما يختلج بصدري الا وهو وقوف حضرتك بعد وصول احمد شريف وحظوته بالجناب بان كلما اتينا به في الحال والشأن ليس بنا شيء عن عواطف شخصية او ما هو في معناها مما لا يعقل وانها قرارات ورغائب اقوام وانا لسنا الا مبلغين او منفذين لها بصفتنا التي الزمونا بها اذ هذا عندي من اهم ما يجب وقوف شهامة الجناب عليه وعلمه به . اما ما جاء بالمحررات الموقرة فيما يتعلق بالعراق من أمر التعويض مدة الاشغال فلزيادة ايضاح وقول بريطانيا العظمى بصفاتنا في القول والعمل في المادة والمعنى واعلامها باكيد اطمئنانا باعتماد حكومتها المفخمة نترك امر تقدير مبلغه لمدارك حكمتها ونصفتها . اما الجهات الشمالية وسواحلها فما كان في الامكان من تعديل اتينا به في رقيمنا السابق . هذا، وما ذاك الا للحرص على الامنيات المرغوب حصولها بمشيئة الله تبارك وتعالى.

وعن هذا الحس والرغبة هما التي الزمتنا بملاحظة اجتناب ما ربما انه يمس حلف بريطانيا العظمى لفرنسا واتفاقها ابان هذه الحروب والنوازل الا اننا مع هذا نرى من

الفرائض التي ينبغي لشهامة الوزير صاحب الرياسة ان يتيقنها بأن عند اول فرصة تضع فيها اوزار هذه الحروب سنطالبكم بما نغض الطرف عنه اليوم لفرنسا في بيروت وسواحلها ولا ارى لزوم بأن نحيطكم بما في هذا ايضاً من تأمين المنافع البريطانية وصيانة حقوقها هو اهم واكبر مما يعود الينا ، وان لا بد من هذا على اي حالة كانت ليتم للعظمة البريطانية ان ترى انحصاؤها في البهجة والرونق التي تهتم ان تراهم فيه سيما وان جوارهم لنا سيكون جرثومة للمشاكل والمناقشات التي لا يمكن معها استقرار الحالة عدى ان البيروتيين بصورة قطعية لا يقبلون هذا الانفصال ويلجئونا على حالات جديدة تهم وتشغل بريطانيا بصورة لا تكون بأقل من اشتغالنا الحالي بالنظر لما نعتقده ونتيقنه من اشتراك المنفعة ووحدتها وحدها وهي الداعية الوحيدة لعدم التفاتنا لسواكم في المخابرات وعليه يستحيل امكان تساهل يكسب فرنسا أو سواها شبرا من اراضي تلك الجهات ، اصبح بهذا مع اعتماد لكل جوارحي اعتمادا يرثه الحي منا بعد الميت بتصريحاتكم التي ختمتم بها رقيمكم الموقر . وعليه فليعتقد جناب الوزير الخطير ولتعتقد بريطانيا الكبرى انا على العزم الذي اشير اليه ويعلمه منا جناب الاريب الكامل ستورس منذ عامين ولا نناظر فيه الا الفرص المناسبة لاحوالنا واخصها داعيته ووسيلته التي اقترب وقتها مما تسوقه الاقدار الينا بكل سرعة ووضوح لتكن حجة لنا وعن رأينا على الاعتراضات والمسؤوليات المقدرة وفي تصريحاتكم بقولكم «وانا لسنا نريد ان ندفعكم الى عمل سريع ربما يعرقل نجاح اغراضكم» يغني عن زيادة الايضاح ، ما عدا طلب ما نرى لزومه عند الحاجة من الأسلحة وذخائرها الحربية وما هو في معناها .

واكتفي بهذا القدر عن اشغال شهامتكم بتقديم وافر احتشاماتي وجزيل توقيراتي لمقام المقر الموقر .

وحرر في اليوم الخامس والعشرين من ظفر الخير ١٣٣٤

وثيقة رقم ٨

مذكرة السير هنري مكماهون الرابعة الى الشريف حسين
القاهرة في ٢٥ ربيع الأول ١٣٣٤ (٣٠يناير- كانون الثاني ١٩١٦)

تلقينا بسرور كتابكم المؤرخ في ٢٥ صفر بواسطة رسولكم الموثوق به واطلعنا منه على رسالتكم الشفوية .

واننا لنقدر حق التقدير الدوافع التي تقودكم في هذه القضية الهامة ونعرف جيدا انكم تعملون في صالح العرب وانكم لا ترمون الى شيء في عملكم - غير صالحهم وحريتهم .

وقد عنيت عناية خاصة بملاحظاتكم بشأن ولاية بغداد، وسنبحث هذا الموضوع باهتمام وعناية زائدين عندما تتم هزيمة الاعداء ونصل الى التسويات السلمية .

أما ما يتعلق بالجهات الشمالية فقد كتبت ملاحظة عن رغبتكم في تجنب كل ما من شأنه الاساءة الى تحالف انكلترا وفرنسا وسررت جدا بابداء مثل هذه الرغبة .

واظنكم تعرفون جيدا اننا مقررون قرارا نهائيا بالا نسمح باي تدخل مهما قل شأنه- في اتفاقنا المشترك في ايصال هذه الحرب الى الفوز ثم متى انتهت الحرب فان صداقة فرنسا وانكلترا ستقوى وتشتد ، وهما اللتان بذلتا الدماء الانكليزية والفرنسية جنبا الى جنب في سبيل الدفاع عن الحقوق والحريات .

والآن وقد قررت البلاد العربية ان تشترك معنا في الدفاع عن الحقوق وتعمل معنا في سبيل هذه القضية الهامة فاننا لنرجو الله ان تكون نتيجة هذه الجهود المشتركة وهذا التعاون الوطيد ، صداقة دائمة ، تعود على الجميع بالسرور والغبطة .

وقد سررنا جداً للحركة التي تقومون بها لاقناع الشعب بضرورة الانضمام الى حركتنا والكف عن مساعدة اعدائنا. ونترك لفطنتكم وتقديراتكم تقرير الوقت المناسب، لاتخاذ تدابير اوسع من هذه[1].

---

(١) ورد في انطونيوس الفقرة التالية زيادة على ما جاء في النص العربي للوثيقة:
«وانكم ستخبروننا دون شك بواسطة حامل هذه الرسالة عن الطرق التي نستطيع مساعدتكم بها. ويمكنكم ان تطمئنوا الى ان جميع طلباتكم سوف تبحث بدقة دائما، وتعالج بسرعة فائقة.
ولا شك انكم قد سمعتم ان السيد احمد الشريف السنوسي، قد اعار اذنا صاغية الى مكائد اعدائنا، وبادأنا العداء. ولسوف يحزنكم حتما ان تسمعوا ان بصره قد غشي عن المصالح العربية بتقله مع اعدائنا. الا انه وقع الآن ضحية اخاديعه، وهو يقابل بالعداء حيثما اتجه.

ولعل ذلك يقنعه بخطئه، ويقوده ثانية الى جادة العقل، وسبيل السلام، رحمة باتباعه المساكين الذين يقودهم الى الهلاك. ولسوف يبلغكم رسولكم الامين الذي يحمل اليكم هذه المذكرة كافة اخبارنا».

وثيقة رقم ٩

مذكرة الشريف حسين الخامسة الى السير هنري مكماهون .

مكة في ١٤ ربيع الآخر ١٣٣٤ (١٨ فبراير - شباط ١٩١٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

الى حضرة ذو الاصالة فخامة نائب جلالة الملك دام مرعيا .

بعد فبأيدي التوقير والاحتشام تلقينا رقيم الفخامة المؤرخ ٢٥ ربيع الاول، وان مضامينه ادخلت علينا مزيد الارتياح والسرور لحصول التفاهم المطلوب والتقارب المرغوب اسأل الله ان يسهل المقاصد وينجح المساعي . ومن الايضاحات الاتية نفهم الفخامة الاعمال الجارية ولاسباب المقتضية :

اولا - قد اعلمنا فخامتكم بأنا بعثنا بأحد انجالنا الى الشام ليرأس ما يقتضي عمله هناك ، ولقد ظفرنا منه بتقرير مفصل يفيد به ان اعتسافات الحكومة هناك لم تبق من الاشخاص الذين نعتمد عليهم في الأمر سوى ان كانوا من الجند على اختلاف مراتبهم أم ممن لم يكونوا من ذلك الصنف الا القليل مما كان في الدرجة التالية ، وانه ينتظر وصول القوات المعلن بقدومها من مواقع مختلفة اخصها من اهالي البلاد وما جاورها من الاقطار العربية كحلب وجنوب الموصل المشاع بان عددها ما ينوف عن المائة الف على ما يزعمون . وانه لا بد يؤمل ان كانت الأكثرية من القوة المذكورة من العرب فهو عازم على اجراء الحركة والقيام بهم ، وان كان العكس يعني الاكثرية من الاتراك وسواهم فسيناظر تقدمهم نحو النزعة وعند اشتباك الحرب حركته بهم عندما يريدون .

ثانيا ـ عزمنا على ارسال نجلنا الكبير الى المدينة المنورة بقوة كافية ليكون رداء لاخيه الذي بالشام ولكل احتمال واستيلائه على الخط الحديد المكتفين في مبادئها بما جندناه برسم المحافظة على راحة داخلية البلاد وبأهل وما هو في معنى ذلك مما تظهره الشئون . وهذا هو المبدأ للحركة الاساسية الحجاز اهل المركز فقط لاسباب يطول شرحها :

(١) تعسر احضار لوازمهم بصورة تجعل المشروع في حيز الكتمان ، مع عدم الضرورة على ذلك وسهولة جلب الامدادات عند الحاجة ، هذا خلاصة ما رغبتم في الجواب عليه والاستفهام عنه . وفي ظني ان فيه الكفاية واتخاذه اساسا وقياسا في اعمالنا امام كل التبدلات والطوارىء التي يظهرها سير الحالة .

بقي علينا بيان ما نحتاجه والحالة هذه هو:

أولا ـ مبلغ خمسين الف جنيه ذهبا لمشاهرة القوات المجندة ونحوها مما ضرورته تغني عن بيانه . فالرجاء احضارهما بوجه السرعة الممكنة .

الثاني ـ احضار عشرين الف كيس ارز وخمسة عشر الف دقيق وثلاثة الاف شعير ومائة وخمسين كيس بن قهوة ومثلها سكر ومقدار خمسة الاف بندقية من الطرز الجديد وما تحتاجه النسبة لها من المرميات وايضا مقدار مائة صندوق من النوع المرسل منه مرميتين طيه . ومن مرميات بواريد مارتن هنري وبارودات غرا اعني بواريد معمل سانت اتين الافرنسية لاستعمال هذين الصنفين في بواريد أي بندقيات قبائلنا ، ولا بأس من جعل لكل نوعهما خمسمائة صندوق .

الثالث ـ انا استنسبنا مركز سوقيات هذه المواد المرغوبة يكن بور سودان .

الرابع ـ بالنظر لكون المواد الغذائية واللوازمات الحربية الموضحة اعلاه لا حاجة لنا بها الا عند ابتداء الحركة ، وسنبلغكم اياها بصورة رسمة تبقى في الموضع المذكور وعند الحاجة اليها يبلغ امير الجهة المذكورة وقائدها بالمواقع التي يقتضي سوقها اليها والوسائط التي سيكونون حاملين الوثائق بتسليمها اياهم .

الخامس ـ النقود المطلوبة يقتضي ارسالها في الحال الى امير بور سودان ، وسيرده من طرفنا معتمد يتسلمها اما دفعة او دفعتين على حسب استطاعته . وهذه علامة اعتماد الرجل ،

السادس-مندوبنا في قبض المبالغ المذكورة سيتوجه الى بور سودان بعد ثلاثة اسابيع ، يعني يكون وصوله اليها في ٥ من جماد الأول حامل كتاب منا باسم الخواجة الياس افندي وانه يصف له بموجبه ما لديه من ايجارات املاكنا والامضاء صراحة باسمنا ، غير اننا معدينه يسأل عن عائد الموقع واميره ، فانتم تخبروهم عن ذلك الشخص وبمراجعته يجري له ما تقتضي من صرف ما لديهم بشرط الا يبحثوا معه اي موضوع كان مؤكدين غاية التأكيد في عدم المظاهرة له وكتمان امره ومعاملته في الظاهر بأنه لا شيء ، لا يظن ان ثقتنا للشخص الاخير من اعتماد الاول حامله هذا لا بل لعدم ضياع الوقت لتعييننا له خدمة في جهة ثانية ، مع تكرر رجاءنا بعدم اركابه وابعاثه في بابور او في شيء من هذه الرسميات فان وسائطه كافية .

السابع- مندوبنا حامل هذا اكدنا عليه بالاكتفاء بايصال هذا واظن ان مأموريته في هذا الدور تمت ، حيث ان الحالة علمت اساساتها وفروعها فلا حاجة في بعث شخص اخر ، اذ ان اللزوم للمخابرة يكن منا ، ولا سيما ان مندوبنا الأخير سيردكم بعد ثلاثة اسابيع يمكن في ظرفها افادتنا بما يلزم له الحال والا يعامل في الصورة الظاهرة الا معاملة بسيطة .

الثامن- تعهد الحكومة البريطانية العظمى قبول هذه المصاريف الحربية بموجب الدفاتر التي تقدم اليها ببيان الوجهة التي صرفت فيها .

وبالختام اهديكم اشواقي التي لا تعد واحتشامي الذي ليس له حدّ .

١٤ربيع الاخر ١٣٣٤ .

وثيقة رقم ١٠

مذكرة السير هنري مكماهون الخامسة الى الشريف حسين.

القاهرة في ٦ جمادي الاول سنة ١٣٣٤ (١٠ مارس ـ اذار ١٩١٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

الى ساحة ذلك المقام الرفيع ذي الحسب الطاهر والنسب الفاخر قبلة الاسلام والمسلمين معدن الشرف وطيب المحتد سلالة مهبط الوحي المحمدي الشريف بن الشريف صاحب الدولة السيد الشريف حسين بن علي امير مكة المعظم زاده الله رفعة وعلاء آمين.

وبعد ما يليق بمقام الامير الخطير من التجلة والاحتشام وتقديم خالص التحية والسلام وشرح عوامل الالفة وحسن التفاهم والمودة الممزوجة بالمحبة القلبية ارفع الى دولة الامير المعظم اننا تلقينا رقيمكم المؤرخ ١٤ ربيع الاخر ١٣٣٤ من يد رسولكم الامين، وقد سررنا لوقوفنا على التدابير الفعلية التي تنوونها وانها لموافقة في الأحوال الحاضرة.

وان حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى تصادق عليها.

وقد يسرني ان اخبركم بان حكومة جلالة الملك صادقت على جميع مطالبكم وان كل شيء رغبتم الاسراع فيه وفي ارساله فهو مرسل مع رسولكم حامل هذا. والاشياء الباقية ستحضر بكل سرعة ممكنة وتبقى في بور سودان تحت امركم لحين ابتداء الحركة وابلاغنا اياها بصورة رسمية (كما ذكرتم) وبالمواقع التي يقتضي سوقها اليها والوسائط التي يكونون حاملين الوثائق بتسليمها اياهم.

ان كل التعليمات التي وردت في محرركم قد اعلمنا بها محافظ بور سودان وهو

سيجريها حسب رغبتكم. وقد عملت جميع التسهيلات اللازمة لارسال رسولكم حامل خطابكم الاخير الى جزان حتى يؤدي مأموريته التي نسأل الله أن يكللها بالنجاح وحسن النتائج وسيعود الى بور سودان وبعدها يصلكم بحراسة الله ليقص على مسامع دولتكم نتيجة عمله .

وننتهز الفرصة لنوضح لدولتكم في خطابنا هذا ما ربما لم يكن واضحا لديكم او ما عساه ينتج سوء تفاهم ، الا وهو انه يوجد بعض المراكز او النقط المعسكرة فيها بعض العساكر التركية على سواحل بلاد العرب يقال انهم يجاهرون بالعداء لنا والذين هم يعملون على ضرر مصالحنا الحربية البحرية في البحر الاحمر . وعليه نرى انه من الضروري ان نأخذ التدابير الفعالة ضدهم ، ولكننا قد اصدرنا الاوامر القطعية انه يجب على جميع بوارجنا ان تفرق بين عساكر الاتراك الذين يبدأون بالعداء وبين العرب الابرياء الذين يسكنون تلك الجهات ، لاننا لا نقدم للعرب اجمع الا كل عاطفة ودية .

وقد ابلغنا دولتكم ذلك حتى تكونوا على بينة من الأمر اذا بلغكم خبرا مكذوبا عن الاسباب التي تضطرنا الى أي عمل من هذا القبيل . وقد بلغنا اشاعات مؤداها ان اعداءنا الالداء باذلون جهدهم في اعمال السفن ليبثوا بها الالغام في البحر الاحمر ولالحاق الاضرار بمصالحنا في ذلك البحر ، وانا نرجوكم سرعة اخبارنا اذا تحقق ذلك لديكم .

وقد بلغنا ان ابن الرشيد قد باع للاتراك عددا عظيما من الجمال ، وقد ارسلت الى دمشق الشام . نؤمل ان تستعملوا كل ما لكم من التأثير عليه حتى يكف عن ذلك ، واذا صمم على ما هو عليه امكنكم عمل الترتيب مع العربان الساكنين بينه وبين سوريا ان يقبضوا على الجمال حال سيرها ، ولا شك ان في ذلك صالح لمصلحتنا المتبادلة .

وقد يسرني ان ابلغ دولتكم ان العربان الذين ضلوا السبيل تحت قيادة السيد احمد السنوسي وهم الذين اصبحوا ضحية دسائس الالمان والاتراك قد ابتدأوا يعرفون خطأهم وهم يأتون الينا وحدانا وجماعات يطلبون العفو عنهم والتودد اليهم . وقد والحمد لله هزمنا القوات التي جمعها هؤلاء الدساسون ضدنا . وقد اخذت العرب تبصر الغش والخديعة التي حاقت بهم .

وان لسقوط ارضروم من يد الاتراك وكثرة انهزاماتهم في بلاد القوقاز تأثير عظيم ، وهو في مصلحتنا المتبادلة وخطوة عظيمة في سبيل الامر الذي نعمل له واياكم .

ونسأل الله عز وجل ان يكلل مساعيكم بتاج النجاح والفلاح وان يمهد لكم في كامل اعمالكم احسن السبل والمناهج .

وفي الختام ، اقدم لدولتكم ولكامل افراد اسرتكم الشريفة عظيم الاحترامات وكامل ضروب المودة والاخلاص مع المحبة التي لا يزعزها كر العصور ومرور الايام .

تحريرا في ٦ جمادى الاولى ١٣٣٤

الموافق ١٠ مارس ١٩١٦

كتبه المخلص

(السير ارثر هنري مكماهون)

نائب جلالة الملك بمصر .

صك الانتداب على فلسطين

اعلن مشروعه من قبل عصبة الأمم بتاريخ ٦ يوليو سنة ١٩٢١ وصودق* عليه في ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٢ ووضع موضع التنفيذ في ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٢٣ .

---

* ذكرت اللجنة الملكية في الصفحة ٤١ وما بعدها من الترجمة الرسمية العربية لتقريرها الكامل ما يأتي بصدد الانتداب على فلسطين :

« وكانت الخطوة الثانية (بعد ان قرر المجلس الاعلى منح الانتداب على العراق وفلسطين لبريطانيا في ٢٥ ابريل سنة ١٩٢٠) توقيع معاهدة سيفر بتاريخ ١٠ آب (اغسطس) فقد ابدت هذه المعاهدة فصل الولايات التركية عن الامبراطورية العثمانية فصلا تاما ، ولكنها فرقت بين سوريا والعراق من جهة ، وفلسطين من الجهة الاخرى فيما يتعلق بشكل الحكومات التي تقام فيها في المستقبل . فقد نصت المادة ٩٤ من هذه المعاهدة على الاعتراف بكل قطر من القطرين «كدولة مستقلة بشرط ان تمد بالمشورة والمعونة الادارية من قبل دولة منتدبة الى ان تصبح قادرة على حكم ذاتها بذاتها (الوقوف وحدها)» وفقا للفقرة الرابعة من المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم . وتم الاتفاق في المادة ٩٥ من المعاهدة المذكورة على ان يعهد بادارة فلسطين ، عملا باحكام المادة ٢٢ من ميثاق العصبة الى دولة منتدبة» تكون مسئولة عن تنفيذ تصريح بلفور الذي اصدرته الحكومة البريطانية في الأصل بتاريخ ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٧ واقرته دول الحلفاء الاخرى فيما بعد ثم تلا ذلك نص تصريح بلفور بكامله . غير ان هذه المعاهدة لم تبرم على الاطلاق وقد استعيض عنها في شهر تموز سنة ١٩٢٣ بمعاهدة لوزان التي لم ترد فيها أية شارة الى الانتدابات .

وقد مر ما يقرب من سنتين بعد توقيع معاهدة سيفر قبل ان عرض مشروع صك الانتداب على فلسطين على مجلس عصبة الامم لاقراره ، غير ان هذا التأخير في هذه المرة كان يرجع سببه الى تدخل حكومة الولايات المتحدة . فقد ادعت الحكومة المذكورة في مذكرة مؤرخة في ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٩٣٠ ان من حق الولايات المتحدة بسبب اشتراكها في الحرب ان يؤخذ رأيها حول شروط الانتدابات . فوافقت الحكومة البريطانية في الحال على هذا الادعاء ، وعرض مشروع صك الانتداب على فلسطين ومشاريع الانتدابات البريطانية الاخرى على حكومة الولايات المتحدة واجريت في هذه المشاريع بعض تغييرات طفيفة اجابة لطلب تلك الحكومة . وكانت اهم المسائل التي دار حولها النقاش مسألة اقتصادية ، اذ اصرت حكومة

المقدمة

مجلس عصبة الأمم :

لما كانت دول الحلفاء الكبرى قد وافقت على ان يعهد بادارة فلسطين التي كانت تابعة فيما مضى للمملكة العثمانية بالحدود التي تعينها تلك الدول الى دولة منتدبة تختارها الدول المشار اليها تنفيذا لنصوص المادة ١٢ من ميثاق عصبة الأمم

الولايات المتحدة على تطبيق المبدأ القائل باعطاء فرصة المساواة الاقتصادية لجميع الدول المنتمية الى عصبة الأمم ، وقد تنازلت عن طلبها هذا فيما يتعلق بفلسطين اعترافا منها «بحالتها الخاصة» ورعاية لمصالح الوطن القومي اليهودي . وكانت حكومة الولايات المتحدة في ابداء عطفها على الاماني الصهيونية على الصورة هذه معربة ، عن رأي الهيئة التشريعية في البلاد ، فقد اتخذ مجلس الشيوخ والنواب الامريكي القرار المشترك التالي بتاريخ ٣٠ حزيران (يونيو) سنة ١٩٢٢ :-

«ان مجلسي الشيوخ والنواب في الولايات المتحدة بامريكا المنعقدين معا ، تحبيذا لانشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين يقرران ان الولايات المتحدة بامريكا تحبذ انشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين على ان يفهم جليا انه لن يؤتى بعمل من شأنه ان يجحف بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف المسيحية وجميع الطوائف الاخرى غير اليهودية ، الموجودة في فلسطين وان تحمى الاماكن المقدسة والمباني والمواقع الدينية في فلسطين حماية تامة» .

ولما كان الاتفاق على شروط الانتداب قد تم ، فتح باب المفاوضات بعقد معاهدة تضمن المصالح الامريكية في فلسطين في المستقبل ، واسفرت هذه المفاوضات عن عقد معاهدة بين الحكومة البريطانية وحكومة الولايات المتحدة بامريكا «بشأن حقوق الحكومتين ورعاياهما في فلسطين» وتم التوقيع على هذه المعاهدة في اليوم الثالث من شهر كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٢٤ ، ثم ابرمت بعد ذلك .

وقد اثبت في هذه المعاهدة نص صك الانتداب الفلسطيني مع مقدمته ، وكانت اغلب مواد المعاهدة الثماني تتعلق بحقوق الرعايا الامريكيين والاملاك والمؤسسات الامريكية في فلسطين ، ولا نرانا في حاجة الى اقتباس اكثر من المواد الثلاث التالية منها :

المادة الأولى : «مع مراعاة احكام هذه المعاهدة توافق الولايات المتحدة على ادارة فلسطين من قبل صاحب الجلالة البريطانية وفقا لصك الانتداب المدرج نصه فيما تقدم» .

المادة الثانية : «تتمتع الولايات المتحدة ورعاياها بجميع الحقوق والمنافع المتضمنة بشروط صك الانتداب لاعضاء عصبة الأمم ورعاياها ، وبالرغم من ان الولايات المتحدة ليست عضوا في عصبة الأمم .

المادة السابعة : «ولا يتأثر شيء مما ورد في هذه المعاهدة بأي تغيير يجري في شروط صك الانتداب المدرج نصه فيما تقدم ، ما لم تكن الولايات المتحدة قد وافقت على ذلك التغيير» .

وفي غضون هذه المدة كان مجلس عصبة الأمم قد اقر مشروع صك الانتداب على فلسطين في اليوم الرابع والعشرين من شهر تموز (يوليو) سنة ١٩٢٢ . وقد مضى نحو خمس سنوات بين التاريخ الذي صدر

ولما كانت دول الحلفاء الكبرى قد وافقت ايضا على ان تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن تنفيذ التصريح الذي اصدرته في الأصل حكومة صاحب الجلالة البريطانية في اليوم الثاني من شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٧ واقرته الدول المذكورة لصالح انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، على ان يفهم جليا انه لن يؤتى بعمل من شأنه ان يضير بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بهاالطوائف غير اليهودية الموجودة الان في فلسطين او بالحقوق والوضع السياسي مما يتمتع به اليهود في اية بلاد اخرى

ولما كان قد اعترف بذلك بالصلة التاريخية التي تربط الشعب اليهودي بفلسطين وبالاسباب التي تبعث على اعادة انشاء وطنهم القومي في تلك البلاد

ولما كانت دول الحلفاء قد اختارت صاحب الجلالة البريطانية ليكون منتدباً على فلسطين

ولما كان الانتداب على فلسطين قد صيغ في النصوص التالية وعرض على مجلس عصبة الامم لاقراره

ولما كان صاحب الجلالة البريطانية قد قبل الانتداب على فلسطين وتعهد بتنفيذه بالنيابة عن عصبة الامم طبقا للنصوص والشروط التالية

ولما كانت الفقرة الثامنة من المادة ٢٢ المتقدمة الذكر تنص على ان درجة السلطة او السيطرة او الادارة التي تمارسها الدولة المنتدبة سيحددها بصراحة مجلس عصبة الامم اذا لم

فيه تصريح بلفور والتاريخ الذي اقر فيه صك الانتداب ، وخلال هذه المدة الطويلة برزت للعيان ناحية من نواحي المسألة كانت مهملة بعض الاهمال في بادىء الأمر . ذلك ان تصريح بلفور كان قد اشترط ان لا يجحف انشاء الوطن القومي اليهودي بسكان عرب فلسطين الحاليين ، غير ان قرائن الحال تدل على انه لم يكن يعرف آنئذ الا النذر القليل عن عدد هؤلاء السكان وصفتهم ، فقد اتى التصريح على ذكر «الطوائف غير اليهودية الموجودة حاليا في فلسطين» ، وهي عبارة تدل على وجود جماعات عديدة كالمسلمين العرب ، والمسيحيين العرب ، والأرمن ، والطوائف الأخرى الصغيرة التي كانت تعيش على قدم المساواة تقريبا ، غير انه ظهر جليا في سنة ١٩٢٢ ان الشعب السائد في فلسطين هو الشعب العربي الذي يتجاوز عدده نصف مليون وهو يتكلم العربية بمجموعه ويتفق جميع افراده في امانيهم القومية ، وظهر ايضا ، كما سنأتي على بيانه فيما يلي ، ان زعماء هذا الشعب كانوا مقاومين كل المقاومة للسياسة الصهيونية ، وان في وسعهم ان يحرضوا جميع افراد شعبهم على اختلاف طبقاتهم للقيام بهجمات دموية على اليهود . وفي شهر شباط (فبراير) سنة ١٩٢٢ صرح الزعماء العرب لوزارة المستعمرات ان اهالي فلسطين لا يمكنهم قبول تصريح بلفور او الانتداب وطلبوا ان يمنحوا استقلالهم القومي .

يكن هناك اتفاق سابق بشأنها بين اعضاء عصبة الامم.

لذلك فان مجلس عصبة الامم بعد تأييده الانتداب المذكور يحدد شروطه ونصوصه بما يلي:

« المادة الأولى »

يكون للدولة المنتدبة السلطة التامة في التشريع والادارة باستثناء ما يكون قد قيد في نصوص هذا الصك.

« المادة الثانية »

تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن وضع البلاد في احوال سياسية وادارية واقتصادية تضمن انشاء الوطن القومي اليهودي وفقا لما جاء بيانه في ديباجة هذا الصك، وترقية مؤسسات الحكم الذاتي وتكون مسؤولة ايضا عن صيانة الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين بقطع النظر عن الجنس والدين.

« المادة الثالثة »

يترتب على الدولة المنتدبة ان تعمل على تشجيع الاستقلال المحلي على قدر ما تسمح به الظروف.

«المادة الرابعة »

يعترف بوكالة يهودية ملائمة كهيئة عمومية لاسداء المشورة الى ادارة فلسطين والتعاون معها في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك من الامور التي قد تؤثر في انشاء الوطن القومي اليهودي ومصالح السكان اليهود في فلسطين ولتساعد وتشترك في ترقية البلاد على ان يكون ذلك خاضعا دوما لمراقبة الادارة.

يعترف بالجمعية الصهيونية كوكالة ملائمة ما دامت الدولة المنتدبة ترى ان تأليفها ودستورها يجعلانها صالحة ولائقة لهذا الغرض ويترتب على الجمعية الصهيونية ان تتخذ ما يلزم من التدابير بعد استشارة حكومة صاحب الجلالة البريطانية للحصول على معونة جميع اليهود الذي يبغون المساعدة في انشاء الوطن القومي اليهودي.

« المادة الخامسة »

تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن ضمـان عدم التنـازل عن اي جزء من اراضي فلسطين الى حكومة دولة اجنبية وعدم تأجيره الى تلك الحكومة او وضعه تحت تصرفها باية صورة اخرى.

« المادة السادسة »

على ادارة فلسطين مع ضمان عدم الحاق الضـرر بحقوق ووضـع فئات الاهـالي الاخرى ان تسهل هجرة اليهود في احوال ملائمة وان تشجع بالتعاون مع الوكالة اليهودية المشار اليها في المادة الرابعة حشد اليهود في الاراضي الاميرية والاراضي الموات غير المطلوبة للمقاصد العمومية.

« المادة السابعة »

تتولى ادارة فلسطين مسؤولية سن قانون للجنسية ويجب ان يشتمل ذلك القانون على نصوص تسهل اكتساب الجنسية الفلسطينية لليهود الذين يتخذون فلسطين مقاما دائما لهم.

« المادة الثامنة »

ان امتيازات وحصانات الاجانب بما فيها مزايا المحاكم القنصلية والحماية التي يتمتع بها الرعايا الاجانب في السابق بحكم الامتيازات او العرف في المملكة العثمانية لا تكون نافذة في فلسطين.

غير انه متى انتهى اجل الانتداب تعاد هذه الامتيازات في الحال برمتها او مع التعديل الذي يكون قد تم الاتفاق عليه بين الدول صاحبة الشان الا اذا سبق للدولة التي كان رعاياها يتمتعون بالامتيازات المذكورة في اول آب سنة ١٩١٤ ان تنازلت عن حق استرجاع تلك الامتيازات او وافقت على عدم تطبيقها لاجل مسمى.

« المادة التاسعة »

تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن جعل النظام القضائي القائم في فلسطين ضامنا تمام الضمان لحقوق الاجانب والوطنيين على السواء.

ويكون احترام الاحوال الشخصية والمصالح الدينية لمختلف الشعـوب والطوائف

مضمونا تمام الضمان ايضا وبصورة خاصة تكون ادارة الاوقاف خاضعة للشرائع الدينية وشروط الواقفين.

« المادة العاشرة »

تكون المعاهدات المبرمة بين الدولة المنتدبة وسائر الدول الاجنبية بشأن تسليم المجرمين مرعية الاجراء في فلسطين الى ان تعقد اتفاقات خاصة بذلك فيما يتعلق بفلسطين.

« المادة الحادية عشرة »

تتخذ ادارة فلسطين جميع ما يلزم من التدابير لصون مصالح الجمهور فيما يتعلق بترقية البلاد وعمرانها ويكون لها السلطة التامة في وضع ما يلزم من الاحكام لاستملاك مورد من موارد البلاد الطبيعية او الاعمال والمصالح والمنافع العمومية الموجودة في البلاد او التي ستؤسس فيها بعد او السيطرة عليها بشرط مراعاة الالتزامات التي قبلتها الدولة المنتدبة على نفسها. ويترتب عليها ان توجد نظاما للاراضي يلائم احتياجات البلاد مراعية في ذلك، من بين الامور الاخرى، الرغبة في تشجيع حشد السكان في الاراضي وتكثيف الزراعة.

ويمكن لادارة البلاد ان تتفق مع الوكالة اليهودية المذكورة في المادة الرابعة على ان تقوم هذه الوكالة بانشاء او تسيير الاشغال والمصالح والمنافع العمومية وترقية مرافق البلاد الطبيعية بشروط عادلة ومنصفه ما دامت الادارة لا تتولى هذه الامور مباشرة بنفسها غير ان كل اتفاق كهذا يجب ان يشترط فيه الا تتجاوز الارباح التي توزعها الوكالة بطريقة مباشرة او غيرمباشرة مقدارالفائدة المعقولة التي يعود بها رأس المال المستثمر وان كل ما يزيد على هذه الفائدة من الارباح يجب ان يستخدم لما فيه نفع البلاد على الوجه الذي توافق عليه الادارة.

« المادة الثانية عشرة »

يعهد الى الدولة المنتدبة بالاشراف على علاقات فلسطين الخارجية وحق اصدار البراءا ت الى القناصل الذين تعينهم الدول الاجنبية ويكون لها الحق ايضا في ان تشمل رعايا فلسطين وهم خارج حدود منطقتها بحماية سفرائها وقناصلها.

« المادة الثالثة عشرة »

تضطلع الدولة المنتدبة بجميع المسؤوليات المتعلقة بالاماكن المقدسة والمباني او المواقع الدينية في فلسطين بما في ذلك مسؤولية المحافظة على الحقوق الموجودة وضمان الوصول الى الاماكن المقدسة والمباني والمواقع الدينية وحرية العبادة مع المحافظة على مقتضيات النظام العام والاداب العامة وتكون الدولة المنتدبة مسؤولة امام عصبة الامم دون سواها عن كل ما يتعلق بذلك بشرط ان لا تحول نصوص هذه المادة دون اتفاق الدولة المنتدبة مع ادارة البلاد على ما تراه الدولة المنتدبة ملائما لتنفيذ نصوص هذه المادة وبشرط ان لا يفسر شيء من هذا الصك تفسيرا يخول الدولة المنتدبة سلطة التعرض او التدخل في نظام او ادارة المقامات الاسلامية المقدسة الصرفة، المصونة حصاناتها.

« المادة الرابعة عشرة »

تؤلف الدولة المنتدبة لجنة خاصة لدرس وتحديد وتقرير الحقوق والادعاءات المتعلقة بالاماكن المقدسة والحقوق والادعاءات المتعلقة بالطوائف الدينية المختلفة في فلسطين وتعرض طريقة اختيار هذه اللجنة وقوامها ووظائفها على مجلس عصبة الامم لاقرارها، ولا تعين اللجنة ولا تقوم بوظائفها دون موافقة المجلس المذكور.

« المادة الخامسة عشرة »

يترتب على الدولة المنتدبة ان تضمن جعل الحرية الدينية التامة وحرية القيام بجميع شعائر العبادة مكفولتين للجميع بشرط المحافظة على النظام العام والاداب العامة فقط، ويجب ان لا يكون ثمة تمييز مهما كان نوعه بين سكان فلسطين على اساس الجنس او الدين او اللغة وان لا يحرم شخص من دخول فلسطين بسبب معتقده الديني فقط.

ويجب ان لا تحرم اية طائفة كانت من حق صيانة مدارسها الخاصة لتعليم ابنائها بلغتها الخاصة وان لا ينتقص من هذا الحق ما دام ذلك مطابقا لشروط التعليم العمومية التي قد تفرضها الادارة.

« المادة السادسة عشرة »

تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن ممارسة ما يقتضيه امر المحافظة على النظام العام

والحكم المنظم من الاشراف على الهيئات الدينية والجزئية التابعة لجميع الطوائف المذهبية في فلسطين، ومع مراعاة هذا الشرط لا يجوز ان تتخذ في فلسطين تدابير من شأنها اعاقة اعمال هذه الهيئات او التعرض لها او اظهار التحيز ضد اي ممثل من ممثليها او عضو من اعضائها بسبب دينه او جنسيته.

« المادة السابعة عشرة »

يجوز لادارة فلسطين ان تنظم على اساس التطوع القوات اللازمة للمحافظة على السلام والنظام والقوات اللازمة للدفاع عن البلاد ايضا بشرط ان يكون ذلك خاضعا لاشراف الدولة المنتدبة ولكن لا يجوز لادارة فلسطين ان تستخدم هذه القوات في غير الاغراض الآنفة الذكر الا بموافقة الدولة المنتدبة وفيما عدا ذلك لا يجوز لادارة فلسطين ان تؤلف او ان تستبقي اية قوة من القوات العسكرية او البحرية او الجوية.

ليس في هذه المادة ما يمنع ادارة فلسطين من الاشتراك في نفقات القوات التي تكون للدولة المنتدبة في فلسطين.

ويحق للدولة المنتدبة في كل وقت ان تستخدم طرق فلسطين وسككها الحديدية ومرافئها لحركات القوات المسلحة ونقل الوقود والمهمات.

« المادة الثامنة عشرة »

يجب على الدولة المنتدبة ان تضمن عدم التمييز في فلسطين بين رعايا اية دولة من الدول الداخلة في عصبة الامم (ومن جملة ذلك الشركات المؤلفة بحسب قوانين تلك الدولة) ورعايا الدولة المنتدبة او رعايا اية دولة اجنبية اخرى في الامور المتعلقة بالضرائب او التجارة او الملاحة او تعاطي الصنائع او المهن او في معاملة السفن التجارية او الطيارات المدنية. وكذلك يجب ان لا يكون هناك تمييز في فلسطين ضد البضائع التي يكون اصلها من بلاد من بلدان الدول المذكورة او تكون مرسلة اليها. وتطلق حرية مرور البضائع بطريق التوسط (الترانسيت) عبر البلاد المشمولة بالانتداب بشروط عادلة.

ومع مراعاة ما تقدم وسائر احكام صك الانتداب هذا، يجوز لادارة فلسطين ان تفرض بالتشاور مع الدولة المنتدبة ما تراه ضروريا من الضرائب والرسوم الجمركية وان تتخذ ما تراه صالحا من التدابير لتنشيط ترقية المرافق الطبيعية في البلاد وصيانة مصالح

السكان فيها ويجوز لها ان تعقد بالتشاور مع الدولة المنتدبة اتفاقا جمركيا خاصا مع اية دولة من الدول التي كانت جميع املاكها في سنة ١٩١٤ داخلة في تركيا الاسيوية او شبه جزيرة العرب.

« المادة التاسعة عشرة »

تنضم الدولة المنتدبة بالنيابة عن ادارة فلسطين الى كل ميثاق من المواثيق الدولية العامة التي سبق عقدها او التي تعقد فيما بعد بموافقة عصبة الامم بشأن الاتجار بالرقيق والاتجار بالسلاح والذخيرة او بالمخدرات او فيما يتعلق بالمساواة التجارية وحرية مرور البضائع بطريق التوسط (الترانسيت) والملاحة والطيران والمواصلات البريدية والبرقية واللاسلكية او بالممتلكات الادبية والفنية والصناعية.

« المادة العشرون »

تتعاون الدولة المنتدبة بالنيابة عن ادارة فلسطين في تنفيذ كل سياسة مشتركة تقررها عصبة الامم لمنع انتشار الامراض ومكافحتها بما في ذلك امراض النباتات والحيوانات بقدر ما تسمح به الاحوال الدينية والاجتماعية وغيرها من الاحوال.

« المادة الحادية والعشرون »

يترتب على الدولة ان تؤمن وضع وتنفيذ قانون خاص بالاثار القديمة على اساس القواعد المذكورة فيما يلي، خلال الاثنى عشر شهرا الاولى من هذا التاريخ، ويكون هذا القانون ضامنا لرعايا جميع الدول الداخلة في عصبة الامم المساواة في المعاملة فيما يتعلق بالحفريات والتنقيبات الاثرية:

١ ـ تعني عبارة (الاثار القديمة) كل ما انشأته او انتجته ايدي البشر قبل سنة ١٧٠٠ ميلادية.

٢ ـ يسن التشريع المتعلق بحماية الاثار القديمة على اساس التشجيع لا التهديد.

وكل من اكتشف اثرا دون ان يكون مزودا بالتصريح المذكور في الفقرة الخامسة وابلغ الامر الى احد موظفي الدائرة المختصة يكافأ بمكافأة تتناسب مع قيمة ما اكتشفه.

٣ ـ لا يجوز بيع شيء من الاثار القديمة الا للدائرة المختصة ما لم تتنازل تلك الدائرة عن

شرائه ولا يجوز إخراج شيء من الآثار القديمة من البلاد إلا بموجب رخصة تصدير صادرة من تلك الدائرة.

٤ ـ كل من اتلف او الحق ضررا بقطعة من الاثار القديمة عن سوء نية او اهمال يعاقب بالعقوبة المعينة.

٥ ـ يحظر اجراء الحفر او التنقيب للبحث عن الاثار القديمة الا بتصريح من الدائرة المختصة ويغرم المخالف بغرامة مالية.

٦ ـ توضع شروط عادلة لنزع ملكية الاراضي ذات القيمة التاريخية او الاثرية سواء اكان نزع الملكية مؤقتا ام دائما.

٧ ـ يقتصر في اعطاء التصريح لاجراء الحفريات على الاشخاص الذين يقدمون ادلة كافية على خبرتهم في الاثار. ويترتب على ادارة فلسطين ان لا تسير عند اعطاء هذا التصريح على طريقة تؤدي الى استثناء علماء اية امة من الامم من الترخيص بدون سبب مبرر.

٨ ـ يقسم ناتج الحفريات بين المكتشف والدائرة المختصة على اساس النسبة التي تعينها تلك الدائرة. فاذا تعذرت القسمة لأسباب علمية يعطى للمكتشف تعويض عادل بدلا من اعطائه قسماً من الآثار المكتشفة.

« المادة الثانية والعشرون »

تكون الانكليزية والعربية والعبرية اللغات الرسمية لفلسطين وكل عبارة اوكتابة بالعربية وردت على طوابع أو عملة تستعمل في فلسطين يجب ان تكرر بالعبرية وكل عبارة اوكتابة بالعبرية يجب ان تكرر بالعربية.

« المادة الثالثة والعشرون »

تعترف إدارة فلسطين بالأيام المقدسة (الأعياد) عند كل طائفة من الطوائف في فلسطين كأيام عطلة قانونية لأفراد تلك الطائفة.

« المادة الرابعة والعشرون »

تقدم الدولة المنتدبة الى عصبة الأمم تقريرا سنويا بصورة تقنع المجلس يتناول التدابير التي

اتخذت اثناء تلك السنة لتنفيذ نصوص الانتداب وترسل نسخ من جميع الأنظمة والقوانين التي تسن او تصدر اثناء تلك السنة مع التقرير.

« المادة الخامسة والعشرون »

يحق للدولة المنتدبة بموافقة مجلس عصبة الامم ان ترجيء او توقف تطبيق ما تراه من هذه النصوص غير قابلة التطبيق على المنطقة الواقعة ما بين نهر الاردن والحد الشرقي لفلسطين كما سيعين فيما بعد، بالنسبة للاحوال المحلية السائدة في تلك المنطقة وان تتخذ ما تراه ملائما من التدابير لادارة تلك المنطقة وفقا لاحوالها المحلية بشرط ان لا يؤتى بعمل لا يتفق مع احكام المواد ١٥، ١٦، ١٨.

« المادة السادسة والعشرون »

توافق الدولة المنتدبة على انه اذا وقع خلاف بينها وبين عضو آخر من اعضاء عصبة الامم حول تفسير نصوص صك الانتداب او تطبيقها وتعذر حله بالمفاوضات يعرض على محكمة العدل الدولية الدائمة المنصوص عليها في المادة الرابعة عشرة من ميثاق الامم.

«المادة السابعة والعشرون »

ان كل تعديل يجري في شروط هذا الانتداب يجب ان يكون مقترنا بموافقة مجلس عصبة الامم.

« المادة الثامنة والعشرون »

في حالة انتهاء الانتداب الممنوح للدولة المنتدبة بموجب هذا الصك يتخذ مجلس عصبة الامم ما يراه ضروريا من التدابير لصون استمرار الحقوق المؤمنة، بموجب المادتين ١٣ و ١٤ على الدوام بضمان العصبة ويستعمل نفوذه لان يكفل بضمان الجمعية احترام حكومة فلسطين للالتزامات المالية التي تحملتها ادارة فلسطين بصورة مشروعة في عهد الانتداب احتراما تاما وفي جملة ذلك حقوق الموظفين في رواتب التقاعد او المكافآت*.

---

* نقل هذا النص عن تقرير اللجنة الملكية (الترجمة العربية الرسمية) (الكتاب الابيض رقم ٥٤٧٩) الصادر في شهر تموز سنة ١٩٣٧ صفحة ٤٦ و٤٩ و٥٠و٥١٩و٥٢٠و٥٢١و٥٢٢.

بلاغ رسمي رقم ٢ ـ ٣٩ بتاريخ ١٧ مايو سنة ١٩٣٩

فلسطين

بيان الخطة السياسية الصادر من حكومة جلالته(١)

كانت حكومة جلالته قد اعربت في البيان الذي اصدرتـه عن فلسطين في اليـوم التاسع من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٣٨(٢)، عن رغبتها في دعوة مندوبين عن عـرب فلسطين وبعض البلاد العربية المجاورة، وعن الوكالة اليهودية للتفاوض معهم في لندن بشأن السياسة المقبلة، وكانت تأمل باخلاص الوصول الى شيء من التفاهم بنتيجة اجرا مباحثات وافية مقرونة بمنتهى الحرية والصراحة. وقد عقدت في الاونة الاخيرة مؤتمر مـع وفـود العـرب واليهـود واستغـرقت بضعـة اسـابيـع وكـانـت هـذه المؤتمـر وسيلة لتبادل الاراء بصورة مستكملة بين الوزراء البريطانيين ومندوبي العرب واليهو وقد وضعت حكومة جلالته على ضوء المباحثات المشار اليها والحالة السائدة في فلسه وتقـرير اللجنـة الملكية(٣) وتقـرير لجنـة التقسيم(٤)، بعض المقترحـات وعـرضـت تلك المقترحات على وفود العرب واليهود كأساس لتسوية متفق عليها. غير انه لم تر وفود العرب ولا وفود اليهود ان في استطاعتها قبول تلك المقترحات، ولذلك لم تسفر المؤتمـرات عن اتفاق. وبناء على ذلك ترى حكومة جلالته نفسها حرة في وضع سياستها الخاصة. وقد قر رأيها، بعد انعام النظر الدقيق، على التمسك بصورة عامة بالمقترحات التي عرضت نهائيا على وفود العرب واليهود وبحثت معهم.

---

(١) نقلنا نص هذه الوثيقة عن البلاغ الرسمي الذي اصدرته حكومة الانتداب باللغة العربية في شكل كتيب يحمل الاسم والرقم المشار اليهما في صدر هذه الوثيقة.

(٢) الكتاب الأبيض رقم ٥٨٩٣

(٣) الكتاب الأبيض رقم ٧١٧٩

(٤) الكتاب الأبيض رقم ٥٨٥٤

لقد كان صك الانتداب على فلسطين، الذي اقر نصوصه مجلس عصبة الامم في سنة ١٩٢٢، اساس السياسة التي اتبعتها الحكومات البريطانية المتعاقبة زهاء عشرين عاما وهذا الصك ينطوي على تصريح بلفور ويفرض على الدولة المنتدبة اربعة التزامات رئيسية، وقد بسطت هذه الالتزامات في المواد الثانية والسادسة والثالثة عشرة من صك الانتداب ومن بين هذه الالتزامات التزام لم يقم اي خلاف حول تفسيره وهو الالتزام الذي يبحث في حماية الاماكن المقدسة والمباني والمواقع الدينية وتسهيل الوصول اليها. اما الالتزامات الاخرى فهي اجمالا كما يلي:

١ ـ وضع البلاد في احوال سياسية وادارية واقتصادية من شأنها ان تضمن انشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وتسهيل هجرة اليهود في احوال ملائمة وتشجيع حشد اليهود في الاراضي بالتعاون مع الوكالة اليهودية.

٢ ـ صيانة الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين، بقطع النظر عن العنصر والدين وضمان عدم الحاق الضرر بحقوق ووضع فئات الاهالي الاخرى مع تسهيل الهجرة اليهودية واستيطان اليهود في الاراضي.

٣ ـ وضع البلاد في احوال سياسية وادارية واقتصادية من شأنها ان تضمن ترقية مؤسسات الحكم الذاتي.

وقد لفتت اللجنة الملكية ولجان التحقيق الاخرى التي سبقتها النظر الى الغموض المحيط ببعض العبارات الواردة في صك الانتداب كعبارة «وطن قومي للشعب اليهودي»، ووجدت في هذا الغموض وفي ما نشأ عنه من الريبة حول الاهداف التي ترمي اليها الخطة السياسية سببا اساسيا للقلق والشحناء بين العرب واليهود. ان حكومة جلالته مقتنعة ان مصلحة السلام ورفاه جميع اهالي فلسطين تحتم وضع تعريف صريح للخطة السياسية ولاهدافها. ولقد كان من شأن اقتراح التقسيم الذي اوصت به اللجنة الملكية ان يوفر مثل هذه الصراحة غير انه وجد ان تشكيل دولتين مستقلتين ضمن فلسطين احداهما عربية والاخرى يهودية، يكون في استطاعتهما سد نفقاتهما بذاتهما ليس من الامور العملية.

ولذلك كان لزاماً على حكومة جلالته ان تستنبط بدلاً من التقسيم سياسة أخرى من شأنها ان تفي بما تتطلبه الحالة في فلسطين على وجه يتفق مع الالتزامات المترتبة عليها نحو العرب ونحو اليهود. وقد أدرجت آراء ومقترحات حكومة جلالته أدناه في ثلاثة أبواب هي:

١ ـ الدستور ٢ ـ المهاجرة ٣ ـ الاراضي.

١ ـ الدستور

٤ ـ لقد قيل في معرض الجدل ان عبارة «وطن قومي للشعب اليهودي» تفسح المجال لصيرورة فلسطين، على مرور الزمن، دولة او مملكة يهودية. ان حكومة جلالته لا تود ان تقارع الرأي الذي اعربت عنه اللجنة الملكية وهو ان الزعماء الصهيونيين كانوا يدركون حين صدور صيغة الانتداب الذي ادمج فيه تصريح بلفور لا يمكن ان يكونوا قد قصدوا النهاية. غير ان حكومة جلالته تشاطر اللجنة الملكية الاعتقاد بان واضعي صيغة الانتداب الذي ادمج فيه تصريح بلفور لا يمكن ان يكونوا قد قصدوا تحويل فلسطين الى دولة يهودية خلافا لارادة سكان البلاد العرب. اما انه لم يكن المقصود تحويل فلسطين الى دولة يهودية فيمكن استنتاجه ضمنا من الفقرة التالية المقتبسة عن الكتاب الابيض الصادر سنة ١٩٢٢* :

«لقد قيلت اقوال غير مصرح بها مؤداها ان الغاية التي يرمي اليها هذا التصريح هي خلق فلسطين يهودية برمتها. واستعملت عبارات كمثل القول بان فلسطين ستصبح يهودية كما ان انكلترا انكليزية وحكومة جلالته تعتبر ان كل امل كهذا غير ممكن التحقيق وهي لا ترمي الى مثل هذا الهدف كما انه لم يخطر في بالها في اي وقت من الاوقات.. ان يزول الشعب العربي او اللغة او الثقافة العربية في فلسطين او ان تصبح مسيطَراً عليها. وهي تود ان تلفت النظر الى ان نص التصريح المشار اليه (اي تصريح بلفور) لا يرمي الى تحويل فلسطين بكليتها الى وطن قومي يهودي بل الى ان وطنا كهذا سيؤسس في فلسطين».

غير ان هذا البيان لم يزل الشكوك، ولذلك فان حكومة جلالته تصرح الان بعبارة لا لبس فيها ولا ابهام انه ليس من سياستها ان تصبح فلسطين دولة يهودية. وهي تعتبر في الواقع انه مما يخالف الالتزامات المترتبة عليها نحو العرب بموجب صك الانتداب،

---

* الكتاب الأبيض رقم ١٧٠٠

والتأكيدات التي اعطيت للشعب العربي فيما مضى ان يجعل (بضم الياء) سكان فلسطين العرب رعايا دولة يهودية خلافا لارادتهم.

٥ ـ وقد وصفت ماهية الوطن القومي اليهودي وصفا اوفى في الكتاب الابيض الصادر سنة ١٩٢٢ على الوجه التالي:

«لقد اعاد اليهود في القرنين او الثلاثة قرون الاخيرة تكوين طائفة لهم في فلسطين يبلغ عددها الان ثمانين الفا ربعهم تقريبا مزارعون او عملة في الارض. ولهذه الطائفة هيئاتها السياسية الخاصة ومجمع منتخب لادارة شؤونها الداخلية ومجالس منتخبة في المدن وهيئة للاشراف على مدارسها ولها رئاسة ربانيين منتخبة ومجلس رباني منتخب لادارة شؤونها الدينية. وتستعمل هذه الطائفة اللغة العبرية كلغة محلية ولها صحف عبرية تفي بحاجاتها وهي تتبع نمطا تهذيبيا يميزها وتبدي نشاطا كبيرا في الحركة الاقتصادية فهذه الطائفة، بسكان المستعمرات والمدن وبتشكيلاتها السياسية والدينية والاجتماعية ولغتها الخاصة وعاداتها وطرق معيشتها الخاصة لها في الحقيقة مميزات قومية. ولو سأل سائل عن معنى تنمية الوطن القومي اليهودي في فلسطين لأمكن الرد عليه بانها لا تعني فرض الجنسية اليهودية على اهالي فلسطين اجمالا بل زيادة نمو الطائفة اليهودية بمساعدة اليهود الموجودين في انحاء العالم حتى تصبح مركزا يكون فيه للشعب اليهودي برمته اهتمام وفخر من الوجهتين الدينية والعنصرية. ولكي يكون لهذه الطائفة خير امل في التقدم الحرّ ويفسّح للشعب اليهودي مجال واف يظهر فيه كفاياته، كان من الضروري ان يعلم ان وجوده في فلسطين هو كحق وليس كمنة، ذلك هو السبب الذي جعل من الضروري ضمان وجود وطن قومي لليهود في فلسطين ضمانا دوليا والاعتراف رسميا بانه يستند الى صلة تاريخية قديمة».

٦ ـ ان حكومة جلالته تتمسك بهذا التفسير لتصريح سنة ١٩١٧ وتعتبره وصفا معتمدا وشاملا لماهية الوطن القومي اليهودي في فلسطين وهذا التفسير ينطوي على اطراد نمو الطائفة اليهودية الموجودة في البلاد بمساعدة اليهود الموجودين في انحاء العالم الاخرى. ومما يقيم الدليل على ان حكومة جلالته ما فتئت تقوم بالتزاماتها من هذه الناحية انه منذ صدور بيان الخطة السياسية سنة ١٩٢٢ هاجر الى فلسطين ما يزيد على ٣٠٠٠٠٠ يهودي، وان عدد سكان الوطن القومي قد ارتفع حتى بلغ نحو ٤٥٠٠٠٠ نسمة، او ما يقرب من ثلث سكان البلادبرمتهم،هذا وان الطائفة اليهودية لم تقصر من جهتها في اغتنام الفرص التي اتيحت لها الى اقصى حد، فنمو الوطن القومي اليهودي وما توصل الى اتيانه في كثير من

الميادين هو مجهود انشائي جدير بالاعتبار وحري بان ينال اعجاب العالم وبان يكون على الاخص مصدر فخر للشعب اليهودي.

٧ـ لقد رددت الوفود العربية في سياق المباحثات الاخيرة الحجة القائلة بان فلسطين مشمولة في المنطقة التي تعهد السير هنري مكماهون بالنيابة عن الحكومة البريطانية في شهر تشرين الاول سنة ١٩١٥ ان يعترف باستقلال العرب فيها ويؤيده. وقد بحث مندوبون من البريطانيين والعرب خلال المؤتمرات التي عقدت مؤخرا في لندن صحة هذا الادعاء الذي يستند الى المراسلات المتبادلة بين السير هنري مكماهون وشريف مكة بحثا مقرونا بالدقة والعناية. ويقول تقريرهم الذي تم نشره[1] ان المندوبين العرب والبريطانيين بذلوا جهدهم ليفهم كل فريق منهما وجهة نظر الفريق الاخر، ولكنهم لم يتمكنوا من الوصول الى اتفاق حول تفسير هذه المراسلات. ولا حاجة هنا الى تلخيص الحجج التي اوردها كل من الفريقين. ان حكومة جلالته تأسف لسوء الفهم الذي نشأ حول بعض العبارات المستعملة في تلك المراسلات. وهي من جهتها، استنادا الى الاسباب التي بسطها مندوبوها في التقرير، لا يسعها الا ان تتمسك بالرأي القائل ان جميع فلسطين الواقعة غربي الاردن كانت قد استثنت من العهد الذي قطعه السير هنري مكماهون، وهي لذلك لا تستطيع ان توافق على ان مراسلات مكماهون تشكل اساسا عادلا للادعاء بوجوب تحويل فلسطين الى دولة عربية مستقلة.

٨ـ ان حكومة جلالته ملزمة بصفتها الدولة المنتدبة وان تضمن ترقية مؤسسات الحكم الذاتي» في فلسطين. وهي، عدا عن هذا الالتزام المعين، تعتبر ان ابقاء سكان فلسطين تحت تدريب الدولة المنتدبة الى الابد يخالف روح نظام الانتداب من اساسه. فمن الصواب ان يتمتع اهل البلاد بما امكن من السرعة بحقوق الحكم الذاتي التي يمارسها اهالي البلاد المجاورة. ان حكومة جلالته لا تستطيع في الوقت الحاضر ان تتنبأ بشكل الحكم الدستوري الذي ستصطبغ به حكومة فلسطين في النهاية، ولكن الهدف الذي ترمي اليه هو اقامة الحكم الذاتي، وهي ترغب في أن ترى قيام دولة فلسطينية مستقلة في النهاية. وينبغي ان تكون تلك الدولة، دولة يساهم فيها الشعبان المقيمان في فلسطين، العرب واليهود، بممارسة سلطة الحكم على وجه يكفل ضمان المصالح الرئيسية لكل من الفريقين.

٩ـ ان تشكيل دولة مستقلة في فلسطين، والتخلي التام عن رقابة الانتداب فيها

(١) الكتاب الأبيض رقم ٥٩٧٤.

يتطلبان نشوء علاقات ما بين العرب واليهود من شأنها ان تجعل حكم البلاد حكما صالحا في حيز الامكان . اضف الى ذلك ان نمو مؤسسات الحكم الذاتي في فلسطين لا بد له ان يسير على قاعدة النشوء والارتقاء شأنه في البلاد الاخرى . فقبل الوصول الى الاستقلال لا بد من فترة انتقال تحتفظ خلالها حكومة جلالته بالمسؤولية النهائية بصفتها السلطة المنتدبة بينما يزداد في اثنائها نصيب اهالي البلاد من الاضطلاع بالحكم وتنمو فيهم روح التفاهم والتعاون . وستبذل حكومة جلالته جهودها المتواصلة لترويج نمو العلاقات الطيبة بين العرب واليهود .

١٠ ـ وعلى ضوء هذه الاعتبارات ، تصدر حكومة جلالته التصريح التالي معلنة فيه نواياها بشأن حكومة فلسطين المقبلة :

١ ـ ان الهدف الذي ترمي اليه حكومة جلالته هو ان تشكل خلال عشر سنوات ، حكومة فلسطينية مستقلة ، ترتبط مع المملكة المتحدة بمعاهدة تضمن للبلدين تطلباتهما التجارية والحربية في المستقبل ضمانا مرضيا . وهذا الاقتراح بتشكيل دولة مستقلة من شأنه ان ينطوي على التشاور مع مجلس عصبة الامم بقصد انهاء الانتداب .

٢ ـ ان الدولة المستقلة يجب ان تكون دولة يساهم العرب واليهود في حكومتها على وجه يضمن صيانة المصالح الاساسية لكل من الفريقين .

٣ ـ يكون تشكيل الدولة المستقلة مسبوقا بفترة انتقال تحتفظ حكومة جلالته خلالها بمسؤولية حكم البلاد . وفي اثناء فترة الانتقال يعطى اهل فلسطين نصيبا متزايدا في حكومة بلادهم . وستتاح لكلا فريقي السكان فرصة للاشتراك في اداة الحكومة ، وسيسار في هذه العملية سواء اغتنم كلا الفريقين هذه الفرصة ام لا .

٤ ـ حالما يتوطد الامن والنظام في فلسطين توطيدا كافيا تتخذ التدابير لتنفيذ هذه السياسة الا وهي سياسة اعطاء اهل فلسطين نصيبامتزايداً في حكومة بلادهم ، والهدف الذي يرمى (بضم الياء) اليه هو تولية الفلسطينيين زمام جميع دوائر الحكومة بمساعدة مستشارين بريطانيين ، خاضعا ذلك لرقابة المندوب السامي . وتحقيقا لهذه الغاية ستكون حكومة جلالته مستعدة لاجراء الترتيبات اللازمة لتولية الفلسطينيين فورا زمام بعض الدوائر مع مستشارين بريطانيين . ويكون رؤساء الدوائر الفلسطينيين اعضاء في المجلس التنفيذي الذي يزود المندوب السامي بالمشورة . ويدعى مندوبون عن العرب واليهود لتولي مناصب رؤساء الدوائر ، بنسبة عدد السكان من كل من الفريقين على وجه التقريب ،

ويزداد عدد الفلسطينيين الذين يتولون زمام الدوائر كلما سمحت الظروف بذلك الى ان يصبح رؤساء جميع الدوائر فلسطينيين يمارسون المهام الادارية والاستشارية التي يقوم بها الان الموظفون البريطانيون . وعند بلوغ تلك المرحلة ينظر في امر تحويل المجلس التنفيذي الى مجلس وزراء مع إجراء ما يترتب على ذلك من التغيير في وضع مهام رؤساء الدوائر الفلسطينيين .

٥ ـ ان حكومة جلالته لا تتقدم في هذه المرحلة باية مقترحات حول تشكيل هيئة تشريعية منتخبة . ولكنها على الرغم من ذلك تعتبر هذا الامر تطورا دستوريا في محله . واذا اعرب الرأي العام في فلسطين فيما بعد عن تحبيذه لمثل هذا التطور تكون حكومة جلالته مستعدة لتشكيل الاداة اللازمة بشرط ان تسمح الاحوال المحلية بذلك .

٦ ـ لدى انقضاء خمس سنوات على توطيد الامن والنظام ، تشكل هيئة ملائمة من ممثلي اهل فلسطين وحكومة جلالته للنظر في كيفية سير الترتيبات الدستورية خلال فترة الانتقال وللبحث في وضع دستور لدولة فلسطينية مستقلة وتقديم التواصي بذلك الشأن .

٧ ـ وستتطلب حكومة جلالته ان تقتنع بان المعاهدة المنظور عقدها في البند (١)، او الدستور المنظور وضعه في البند (٦) اعلاه ، قد ضمن النصوص الوافية :

أ ـ لحماية الاماكن المقدسة وتسهيل الوصول اليها ، وحماية مصالح واملاك الهيئات الدينية المختلفة .

ب ـ لحماية مختلف الطوائف في فلسطين وفقا للالتزامات المترتبة على حكومة جلالته نحو العرب ونحو اليهود ، وفيما يتعلق بالوضع الخاص الذي للوطن القومي اليهودي في فلسطين .

ج ـ بشأن الامور المطلوبة لملاقاة الحالة الحربية مما قد تعتبره حكومة جلالته ضروريا على ضوء الظروف التي تكون سائدة في ذلك الحين .

وستتطلب حكومة جلالته ايضا ان تقتنع بان المصالح التي لبعض البلاد الاجنبية في فلسطين ، والتي تضطلع حكومة جلالته الان بمسؤولية المحافظة عليها ، هي مصونة صيانة وافية .

٨ ـ وستبذل حكومة جلالته كل ما في وسعها لايجاد ظروف تمكن الدولة الفلسطينية

المستقلة من الخروج الى حيز الوجود خلال عشر سنوات . واذا ظهر لحكومة جلالته لدى انقضاء عشر سنوات ان الظروف تتطلب ارجاء تشكيل الدولة المستقلة ، خلافا لما تأمله ، فانها تتشاور مع ممثلي اهالي فلسطين ، ومجلس عصبة الامم والدول العربية المجاورة قبل اتخاذ قرار بشأن هذا الارجاء . فاذا قر رأي حكومة جلالته انه لا مناص من هذا الارجاء فانها تدعو هؤلاء الفرقاء للتعاون معها في وضع خطط للمستقبل بقصد الوصول الى الهدف المنشود في اقرب وقت ممكن .

١١ ـ وستتخذ التدابير اثناء فترة الانتقال لزيادة سلطات ومسؤوليات البلديات والمجالس المحلية .

٢ ـ المهاجرة

١٢ ـ ان ادارة فلسطين مكلفة ، بمقتضى المادة السادسة من صك الانتداب « بتسهيل هجرة اليهود في احوال ملائمة مع ضمان عدم الحاق الضرر بحقوق ووضع جميع فئات الاهالي الاخرى » ، وباستثناء ما تقدم ، لم يحدد مدى الهجرة اليهودية المسموح بها الى فلسطين في اي موضع اخر من صك الانتداب ، ولكن ورد في الكتاب الابيض الصادر سنة ١٩٢٢ رقم (١٧٠٠) انه تنفيذا لسياسة انشاء وطن قومي يهودي :

« من الضروري ان تتمكن الطائفة اليهودية في فلسطين من زيادة عددها عن طريق المهاجرة . وهذه المهاجرة لا يمكن ان يكون مقدارها بحيث تتجاوز قدرة البلاد الاقتصادية في حينه على استيعاب القادمين الجدد . ومن المحتم ضمان عدم صيرورة المهاجرين عبئا على اهالي فلسطين عموما ، وان لا يحرموا اية فئة من السكان الحاليين من عملهم »

ومن الوجهة العملية ، اعتبرت قدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب منذ ذلك التاريخ فصاعدا وحتى الاونة الاخيرة ، العامل الوحيد الذي تحدد الهجرة على اساسه ، وورد في الكتاب الذي ارسله المستر رمزي مكدونالد بصفته رئيسا للوزارة ، الى الدكتور وايزمن في شهر شباط سنة ١٩٣١ في معرض بسط الخطة السياسية ، ان قدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب هي الاساس الوحيد لتحديد الهجرة ، ثم ايد هذا التفسير بقرارات اتخذتها لجنة الانتدابات الدائمة . لكن حكومة جلالته لا ترى في بيان الخطة السياسية الصادر سنة ١٩٢٢ ولا في كتاب رئيس الوزراء الصادر سنة ١٩٣١ ، ما يمكن تفسيره بان صك الانتداب يقضي عليها في جميع الاوقات قدرة البلاد الاقتصادية على

الاستيعاب دون سواها. كما انها لا تجد في صك الانتداب ولا في بيانات الخطط السياسية التي صدرت بعده مايؤيد الرأي القائل بان انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين لا يمكن تحقيقه إلا إذا سمح للهجرة بالاستمرار الى ما لا نهاية له. فاذا كانت الهجرة تؤثر في وضع البلاد الاقتصادي تأثيراً سيئاً فمن الواضح أنه يجب تقييدها. وكذلك الحال، إذا كان للهجرة اثر يضر ضررا خطيرا بوضع البلاد السياسي فان ذلك عامل يجب ان لا يغفل. ومع انه ليس من الصعب ان يقال، في معرض الجدل، بان ذلك العدد الكبير من المهاجرين اليهود الذين دخلوا البلاد حتى الان قد استوعبتهم البلاد من الناحية الاقتصادية، فان المخاوف التي تساور العرب من ان هذه الهجرة المتدفقة ستستمر الى ما لا نهاية له حتى يصبح السكان اليهود في وضع يمكنهم من السيطرة عليهم، قد اسفرت عن نتائج عظيمة الخطورة لليهود وللعرب على السواء ولسلام ورفاه فلسطين. فما هذه الاضطرابات المفجعة التي وقعت خلال السنوات الثلاث الماضية الا اخر واثبت مظهر برزت فيه تلك المخاوف العظيمة التي تساور العرب. ان الاساليب التي سلكها الارهابيون العرب ضد مواطنيهم من العرب وضد اليهود على السواء يجب ان تقابل بالاستنكار المطلق غير انه لا يمكن الانكار ان الخوف من استمرار الهجرة اليهودية استمراراً لا نهاية له منتشر انتشارا واسعا بين السكان العرب وان هذا الخوف هو الذي هيأ السبيل لوقوع الاضطرابات التي صدمت تقدم البلاد الاقتصادي صدمة عنيفة، واستنزفت خزينة فلسطين، وجعلت الناس غير مطمئنين على ارواحهم واموالهم وخلقت بين السكان العرب واليهود مرارة يؤسف لحدوثها بين مواطني بلاد واحدة، ولو استمرت الهجرة في هذه الظروف الى الحد الاعلى الذي تسمح به قدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب، بقطع النظر عن سائر الاعتبارات الاخرى، لأدى ذلك الى تخليد عداوة قاتلة بين الشعبين، ولامكن ان تصبح الحالة في فلسطين عندئذ مصدرا دائما للاحتكاك بين جميع شعوب الشرق الادنى والاوسط. وحكومة جلالته لا يسعها ان تأخذ بالرأي القائل ان الالتزامات المترتبة عليها بموجب صك الانتداب او ان العقل الراجح والعدالة، تقضي عليها بتجاهل هذه الظروف لدى وضع سياستها بشأن الهجرة.

١٣ـ لقد كان من رأي اللجنة الملكية ان ادماج سياسة تصريح بلفور بنظام ينطوي على الاعتقاد بامكان التغلب على موقف العرب العدائي من ذلك التصريح عاجلا ام آجلا. ولقد كانت الحكومات البريطانية منذ صدور تصريح بلفور، تأمل ان يرضى السكان العرب مع مرور الزمن عن اطراد نمو الوطن القومي اليهودي، بعد ان يدركوا الفوائد التي سيجنونها من الاستيطان والعمران اليهودي، في فلسطين. ولكن هذا الامل لم

يتحقق ، واصبح على حكومة جلالته الان ان تختار بين سياستين : فهي ١ ـ اما ان تعمل على توسيع الوطن القومي توسيعا لا نهاية له عن طريق الهجرة ضد رغبات سكان البلاد من العرب التي اعربوا عنها بكل شدة او ٢ ـ ان تسمح بزيادة توسع الوطن القومي عن طريق الهجرة اذا كان العرب على استعداد للقبول بتلك الهجرة ولكن ليس بدون ذلك . اما السياسة الاولى فمؤداها الحكم بالقوة ، وهي بقطع النظر عن الاعتبارات الاخرى ، تخالف في رأي حكومة جلالته ، روح المادة الثانية والعشرين من ميثاق عصبة الامم كل المخالفة ، كما انها تناقض ايضا الالتزامات الصريحة المترتبة عليها نحو العرب بموجب صك الانتداب على فلسطين . اضف الى هذا ان العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين ، لا بد لها ان تبنى ، عاجلا ام آجلا ، على اساس تبادل التسامح والنية الطيبة ، فسلام الوطن القومي اليهودي نفسه وتقدمه تتطلب ذلك . ولذلك قررت حكومة جلالته بعد انعام النظر والتدقيق ، وبعد اعتبار المدى الذي سهل فيه نمو الوطن القومي اليهودي خلال السنوات العشرين الماضية ، انه قد حان الوقت للاخذ من حيث المبدأ ، بالسياسة الثانية من السياستين المشار اليهما اعلاه .

١٤ ـ لقد طلب بإلحاح وقف كل هجرة اخرى الى فلسطين في الحال . ان حكومة جلالته لا تستطيع ان تقبل باقتراح كهذا اذ ان من شأنه ان يلحق الضرر بنظام فلسطين المالي والاقتصادي باجمعه ، وبذلك يؤثر تأثيرا سيئا في مصالح العرب واليهود على السواء ، ثم ان حكومة جلالته ترى انه ليس من الإنصاف للوطن القومي اليهودي وقف كل هجرة اخرى وقفا فجائيا . غير ان حكومة جلالته فضلا عن هذا كله ، تلم بالمحنة القاسية التي يعانيها الان عدد كبير من اليهود الذين يلتمسون ملجأ يلجأون اليه من بعض البلاد الاوروبية وهي تعتقد ان في استطاعة فلسطين ان تساهم بنصيب اخر في سبيل حل هذه المشكلة العالمية الملحة ، وانه ينبغي لها ان تقوم بذلك . وفي جميع هذه الظروف ، تعتقد انها باتخاذها المقترحات التالية بشأن الهجرة تكون قد سارت وفقا لالتزامات الانتداب الملقاة على عاتقها ازاء العرب واليهود معا ، وفي خير طريق يؤدي الى خدمة مصالح سكان فلسطين باسرهم . وهذه المقترحات هي كما يلي :

١ ـ تكون الهجرة اليهودية خلال السنوات الخمس التالية بمقدار من شأنه ان يزيد عدد السكان اليهود في فلسطين الى ما يقرب من ثلث مجموع سكان البلاد ، بشرط ان تسمح قدرة الاستيعاب الاقتصادية بذلك . فاذا اخذت بعين الاعتبار الزيادة الطبيعية

المتوقع حصولها في عدد السكان العرب واليهود ، وحسب حساب عدد المهاجرين اليهود غير الشرعيين الموجودين الان في البلاد فان ذلك يسمح بادخال نحـو ٧٥,٠٠٠ مهاجر يهودي خلال السنوات الخمس التالية اعتبارا من اول شهر نيسان من السنة الحالية وسينظم دخول هؤلاء المهاجرين ، مع مراعاة قدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب ، على اساس القاعدة التالية :

أ ـ يسمح في كل سنة من السنوات الخمس التالية بدخول حصة من المهاجرين اليهود لا يتجاوز مقدارها ١٠,٠٠٠ شخص ، مع العلم ان كل نقص يقع في اية سنة يمكن ان يضاف الى حصص السنين التالية خلال مدة السنوات الخمس ، بشرط ان تسمح بذلك قدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب .

ب ـ بالاضافة الى ذلك ، ومن قبيل المساهمة في حل مشكلة اللاجئين اليهود ، يسمح بدخول ٢٥,٠٠٠ لاجىء الى البلاد حالما يقتنع المندوب السامي بـان الوسـائل الـوافية لإعالتهم قد اصبحت مضمونة ، ويرجح من هؤلاء اللاجئون الاطفال والمعالون .

٢ ـ يحتفظ بالادارة الحالية لتقرير قدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب ، ويضطلع المندوب السامي بالمسؤولية النهائية في تقرير حدود قدرة الاستيعاب الاقتصادية . ويستنير برأي مندوبين من اليهود والعرب قبل اتخاذ قراره بشأن كل فترة .

٣ ـ لدى انقضاء السنوات الخمس المشار اليها لا يسمح بهجرة يهودية اخرى الا اذا كان عرب فلسطين على استعداد للقبول بها .

٤ ـ ان حكومة جلالته مصممة على قمع الهجرة غير المشروعة وتتخذ الان اجراءات اخرى للحيلولة دونها . واذا افلح عدد من المهاجرين اليهود غير الشرعيين في دخول البلاد عـلى الرغم من تلك الاجـراءات وكان هؤلاء ممن لا يمكن ابعـادهم ينزل عـددهم من الحصص السنوية .

١٥ ـ ان حكومة جلالته مقتنعة انه متى تمت الهجرة التي يفكر فيها الان على مدار السنوات الخمس المشار اليها ، لن يكون لها مبرر ، كما انها لن تكون تحت طائلة اي التزام ، لتسهيل انشاء الوطن القومي اليهودي عن طريق السماح بهجرة اخرى بقطع النظر عن رغبات السكان العرب .

٣ـ الاراضي

١٦ـان المادة السادسة من صك الانتداب تقضي على ادارة فلسطين «بتسهيل حشد اليهود في الاراضي، مع ضمان عدم الحاق الضرر بحقوق ووضع جميع فئات الاهالي الأخرى»، ولم يفرض لغاية الآن اي قيد على انتقال الاراضي من العرب الى اليهود. وقد دلت التقارير التي وضعتها مختلف لجان الخبراء، على انه بالنظر لنمو عدد السكان العرب الطبيعي واستمرار بيع الاراضي من العرب الى اليهود في السنوات الأخيرة، لا يوجد الآن في بعض المناطق اي مجال لانتقال الاراضي من العرب الى اليهود، في حين انه لا بد من وضع القيود على انتقال الاراضي من العرب الى اليهود في بعض المناطق الأخرى، اذا كان يراد احتفاظ المزارعين العرب بمستوى معيشتهم الحالي والحيلولة دون تكوين جماعة كبيرة من العرب، ممن لا ارض لهم. وبالنظر لهذه الظروف سيمنح المندوب السامي سلطات عامة تخوله منع وتنظيم انتقال الاراضي. وسيبدأ العمل بهذه السلطات من تاريخ نشر هذا البيان ويحتفظ المندوب السامي بها طيلة فترة الانتقال.

١٧ ـوستنصرف سياسة الحكومة الى إعمار الأراضي، وتحسين الأساليب الزراعية حينما يكون ذلك ممكناً. وعلى ضوء هذا العمران سيباح للمندوب السامي، لدى اقتناعه بأن حقوق ووضع السكان العرب قد حفظت حفظاً تاماً، بأن يعيد النظر في أية أوامر أصدرها بمنع انتقال الأراضي او تقييده، وتعديل تلك الأوامر.

١٨ـ لقد بذلت حكومة جلالته لدى وضعها هذه المقترحات، جهدها باخلاص للتقيد بالالتزامات المترتبة عليها بموجب صك الانتداب، نحو العرب واليهود معا. فان غموض العبارات التي استعملت في بعض الحالات لوصف هذه الالتزامات قد ادى الى المشادة وجعل مهمة تفسير تلك العبارات شاقة. ان حكومة جلالته لا يمكنها ان تأمل بارضاء الذين يتحيزون الى هذا الفريق او ذاك في هذه المشادة التي نشأت عن صك الانتداب،والغاية التي ترمي اليها هي ان تقف موقف الانصاف بين الشعبين المقيمين في فلسطين اللذين تناولت الحوادث العظمى التي وقعت في السنوات الاخيرة مقدراتها في تلك البلاد، واللذين يتحتم عليهما ان يتدربا على تبادل التسامح والنية الحسنة والتعاون ما داما سيعيشان جنبا الى جنب في فلسطين.وحكومة جلالته اذ تنظر الى المستقبل لا يغرب عن بالها ان بعض الحوادث التي وقعت في الماضي ستجعل انشاء هذه العلاقات مهمة شاقة غير

أنه مما يشجعها على هذا الأمل ان العرب واليهود كثيرا ما عاشوا معاً في السنوات الأخيرة بصفاء في أماكن عديدة في فلسطين. إن على كل طائفة من هاتين الطائفتين ان تساهم بنصيب وافر في سبيل رفاه بلادهما المشتركة ولا بد لكل منهما أن تجنح الى السلم بنية صادقة كي يتاح لها أن تساهم في العمل على اطراد رفاه أهل البلاد بأجمعهم. ومما يزيد في خطورة التبعة الملقاة على عاتقهم وعلى عاتق حكومة جلالته من حيث التعاون معا في سبيل تأمين السلام، أن البلاد يقدسها في كافة أنحاء العالم ملايين عديدة من المسلمين واليهود والمسيحيين الذين يبتهلون الى الله تعالى ان يخيم السلام في ربوعها وأن يوفر اسباب السعادة لأهليها.

جداول احصائية

استقينا الجداول المثبتة فيما يلي من المصادر الحكومية الرسمية وأهمها تقرير A SUR-VEY OF PALESTINE المقدم للجنة الانكلو- اميركية (الجزء الاول والجزء الثاني) كانون اول ١٩٤٥ والكتب الاحصائية الرسمية STATISTICAL ABSTRACT OF PALESTINE الصادرة عن مكتب الاحصاء في القدس وهو تقرير سنوي باستثناء بعض الاحصاءات التي أشرنا الى مصادرها في حينه. والمقصود من تثبيت هذه الاحصاءات هو إعطاء فكرة تجسيدية رقمية لأهم الحقائق المتعلقة بالأرض والهجرة والصناعة والزراعة والأجور والتعليم وهي حقائق تدل بشكل ملموس وقاطع على السياسة الاستعمارية التي تبنتها الدولة المنتدبة وعلى التزامها الكامل بالصهيونية من حيث عملية الغزو الصهيوني لفلسطين عن طريق الهجرة والتحيّز ضد العرب في جميع المجالات ولا سيما الأجور والضرائب والنواحي الاقتصادية والتعليمية.

جدول رقم (١)

ملكية الأرض

مقتبسات من احصاءات القرى وفقاً لما كانت عليه يوم اول نيسان (أبريل) ١٩٤٥ الصادرة عن حكومة فلسطين

المقاطعة الفرعية	عرب	يهود	عمومي	آخرون	طرق وسكة حديد وانهار وبحيرات	الجملة بالدونم(١)
منطقة الجليل						
عكا	٦٩٥,٦٩٤	٢٤,٩٩٧	٧٤,٧٠٥	١,٤٨١	٣,٧٨٦	٧٩٩,٦٦٣
بيسان	١٥٩,٨١٢	١٢٤,٧٥٥	٧٣,٠٧٠	١٨٤	٩,٢٦٦	٣٦٧,٠٨٧
الناصرة	٢٥٨,٦١٦	١٣٧,٣٨٢	٨٨,٣٥٤	٤,٤٢٩	٨,٧٥٢	٤٩٧,٥٣٣
صفد	٤٧٤,٩٧٣	١٢١,٤٨٨	٩١,٥٠٠	٧	٨,١٦٣	٦٩٦,١٣١
طبرية	٢٢٦,٤٤١	١٦٧,٤٠٦	٣٢,١٢٢	٥,٠٨٥	٨,٩١٥	٤٤٠,٩٦٩
الجملة	١٨١٥,٥٣٦	٥٧٦,٠٣٨	٣٦٠,٧٥١	١١,١٨٦	٣٧,٨٨٢	٢,٨٠١,٣٨٣
منطقة حيفا						
حيفا	٤٣٤,٦٦٦	٣٦٤,٣٧٦	١٧٩,١١٦	٣٢٤,٧٦٦	٢٨,٤٣١	١٠٣١,٧٥٥
منطقة السامرة						
جنين	٧٠١,٩٦٥	٤,٢٥١	١٢٦,١٧٩	٧٣	٢,٧٤٦	٨٣٥,٢١٤
نابلس	١٣٨٣,٤٦٦	١٥	١٨٤,٨٧٣	١٩,٦٩١	٣,٦٧٤	١,٥٩١,٧١٨
طولكرم	٦٥٠,٦٤٦	١٤١,٣٦١	٢٧,٢٥٧	١٥	١٦,٠٨١	٨٣٥,٣٦٠
الجملة	١٢٥,٧٣٦,٠٧٧	١٤٥,٦٣٧	٣٣٨,٣٠٨	١٩,٧٧٩	٢٢,٥٠١	٣,٢٦٢,٢٩٢
منطقة القدس						
الخليل	١,٩٨٤,٤٣٤	٦,١٣٢	٨٢,٥٧١	١,١٥٤	١,٨٩٤	٢,٠٧٦,١٨٥
القدس	١,٣٢٦,٥٧١	٣٣,٤٠١	١٤٦,٣٦١	٥٥,٧٦٥	٨,٦٨٧	١,٥٧٠,٧٨٥
رام الله	٦٨١,٩٩٦	١٤٦	٢,٥٦٩	٤٨٩	١,٣٦٤	٦٨٦,٥٦٤
الجملة	٣,٩٩٣,٠٠١	٣٩,٦٧٩	٢٣١,٥٠١	٥٧,٤٠٨	١١,٩٤٥	٤,٣٣٣,٥٣٤
منطقة اللد						
يافا	١٥٨,٤١٣	١٣٩,٤٣٩	١١,٩٨١	١١,٩١٧	١٨,٦١٦	٣٣٥,٣٦٦
الرملة	٦٧٠,٣٩٢	١٢٢,١٥٩	٤٧,٣٨٠	١١,٦٤٠	١٨,٦٢١	٨٧٠,١٩٢
الجملة	٨٢٨,٨٠٥	٢٥١,٥٩٨	٥٩,٣٦١	٢٨,٥٥٧	٣٧,٢٣٧	١,٢٠٥,٥٥٨
منطقة غزة (مع استثناء مقاطعة بئر السبع)						
غزة	٨٣٠,٣١٤	٤٩,٢٦٠	٢٠٦,١٩٦	٣٤٩	٢٥,٣٨٢	١,١١١,٥٠١
المجموع الكلي	١٠,٦٣٨,٣٩٩	١,٤٢٦,٤٦٨	١,٣٧٥,٧٣٣	١٤٢,٠٤٥	١٦٣,٣٧٨	١٣,٧٤٦,٠٢٣
بئر السبع	١,٩٣٦,٣٧٥	٦٥,٢٣١	١٠,٥٧٤,٩٢٥	٥	٤٦٤	١٢,٥٧٧,٠٠٠
المجموع الكلي لفلسطين	١٢,٥٧٤,٧٧٤	١,٤٩١,٦٩٩	١١,٩٥٠,٦٥٨	١٤٢,٠٥٠	١٦٣,٨٤٢	٢٦,٣٢٣,٠٢٣

(١) الدونم يعادل الف متر مربع او نحو ربع فدان .

جـدول رقـم (٢)

	احصاء عام ١٩٢٢	احصاء عام ١٩٣١	تقديرات ١٩٤٤
عرب	٦٦٠,٦٤١	٨٤٨,٥٠٧	١,١٩٦,٨٢٤
يهود	٨٣,٧٩٠	١٧٤,٦٠٦	٥٢٨,٧٠٢
آخرون	٧,٦١٧	١٠,١٠١	١٤,٠٩٨
المجموع	٧٥٢,٠٤٨	١,٠٣٣,٣١٤	١,٧٣٩,٦٢٤

جدول رقم (٣)

الهجرة اليهودية الى ←

السنة	بولندا	روسيا	المانيا	رومانيا	بريطانيا	باقي اوروبا	الولايات المتحدة	باقي امريكا	آسيا
١٩١٩	—	٨٠٦	—	-	-	-	-	-	-
١٩٢٠	٢٥٥٢	٢٢٠٠٢	١٧٥	٣٣١	٥٧	١٢٢٩	١٦٣	٣٩	٢٨٥
١٩٢١	١٨٠٠٠	٣٧٨١	١٨٥	٤٢٤	٣٧	٧٨٩	١٥٠	٢٢	١٨٠
١٩٢٢	٢٦٣١	٣٦٢٦	٣٨	٢٨٥	٧٣	٦٣٣	١٩٩	٦	٢٨٥
١٩٢٣	٢١٧٥	٢٩٤٨	٧١	٣٦٤	١٣	٦٣٧	٨٩	١٠	٤٣١
١٩٢٤	٥٦٧٠	٢٩٧٤	١٨٠	٤٣١	٢٤	١٤٤٨	١٦٢	١٣	١٨٨٦
١٩٢٥	١٧,١١٥	٧٧٨٠	٢٦٢	١٧٠١	٣٠	٣٣٠٤	٣٣١	٣٠	١٩٨٦
١٩٢٦	٧٥٠٨	١٩١٨	٧١	٦٩٣	٦٥	٩١٨	١٨٤	٢٠	١٦٣٩
١٩٢٧	٨٣٦	٥٠٦	٩	١٢٦	١١	١٥٤	٢٧	٤	٥٨٠
١٩٢٨	٢٨٢	٢٧٧	٦	٢٤	٨	٦٠	٧١	٩	٢٥
١٩٢٩	١٩٧٨	٣٩٩	٤٧	٢٨٢	١٢	٣٦٣	٨٠	٦	٥٨٣
١٩٣٠	٢٣٨٨	٤٢٥	٤٧	٢٨٦	١٣	٣٧٢	١٣٢	٦	٣٩٣
١٩٣١	١٦١٠	٣٥٧	٤٢	١٩٦	١٠	٣٦٦	١٧١	١٤	١٨١
١٩٣٢	٢٩٨٧	١١٨	١٥٣	٣٧٧	٣٠	٦٧٩	٤٩١	٢١	٥٣٨
١٩٣٣	١٢,٨٧٩	٤٠٨	٥٧٥٠	١٣٧٤	٨٥	٣٨٥٨	١٠٦٣	١٣٠	١٤٧٤
١٩٣٤	١٦,٨٢٩	٥٧٨	٦٩٩٢	١٧٥١	١٥٣	٥٧٤٩	١٠٧٨	١٧٢	٢٤٢٨
١٩٣٥	٢٩,٤٠٧	٤٤٦	٥٤٦٤	٣٦١٦	٢٧٥	٨٨٦٢	١٦٠٢	٢٧٧	٣٦٣٥
١٩٣٦	١٢,٩٢٩	٥٨٥	٥٧٥٧	١٣٦٣	١٣٠	٣٠٧٦	٢٤٥	٦٤	١٦٥٥
١٩٣٧	٣٥٧٨	٢٦٨	٢٦٦٥	٢٥٦	٧٣	٨٧٢	١٠٣	٢١	١٠٣٧
١٩٣٨	٣٣٤٦	٥٢	٣٣٦٧	٤٥٤	١٥	٢٥٣٢	٦١	٨	٩١٩
١٩٣٩	١٨٩٢	١٨	٥٨٣٢	٣٥٧	٤٥	٣٧٢٧	٢٨	٦	٦٣٢
١٩٤٠	١١١٣	٣	١٠٣٦	٦٨١	٢	٨٥٥	٢	٣	١٥٥
١٩٤١	٤٤١	٥	١٧٤	٧٣٣	١	٥٩٧	-	-	٦٦
١٩٤٢	٢٥٧	٧	٣٥	٣٠	٣	١٠١	-	٧	٦٨٩
١٩٤٣	١٨٦٩	٣	٤٥	١٣٧	٢٩	٥٠٦	-	٥	٤٨٠٢
١٩٤٤	٦٩٧	٢٩٤	٣٧١	٣٧٣٥	٣٥	٣٦٢٧	٤	٣٧	٣٣٨١
١٩٤٥	٢٤٥٦	٥٢	٣٦٠	١١٥٨	١٣	٣٤٧١	١٤٠	٢٤	١٣٤٩
المجموع	١٣٧٢٢٥	٣٠٨٣٦	٣٩١٣١	٢١١٦٥	١٢٤٢	٤٨٧٩٥	٦٤٠٠	٩٥٤	٣١١٦٢

فلسطين ١٩١٩-١٩٤٥

افريقيا	بدون دولة	غير محددين	مجموع للمهاجرين	غير متحقق منهم	مهاجرون آخرون	مسافرون مسموح لهم	للمجموع
-	-	١٠٠٠	١٨٠٦	-	-	-	١٨٠٦
١٠٨	-	١٠٧٢	٨٢٣٣	-	-	-	٨٢٣٣
٨٤	-	٨٤٢	٨٢٩٤	-	-	-	٨٢٩٤
٢٧	-	٨٨٢	٨٦٨٥	-	-	-	٨٦٨٥
١١	-	١٣٤٤	٨٠٩٣	-	-	٨٢	٨١٧٥
٨٨	-	٢٩	١٢٩٠٥	-	-	٩٨٧	١٣٨٩٢
٦٣	-	٥٣٣	٣٣١٣٥	-	-	١٢٥١	٣٤٣٨٦
٢٤	-	٢٠٧	١٣٢٤٤	-	-	٦١١	١٣٨٥٥
١	-	٦٦	٢٣٤٠	-	-	٧١٤	٣٠٣٤
-	-	١٩	٧٨١	-	١٠٧	١٢٨٧	٢١٧٥
-	-	١٦٩	٣٩١٥	-	١٢٠	١١٩٤	٥٢٤٩
-	-	٧٢	٤١٣٤	-	١١٥	٦٩٥	٤٩٤٤
-	-	٥١	٢٩٩٨	-	١٢٨	٩٣٩	٤٠٧٥
٥	-	٨١	٥٤٨٠	-	٣٤٨	٣٧٣٠	٩٥٥٣
٣٦	-	٢٨٢	٢٧٢٨٩	-	٥٧٣	٢٤٦٥	٣٠٣٢٧
٧١	-	٨٦٨	٣٦٦١٩	-	١٦٢٥	٤١١٥	٤٢٣٥٩
١٠٦	١٤٥٢	٢٦٥	٥٥٤٠٧	-	٢٦٤٣	٣٨٠٤	٦١٨٥٤
٣٤	٨٧١	٢٦٧	٢٦٩٧٦	-	٩٣٤	١٨١٧	٢٩٧٢٧
١١	٤٢٧	١٣٠	٩٤٤١	-	٤١٤	٦٨١	١٠٥٣٦
١٢	٣٢٢	١٣٤	١١٢٢٢	-	٢١٩	١٤٢٧	١٢٨٦٨
٦	١٠٦٠	٦٠	١٣٦٦٣	١١١٥٦	٢٥١	٢٤٩١	٢٧٥٦١
-	٢٩٩	٤٢	٤١٩١	٣٨٤١	٣٣٣	٢٣	٨٣٩٨
-	١١٤٢	٥٣	٣٤١٢	٢٢٣٩	٢١٨	١٧	٥٨٨٦
٨	٢٥٨	١٥	١٤٠٧	٨٤٤	٧٨٠	٧	٣٠٣٨
٩	٩٧	٢٩	٧٥٣٢	-	٩٤٢	٣٣	٨٥٠٧
٣٤	٩٩٥	٢٩٧	١٣٢٠٧	-	٩٥٥	٣٠٢	١٤٦١٦
١٨٨	١٥٩٨	-	١٠٦٨١	٥٨	٦٩٤	١٨٠	١١٦١٩
٩٤٦	٨٤٢١	٨٨٠٩	٣٣٥٠٦٦	١٨٢٤٨	١١٤٢٤	٢٨٨٥٢	٣٩٣٤٩٠

جدول رقم (٤)

نمو السكان اليهود خارج اوروبا ١٨٠٠ـ١٩٣٨*

السنة	العدد التقريبي لليهود في نهاية كل عام											
	الولايات المتحدة	كندا	الارجنتين	البرازيل	اورغواي	شيلي	كوبا	المكسيك	جنوب افريقيا	فلسطين	مصر	اوستراليا ونيوزيلاندا
١٨٠٠	٢٠٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	١٠٠٠٠	٠٠	٠٠
١٨٥	٥٠٠٠٠	٥٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	١٠٠٠	٠٠	٥٠٠	١٢٠٠٠	٠٠	٠٠
١٨٨٠	٢٣٠٠٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٥٠٠٠	٢٥٠٠٠	٠٠	٠٠
١٨٩٠	٥٠٠٠٠٠	٦٤٠٠	١٠٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	١٥٠٠٠	٣٥٠٠٠	٠٠	٠٠
١٩٠٠	١٠٠٠٠٠٠	١٦٤٠٠	٣٠٠٠٠	٣٠٠٠	٠٠	٠٠	٣٠٠٠	١٠٠٠	٣٠٠٠٠	٥٥٠٠٠	٢٧٠٠٠	١٦٠٠٠
١٩١٠	٢٢٠٠٠٠٠	٧٠٠٠٠	٩٠٠٠٠	٥٠٠٠	٠٠	١٠٠٠	٠٠	٢٠٠٠	٤٥٠٠٠	٨٠٠٠٠	٤٠٠٠٠	١٨٠٠٠
١٩٢٠	٣٢٠٠٠٠٠	١٢٠٠٠٠	٣٠٠٠٠	٧٠٠٠	١٠٠٠	٢٠٠٠	٤٠٠٠	٠٠	٦٠٠٠٠	٧٥٠٠٠	٦٠٠٠٠	٢٤٠٠٠
١٩٣٠	٤٤٠٠٠٠٠	١٥٠٠٠٠	٢٣٠٠٠٠	٤٠٠٠٠	١٠٠٠٠	٥٠٠٠	٩٠٠٠	١٠٠٠٠	٨٢٠٠٠	١٧٠٠٠٠	٦٥٠٠٠	٠٠
١٩٣٣	٤٥٠٠٠٠٠	١٦٠٠٠٠	٢٤٥٠٠٠	٤٥٠٠٠	٢٠٠٠٠	٧٠٠٠	٩٠٠٠	١٥٠٠٠	٨٠٠٠	٢٤٠٠٠٠	٧٠٠٠٠	٢٧٠٠٠
١٩٣٨	٤٧٠٠٠٠٠	١٧٥٠٠٠	٢٧٥٠٠٠	٥٥٠٠٠	٢٥٠٠٠	١٠٠٠٠	١٠٠٠٠	٢٠٠٠٠	٠٠٠٠٠	٤٤٠٠٠٠	٧٥٠٠٠	٣٠٠٠٠

* المصدر، آرثر روبين The Jewish Fate and Future (لندن ١٩٤٠) ص٥٤.

جدول رقم (٥)

الايرادات حسب تقسيم الحكومة من سنة ١٩٣٣-٣٤ الى ١٩٣٧-٣٨ *

ابواب الدخل	المبلغ				
	١٩٣٣-٣٤	١٩٣٤-٣٥	١٩٣٥-٣٦	١٩٣٦-٣٧	١٩٣٧-٣٨
١-الرسوم الجمركية	١٨٦٨٥٩٨	٢٦٠٠٣٧٠	٢٧٥١٧٤٦	٢٠١٩٤٧٩	١٩٩٩٦٩٧
٢-رسوم الموانيء والمرافيء	٥٦٤٨٩	٩٠٧٠١	١٠٧٥٩٧	١١٠٢٠٦	١٢٩١١٩
٣-رسوم الرخص والضرائب	٨٥٧١٨٠	١٠٧٥٢٩٥	١٠٨٢٤٢٧	٨٥٩٩٤٨	٩٨٢٠٣٢
٤-رسوم المحاكم	٥٣٤٣٥٥	٨٤٥٩٢٩	٩١٣٠٢٧	٧٠٣١٢٩	٧٥٠٦٦٦
٥-البريد والبرق	٢٨٧٨٤٣	٣٥٥٨١٧	٤١٨٨٩٦	٤٧٧٤٩٣	٥٠٨٨٨٧
٦-الدخل من أملاك الحكومة	١٤٤٢٠	٢١٦١٩	٢٣٩٥٢	٥٠٣١٧	٥٠٣٦٣
٧-الفوائد	٥٦٨٩٦	٩٧١٠٢	١٤١٢٧٩	١٥٠٧٣٠	١٣٠ ٢٨٤
٨-متفرقات	١٢١٣٧٧	١٧٧٨٨٦	١٥٤٠٢١	١٢٨٠٢١	١٨٤ ١٢٨
٩-الدخل من مبيعات اراضي الحكومة	٢٦٦٠٩	٣١٦٤٠	١٨٨٧٤	٢٤٤١	٩٢٣٤
	٣٨٢٣ ٧٢٧	٥٢٩٦٣٥٣	٥٦١١٣١٩	٤٤٩٤٧٦٤	٤٧٤٤ ٤١٠
١٠-المساعدة من حكومة صاحب الجلالة	١٣٧ ٧٦٠	١٤١ ٣٦٧	١٤٠ ٣٤٥	١٣٩ ٦٨٦	١٤٠ ٥٣٣
١١-المساعدة من مال ترقية المستعمرات	٢٤٠٠٥	١٤٩١٣	١٨٧٩٣	٦٣٧١	١٢٤١٣
المجموع	٣٩٨٥ ٤٩٢	٥٤٥٢ ٦٣٣	٥٧٧٠ ٤٥٧	٤٦٤٠٨٢١	٤٨٩٧٣٥٦

* راجع «النظام الاقتصادي في فلسطين»، تأليف سعيد حمادة ص ٧٢١ (مطبعة الجامعة الأميركية ١٩٣٩) بيروت.

جدول رقم (٦)

الاهمية النسبية للنفقات على المصالح الحكومية المختلفة في السنوات من ١٩٣٣-٣٤ الى ١٩٣٧-١٩٣٨*

(النفقات الفعلية)

المصلحة	١٩٣٣-١٩٣٤		١٩٣٤-١٩٣٥		١٩٣٥-١٩٣٦		١٩٣٦-١٩٣٧		١٩٣٧-١٩٣٨	
	المبلغ بالجنيهات لفلسطينة	النسبة المئوية لمجموع النفقات	المبلغ بالجنيهات الفلسطينية	النسبة المئوية لمجموع النفقات	المبلغ بالجنيهات الفلسطينية	النسبة المئوية لمجموع النفقات	المبلغ بالجنيهات الفلسطينية	النسبة المئوية لمجموع النفقات	المبلغ بالجنيهات الفلسطينية	النسبة المئوية لمجموع النفقات
١ـ الدفاع والامن	٧٦٩٠٤٨	٢٨,٤	٨١٥٦٩٦	٢٥,٣	٨٤٣٩٤٢	٢٠,٠	٢٢٢٠٨٧٦	٣٦,٦	١٩٠٦٨٩٥	٢٦,١
٢ـ الادارة المالية	٥٩٧٦٠٢	٢٢,١	٧٤٨٠٤٣	٢٣,٢	٩٥٩٠٦٤	٢٢,٧	١٢٥٨٤٢٦	٢٠,٧	١٢٣٥٥٤٥	١٦,٩
٣ـ المصالح الثقافية	٩٩ ٩٨٥	٣,٧	١٠١٨٣٩	٣,١	١٠٥ ١٥١	٢,٤	١١٤ ٨٩٣	١,٩	١٢٨ ٦٨٠	١,٨
٤ـ المصالح الاجتماعية	٣٢٣ ٨٣٢	١٢,٠	٣٨٥٠٠٦		٤٣٤٠٥٩	١٠,٢	٤٧١٥١٣	٧,٨	٥٣٨٣٤٠	٧,٤
٥ ـ المصالح الاقتصادية والعمرانية	٩١٤٣٨٨	٣٣,٨	١١٧٩١٣٦	٣٦,٥	١٨٩٣٩٨٥	٤٤.٧	٢٠٠٧٧٩٤	٣٣.٠	٣٤٨٨٢٢٨	٤٧,٨
المجموع	٢٧٠٤٨٥٥	١٠٠,٠٠	٣٢٣٠٠١٠	١٠٠,٠٠	٤٢٣٦٤٠١	١٠٠,٠٠	٩٠٧٣٥٠٢	١٠٠,٠٠	٧٢٩٧٦٨٨	١٠٠,٠٠

* راجع «النظام الاقتصادي في فلسطين»، تأليف سعيد حمادة ص ٧٢١ (مطبعة الجامعة الاميركية ١٩٣٩). بيروت

جدول رقم (٧)

قيمة الانتاج الزراعي (المنتجات الرئيسية) لعام ١٩٤٥

بالجنيهات الفلسطينية

	اليهود	العرب	المجموع
الحبوب	٤٩٧,٠٤٨	٤,٤٠٣,٤٠٩	٤,٩٠٠,٤٥٧
الخضار	١,٧٤٥,٨٧٠	٥,١١٣,٥٥٣	٦,٨٥٩,٤٢٣
العلف	٩٥١,١٧٨	١٥٦,٨٤٧	١,١٠٨,٠٢٥
الفواكه (باستثناء الحمضيات)*	١٣٧٩,٦٢٠	٣,١٣٩,٣٧٤	٤,٥١٨,٩٩٤
الزيتون	٥٣,٢٣٥	٣,٣٢٠,٣٢٠	٣,٣٧٣,٥٥٥
البطيخ	٨٣,٩٧٥	٩٦٩,٦٣٠	١,٠٥٣,٦٠٥
المجموع	٤٧١٠١٣٣	١٧,١٠٣,١٣٣	٢١,٨١٤,٠٥٩

* ورد في التقرير الحكومي (ص٣٣٩) ان مجموع ملكية العرب للأراضي المزروعة حمضيات بلغت ١٢٢٩٥٨ دونماً بينما بلغ مجموع أراضي الحمضيات اليهودية ١١٤٣٥٢ دونماً.

جدول رقم (٨)
احصاءات الصناعة لعامي ١٩٣٩ و١٩٤٢ ـ قسم الاحصاء

	عــرب		شركات الامتياز		اليهــود	
	١٩٣٩	١٩٤٢	١٩٣٩	١٩٤٢	١٩٣٩	١٩٤٢
عدد الاشخاص الذين يعملون في الصناعة	٤١١٧	٨٨٠٤	٢٦١٩	٣٤٠٠	١٣٦٧٨	٣٧٧٧٣
قيمة الانتاج القائمة بالألف جنيه	١٥٤٥	٥٦٥٨	١٢٥١	٢١٣١	٦٠٤٦	٢٩٠٤١
قيمة الانتاج الصناعية بالألف جنيه	٣١٣	١٧٢٥	١١٠٦	١٦٣١	٢٤٥٥	١١٤٨٨
رأس المال المستثمر بالألف جنيه	٧٠٤	٢١٣١	٥٧٩٩	٦٢٩٤	٤٣٩١	١٢٠٩٤
قوة الآلات بالحصان	٣٩١٤	٣٨١٢	١٣٣١٢٨	١٣٣٦٧٣	٤١٦٩٤	٥٧٤١٠
الأجور والرواتب المدفوعة بالألف جنيه	١٢٢	٥١١	٢٧٤	٦١١	١٠٠٨	٥٦٤١

ملاحظات :

١ ـ من بين الامتيازات الخمسة كانت هناك امتيازات يهودية او مؤسسة بأموال يهودية من بينها الامتيازات التالية : شركة كهرباء فلسطين المحدودة ، شركة البوتاس الفلسطينية المحدودة ، شركة فلسطين للملح التي تبلغ ٩٠٪ من مجموع نشاطات الشركات الخمس . الشركتان غير اليهوديتين هما كهرباء القدس وشركة الخدمات العامة المحدودة وشركة شكري ديب وولده المحدودة (للملح) .

٢ ـ التعداد لا يشمل المصانع ومطابع الصحف وكراجات اصلاح السيارات .

٣ ـ المؤسسات اليهودية في عامي ١٩٣٩و ١٩٤٢ تحتوي على شركات تشغل اكثر من ٣ اشخاص ، وفي حالة المخابز فان الحد الادنى لعدد الأشخاص الذين يكونون مؤسسة قد اعتبر خمسة اشخاص . المؤسسات غير اليهودية تضم شركات اصغر لمعدل حجم الوحدة اصغر مما هو الحال في المؤسسات اليهودية . وفي بعض انواع التجارة غير اليهودية كالنسيج وصناعة الأحذية والمخابز مُدّد ليشمل مؤسسات تشغل رجلاً واحداً .

٤ ـ يحصل على الناتج الصافي بطرح تكلفة المادة والوقود المستعمل من الناتج الاجمالي .

الناتج الصافي يمثل صافي القيمة المضافة من عملية الانتاج وبهذا يشكل مقياساً اكثر نفعاً للاهمية الاقتصادية للصناعة.

جدول رقم (٩)

ملكية الصناعة في فلسطين حسبما وردت في إحصاء الصناعة عام ١٩٤٣

البند	العرب وغير اليهود	اليهود	امتيازات	المجموع
المؤسسات	١٥٥٨	١٩٠٧	٥	٣,٤٧٠
رأس المال المستثمر*	٢,٠٦٤٥٨٧	*١٢,٠٩٣,٩٢٩	٦,٢٩٣٦٨١	٢٠,٤٥٢,١٩٧
قوة الحصان	٣,٦٢٥	٥٧,٤١٠	١٣٣,٦٧٣	١٩٤,٧٠٨
الناتج الاجمالي	٥,٦٥٨,٢٢٢	٢٩,٠٤٠,٦٧٧	٢,١٣١,٤٦٧	٣٦,٨٣٠,٣٦٨
تكلفة المادة	٣,٩٣٣,٤٢٩	١٧,٥٥٢,٨٣٦	٤٩٩,٩٩٣	٢١,٩٨٦,٢٥٨
الناتج الصافي	١,٧٢٤,٧٩٣	١١,٥٥٢,٨٤٣	١,٦٣١,٤٧٤	١٤,٨٤٤,١١٠
الأشخاص الموظفون	٥٥٨٨٠٤	** ٣٧٧٧٣	٣,٤٠٦	**٤٩٤,٩٧٧

---

* لا تشمل رأس المال المستثمر في مطابع الصحف والكراجات والمشاغل الصغيرة غير الداخلة في الاحصاء.

** بما فيها العمال من الخارج.

جدول رقم (١٠)

الاجور اليومية السائدة (بالملّ) * والمدفوعة للعمال العرب في صناعات مختارة خلال عام ١٩٣١ وعام ١٩٣٨

المهنة	معدل عام ١٩٣١ (بالمل)	سبتمبر عام ١٩٣٨ (بالمل)
العمال الزراعيون	٨٠ـ١٢٠	٨٠ـ١٢٠
عمال بناء غير مهرة	١٠٠ـ١٥٠	١٠٠ـ١٥٠
عماد معادن نصف مهرة	١٥٠ـ٢٠٠	١٥٠ـ٢٠٠
مصنفو الدخان: رجال	٥٠ـ١٢٠	٥٠ـ٢٠٠
نساء	٥٠ـ٨٠	٥٠ـ١٠٠
حائكون	٦٠ـ١٠٠	٤٠ـ١٠٠
صانعو الصابون	١٠٠ـ٢٤٠	١٠٠ـ٢٠٠

ملاحظة :

تتراوح ساعات العمل اليومية بين ٨ و١٠ ساعات. انظر في:

STATISTICAL ABSTRACT OF PALESTINE 1939. OFFICE OF STATISTICS JERUSALEM 1939 P. 97.

* الملّ أصغر جزء من الجنيه الفلسطيني الذي كان يساوي ألف مل.

جدول رقم (١١)

الاجور اليومية السائدة (بالملّ) والمدفوعة للعمال اليهود في صناعات مختلفة لعامي ١٩٢٧ و ١٩٣٨

العمل اليهودي

المهنة	معدل عام ١٩٢٧ (بالمل)	سبتمبر ١٩٣٨ (بالمل)
العمال الزراعيون: رجال	١٥٠ـ٢٢٠	٢٠٠
نساء	١٢٠ـ١٥٠	١٥٠ـ١٧٥
عمال بناء غير مهرة	١٨٠ـ٢٥٠	٣٠٠ـ٤٠٠
عمال معادن نصف مهرة	٢٠٠ـ٢٥٠	٢٠٠ـ٤٠٠
حائكون	٢٥٠ـ٣٠٠	٣٠٠ـ٤٥٠
صانعو الصابون	٢٠٠ـ٣٠٠	٣٠٠ـ٤٨٠

ملاحظة:

تتراوح ساعات العمل اليومية بين ٨ و١٠ ساعات. انظر المرجع السابق.

جدول رقم (١٢)

عدد الطلاب في جميع المدارس حسب الديانة عامي ٢٥/١٩٢٦ وعامي ٣٧/١٩٣٨*

نوع الادارة	عام ٢٥/١٩٢٦	عام ٣٧/١٩٣٨
١) النظام العربي العام لمدارس الحكومة		
عدد الطلاب	١٩٧٣٧	٤٩٤٠٠
مسلمون	١٧١٠٩	٤٤٣٠٥
يهود	١٧	٥
مسيحيون	٢١٧٤	٤٣٩٥
آخرون	٤٣٧	٦٩٥
٢) مدارس اسلامية غير عامة		
عدد الطلاب	٣٢٤٥	١٤٠٥٢
مسلمون	٣٢٢٦	١٣٩٦٦
يهود	٢	١
مسيحيون	١٧	٧٩
آخرون	-	٦
٣) مدارس مسيحية غير عامة		
عدد الطلاب	١٥١٤٥	٢٤٠٤٦
مسلمون	١٧٢٧	٤٤٧٥
يهود	٤٤٥	١٠٤٢
مسيحيون	١٢٨٩٣	١٨٤٣٠
آخرون	٨٠	١٣٩
٤) النظام اليهودي العام (فآدليومي)		
عدد الطلاب	١٥٦٧١	٤٩٩٢٠
مسلمون	-	٤
يهود	١٥٦٧١	٤٩٩٠٧

نوع الادارة	عام ١٩٢٦/٢٥	عام ١٩٣٨/٣٧
مسيحيون	-	٩
آخرون	-	-
٥) مدارس يهودية غير عامة		
عدد الطلاب	١٠٨١٠	٢١٤٥٦
مسلمون	٧١	-
يهود	١٠٧١٤	٢١٤٤٨
مسيحيون	٢٤	٨
آخرون	١	-
٦) مجموع المدارس الحكومية وغير الحكومية		
عدد الطلاب	٦٤٨٠٨	١٥٨٨٧٤
مسلمون	٣٢٣٣٣	٧٢٧١٠
يهود	٢٦٨٤٩	٧٢٤٠٣
مسيحيون	١٥١٠٨	٢٢٩٢١
آخرون	٥١٨	٨٤٠

* المرجع السابق ص ١٣٦

المصادر الرئيسية للبحث

استند البحث الى عدة مصادر لم يسبق للباحثين وللمؤرخين الاطلاع على قسم اساسي منها واهمها ما يلي:

١ ـ المصادر غير المنشورة وتشمل:

أ ـ الوثائق البريطانية الرسمية (موجودة في مكتب السجلات العامة)

١ ـ أوراق الوزارة البريطانية

٢ ـ ارشيف وزارة المستعمرات البريطانية

٣ ـ ارشيف وزارة الخارجية البريطانية.

ب ـ الوثائق الصهيونية الرسمية:

١ ـ ارشيف الماغانا ١٩١٩-١٩٢١

٢ ـ الأرشيف الصهيوني (القدس) ١٩١٧-١٩٢٣

ج ـ الوثائق الاميركية الرسمية:

١ ـ ارشيف وزارة الخارجية الموجود في الارشيف القومي بواشنطن.

د ـ الاوراق الخاصة:

١ ـ اوراق بلفور

٢ ـ اوراق كلايتون

٣ ـ اوراق كينغ

٤ ـ اوراق صموئيل

٥ ـ اوراق سايكس

٦ ـ اوراق يال

هـ ـ مؤلفات غير منشورة :

١ ـ روحي الخالدي «المسألة الصهيونية» ١٩١١ وهي مخطوطة بحوزة الاستاذ وليد الخالدي الذي وضعها مشكورا تحت تصرف المؤلف.

٢ ـ نيفيل مندل : «الاتراك والعرب والهجرة اليهودية» ١٨٨٢ـ١٩١٤» كلية سانت انطوني جامعة اكسفورد ١٩٦٥ .

٢ ـ مقابلات شخصية :

أ ـ مقابلة مع الحاج امين الحسيني بيروت ١٩٦٦ .
ب ـ مقابلة مع الاستاذ اميل الغوري بيروت ١٩٦٧ .

٣ ـ جرائد ومجلات :

اشرنا اليها عند اقتطاف مقاطع منها او عند الاستناد اليها.

٤ ـ تقارير وبيانات حكومية (بريطانية) :

وتشكل مجموعة البيانات الصادرة عن الحكومة البريطانية بما في ذلك تقارير لجان التحقيق واللجان الفنية والكتب الاحصائية والتصاريح الحكومية حول السياسات والمواقف السياسية في فلسطين.

٥ ـ كتب وثائقية منشورة :

أ ـ الكتب العربية :

١ ـ عبدالوهاب الكيالي (محرر) «وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال البريطاني والصهيونية ١٩١٨ـ١٩٣٩» ،مؤسسة الدراسات الفلسطينية بيروت ١٩٦٨ .

٢ ـ الامانة العامة لجامعة الدول العربية «الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين المجموعة الاولى ١٩١٥ـ١٩٤٦» القاهرة ١٩٥٧ .

ب ـ الكتب الانكليزية :

١ ـ ج . س. هوروفيتس «الدبلوماسية في الشرقين الادنى والاوسط» (في جزئين) نيوجيرسي الطبعة الاولى ١٩٥٦ والطبعة الثانية ١٩٥٨ .

٢ ـ وزارة الخارجية الاميركية «اوراق متصلة بالعلاقات الخارجية للولايات المتحدة. مؤتمر باريس للسلام ١٩١٩» واشنطن ١٩٤٧.

٣ ـ «وثائق حول السياسة البريطانية الخارجية ١٩١٩ـ١٩٣٩» تحريري. و. إدوارد، ور. بتلو المجموعة الأولى الجزء الرابع (لندن).

٦ ـ الكتب والمقالات:

هناك عدد كبير من الكتب والمقالات التي تمت الى موضوع البحث بصلة وقد اشرنا الى اهم هذه الكتب والمقالات في سياق الكتاب.

فهارس الأعلام والأماكن

(خ)

(د)

(ط)

(ع)

(ق)

(ك)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

المحتويات

د. عبد الوهاب الكيالي



هذه هي الطبعة العاشرة من الدراسة الجادة والشاملة لتاريخ فلسطين الحديث. لقد لقي هذا الكتاب ولا يزال منذ صدوره وحتى الآن ترحيباً حاراً من الأوساط الأكاديمية والوطنية العربية. فالمنهج العلمي الذي اتبعه المؤلف والرؤيا الواعية والملتزمة والاستناد إلى المصادر الأولية والوثائق السرية الرسمية البريطانية والصهيونية هي من أهم سمات هذا الكتاب. ولعل صدور الكتاب أيضاً باللغة الانكليزية وإعادة طبعه مرات، وتبني إحدى دور النشر الفرنسية ترجمته وإصداره لتشاهد على مدى أهمية الكتاب مادة وموضوعاً

المؤسسة العربية للدراسات والنشر
بيروت، ساقية الجنزير، بناية برج الكارلتون، ص.ب: ٥٤٦٠-١١
العنوان البرقي: موكيالي، هاتف: ٨٠٧٩٠٠ / ٨٠٧٨٠٠
تلكس: LE/DIRKAY ٤٠٠٦٧

التنفيذ بيروت